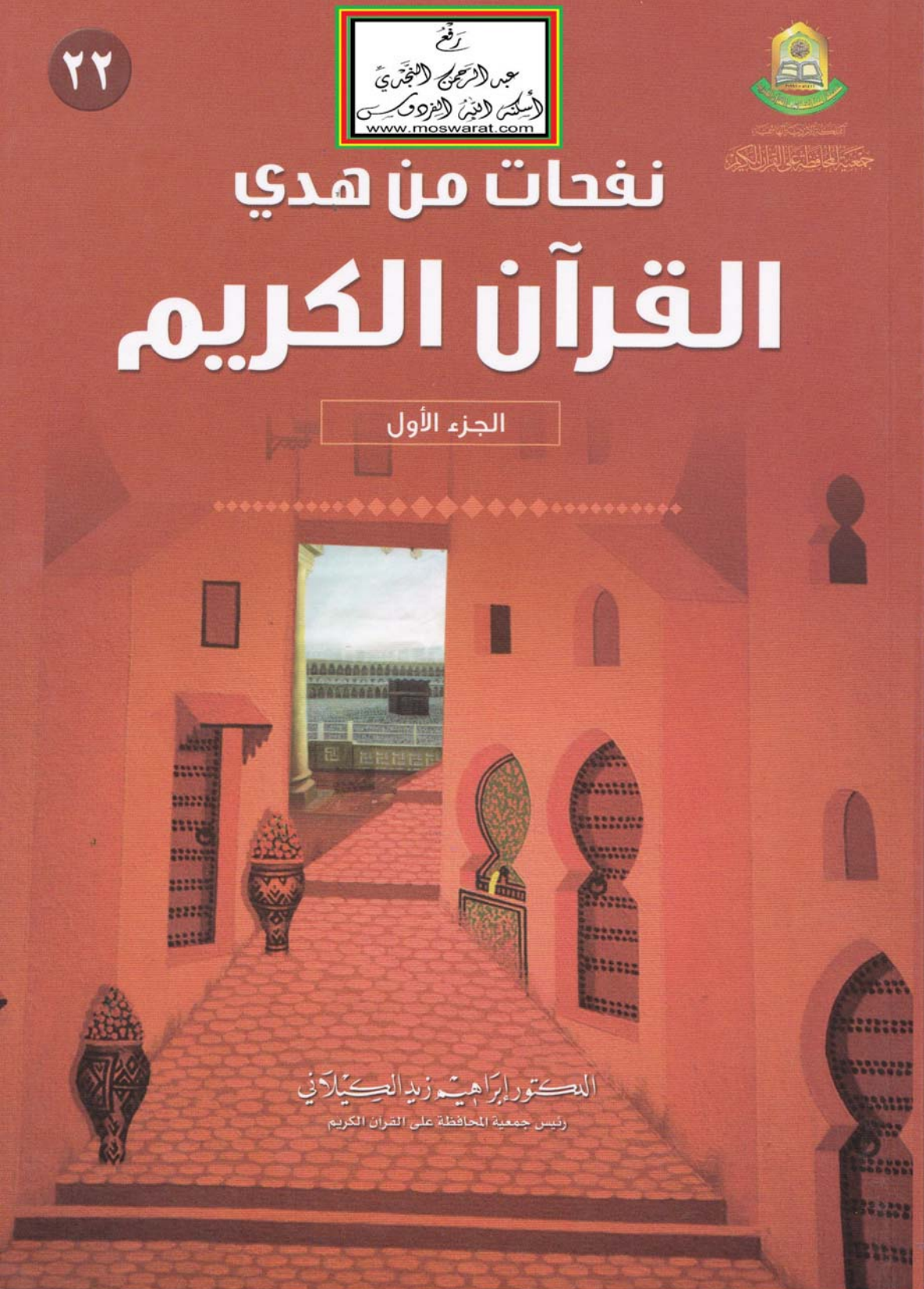
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٢٢

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

نفحات من هدي القرآن الكريم

الجزء الأول



الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



نفحات من هدي

القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٧/٢/٤٢٥)

٢١١

الكيلاني، إبراهيم زيد

نفحات من هدي القرآن الكريم/إبراهيم زيد الكيلاني. -
عمان : جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠٠٧ .

( ) ص.

ر.أ.: (٢٠٠٧/٢/٤٢٥) .

الواصفات : الثقافة الإسلامية// الإسلام

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: (٢٠٠٧/٢/٤٨٦)

من منشورات
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف: 5153557 6 00962 - فاكس: 5163925 6 00962
ص. ب: 925894 - الرمز البريدي: 11190
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org / e-mail: hoffaz@hoffz.org

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نفحات من هدي القرآن الكريم

الجزء الأول

الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،

فهذه مجموعة مقالات افتتحت بها مجلة الفرقان الشهرية ولك أن تسميها "حصاد الشهور" إذ كنت في كل افتتاحية أعلق على أحداث الشهر وأسلط عليها من نور القرآن الكريم ما يبين الطريق ويشفي الصدور.

ومما أغراني بطباعتها وجمعها في كتاب أن كثيرين من إخواننا وقراء المجلة كانوا يتابعونها وينتظرونها ويجدون فيها مادة لدروسهم ومواعظهم وخطبهم. وجمعها في كتاب واحد ييسّر لمن لم يقرأها في أعداد المجلة أن يقرأها ويقتنيها وينتفع بها.

وللعلماء رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهة أخطر حملة غربية يهودية تسعى لاجتثاث أصول حضارتنا وطمس هويتنا، وتجفيف ينابيع هدايتنا، وقد حملت مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية المحافظة على القرآن الكريم راية التوحيد والمقاومة والبيان والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان الإعجاز القرآني في أوجهه المتعددة البيانية والعلمية، وحمل رسالة القرآن العظيم عقيدة وشريعة ونظام حياة.

وكانت هذه الافتتاحية قبساً من نور هذه الرسالة العظيمة. وقد رأى مجلس إدارة الجمعية مشكوراً جمع هذه الافتتاحيات في كتاب ليعم النفع، وينتشر الخير.

جزاهم الله خير الجزاء، وحفظ الله الأمة بكتابها ودينها، ونفعنا به، وأعاننا على نصرته، إنه سميع مجيب.

المؤلف: د. إبراهيم زيد الكيلاني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(الفرقان) نور على الطريق

نحمدك ربنا منزل القرآن رحمة للعالمين، ونصلي ونسلم على النبي العربي الهاشمي المبعوث بالهدى ودين الحق وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد يسَّر الله تعالى بفضله وكرمه لجمعية المحافظة على القرآن الكريم إصدار مجلة "الفرقان" لتكون نوراً على الطريق يفرِّق بين الحق والباطل، يشارك في كتابة "كلماتها" صفوة من العلماء والقراء والأدباء، وتقدم الزاد لحفظة القرآن الكريم، وللطلاب والمعلمين، ولأهل القرآن وأحبابه الحريصين على أن يجمعوا بين الحفظ والعلم، نوراً على نور، وهدى ورحمة لقوم يتقون.

إن النهضة العلمية المرتبطة بالقرآن العظيم هي نهضة الأمة التي تسعى لبناء حصونها من الداخل، وتقويتها، ووصل حاضرها بماضيها. وإن جمعية المحافظة على القرآن الكريم التي تمكنت بفضل الله تعالى من تحقيق أهدافها بنشر فروعها في أنحاء الأردن: في مدنه، وقراه، وفي حواضره وريفه، فأنشأت ما يقارب من مئتين وخمسين مركزاً* لتعليم كتاب الله العظيم، حيث يلتقي المنتسبون لهذه الفروع والمراكز على تعلم كتاب الله، فتستقيم قلوبهم بهداية القرآن وتستقيم ألسنتهم بلغة القرآن، ويتحصَّنون من الأخلاق الفاسدة، والأوكار الهدامة ومراكز اللهو والعبث والفتنة والفساد. إن تعلم القرآن الكريم وتعليمه هو حصن الأمة في مواجهة التهويد، والتغريب والتفكيك الثقافي لبناء الأمة وهويتها الحضارية ووجودها، الذي خطط له الأعداء ويسعون لتنفيذه في هذه المرحلة الخطيرة من حياة الأمة ومستقبلها، وإذا ذكر الناس في هذه الحياة الدنيا مكاسبهم المادية فيما يربحون، ويعمرون ويدَّخرون فإن الربح الأعظم هو ما قدَّموه لله وكتابه، وأنفقوا بسخاء على فروع الجمعية ومراكزها، لتعلم القرآن وتعليمه، ولحكمة ذكر الله الأمر بالإيمان بالله ورسوله والقرآن الذي أنزله هدى ونوراً، وذكر بعده يوم القيامة وسمَّاه يوم التغابن، ليحذِّر المؤمنين أن يخسروا ويغبنوا في أموالهم وأعمالهم وحياتهم بالتقصير بحقوق القرآن العظيم أو بالتقصير بنصرته والعمل به، ونشر هدايته، وتعليمه.

قال تعالى: {فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير. يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفِّر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} (التغابن ٨-٩).

وفي حديث رسول الله ﷺ: "ما من عبد يدخل الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة" رواه البخاري.

وقد بيَّن النبي ﷺ في حديث شامل شخصية المسلم المتكاملة من طهارة القلب والجسد، إلى التحلي بأخلاق المؤمنين وذكر وصلاة وصبر ونفقة، إلى نصرة هذا القرآن العظيم ليكون حجة لنا لا علينا، وهذا هو الطريق للفوز بالجنة والنجاة من النار، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه، فمعتقها، أو موبقها".

قال العلماء: إن كل الناس يغدو ويسعى فبائع نفسه من الله سبحانه وتعالى بنصرة دينه وكتابه فمعتقها من النار، أو بائع نفسه من الشيطان بخذلان دين الله، وإيثار دنياه وهواه على كتاب ربه، وهداية دينه، ونصرته. ولهذا كان القرآن حجة لك أو عليك، فهو حصن الأمة في مواجهة الفتن في كل زمان. وروى الترمذي بسنده عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ستكون فتن، قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله".

وإن خير ما نورِّثه أبناءنا ونحصنهم به هو تعليمهم القرآن العظيم، أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: "ما من رجل يعلِّم ولده القرآن إلا تُوِّج يوم القيامة بتاج في الجنة".

والخيرية التي يتسابق بها المؤمنون لرضوان الله وجنته يحصِّلونها بتعلم القرآن وتعليمه والإنفاق على ذلك، قال رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه" رواه البخاري. وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حلِّه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده، يا رب ارض عنه فيرضى عنه، ويقال له: "اقرأ وارق، ويزاد له بكل آية حسنة".

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة: "من تعلم آية من كتاب الله استقبلته الملائكة يوم القيامة تضحك في وجهه". وأخرج الشيخان من حديث عائشة "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران". مرجع هذه الأحاديث للعلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي (تيسير العسير من علوم التفسير).

إن بركة هذا القرآن العظيم شاملة لخيرات الدنيا والآخرة، وإن الأبناء الصالحين لا يجدون طريقاً للالتقاء بآبائهم الصالحين إلا طريق القرآن والعمل به.

قال تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم} (الطور: ٢١).

وهم الذين يدعون ربهم: {ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً} (الفرقان: ٧٤). وقرة العين على حوض المصطفى ﷺ، وهو ولدٌ صالح حفظ القرآن وعمل به.

وقد قسَّم القرآن أصناف الناس من هداية هذا القرآن فكان الظالم لنفسه المحروم من هدايته،

وكان المقتصد الذي توسط الأمر، وكان السابق بالخيرات بإذن الله الذي سبق بهذا القرآن حفظاً وعملاً وتعلماً وتعليماً وهداية ودعوة، قال تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير} (فاطر: ٣٢).

جعلنا الله من السابقين، وأكرمنا بالقرآن العظيم، وأظلّنا برحمته يوم الدين.

العدد (١) تشرين أول ١٩٩٩م

(*) عدد المراكز الآن يزيد عن (٤٥٠) مركزاً.

شهر الصيام .. مدرسة المجاهدين

المتدبر للقرآن الكريم ولسنن الله في إعداد الأمة لتكون أمة العقيدة والجهاد والنصر يجد أن من هذه السنن ألا يحمل الرسالة ويستحق انتصاراتها إلا عباد الله المخلصون الذين امتُحنوا ونجحوا في الامتحان وابتُلوا بأموالهم وأنفسهم وشهواتهم فآثروا الله على كل شهوة وصبروا وقاوموا ولم يضعفوا ولم يستسلموا ولم يستكينوا فآتاهم الله ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وثواب الآخرة وجناتها.

فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يكرمه الله بالإمامة بعد أن ابتُلي بنفسه وماله وولده وتعرَّض لنار الظالمين وجبروتهم ونجح في الامتحان، قال تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين} (البقرة: ١٢٤).

وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين رسول الله محمد ﷺ يفوز بالسكينة والنصر والتأييد الإلهي مكافأة له وقد ثبت على دينه في مواجهة المشركين وإرهابهم وأذاهم وما أحاط به من أسباب الخوف والهلاك، قال تعالى: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم} (التوبة: ٤٠).

ونبي الله طالوت عليه السلام يحرص على ألا يخوض المعركة مع عتاد المشركين الجبارين على أرض فلسطين إلا بعد أن يصفِّي جيشه بابتلاءات تميز الصفوة المؤمنة الصابرة المتوكلة على الله المستحقة لنصره عن الكثرة من الجند الذين لا يصبرون أمام نداء الغريزة بالعطش أو أمام كثرة العدد وقوته فيكونون سبب الهزيمة، قال تعالى: {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنَّ الله ذو فضل على العالمين} (البقرة: ٢٤٩-٢٥١).

ويلاحظ في الآيات أن عملية النخل والتصفية للجنود حصلت مرتين: مرة عند النهر ومرة عند قرب مواجهة الأعداء، وجاءت فريضة الصيام في المدينة في السنة الثانية للهجرة بعد تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وإعلان تميز المسلمين بقبلتهم وإعدادهم لتحريرها من الشرك

والمشركين، وكانت ابتلاءً من الله يستحق به عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. قال ابن سعد والواقدي بأسانيدهما عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعدما حوّلت القبلة بشهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه عليه الصلاة والسلام، وفي شهر رمضان كانت بدر الكبرى لتكون الصفوة المؤمنة المجاهدة الصائمة الناجحة في امتحان التصفية والاصطفاء قبيل المعركة يوم خرجوا للقاء عير تجارة يغنمونها من العدو وليفاجأوا بأن التجارة والعير قد نجت وأنهم أمام جيش أرسلته قريش بقيادة أبي جهل يفوقهم عدداً وعدة لثلاثة أصناف: بالامتحان .. بالتصفية والتزكية، تنجلي بقول النبي الكريم: "أشيروا عليَّ أيها الناس"، وينجحون في الامتحان ويخوضون المعركة جميعاً وقد خلصوا لله خلوصاً جعلهم في رحمه الله ونصره ومدِّ ملائكته {إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان} (الأنفال: ١٢)، {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليُبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم} (الأنفال: ١٧).

وفي الصحيح عن معاذ بن رفاعة قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: "ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة". ص (٢٠٢) / مختصر السيرة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

وهؤلاء هم الذين استحقوا نصر الله وكفايته وثناءه بقوله: {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم. يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} (الأنفال: ٦٢-٦٤).

وقد كان الامتحان بالإقدام والجهاد، والامتحان بالتطهر من الولاءات لغير الله والتوكل عليه من أعظم أسباب التصفي للأمة لإحراز النصر {أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون} (التوبة: ١٦).

ومن الحكَم أن فريضة الصيام جاءت في القرآن الكريم بهذه الآية المعجزة .. {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة: ١٨٣). فهي حق لازم للأمة لا محيد عن الأخذ به، وشريعة من شرائع الله تعبَّد بها عباده، ليخلصوا له خلوصاً يتطهرون فيه من ضغوط إسار الجسد وغرائزه، ويعلنون فيها عبوديتهم الكاملة لله رب العالمين، فالصائم يمسك عن المفطرات مع اقتران النية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ويعيش بصيامه أخلاق الصائمين باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات لقوله عليه الصلاة والسلام: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"، ولهذا خصَّ الله بالإضافة إليه في الحديث القدسي، يقول الله تبارك وتعالى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به".

قال الإمام القرطبي في تفسيره: وإنما خُصَّ الصوم بأنه له - وإن كانت العبادات كلها لله - لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات:

أحدهما: أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.
الثاني: أن الصوم سرٌّ بين العبد وربه لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصاً به.

ومن الحِكَم أن القرآن أُنزل في شهر رمضان، وشكر النعمة بالصوم في شهر رمضان، والوفاء للقرآن بحفظه وتدبره، والعمل به، وإقامة أحكامه ومقاومة أعدائه الذين يسعون لتغريب الأمة وتهويدها، حكماً، وقانوناً، وعادات، وقيماً، وأخلاقاً في مجالات الفرد والأسرة والمجتمع، وهذا ما وجهنا ربنا إليه بقوله: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ..} (البقرة: ١٨٥) والمعنى: في شهر رمضان أنزل الله القرآن هادياً للناس، وبياناً وإرشاداً في شؤون الحكم، وفي شؤون الأسرة، والتربية، والجهاد، والمجتمع، ليحلُّوا حلاله، ويحرِّموا حرامه، ويتعظوا بمواعظه، وينتفعوا بهدايته، ويقيموا أحكامه، ويفرِّقوا بين الحق من عند الله والباطل من عند غير الله، وقد جمع الله هذه المعاني بوصف القرآن هدًى للناس، وبينات من الهدى والفرقان. فآيات القرآن البينات، وأحكامه الواضحات هي الهدى وهي الفرقان، تهدي إلى الحق، وتكشف الباطل، وتفرِّق بين طريق أهل الجنة المتبعين لهداه وطريق أهل النار المتبعين لأهوائهم.

وما أحوجنا في هذا الشهر العظيم لمواجهة جيوش الفساد والتهويد والتغريب بنور أحكامه ومواعظه.

وكأن هذه الآية: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ..} جاءت بعد آية فريضة الصوم لتخاطب الحاكم، والعالم، والأمة، ألا يجعلوا صيامهم عادة، جوعاً وعطشاً، دون أن يحققوا معناه وحكمته بالتحلي بأخلاق القرآن وإقامة دولته وأحكامه، والدفاع عن شريعته وأرضه ومقدساته.

وما أجمل ما ذكره الشاعر وهو يعتذر عن الأمة التي لم تفقه معاني دينها وركضت عند مظاهره، ثم يحدوه الأمل بشبَّان القرآن فيقول:

كم صلاة صليت لم يتجاوز ... قدس آياتها حدود لساني
كم صيام أجعت بطني فيه ... ونسيت الجياع من إخواني
كم رجمت الشيطان والقلب مني ... مثخن في حبائل الشيطان
ربِّ عفواً إذ عشت ديني ... ألفاظاً عجافاً ولم أعشه معاني

جمعية المحافظة على القرآن الكريم لماذا كلمة المحافظة ؟

يعترض بعض الحريصين على جمعية المحافظة على القرآن الكريم على ورود كلمة "المحافظة" في اسمها، مذكّرين بأن "المحافظة" بمعنى الحفظ من التلف والصون من العبث، وهي لله تعالى فقط وليس للبشر فيها نصيب وذلك بنص الآية الكريمة {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر: ٩).

ونؤكد أن المعترضين مصيبون باعتراضهم هذا بهذا المعنى فقط حيث لا يستطيع بشر أن يدَّعي بأنه يقوم بالحفاظ على كتاب الله بهذا المعنى، ولكن كلمة المحافظة التي وردت في اسم الجمعية هي بمعاني أخرى عديدة يطيقها جهد البشر وهم مطالبون بها، وأولها ما قام به الصحابة الكرام بعد استشهاد سبعين صحابيّاً من حفظة القرآن الكريم في قتال المرتدين في معركة اليمامة حيث شعروا بالخطر من أن يضيع شيء من القرآن فسعوا لحفظه بجمعه في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم مؤمنون بأن الله حافظ كتابه، ويعلمون أن حفظه يتم بتوفيق الله عن طريق الأمة المسلمة التي تقوم بتعلمه وتعليمه كما نزل بروايات القراء المتواترة وبحفظه بالصدور ونسخه في السطور، كما يروى عن الصحابة الذين نسخوه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ووُزِّع على الأمصار.

وإن من معاني المحافظة المداومة والصحبة، فنحن نحافظ على البقاء مع القرآن وليس لبقاء القرآن ذاته.

فالجمعية من خلال أنشطتها ومطبوعاتها وحركتها في المجتمع، صنعت بتوفيق الله تعالى نهضة عامة جعلت الكثيرين يعودون لكتاب الله تعالى بعد هجرة، يقرأونه ويتدبرون آياته ويعيشون معه وبه وله.

كما أن من معاني "المحافظة" الحفظ غيباً عن ظهر قلب وهو من صلب عمل الجمعية، حيث قامت الجمعية وتقوم بتحفيظ كتاب الله تعالى للآلاف صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً وذلك من خلال المئات من مراكز تحفيظ القرآن الكريم التي تنتشر في طول البلاد وعرضها.

ثم إن من المحافظة أيضاً دعوة الناس للسير مع القرآن ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه، فالجمعية تنظم المحاضرات والندوات التي يقوم خلالها العلماء من أهل القرآن بتثقيف الناس وتعريفهم بما في كتاب ربهم سبحانه وتعالى.

ومن المحافظة أيضاً، حمل همِّ نشر كتاب الله تعالى بين الأمم والشعوب لإنقاذها من الظلمات إلى

النور بإذن ربها وذلك بإرسال المصاحف إلى دول أفريقيا ومساعدة جمعيات تحفيظ القرآن الكريم فيها.

ولن ننسى أن من المحافظة أيضاً ما تقوم به الجمعية من إصدار مجلتها الشهرية (الفرقان) لتنشر عطر القرآن الفواح بأقلام كتّاب متخصصين في مجالات التفسير والتلاوة وعلوم القراءات الشهيرة.

وإن من المحافظة أيضاً ما تقيمه الجمعية من دورات التلاوة ومنح الإجازات وطباعة المصحف بطريقة بريل للمكفوفين، ذلك ليبقى الناس مع القرآن الكريم.

وأخيراً، فإننا نسأل الله تعالى الأجر والثواب ونستغفره مما نعلم ومما لا نعلم، ونسأله أن يتقبل العمل منا ومن كل العاملين معنا في نشر رسالة القرآن الكريم، إنه على كل شيء قدير.

العدد (٤) نيسان ٢٠٠٠م

السيادة الإسلامية على القدس عقيدة وجهاد

القدس ومسجدها الأقصى وفلسطين جزء من عقيدة المسلم ارتبطت بالقرآن العظيم كتاباً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً وخاتماً للأنبياء، ووارثاً لرسالاتهم، وأميناً عليها وأرضها، وعلى قدسها، ومسجدها الأقصى، والمسلم مأمور شرعاً أن يحافظ عليها وعلى إسلاميتها وسيادة الإسلام عليها، كما يحافظ على دينه، وكتابه، وشرف نبيه محمد ﷺ.

فالقدس حمى المسجد الأقصى المبارك وحرمه الذي بارك الله حوله، فهي منتهى الإسراء، ومكة بدايته، وهي بداية المعراج وسدرة المنتهى فوق السماوات نهايته، وهي محطة العودة من السماء، ومنطلق العودة إلى مكة المكرمة، وواسطة العقدين الأرض والسماء، وفي ظلال مسجدها الأقصى التقى محمد ﷺ - خاتم الأنبياء - برسل الله وأنبيائه وقدموه إماماً وسيداً وبايعوه ﷺ على الإمامة والسيادة، لتكون هذه السيادة الإسلامية على القدس ومسجدها الأقصى أمانة في عنق كل مسلم، من حفظها حفظه الله، ومن خانها وفرط فيها وتنازل عنها خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين، والله يقول: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} (الأنفال: ٢٧).

وإن السيادة الإسلامية على القدس تفرضها مكانة القدس في الإسلام، فاختيار الله لها من بين بقاع الأرض لتكون مسرى لنبيه محمد ﷺ ومنطلقاً لمعراجه، والقبلة الأولى وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال تفرض على المسلمين حكاماً وشعوباً الجهاد في سبيل الله لتحريرها وإعادتها للسيادة الإسلامية، وهذا ما خطط له النبي الكريم في سعيه لتحرير القدس ومسجدها في غزوة مؤتة، وغزوة تبوك، وإرساله لجيش أسامة بن زيد لأرض فلسطين، وهذا ما تفهّمه الصحابة رضوان الله عليهم الذين انطلقوا مجاهدين بجيوش الإسلام في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليحرروا القدس وفلسطين بعد معركة اليرموك وليعمروا المسجد الأقصى بعد خرابه وليعيدوه لسابق عهده في عبادة الله وحده.

إن قداسة القدس وفلسطين نص قرآني وقد وصفها القرآن بأنها الأرض المقدسة، ومسجدها {الذي باركنا حوله} (الإسراء: ١) كما وصفها بالأرض المباركة، وهذه القداسة والبركة والمسجدية تعني في عقيدة المسلم المحافظة على قدسيتها وبركتها ومسجديتها، وإن أي تنازل عن القدس أو جزء منها، أوعن المسجد الأقصى أو جزء منه، أو عن فلسطين أو جزء منها، باطل شرعاً،

وخيانة لله والرسول وجماعة المؤمنين، كمن يتنازل عن أرض الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فالقدس ومسجدها الأقصى وفلسطين، ليست ملكاً لحاكم أو سلطة، ومسؤولية حكام العرب والمسلمين جميعاً المحافظة على أرض الوطن ومقدسات الإسلام وشريعته، ومن تنازل عنها أو عن جزء منها، تنازل عن دينه وشرعيته ووظيفته الأولى في الدفاع عن أرض الوطن ومقدسات الأمة.

بركات المسجد الأقصى وهذا الجهاد المقدس ...

في شهر الإسراء والمعراج من هذا العام ١٢٤١هـ، انتفض المسجد الأقصى الأسير زلزالاً مدوياً من القدس الشريف إلى عمّان وعُمان، إلى القاهرة، وبغداد ودمشق، إلى المغرب العربي ومن المحيط إلى الخليج، يحرق أوراق الظالمين وما سطروا، لتهويد الوطن العربي، إنه المسجد الأقصى الذي يريدون تحويله إلى هيكلهم المزعوم وتهويد الوطن العربي كله، وكانت دماء الأبطال الذين فدوا مسرى النبي الكريم ﷺ بصدورهم العارية، لتحفر دماؤهم الزكية نهراً دفاقاً يحيى قلوب هذه الأمة بعد موات، ويبعث الهمم والعزائم للوحدة والجهاد، وتطويق الخطر اليهودي قبل أن يأكل الأخضر واليابس.

إن اقتحام السفاح شارون وجند باراك لساحات المسجد الأقصى، وإعلانه أنه ما زار إلا جبل الهيكل، يعني بداية تحويل الأقصى إلى هيكل.

وإن شارون وهو زعيم "الليكود" الذي يهتف مع أبناء يهود: "لنهر الأردن ضفتان: الشرقية لنا، وكذلك الغربية" يهتف بنا جميعاً أن نصحوا، ونسمع، ونبصر، إن العقيدة اليهودية الليكودية تسعى لتهويد الأردن مع الأقصى وفلسطين لتهديد الأرض العربية من النيل إلى الفرات.

وإن دفاعنا عن القدس والأقصى، هو دفاع عن عمان ودمشق والقاهرة وبغداد ومكة والمدينة، إنها معركة وجود وتاريخ وحضارة، وإن إبر التخدير الأمريكية ما عادت تخدِّر أحداً.

والدارس لتاريخ المسجد الأقصى المبارك يجده ملحمة جهاد لنصرة دين الله الحق، ودفع الباطل، ويدرك أن المسجد المبارك يشمل ببركته الجهاد والدعوة للمسلمين منذ بني هذا المسجد إلى يومنا هذا:

١- فإبراهيم الخليل عليه السلام بناه بعد المسجد الحرام ليكون مركز التوحيد والدعوة في بلاد الشام.

٢- وقد اختاره الله ليكون الشاهد على فساد بني إسرائيل الذين قتلوا الأنبياء والعلماء وخانوا الرسالة، فاقتحمه كفار المجوس ثم كفار الرومان، وهدموه بنياناً بعد أن هدمه بنو إسرائيل رسالة ودعوة. {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوّاً كبيراً} {وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبِّروا ما علوْا تتبيراً} بإسراء النبي ﷺ.

٣- وشاء الله أن تكون عمارة المسجد الروحية في السابع والعشرين من شهر رجب ببيعة الأنبياء الروحية لإمام الأنبياء محمد ﷺ خاتم الأنبياء ووارث رسالاتهم، الذي أسرى الله به إلى المسجد الأقصى

وعرج به من الأقصى إلى السماء وبايعه الأنبياء في رحابه على الإمامة والسيادة، وكان قبلة النبي الأولى، والمسجد الذي تشد إليه الرحال مع الحرمين الشريفين.

٤- وكانت غزوة مؤتة، وتبوك، وعقد اللواء لجيش أسامة، في عهد النبي ﷺ بداية التحرير لبلاد الشام وقلبها فلسطين والقدس الشريف.

٥- وكانت معركة اليرموك وانتصار المسلمين على جيوش الرومان مؤذناً بتحرير القدس والمسجد الأقصى المبارك.

٦- وجاء عمر بن الخطاب من المدينة إلى القدس ليتسلم مفاتيحها، ويطهر المسجد ويعده للصلاة، حتى إذا صلى بالمسلمين العشاء وذهب الجند للراحة بقي وحده قائماً راكعاً ساجداً في عبادة الله وحده.

٧- وأذّن بلال في القدس لأول مرة بعد التحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وبكى الصحابة، وكان من أشدهم بكاء أبو عبيدة قائد معركة اليرموك، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

٨- وحين اقتربت وفاة أبي عبيدة قائد جيوش المجاهدين لتحرير القدس والأقصى قال: قرِّبوني إلى القدس، يريد أن يكون جسده الطاهر بعد موته أقرب إلى الأرض المقدسة.

٩- لقد بيّن الله في كتابه العظيم مسؤولية الأمة الإسلامية عن تحرير القدس والمسجد الأقصى بعد أن ذكر تخريب غير المسلمين لهذا المسجد فقال: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (البقرة: ١١٤) قال المفسرون: المقصود بمساجد الله المسجد الأقصى، وأن غير المسلمين الذين خرَّبوه ما كان لهم أن يدخلوه إلا خائفين أي بإذن من المسلمين يزيل خوفهم.

١٠- وحين وقع المسجد الأقصى في الأسر بيد الصليبيين لمدة تقارب قرناً من الزمان فجَّر المسجد الأقصى روح الجهاد وبعث نور الدين وصلاح الدين الأمة الإسلامية، وكانت وحدة مصر وبلاد الشام على يد صلاح الدين بداية التحرير في معركة حطين.

وكان الشاعر في المعركة يقول لصلاح الدين: لا نصر إلا بفتح المقدس.

كـأنـي بـهـذا العزم لا فُلَّ حدُّه ... وأقصاه بالأقصى وقد قُضي الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً ... وليس سـوى جاري الدماء له طهر

فكان انتصار حطين من بركات المسجد الأقصى الذي وحَّد الأمة وحوَّلها للجهاد، ومن جميل قدر الله تعالى أن يكون الفتح الروحي لبيت المقدس في السابع والعشرين من رجب بمعجزة الإسراء والمعراج موافقاً للفتح العسكري في السابع والعشرين من رجب ٥٨٣هـ بعد انتصار صلاح الدين في حطين.

كانت بركات المسجد الأقصى الجهادية ملازمة لبركاته الإيمانية والدعوية. يقول ابن شامة صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: لقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر مابنيا من القلاع والحصون، وذلك لاستعادة روح الأمة الإيمانية والجهادية ومسح آثار اليأس والهزيمة النفسية وهذا ما هيأ لصلاح الدين أن يهزم أربعة عشر ملكاً صليبيّاً بجيوشهم وقلاعهم، بعد احتلالهم للقدس أكثر من مئة سنة.

عُقد مؤتمر في جامعة (تل أبيب) قبل سنوات عن معركة حطين، وكيف تمكّن صلاح الدين من هزيمة أربعة عشر ملكاً صليبيّاً.. وكانت النتيجة التي اتفق عليها المؤتمر، أن الخطأ الذي وقع فيه الملوك الصليبيون هو غفلتهم عن الصحوة الإسلامية التي بدأت تعد الأمة للجهاد وتنقلهم من حالة اليأس والإحباط والانشغال بمتع الحياة الدنيا الرخيصة.

والدارس للمخطط الأمريكي الصليبي والصهيوني واليهودي يجد كيف يحارب الصحوة الإسلامية، مستفيداً من دروس التاريخ، ويسمي المجاهدين إرهابيين ومتطرفين، ويعقد الاتفاقات مع الدول لحربهم وفتح السجون لهم، ويسعى لحفظ أمن إسرائيل بتطويق الحركة الإسلامية، وتسليط أسباب الفساد الخلقي والفكري والاجتماعي على شباب الأمة وأملها في التحرير.

ويشاء الله أن تهبَّ انتفاضة الأقصى من جديد لتعرِّي الظالمين، وتفتح الطريق الجديد للجهاد والنصر. {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف: ٢١).

شهر الصيام والمسجد الأسير

يأتي شهر الصيام في هذا العام وأهلنا في فلسطين المحتلة يعيشون معركة الأقصى مع الهيكل المزعوم، معركة القرآن العظيم مع التوراة المحرفة والتلمود، معركة رسول الله ﷺ مع أعدائه وأعداء النبوات وقتلة الأنبياء والمرسلين.

كل المساجد في هذا الشهر عامرة إلا المسجد الأقصى، كل المآذن في هذا الشهر منورة إلا مآذن الأقصى، كل المنابر في هذا الشهر مدوية إلا منابر الأقصى، المسجد أسير، والإمام والمؤذن والمصلي في القيد، وإذا كان الصيام والقرآن شفيعين للعبد يوم القيامة، فإن الصيام في هذا الشهر والقرآن العظيم يناديان كل مسلم ليجعل صيامه جهاداً، ونصرته للقرآن العظيم عملاً مباركاً متصلاً بمعركة القرآن حول المسجد الأقصى المبارك.

أيها المسلمون.. إذا التقيتم بأبنائكم وأسركم على مائدة الإفطار في هذا الشهر المبارك، فاذكروا أبناءً فقدوا الوالد الشهيد، وآباء فقدوا الولد الشهيد، وأمهات فقدن الولد والوالد والزوج، يستقبلون رمضان بدموعهم وجراحهم، وصبرهم، وجهادهم، يقرعون أبواب الجنة بحجارتهم المجاهدة، ويقيمون الحجة على الأسلحة بيد الجيوش العربية والإسلامية، مخبوءة في أغمادها، نشكو إلى الله، ونسأله الفرج القريب والنصر المبين، وكأني بالشاعر يهتف في هذا الموطن ويقول:

سيد العُرب، قم وسجِّل على العرب ... قيـاماً على الأذى وقعوداً
أخلقتهم عوامل الشرك فانهض ... بالمواضي وجدد التوحيدا
الجفونُ التي عهدت بها الأسـ ... ياف بيضاً قد استحالت سوداً
والقلوب التي يُوَرِّثُها البأ ... س ضراماً قد استحالت جليداً
عد إليهم بسنة وكتاب ... وتعهد مقامك المحمودا
قد عرفنا الطريق للقدس بأساً ... وجهاداً وصابراً وشهيداً

في شهر رمضان تتحرر النفوس من إسار الغريزة والجسد وتفر إلى الله لتجد رحمته ونوره وكتابه وثوابه "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به". في شهر رمضان ينتصر المؤمن على شهوته في ميدان العبادة، وينتصر على عدوه في ميدان الجهاد.

وقد عرف هذا الرابط بين انتصار الذاكرين الصائمين العابدين، وانتصار المجاهدين أهل بدر، وفتح مكة، وعين جالوت.. الذين استنزلوا نصر الله بصدقهم في عبادتهم، وصدقهم في توبتهم، وصدقهم في بيعتهم وجهادهم. وما أجمل الربط بين بيعة المجاهدين وبشرى رب العالمين لمن أحسن

التوبة والعبادة والطاعة. قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين} (التوبة: ١١١-١١٢).

لقد ربط الله بين الصوم وبين الدعاء واستجابته بقوله بعد آية الصوم.. {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان..} (البقرة: ١٨٥) وجاء بعدها مباشرة: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} (البقرة: ١٨٦) لتكون ثمرة الصوم مع التقوى واستشعار عظمة الله والقرب منه فراراً إليه ومسارعة في طاعته ومحبته ورضوانه بالدعاء الخالص والقرب الودود.

إن من أعظم حِكَم الصوم التقوى ورقابة الله بالغيب والوصول إلى درجة الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..

وقد وجَّهنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العظيم إلى سنة من سننه وهي ابتلاء المؤمنين بما تحبه نفوسهم وتشتهيه من مطاعم ومشارب وشهوات ليتبين المؤمنون الصادقون الذين يؤثرون ربهم ومقامهم بين يديه على شهوات نفوسهم، وإن الذين يستحقون نصر الله هم الذين نجحوا في هذا الابتلاء وكان خوفهم لله بالغيب أعظم من حبهم لأنفسهم وشهواتهم..فجند طالوت يمتحنهم الله بابتلاء النهر وهم عطشى، وجند محمد صلى الله عليه وسلم يبتليهم الله بامتحان الصيد وهم جوعى يجدونه بين أيديهم وتصله رماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عيد الشهداء

قال تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون} (آل عمران: ١٦٩-١٧٠).

بعد استشهاد حارثة رضي الله عنه في شهر رمضان في غزوة بدر، جاءت أمه إلى رسول الله ﷺ تسأله عن حارثة: يا رسول الله خبِّرني عن حارثة، إنْ كان في الجنة صبرت، فقال لها ﷺ: يا أم حارثة، إنهنَّ جنات ثمانية وإنَّ ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى.

يأتي عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك هذا العام ١٢٤١هـ مصبوغين بدم الشهداء عبقاً بدمائهم، التي سقوا بها شجرة الأقصى المباركة، وهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله في وجه المخطط الصهيوني الصليبي الذي يسعى لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، ولسان حالهم يقول:

وما العيد إلا يوم نصر مؤزر تـقـرُّ بـه عـيـن النبي المـكرم
وعـين شـهيد كان آخر قوله فديتك قدسي لن يضيع سدىً دمي

وللعيد في الإسلام حكمة وتاريخ، فإذا كانت أعياد الجاهلية مرتبطة بعقائدها الفاسدة ونظرتها للحياة، وأنهم ما خُلقُوا إلا للهو والمتعة دون أن يعلموا أن لهذا الكون خالقاً فَرَضَ عليهم شريعته واستخلفهم في الأرض ليعمروها بعبادة الله، ويحسنوا الاستخلاف فيها بإقامة العدل والرحمة ليعيش الناس بركات دين الله التي لخَّصها ربعي بن عامر رضي الله عنه بقوله لقائد جيوش الجاهلية: "جئنا لنخرجكم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

أما العيد في الإسلام فهو مرتبط بعقيدة الأمة وعبادة الله، ويعبر عن معاني العقيدة وأخلاقها التي يجمعها قوله تعالى: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} (يونس: ٥٨).

فلهذا كان عيد الفطر بعد عبادة الصوم في شهر رمضان، وكان عيد الأضحى بعد فريضة الحج في ذي الحجة، ليكون العيد معبِّراً عن فرحة المؤمن بمغفرة الذنوب التي يمحوها الله بالصيام وبالحج، وليكون نسك صدقة الفطر في آخر رمضان قبل صلاة العيد، ونسك الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى معبراً عن مقاصد الشريعة الإسلامية في التواصل الاجتماعي، والرحمة، وتمتين الأواصر الاجتماعية بين أبناء المسلمين في ظل شرع الله وأخوَّة الإسلام.

عن سعد بن أوس الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا معشر المسلمين إلى رب كريم يمنُّ بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلُّوا نادى منادٍ: ألا إنَّ ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة".

وإذا كانت جائزة الصيام والقيام هذه المغفرة، وجدير أن يكون يومها عيداً، فإنَّ العيد الأكبر يوم يعزّ الله أولياءه، ويذل أعداءه، ويطهر القدس والأقصى وفلسطين من القوم الظالمين. وقد وُلِدَت انتفاضة الأقصى الثانية جميلة القسمات، بهية الطلعة، ويسعى أعداء الله لوأدها وإطفائها، ولكن الشعب المؤمن في فلسطين الذي خدعوه مرات ومرات، لن يُخدع بعد اليوم، وقد عرف طريقه في معركة الأقصى مع الهيكل المزعوم، ومعركة القرآن العظيم مع التوراة المحرفة..

وبقي علينا أن نعرف في الأردن، وفي بلاد الإسلام كيف ننصرهم ونمدهم بالمال والدعم الذي يثبتهم.

إن عيد الفطر عيد القرآن الذي نزل في شهر رمضان، وكذلك عيد الأضحى عيد القرآن الذي اكتمل في شهر الحج سنة ٩هـ، والقرآن يدعونا لنعرف كيف نحفظه ونصونه، في مواجهة أخطار الحقد الصليبي اليهودي، وذلك بأن يكون رمضان في حياتنا روحاً جديدة ممتدة بالقرآن والإحسان والتوبة النصوح، والعمل الجهادي الموصول لتطهير نفوسنا من العصبية والإقليمية، ومن العداوات والأحقاد ومن المعاصي والآثام، ومن التجارة مع اليهود بكل صورها وألوانها، ومن التطبيع مع اليهود بكل أشكاله.

إن الانتفاضة المباركة هي حياة الأمة الجديدة بعد أن كانت مهددة بالهلاك والزوال، في ظل مخططات اليهود، لإذلال الأمة واستسلامها، وإذعانها لجبروتها، والقضاء على هويتها وحضارتها.

وإن عيدنا الحق أن نحفظ هذه الانتفاضة المباركة بأخلاق القرآن، وأحكام القرآن، وأخوة الإسلام، ومواصلة العمل، صبراً وجهاداً حتى يؤذّن إخوان بلال من جديد على مآذن القدس الشريف {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف: ٢١) {ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج: ٤٠).

غزوة الحديبية وبشرى الفتح

في مطلع شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة وقعت غزوة الحديبية، ونزلت بشرى الفتح والنصر العزيز على رسول الله ﷺ بعدها، أثناء عودته من الحديبية إلى المدينة المنورة، بقوله تعالى: {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً} (الفتح: ١-٣).

والدارس لسورة الفتح،ولغزوة الحديبية من السيرة يقف عند الدروس التالية:

أولاً : أن السكينة التي أنزلها الله تعالى في قلوب المؤمنين كانت من أعظم أسباب الفتح والنصر العزيز، فما هي هذه السكينة وما أثرها في إحراز هذا النصر المبين؟

لقد ذكرها الله تعالى في الآية التالية لبشرى الفتح والنصر بقوله: {هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ...} (الفتح: ٤).

وذكرها مع البيعة المباركة بقوله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً} (الفتح: ١٨).

وذكرها في معرض الثناء على رسول الله ﷺ والمؤمنين، وصبرهم في مواجهة استثارات المشركين، وضبطهم لأعصابهم حتى لا يضيعوا الفرصة الكبيرة والمصلحة العظيمة بانتزاع اعتراف قريش بدولة الإسلام في المدينة بقيادة النبي ﷺ، وفتح الباب واسعاً لمن شاء من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده فليدخل... وذلك في قوله تعالى: {إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً} (الفتح: ٢٦).

ومن المناسب أن نربط بين أحداث السيرة والقرآن الكريم، ونفهم الآيات الكريمة وهي تلقي بضوئها على مواقف المؤمنين فتميزهم، ثم على مواقف المشركين والمنافقين فتفضحهم.

إن السكينة التي أنزلها الله في قلوب المؤمنين وهم في المدينة يدعوهم رسول الله ﷺ لأداء العمرة، والطواف بالبيت، تحمل أعظم معاني الثبات على الحق، والثقة بالله ورسوله، والاعتصام بحبله والتوكل عليه، وهم مدعوون لدخول مكة المكرمة، وكانت وقتها تحت حكم الوثنيين، ودخول مكة يعني مخاطرة عظيمة، وأن المشركين إذا حاربوهم أو منعوهم وقاتلوهم، كان المسلمون في

خطر عظيم يقاتلون قوماً في عقر دارهم وهذا ما أعد له النبي ﷺ عدته حين أخبر أصحابه أنه معتمر، فتجهزوا للسفر، واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه، وهو لا يريد الحرب، ولكنه يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت.

ولكن هؤلاء الأعراب والمنافقين الذين لم يتذوقوا حلاوة الإيمان وسكينته، وغلبت حساباتهم المادية إيمانهم وثقتهم بالله، اعتذروا عن الجهاد، وتخلفوا عن رسول الله ﷺ وقالوا: "يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (يعنون ما حصل للمسلمين في غزوة أحد) فيقاتلهم، وظنوا أن النبي ﷺ والمسلمين يهلكون في هذه الغزوة، وهذا ما فضحهم الله به بقوله: {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزُيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً} (الفتح: ١٢).

ما الفرق بين العمرة ومكة تحت حكم الوثنية، وبين زيارة المسجد الأقصى وهو تحت حكم الاحتلال اليهودي؟

وقد يخفى على البعض الفرق بين الأمرين، ويحتج لزيارة المسجد الأقصى بزيارة المسجد الحرام قبل تحريره من الشرك والمشركين.

وبياناً للفرق نقول أولاً: إن الحكم على الشيء جزء من تصوره، فزيارة المسجد الأقصى في ظل الاحتلال اليهودي، يعني بلغة القوانين الدولية المعاصرة الاعتراف بسيادة اليهود على القدس والمقدسات، وتنازل المسلمين عن هذه السيادة حين يطلبون من السفارة اليهودية التصريح والتأشيرة، بالإذن بالدخول، وهذا ما حرمه القرآن الكريم عندما ذكر تخريب اليهود والرومان للمسجد الأقصى فقال: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (البقرة: ١١٤).

وموضع الشاهد أن مساجد الله تعني المسجد الأقصى، وأن غير المسلمين ما كان لهم أن يدخلوه إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم، أما في الصورة المقابلة فينقلب الأمر، ويتنازل المسلمون عن سيادتهم، ويطلبون منهم الإذن من أعداء الله وقتلة النبيين اليهود المغتصبين.

واليهود بعد أن احتلوا أرض فلسطين قتالاً وخداعاً يسعون بمكرهم وتضليلهم أن يتنازل أهل فلسطين عن أرضهم بقبول التعويض، والاستيطان خارج فلسطين، ويعملون لتنازل السلطة عن الأرض والمقدسات ليحصلوا على الشرعية الدولية بالاحتلال أو سند التسجيل القانوني بعد أن يسجلوا أن صاحب الأرض تنازل عن أرضه!! لا سمح الله.

ثانياً: إن النبي عليه الصلاة والسلام في عمرة الحديبية ثم في عمرة القضاء، لم يدخل مكة مع أصحابه أفراداً مفرقين، تُختم تصاريحهم وجوازات سفرهم وإنما دخلوها بعد مفاوضات اعترفت فيها قريش بحقهم في البيت الحرام وبحقهم في العمرة، ودخلوها أعزة أقوياء معهم سلاحهم، وسيادتهم،

وفتحوا الباب للعرب ليدخلوا في دين الله أفواجاً.

وقد يخفى على البعض الفرق بين صلح الحديبية، وهو هدنة وموادعة لمدة عشر سنوات، وبين المعاهدات التي عقدتها بعض الدول العربية والسلطة مع اليهود، ويظهر هذا الفرق في النقاط التالية:

١- أن النبي ﷺ هو الذي فاز وظفر باعتراف قريش بدولته في المدينة، ليتمكن من نشر الإسلام في القبائل العربية، واليهود يعملون على أن يكسبوا من العرب ما كسبه الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين في القديم، اعترافاً بكيانهم، ثم انتشاراً وهيمنة اقتصادية وثقافية وعسكرية وسياسية، فالذين يقيسون هذا على ذلك لا يتنبهون لهذا الفارق العظيم.

٢- أن النبي ﷺ بصلح الحديبية لم يتنازل عن جزء من أرض الإسلام، بينما تنازلت الدول التي عقدت معاهدات كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي عربة بالكيان الصهيوني الذي احتل سنة ١٩٤٨ ما يقارب من ٨٠٪ من أرض فلسطين.

٣- أن النبي ﷺ لم يعقد صلحاً دائماً مع المشركين وإنما هي هدنة مدتها عشر سنوات، وهؤلاء عقدوا صلحاً دائماً. والنبي ﷺ فاوض وعقد الصلح من موقف القوة الذي يملك خيار الحرب بعكس الدول العربية التي وقّعت معاهدات السلام.

٤- أن صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة وتحرير الجزيرة، وفتح خيبر والقضاء على آخر معاقل اليهود في الجزيرة، بينما نجد هذه المعاهدات مع الكيان الصهيوني قد عطّلت الجهاد، ومزّقت الأمة، وهيأت لليهود الاجتراء على إقامة المستوطنات وتهويد القدس والسعي لهدم المسجد الأقصى المبارك وبناء الهيكل على أنقاضه .

عودة إلى سورة الفتح :

ولا بد قبل أن نختم هذه المقالة أن نبين البيعة المباركة على الجهاد والموت في سبيل الله، التي أثنى الله على أصحاب رسوله بقوله: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة} (الفتح: ١٨).

ومناسبة هذه الآية أن رسول الله ﷺ أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش ليعلمهم أنه لم يأت لقتال، وإنما جاء معتمراً معظماً للبيت، فأشيع أن قريشاً قد قتلت عثمان رضي الله عنه، وهنا بايع أصحاب رسول الله ﷺ النبي الكريم على الموت، وألا يفروا ...

وكانت السكينة في هذه الآية تعني ما آتاهم الله من شجاعة وثبات على الحق، ومواجهة لجموع المشركين وألا يقبلوا التنازل عن كرامتهم أو مقدساتهم.

وكانت بشرى الفتح {وأثابهم فتحاً قريباً} بعد هذه البيعة، درساً للأمة أنها حين تنصر دين الله، ولا تتنازل عن كرامتها ومقدساتها، فإن الله ناصرها على القوم الظالمين.

وأما الآية السادسة والعشرون من سورة الفتح التي ذكرت السكينة في معرض مواجهة حمية الجاهلية، فهي تبين لنا التفاف الصحابة حول قيادة رسول الله ﷺ وتعظيمهم له، وعدم الخروج عن دائرة النظام، والضبط والربط، والالتزام حين حاول سفهاء المشركين أن يثيروهم ببعض الكلمات والتصرفات، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلحة الكبرى بانتزاع اعتراف من قريش بدولة الإسلام وحق المسلمين في البيت الحرام، وما سيؤدي هذا الصلح من فتح ونصر عظيم، وتغاضى النبي الكريم ﷺ عن بعض الأمور الصغيرة والمصالح الصغيرة حفظاً للمصلحة الكبرى ورعاية لها، فسهيل بن عمر المفاوض عن قريش رفض عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضع بدلها "باسمك اللهم"، ورفض كلمة "محمد رسول الله" ووضع بدلها "محمد بن عبد الله" ورفض تسليم ولده أبي جندل للمسلمين. ولم يشأ النبي الكريم أن يفوّت الصلح والمصلحة الكبرى من أجل مصلحة صغرى تتعلق بشكل الكتاب ومحصورة بعبارات الاتفاقية ولا تعني تنازلاً عن المبادئ التي جاء بها الإسلام. وكان النصر بعد ذلك والفتح المبين للمسلمين.

العدد (١٣) آذار ٢٠٠١م

ذكرى الهجرة وخصائص القيادة النبوية

سيرة النبي المصطفى ﷺ تعطي المسلمين دروس النصر والعزة وترسم لهم المنهج الرباني لتحرير الأرض والمقدسات وإنقاذ الأمة من أسباب الهلاك والفناء. ويحسن بهذه المقدمة أن نقف عند النقاط التالية:

١- كان النبي ﷺ يعرض على القبائل العربية أمرين: أن يؤمنوا بالإسلام ويشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن ينصروه ويحموه. وكان يقول لهم: (قولوا كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم وإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة، قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، (من يؤويني وينصرني إلى أن أبلِّغ كلمة ربي وله الجنة)، وكان من الذين التقى بهم قوم من بني شيبان من عرب العراق، فقالوا للنبي الكريم ﷺ، بعدما استمعوا لآيات الله: (والله إنك لتدعو إلى مكارم الأخلاق، ولكن بيننا وبين كسرى عهد ألا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً، فإن شئت أن ننصرك من العرب نصرناك، وإني أرى أن هذا الأمر مما تكرهه الملوك)، فقال رسول الله ﷺ: (ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، فإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه، فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا).

٢- وشاء الله أن يكون هذا الخير على يد ستة من شباب المدينة المنورة آمنوا بهذا الدين وانطلقوا إلى قومهم دعاة صادقين فعادوا في السنة التالية اثني عشر رجلاً وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى، وفي السنة التالية عادوا وعددهم سبعون وبايعوا النبي الكريم بيعة العقبة الثانية، وكانت بيعة العقبة الأولى بيعة على الإيمان ومكارم الأخلاق، وكانت بيعة العقبة الثانية على الإيمان ومكارم الأخلاق والنصرة وهي: (نبايعك على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة)، قال راوي الحديث: وقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة -رضي الله عنه -وهو أصغر السبعين- فقال: رويداً يا أهل يثرب، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضَّكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذركم عند الله، فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها.

٣- وكانت هجرة النبي الكريم إعلاناً لقيام دولة الإسلام في المدينة المنورة حيث التقى القائد بجنده وأخذ النبي ﷺ يقيم أسس مجتمع النصر والتحرير من خلال الأعمال التالية:

أ - عقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار وأن دولة الإسلام قائمة على الولاء لله ورسوله والأخوة الإسلامية، فلا عصبية ولا قبلية، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ب - بناء المسجد ليكون للعبادة والذكر والتوجيه وإدارة أمور الدولة.

ج- تحرير المدينة من الهيمنة الاقتصادية اليهودية، حيث كان السوق التجاري الوحيد لليهود، فأقام النبي ﷺ سوقاً إسلاميّاً يواجه به سوق يهود وأعلن مبدأه: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" لتعمير أراضي المدينة الزراعية - وكان اليهود يملكون أحسن أراضي المدينة الزراعية - ووصل قبائل المدينة بشبكة طرق، تتصل جميعها بالمسجد النبوي الجامع، ليحقق التواصل الاجتماعي بين قبائل الإسلام في المدينة المنورة، ووصل هذه الطرق بطريق الشام التجاري وبنى جسراً وصلها به وكانوا محرومين من هذا الطريق.

د- أقام دولة القانون والدستور على أساس الشرع، بعقود عقدها بين سكان المدينة من المسلمين وغيرهم ليكونوا جميعاً مواطنين في دولة الإسلام يقومون بواجباتهم ويأخذون حقوقهم.

هـ- أقام دولة الفكر والعقيدة والحضارة ببناء مسجد في كل قبيلة لأداء الصلوات الخمس تتصل بالجامع النبوي ودعاهم جميعاً لصلاة الجمعة في المسجد النبوي الجامع ليسمعوا آيات الله وأحكامه، ويسارعوا لمرضاته ويطلعوا على الأخطار ليدفعوها، والتحديات فيواجهوها.

و- أقام دولة الجهاد والبذل والعطاء، وأعدّ الأمة ليعودوا إلى مكة فاتحين منتصرين، ففي السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر، وفي السنة الثالثة كانت غزوة أحد، وفي السنة الخامسة كانت غزوة الأحزاب، وفي السنة السادسة والنصف كانت الحديبية، وفي السنة الثامنة والنصف كان فتح مكة المكرمة وتحريرها من الوثنية والأوثان.

فبعد ثماني سنوات ونصف السنة عاد هذا النبي الكريم الذي أخرجه قومه ثاني اثنين إذ هما في الغار، إلى مكة المكرمة فاتحاً منتصراً يحكي لنا بعودته المظفرة خصائص القيادة النبوية التي آمنت برسالتها فلم تستسلم ولم تساوم ولم تضعف أمام المغريات والمخاوف، فالإيمان بالمبدأ والثبات عليه من أعظم خصائص القيادة النبوية المنتصرة، وكانت قيادةً شورية جعلت الأمة كلها في موضع المسؤولية والمشاورة وتحمُّل نتائج القرار ليكون النصر لمجتمع الأحرار الذين عاشوا مبدأ الشورى قولاً وعملاً، وكانت قيادة عادلة أقامت العدل مع القريب والغريب والقوي والضعيف فوحَّدت المجتمع على دين الله.

هذه بعض دروس الهجرة، ونسأله تعالى أن ينفعنا بها. وصلى الله على صاحب الذكرى وسلّم تسليماً كثيراً.

الانتفاضة المباركة والفجر الجديد

منذ مطلع القرن الماضي وشعب فلسطين يقاوم ويقدم الشهداء والتضحيات، والشعوب العربية وشعب فلسطين يتعرضون من حكامهم ومن أعدائهم لأشد أنواع البطش والقمع، والخداع والتضليل ليستسلموا ويرضوا بالتنازل عن فلسطين.

وبعد احتلال فلسطين بالقوة والخداع سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ سعى العدو الصهيوني لعقد معاهدات معه يتنازل بموجبها أهل الأرض عن أرضهم ووطنهم الذي احتله خداعاً وقتالاً، وليعطوا احتلاله للوطن الشرعية، وليتحولوا إلى حراس لأمنه ومصالحه في فلسطين والبلاد العربية.

وسعى العدو لإتمام مشواره باقتحام شارون للمسجد الأقصى مع جنده مقدمة لهدمه عام ٢٠٠١ وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه عام ٢٠٠٢، كما أوصى مؤتمر "الحاخامين" الذي عقد في القدس سنة ١٩٦٧ ... ولكن نار الأقصى في قلوب المؤمنين قد التهبت من جديد، وفجر الانتفاضة طلع من وراء الظلام ليؤذن بعهد جديد تحرق فيه معاهدات الاستسلام والهوان والذل {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} (الأنفال: ٣٠). لقد توحّد شعب فلسطين على خيار المقاومة والجهاد بعد أن خدعوه وضللوه بالسلام الخادع الذي تبين أنه سراب في صحراء.

وتميزت انتفاضته المباركة الجديدة بالخصائص التالية:

١- إنها انتفاضة عقيدة وإيمان تستمد نورها ونارها من زيت المسجد الأقصى فلن يخمدها شيء بإذن الله، وإن قيادتها المؤمنة القرآنية ازدادت ثقة في قلوب الجماهير.

٢- إنها انتفاضة انتفع أهلها من انتفاضتهم السابقة سنة ١٩٨٧ وعرفوا أن "أوسلو" التي أطفأت انتفاضتهم الأولى لن تتكرر، ولن يُخدع شعب فلسطين بعد اليوم.

٣- إنها انتفاضة فلسطين كلها: الأطفال والفتيان والنساء والكبار والصغار يتسابقون لمواجهة العدو وطائرات "إف ١٦" ودباباته تهدم مدنهم وقراهم وبيوتهم، وصواريخه تقتل أبطالهم، ولا يزيدهم القمع إلا قوة وثباتاً، وكل يوم يودّعون الشهداء وينكّلون بالعدو ويقتلون منه ما يقتلون، ويردّدون "هبّي يا ريح الجنة" "نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً".

٤- وميزة هذه الانتفاضة أنها فاصلة وفرقان، وأن نتائجها العظيمة تجعلها إذا آتت أكلها بإذن الله أشبه بغزوة بدر الكبرى في إظهار الحق وإزهاق الباطل وحفظ الإسلام والقرآن في أرض الإسراء والمعراج وأرض العروبة والإسلام.

قبل هذه الانتفاضة المباركة، كان العدو اليهودي عازماً على هدم الأقصى وإعلان "موت الأمة" وفرض هيمنته السياسة والعسكرية والاقتصادية والثقافية على الوطن العربي كله، من خليجه إلى محيطه.

وبعد هذه الانتفاضة استعادت الأمة وعيها، وبدأ المشروع الصهيوني بالانحسار بإذن الله، وأخذت مصالحه وشعاراته تهتز وتؤذن بالزوال، وتساقطت المعاهدات الذليلة وما عاد شعب فلسطين ليرضى أن يكون حارساً للمجرمين والقتلة المحتلين لقدسه ووطنه. وإذا ذكرنا أهل بدر وخيريتهم وشهداءهم، لما لهذه الغزوة من آثار عظيمة ونتائج كبيرة تاريخية عبّر عنها النبي الكريم ﷺ بقوله: (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)، وعبّر عنها جبريل الأمين حين نزل على النبي ﷺ بعد المعركة وسأله :ما تعدون أهل بدر فيكم؟ فقال: هم خير المسلمين، أو "من خير المسلمين" فقال جبريل: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم خير الملائكة.

وكذلك نذكر أبطال هذه الانتفاضة من المؤمنين الصادقين وخيريتهم الذين ما انخدعوا بالسلام الكاذب، ولا تنازلوا عن أرض فلسطين من نهرها إلى بحرها، وبقي شيخهم يعلمهم القرآن العظيم، ويعلمهم الجهاد ويقود الأمة لتحرير أرضها، وهاهم تلاميذ القرآن العظيم وحفظة كتاب الله الكريم وأحباب محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم يفجّرون أنفسهم بالعدو وينكلون به، ويبيعون أنفسهم لله شهداء بررة ليؤذن فجر التحرير بالطلوع من خلال جهادهم ودمائهم وتضحياتهم، وليمسحوا بنوره الظلام والذل والهوان .

والدارس لآيات القرآن الكريم وسيرة السلف الصالح يجد أن الاستشهادي العظيم من أعظم الشهداء عند الله تعالى، فبينه وبين المنتحر فرق كبير، فالمنتحر إنسان هارب من الحياة، يائس من رحمة ربه، أما الاستشهادي فهو مؤمن مقبل على ربه يطلب مرضاته، ويطلب الحياة العزيزة الكريمة لأمته في الدنيا، كما يطلب الحياة الكريمة في جنات الله ورضوانه.

وقد صحّح عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول من وصفوا المجاهد الذي غمس نفسه في العدو لينكل به ويحدث في صفوفه الخلل والضعف، فقالوا عنه "ألقى بنفسه إلى التهلكة". فقال لهم: لا، إنه شرى نفسه -أي باعها- ابتغاء مرضات الله.

والذي يفقه مقاصد الشريعة وتطور وسائل الحرب وأسلحتها يعلم أن الله قد أمرنا أن نعد ما استطعنا من قوة لإرهاب أعدائنا، ولم يحدد نوع القوة وجاء بها نكرة لتفيد العموم ولتشمل أنواع القوة في كل زمان ومكان.

حين تتصل الدنيا بالآخرة على أرض فلسطين
نظرات في سورة الصف

في رؤيا صالحة يتصل الشهيد البطل صلاح دروزة بالبطل المجاهد الشهيد جمال منصور قبل استشهاده بأيام في الهاتف، ويسأله جمال: من أين تتحدث يا صلاح؟ فيقول: من الجنة، وستكون عندنا بعد أيام!

ونجد في هذه الرؤيا التي قصّها جمال على إخوانه قبساً من نور الآية الكريمة {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (آل عمران: ١٦٩-١٧٠).

بعد أن كشف اليهود عن مخططهم الإجرامي وبدء تنفيذه في تهويد القدس الشريف، وكانت البداية رفع العلم اليهودي على بيت الشرق في القدس، والخطوة التالية هي رفع العلم اليهودي على المسجد الأقصى، إيذاناً بتحويله إلى هيكل. لم يبق لشعب فلسطين خيار إلا الجهاد ومواجهة المخطط الصهيوني بدمائهم وتضحياتهم مقدمين العذر إلى الله تعالى وإلى الأمة العربية والإسلامية أنهم وهم العزّل لا يتركون القدس تهوّد ولن يمضي اليهود إلى المسجد الأقصى إلا على أشلاء شهدائهم وأبنائهم.

إن إعلان شارون وحاخامات يهود حرب الإبادة على شعب فلسطين تدعمهم الآلة الحربية الأمريكية وهي حرب إبادة على شعب فلسطين وأرضه ومقدساته وهويته وتاريخه وحضارته، وهذا يتطلب من الأمة العربية حكاماً وشعوباً أن يواجهوا هذه الأخطار ويتحملوا المسؤولية أمام الله والتاريخ من خلال القيام بما يلي:

١- توحيد صفهم ومواقفهم للدفاع عن الأوطان وحماية شعوبهم، فالشرعية التي يتحصن بها الحاكم في حكمه، أساسها الدفاع عن أرض الوطن وحماية الشعب أرضاً وحضارة ومقدسات وتاريخاً، فإذا لم يقم بهذه المهمة فقد شرعيته.

٢- إعلان التعبئة الإيمانية والجهادية للأمة لمواجهة الأخطار القادمة.. فالجهاد هو الطريق الوحيد للنجاة وحماية الشعب والوطن من الاحتلال والهلاك.

٣- إعلان الحكام للتوبة النصوح وإصلاح أمرهم مع الله تعالى فإن نصر الله تعالى ينتظر أولياءه وأحبابه "وإذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني".

وقد وجهنا ربنا تبارك وتعالى في سورة الصف إلى الطريق الوحيد لإنقاذ الوطن وحماية الشعب والنجاة من أخطار الإبادة والهلاك والتهويد من خلال ما يلي:

١- ففي مطلع السورة يوجهنا إلى سلاح الوحدة وقرن الأقوال بالأفعال، بقوله: {يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص} (الصف: ٢-٤).

٢- وفي السورة نجد البشرى بانتصار هذا الدين والطريق الذي يتحقق به هذا النصر وهو الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} (الصف: ٩).

٣- وبعدها تتحدث الآيات عن جرائم اليهود وإيذائهم لنبي الله موسى عليه السلام وانحرافهم وزيغان قلوبهم وعملهم لإطفاء نور الله ونور النبوة وهداية الأنبياء {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون} (الصف: ٨).

٤- وبعدها تأتي البشرى بانتصار هذا الدين عن طريق الجهاد في سبيل الله وحشد الأمة لطاقاتها الإيمانية والمالية والبشرية في مواجهة أعداء الله وسلوك طريق النجاة والإنقاذ. قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين} (الصف: ٩-١٣)، ومع الآية الكريمة نقف عند النقاط التالية:

١- إن الجهاد مقرون بالإيمان، وإن حركات التحرير المفصولة عن دين الأمة ورسالتها، لا تستحق نصر الله ورحمته.

٢- وإن الحركات الجهادية الإيمانية الإسلامية التي لم تتنازل عن شيء من أوطانها كما لم تتنازل عن دينها هي أمل الأمة بالنصر والتحرير.

٣- وفي قوله تعالى: {ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} يعني أن ما ذكر من الإيمان بالله ورسوله [redacted]

٤- وإن بركات الجهاد شاملة لمحو الذنوب ودخول الجنات وسكنى قصور الجنة ونصر من الله وفتح قريب.

٥- وفي خاتمة السورة يلهب الله مشاعرنا بتقديم النصرة لهذا الدين في مواجهة الأخطار المحدقة.

فنبيُّ الله عيسى عليه السلام طلب النصرة حين أحاط به اليهود ومكروا مع الحاكم الروماني فنجّاه الله من كيدهم، وقال الحواريون الخلّص من أنصاره نحن أنصار الله، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله...} (الصف: ١٤).

وكأني برسول الله ﷺ ينادي المسلمين جميعاً لإنقاذ القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك وفلسطين {من أنصاري إلى الله} أي من هم جندي الذين أتوجه بهم إلى نصرة الله، أما أهل فلسطين فكانوا جنده ودخلوا المعركة يقدمون الشهداء وينكّلون بالعدو المجرم، وبقي دورنا. اللهم افتح لنا أبواب الجهاد في سبيلك، وارزقنا كرامة الشهداء والمجاهدين، ومنّ علينا بالنصر القريب والفتح المبين، إنك قريب سميع مجيب، وإنك أنت العزيز الرحيم.

وما العيد إلا يوم نصر مؤزّر

لحكمة ربانية أن يجيء عيد الفطر بعد عبادة الصوم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وأن يجيء عيد الأضحى بعد عبادة الحج التي نزل في يومها الأكبر على رسول الله ﷺ قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (المائدة: ٣).

ليكون عيد الفطر مرتبطاً بفرحة نزول القرآن الكريم وشريعته الغراء، والمغفرة والرحمة التي يجود بها ربنا تبارك وتعالى على الصائمين العابدين في شهر القرآن العظيم.

وليكون عيد الأضحى مرتبطاً بتمام الشريعة وكمالها التي نزلت في يومها على رسول الله ﷺ وهو يؤدي فريضة الحج آية إكمال الدين وإتمام النعمة {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} ولتكون أفراح المسلم نابعة من عقيدته ودينه وشكر المنعم على الهداية التي أنزلها الله وأكملها وتمّمها ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وإذا ارتبط مفهوم العيد في الإسلام بهذه المعاني، فإن رجال العقيدة لا يرون العيد إلا من خلال انتصاراتهم وما بذلوه لنصرته، وإعلاء كلمته.

فالمجاهدون في فلسطين تتوهج حياتهم وتنصبغ أعيادهم بدماء شهدائهم وهم يعيشون وحدهم معركة القرآن العظيم في مواجهة التوراة المحرفة، معركة الأقصى مع الهيكل المزعوم، معركة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في مواجهة أعداء الله وقتلة رسله وأنبيائه وعلى لسان أحدهم يوم العيد قول الشاعر:

صياماً إلى أن يفطر السيف بالدم ... وصمتاً إلى أن ينطق الحق يا فمي
وما العيد إلا يوم نصر مؤزر ... تقرُّ به عين النبي المكرم
وعين شهيد كان آخر قوله ... فديتك قدسي لن يضيع سدى دمي

وقد نبَّهنا ربنا تبارك وتعالى إلى أثر وحدة الأمة في تحقيق انتصاراتها في سورة الفجر، فقد أقسم -سبحانه- بفجر يوم عيد الأضحى وليالي العشر الأوائل من ذي الحجة حيث تلتقي مواكب الحجيج على أرض عرفة، وفي منى، وحول البيت، بتجمع إيماني تُلغى فيه فوارق اللون والجنس واللغة تحت راية الإسلام العظيم.{والفجر. وليال عشر} وما أصدق قول من وصفهم: "العرب هنا، والعجم هنا، والسود هنا، والشقر هنا، والهند هنا، والترك هنا، والكل هنا، شعارهم لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك .."

و تختم سورة الفجر بقوله تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي} (الفجر: ٢٧-٣٠) ليجد المؤمن الثوابين حين التقى المؤمنون وتوحدوا على اختلاف ديارهم على طاعة الله وعبادته في هذا المشعر العظيم في الحج... فأقسم الله بأيامهم هذه التي يجتمعون فيها عابدين موحدين، على هلاك الظالمين، ثم وعدهم بالرجوع إليه، ودخول جنته، ليكون العيد وفرحته الثمرة المباركة لوحدة الأمة على عبادة الله ونصرته وطاعته في مواجهة أعدائه..

ونعود لعيد الفطر لنجد تكبيراته في آيات الصوم متصلة بالوعد الكريم بإجابة الدعاء والقرب من الله في قوله تعالى: {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون} (البقرة: ١٨٥). وقوله تعالى: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} (البقرة: ١٨٦).

ونلاحظ معنى وحدة الأمة والجماعة في تشريع صدقة الفطر بعد صيام رمضان، وفي نسك الأضحية في أيام عيد الأضحى، فصدقة الفطر ومقدارها صاع من طعام من تمر أو جميد أو شعير أو قمح أو أرز... يدفعها عن نفسه وأولاده، لتتعمق الروابط الاجتماعية بالمواساة والرحمة.

وكذلك نلاحظ هذا المعنى في نسك الأضحية وتقسيمها بين الأهل والفقراء والجيران، لتعميق هذه الروابط الاجتماعية محبة ورحمة في ظل أخوة الإسلام.

وإذا ذهب المسلمون في أيام أعيادهم إلى أسرهم ليلتقوا بالأبناء والإخوان والآباء والأحباب، فليذكروا أن ابن فلسطين حين يعود إلى بيته قد يجد الوالد أو الولد أو الأخ ذهبوا شهداء إلى الله في معركة القرآن والأقصى، ولنذكر بعد هذا أن لنا أرحاماً في فلسطين وأرض الإسلام يسألنا الله عن وصلها وبرها وتجديد العهد مع الله لمواصلة الطريق جهاداً ونصرةً لدين الله.

عبادة الحج ودروس التحرير

ارتبطت عبادة الحج في الإسلام بحكم وأحكام يتلقى المسلم منها دروساً عظيمة في تحرير روحه ونفسه وتحرير أرضه ومقدساته، وتحرير مجتمعه وأمته وتحرير الإنسان والإنسانية.

فالحج عبادة قلبية جسدية مالية تنتظم الإنسان كله روحاً وقلباً وجسداً ومالاً ليسلم وجهه لله رب العالمين، يهاجر وطنه وبيته مرتحلاً إلى الله، ويخلع ملابسه المعتادة بالإحرام مكتفياً بالإزار والرداء، معلناً بإحرامه هذا تجرده لله رب العالمين، معلناً نداء الإحرام: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". والحاج يسجل على نفسه بهذه التلبية، أنه في مكان السمع لأوامر الله تعالى، وفي مكان المسارعة إلى إجابته الدائمة فيها، وأنه سبحانه هو صاحب النعمة والملك لا شريك له، ولا يُحمد ولا يُجاب أحد سواه.

وأفعال الحج كلها من طواف حول البيت، وسعي بين الصفا والمروة، ومبيت في منى ووقوف بعرفة، وذبح للهدي ورمي للجمار، تعمق في المسلم معاني العبودية والخضوع الكامل لله رب العالمين، والتحرر من الهوى والعصبية والإقليمية، وإفراغ القلب لله، وتطهيره من كل ما سواه، وقد وجّهنا القرآن إلى هذه الآداب بقوله: {الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج} (البقرة: ١٩٧). وهذا توجيه لما يجب أن يتحلى به الحاج من تطهر من المدنسات النفسية، والمفرقات الاجتماعية، وكل ما من شأنه أن يقطع بين المسلم وأخيه استجابة للهوى والجاهلية والغرور بالنفس وبالمال أو العشيرة، أو الرتبة، أو الإقليم، أما جانب التحلية بالفضائل المزكية للنفوس، المؤلفة للقلوب، الجامعة للأمة، المصلحة لذات البين، المقربة إلى الله تعالى، فإننا نتبيّنه من قوله تعالى: {وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون يا أولي الألباب} (البقرة: ١٩٧).

وأما معاني الحج في تحرير الأرض والمقدسات والأوطان، فنستلهمها من تاريخ الإسلام في أرض الحج المباركة، وكيف جنّد النبي ﷺ المؤمنين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ليكونوا جند الإسلام، وكيف ربط جهادهم للوثنية والأوثان بتنظيم حركي عملي يعرف كل مسلم فيه موقعه في صف الدعوة ويجاهد لنصرتها، وكيف أخرج ﷺ وصحبه من مكة، حيث بيت الله الحرام، ومُنعوا من القيام بفريضة الحج، وظلوا يجاهدون في سبيل الله، وعرفوا المنهج العملي للعودة إلى مكة بالالتفاف حول القائد محمد ﷺ واتباع أمره في السراء والضراء وتعبئة الأمة للجهاد في سبيل الله حتى عادوا إلى مكة فاتحين محررين في السنة الثامنة من الهجرة النبوية.

لنتدبر قوله تعالى من آخر سورة الفتح (٢٧): {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد

الحرام...} ثم ذكر الله جند محمد ﷺ الذين كانوا معه مجاهدين مخلصين {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...} (الفتح: ٢٩) إلى آخر السورة. هؤلاء الذين يتحقق بهم النصر، ويصدق فيهم قول الشاعر:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أعظم المحراب في المحراب

وقد تم على أيديهم تطهير البيت من هذه الأصنام، وتحرير الأمة من الأعراف الجاهلية القائمة على التفاخر بالآباء والأنساب، وأمر أصحاب العظمة الزائفة أن يقفوا في عرفات مع الناس، وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس، تقريراً لمبدأ المساواة الذي جعله الله بين عباده، وكانت قريش تأبى الوقوف في عرفة، وتفيض من المزدلفة، ليكون لها امتياز على قبائل العرب.

وأعلن النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته المشهورة مبادئ تحرير الإنسان من العقائد الفاسدة ومن استغلال أصحاب الأموال، وتحرير الضعفاء والفقراء من أصحاب القوة والسلطة، وإقامة العدل بإعلان المساواة بين الناس، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل للون أو جنس إلا بالتقوى.

وفي أرض الحج بيّن الله لأمة الإسلام على لسان نبيه ﷺ أن تكون أرض الجزيرة العربية حمى البيت الحرام وحرمه حصناً للإسلام وأمة الإسلام بقوله: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان).

ومن إعجاز النبوة أن يحرّم الوجود الأجنبي فيها والنفوذ الأجنبي سياسيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً على أرضها، ومن إعجاز النبوة أن يربط أرض الجزيرة العربية وقلبها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة ببلاد الشام وقلبها فلسطين والقدس الشريف ومسجدها الأقصى المبارك، فالإسراء تمّ بين مكة والقدس، والنبي صلى في مكة قبل الهجرة وقبلته القدس، وصلّى في المدينة لمدة ثمانية عشر شهراً وقبلته القدس قبل تحويل القبلة إلى المسجد الحرام.

والمجاهدون الذين فتحوا مكة وحرروها من الأوثان، ووقفوا يؤدون فريضة الحج تحت راية الإسلام أقسم الله بأيام حجهم وفجر عيدهم والعشر الأوائل من ذي الحجة شفعها ووترها، على هلاك الظالمين. قال تعالى: {والفجر . وليال عشر. والشفع والوتر . والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر} (الفجر: ١-٥) هذا هو القسم والمقسم عليه محذوف مفهوم من السياق تقديره: "ليهلكن الله الظالمين" بدلالة قوله تعالى بعد ذلك: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد...} إلى آخر الآيات.

إن الأمة التي بايعت نبيها ﷺ على التوحيد والجهاد والنصرة وعرفت كيف تنظم صفوفها، وتفي بعهودها، وحققت حكمة الحج ومعناه بالتجرد إلى الله وإعلاء كلمته، وانطلقت مواكب حجيجها المنتظمة من عرفات إلى المزدلفة إلى منى إلى البيت العتيق، تلبي، ثم تكبّر وترمي رمز الشر والفساد إذ ترمي الجمرات، وتعلن وحدتها في ظل الأخوة الإسلامية هي التي حررت بلاد الشام ومصر والعراق وانطلقت

في مشارق الأرض ومغاربها فاتحة هادية محررة لشعوب الأرض حتى خفقت رايات الإسلام في أقل من مئة عام من جبال أوراس في الجزائر إلى تخوم الصين، ومن المحيط إلى الخليج.

وبعد هذا أقول... ما أحوجنا إلى أن نعيد لهذه العبادات روحها ومعناها وحكمتها، ونعلنها بيعة جديدة لله، ننصر بها أهلنا في فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وفي كل أرض وتحت كل سماء.

وأذكر هنا قول الشاعر وهو يقارن بين روح العبادة وصورتها بقوله:

كم صلاة صليتُ لم يتجاوز ... قدس آياتها حدود لساني
كم صيامٍ أجعتُ بطني فيه ... ونسيت الجياع من إخواني
كم رجمت الشيطان والقلب مني ... مثخن في حبائل الشيطان
رب عفواً إذ عشت ديني ... ألفاظاً عجافاً ولم أعشه معاني

إن مسؤولية العلماء والدعاة أن يبعثوا روح الأمة ويجددوا عزيمتها لتأخذ مواقعها وتتجنّد في المقاومة والتحرير وانتظار وعد الله {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون} (الصافات: ١٧١-١٧٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خصائص القيادة النبوية في معركة التحرير والتغيير

كيف حوّل النبي القائد ﷺ العرب من حراس لأمن الدولتين الفارسية والرومانية إلى حراس لدين الله وأئمة هداية للإنسانية؟ كيف أنقذهم من أسباب الهلاك والإبادة في حروبهم الداخلية التي كانوا يستحل بعضهم بها دماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض؟ كيف أنقذهم من طغيان يهود ومكرهم في المدينة المنورة؟ حيث كان اليهود يسيطرون على سوق المدينة وأحسن الأراضي الزراعية فيها وفي خيبر وتيماء.

للإجابة عن هذه الأسئلة يحسن أن نقف وقفات تدبر عند نصوص من السيرة النبوية وأحداثها، ثم وقفات متدبرة عند بعض الآيات الكريمة التي سأعرضها في النقاط التالية بإذن الله تعالى.

١- كان النبي ﷺ قبل الهجرة يعرض نفسه على قبائل العرب ويدعوهم إلى الإسلام والنصرة، ويقول لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، كلمةً تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم وإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة). وهذه الكلمات تكشف لنا أهداف صاحب الرسالة في تحرير البشرية والعرب من الوثنية وطواغيتها وتوحيدهم تحت لواء الإسلام.

وهذا الهدف هو الذي نفقهه من قوله ﷺ: (تملكون بها العرب) أي توحدونهم في خلافة واحدة تحت راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" التي تحطم الأصنام المادية والبشرية على سواء، (وتدين لكم بها العجم) وهذه الكلمة تعني عالمية الإسلام، فالعرب بحملهم لرسالة الإسلام يصبحون المعلمين المنقذين لشعوب الأرض تدين لهم بالفضل والاعتراف بتحريرهم وهدايتهم.

٢- التقى النبي ﷺ قبل الهجرة بوفد من عرب العراق من بني شيبان وطلب منهم الإسلام والنصرة وعرض عليهم مبادئ هذا الدين وتلا عليهم من آيات القرآن الكريم فأبدوا إعجابهم بما سمعوه، فسألهم النبي ﷺ عن المنعة والنصرة فيهم فقالوا: "إنّا لألف ويزيد، وإنّا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، وإنّا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وإنّا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، ولكن بيننا وبين كسرى عهد ألا نُحدث حدثاً، وألا نؤوي مُحدثاً، فإن شئت أن ننصرك من العرب نصرناك، ولكن من كسرى لا نستطيع، وإن هذا الأمر مما تكرهه الملوك، فقال ﷺ: ما أسأتم بالرد إذ أفصحتم بالصدق، لا يحمل هذا الدين إلا من حاطه من جميع جوانبه، كيف بكم إذا ورّثكم الله أرضهم وديارهم أتسبّحون الله وتقدّسونه، فقالوا: اللهم لك هذا".

حماة لأمن أعدائهم:

ومن كلمات وفد بني شيبان نجد اعتذارهم عن حماية رسول الله ﷺ من الدولة الفارسية، وأن العهد بينهم يقتضي أن يحموا أمن كسرى بألا يحدثوا حدثاً وألا يؤووا محدثاً. ونجد قبول النبي الكريم ﷺ لاعتذارهم وشكرهم على الإفصاح بالصدق، لأن الأخطار ستكون كبيرة لو عجزوا عن حمايته من كسرى أو سلموه إليه، كما يُسلَّم الدعاة في أيامنا هذه للدولة الظالمة بمقتضى معاهدة مبرمة بين دولتين.

كما نجد الأهداف الكبيرة التي تحملها دعوة الإسلام في التحرير والتغيير من خلال كلمات النبي الكريم ﷺ: (كيف بكم إذا ورّثكم الله أرضهم وديارهم أتسبِّحون الله وتقدسونه)؟ إن أرض كسرى في مخطط نبي الإسلام أن تصبح ولاية إسلامية يرفع فيها اسم الله بالتسبيح والتقديس.

وشاء الله أن يجعل هذا الخير على يد ستة شباب من شباب المدينة المنورة، كانت في قلوبهم جراح أمتهم وهمومها، جاءوا إلى موسم الحج بعد معركة بُعاث التي كاد هذان الحيّان من الأوس والخزرج أن يفني فيهما أحدهما الآخر، وعرف هؤلاء الشباب بفطرتهم السليمة، وعقولهم الذكية، وحرصهم على إنقاذ أمتهم، أن محمداً ﷺ هو النبي المنقذ، والقائد المحرر الذي يستطيع بهذا الدين أن يجمع كلمة أمتهم ويداوي جراحها، ويصلح ذات بينها، فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم داعين، مبشرين بهذا الدين، فعادوا في العام القادم اثني عشر رجلاً فبايعوه ﷺ بيعة العقبة الأولى، وفي السنة التالية عادوا اثنين وسبعين رجلاً فبايعوه بيعة العقبة الثانية على الإيمان والنصرة ولهم الجنة، فأصبحت المدينة المنورة قاعدة وحصناً للإسلام والمسلمين، وأخذ المسلمون يهاجرون إليها أفراداً وجماعات. ونزل فيهم قوله تعالى: {والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم...} (الحشر: ٩). أي كما اتخذوا المدينة موطناً اتخذوا العقيدة موطناً وأحبوا من هاجر إليهم ناصرين لدين الله.

دروس حركية من الهجرة:

وبعد أن هاجر النبي ﷺ المدينة المنورة وقامت الدولة الإسلامية بقيادة النبي الكريم يحسن أن نقف عند بعض الدروس الحركية الإيمانية التي ترسم للمسلمين طريق التغيير والتحرير:

- الدرس الأول: يحرم على المسلم التخلف عن نصرة الجماعة الإسلامية وقائدها في معركتها في مواجهة الجاهلية وأعداء الإسلام. وهذا ما نفقهه من معنى الهجرة ومن الآيات الكريمة التي بيَّنت فضل المجاهدين المهاجرين، ونفاق المتخاذلين المتفرجين القاعدين.

- فالهجرة تعني الانتقال من حياة الأمن والحياد والتمتع بالعيش مع الزوجة والأولاد والأموال في مكة إلى حياة الجهاد والنصرة ومفارقة الأهل والمال والولد والوطن في سبيل نصرة هذا الدين.

- وقد ضعف بعض المسلمين عن الهجرة وكادوا يبطشون بأزواجهم وأولادهم الذين عوّقوهم عن الهجرة سنوات عديدة ضيعوا فيها مواقف كثيرة في نصرة دين الله. وهذا ما ذكره الله في سورة التغابن (١٤): {يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفورٌ رحيم} أي عفا الله عما سلف واحذروا من الخذلان في المستقبل.

- وقد ذكر الله في سورة النساء موقفين متقابلين: أولاهما حوار بين الملائكة والمتخلفين عن الهجرة بعد موتهم. وثانيهما أثر هذا الحوار في نفس الصحابي ضمرة بن جندب وكيف حمله إلى الهجرة والبيعة وقبولها عند الله تعالى.

قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً} (النساء: ٩٧) وسؤال الملائكة لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة بعد موتهم هو: {فيم كنتم؟} أي فيم كنتم من أمر دينكم ونصرته، وكيف رضيتم أن تعيشوا في مكة منعمين بين أزواجكم وأولادكم وأموالكم لا تنصرون دين الله؟ وكان جوابهم {كنا مستضعفين في الأرض} وهو جواب أكثر المسلمين اليوم الذين تعبّدتهم الأنظمة الجاهلية بالنار والحديد والإرهاب، وحسبوا أن اعتذارهم بقسوة هذه الأنظمة وجبروتها وقهرها ينجيهم عند الله، عن خذلانهم للحركة الإسلامية المجاهدة، وليتدبروا في جواب الملائكة لهؤلاء: {ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟} إن المسلم يستطيع أن يجد طرقاً عديدة يحتال بها لنصرة الجماعة المسلمة التي تجاهد وتقاوم أعداء هذا الدين، وتقف وحدها في الميدان، والمسلمون يتفرّجون، ويسمعون آخر الأخبار، ولذلك كان حكم الله في المتخلفين عن نصرة دين الله: {فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً} (النساء: ٩٧ – ٩٩).

وعندما سمع الصحابي الجليل ضمرة بن جندب رضي الله عنه في مكة هذه الآيات قال: ما بقى لنا من عذر ألا نهاجر، وكان شيخاً كبيراً مريضاً، فأمر أولاده أن يهيئوا له الراحلة، وحاولوا أن يثنوه معتذرين بكبره ومرضه، فأبى، وفي الطريق، وعند التنعيم اشتدت به العلة، ووجد أن الموت أسرع إليه من بلوغ المدينة المنورة، ومبايعة النبي ﷺ على الجهاد والهجرة! ماذا يفعل؟ وهداه قلبه المؤمن إلى أن المسافة بينه وبين ربه أقرب وأقرب، فمدَّ يده إلى ربه وقال: يا رب هذه يدي أبايعك فيها على الهجرة والجهاد وضرب يداً بيد، ثم رفع يده مرة أخرى وقال: وهذه يدي أبايع فيها نبيّك على الهجرة والجهاد فتقبّل مني، وضرب يداً بيد، تقبل الله بيعته ونزل قوله تعالى بعد الآيات السابقة: {ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وكان الله غفوراً رحيماً} (النساء:١٠٠).

إن التكتل في تنظيم حركي جهادي لنصرة دين الله هو السبيل لانتقال المسلم من حياة الحياد والراحة بالبعد عن مواجهة الظالمين إلى حياة النصرة والعطاء والبذل والجهاد بالنفس والمال. فالهجرة في حكمتها ومعناها ليست انتقالاً جغرافيّاً من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فحسب، بل هي انتقال من حياة القعود والركود والراحة والبعد عن مواطن المواجهة مع الظالمين، إلى تنظيم حركي إيماني يوظف طاقاته الفكرية والبدنية والمالية في مواجهة الباطل ونصرة الإسلام.

وهذا ما تشير إليه الآيتان الكريمتان من سورة النساء (٨٨-٨٩) {فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً . ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً}. فالمسلمون في المدينة اختلفوا في حكم من آثروا البقاء في مكة بغير عذر وتخلفوا عن نصرة دين الله فنزلت هاتان الآيتان تحكم بنفاقهم..

وفي سورة الأنفال إشارة إلى قوة التنظيم والتفافه حول القيادة النبوية في مواجهة خداع الكافرين وكيدهم: {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم. يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} (الأنفال: ٦٢-٦٤).

وفي آخر السورة تحذير من أن يجتمع أهل الباطل على باطلهم ويتفرق أهل الحق عن حقهم: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا و لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا...} (الأنفال: ٧٢).

{والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} (الأنفال: ٧٣) والمعنى أن الذين يحققون معنى الإيمان ولايةً ونصرةً وهجرةً إلى الله ورسوله هم الذين يكون بعضهم أولياء بعض في تنظيم إيماني جهادي ينصر دين الله، وأن الذين يتخلفون عن اللحاق بهذه الجماعة ويتخلفون عن النصرة ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ويلتحقوا بالجماعة المؤمنة الناصرة لدين الله، وأنكم إذا تخلفتم عن الانضمام والتكتل لنصرة دين الله كما يتكتل أعداء الله من يهود وغيرهم على حربكم، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

وإذا كان مطلع سورة الأنفال قد جاء بالشهادة لأهل الإيمان الخاشعين لذكر الله المتحلّين بصفات المؤمنين {أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم} (الأنفال: ٤) فإن هذه الشهادة والبشرى تتكرر في الآية قبل الأخيرة في السورة نفسها {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم مغفرة ورزق كريم}(الأنفال: ٧٤).

لتستقر في قلب المسلم عقيدة أن الإيمان والنصرة قرينان، وأن الهجرة في سبيل الله ليست مقتصرة على الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، بل هي شاملة للانتقال من حياة القعود والراحة والبعد عن مواطن المواجهة إلى حياة النصرة والتكتل في جماعة المؤمنين التي تحوّل الطاقات إلى عمل منظم ينصر دين الله ويحبط مخططات أعدائهم.

العدد (٢٠) أيار / حزيران ٢٠٠٢م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكانة العلماء ودورهم في الإسلام

روى البيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "العلماء ورثة الأنبياء"، وتكريم الأمة لعلمائها الذين يحفظون إرث النبوة، وهوية الأمة الحضارية، هو جزء من إكرامها لنبيها ﷺ، ومحافظتها على وجودها وكيانها في مواجهة الاحتلال الثقافي غربيه وشرقيه، أمريكيّاً ويهوديّاً.

ويوم احتل الغرب الصليبي بلاد المسلمين في مطلع القرن العشرين وقطّعوها في معاهدة سايكس بيكو، صاحَبَ هذا الاحتلال العسكري احتلال ثقافي لإخراج أجيال من المسلمين لا تفقه القرآن والإسلام ولا تهتدي بهديه، وهذا ما عبّر عنه القس "زويمر" في خطابه في مؤتمر المبشرين الذي عقد في القدس على جبل الزيتون سنة ١٩٣٥م وقال فيه:

"لقد قبضنا أيها الإخوان- في هذه الحقبة من الدهر من الثلث الأخير للقرن التاسع عشر إلى يومنا هذا- على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وكان التخطيط بإنشاء الجامعات الأمريكية والإنجيلية والعلمانية في بلاد المسلمين لإبعاد الأزهر والعلماء عن دورهم في قيادة الأمة والمحافظة على هويتها، وكان الأمر الموجه لأتاتورك -القائد التركي من يهود الدونمة- أن يتنازل عن الإسلام ويلغي الخلافة، ويعلق العلماء على رؤوس الشجر وأعواد المشانق". وقد فعل ذلك إرضاءً للمحتل الصليبي، وتنازل عن الإسلام، وألغى الخلافة وقطع ما بين الأمة وإسلامها في العقائد والأخلاق والعادات. وفي مطلع القرن الواحد والعشرين جاء بوش وشارون ليكملا مخطط "زويمر" و"ألنبي" والدول الصليبية الغربية التي احتلت بلاد المسلمين بالإجهاز على ما تبقى من دور علم وكليات شرعية ودور قرآن تحت مظلة محاربة الإرهاب، ووجّه بوش أوامره إلى الحكومات العربية بإلغاء كليات الشريعة ومعاهد القرآن وبإدخال تعديلات على المناهج في المدارس والجامعات لتخدم أغراض المستعمر التي شرحها زويمر في مؤتمر المبشرين/١٩٣٥، كما وجه أوامره بعزل العلماء من كليات الشريعة لتقليص دورها وإطفاء جذوتها بالتدريج.

"بوش وشارون" يقرآن التاريخ جيداً، وقد علما أن طرد الصليبيين وتحرير بلاد المسلمين على يدي نور الدين وصلاح الدين، كان وراءه العلماء الربانيون الذين أعدوا الأمة قائداً وجنداً للتحرير، وقال علماء التاريخ: "لقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون".

وكان ملك العلماء العز بن عبد السلام قائد التحرير الذي وجه جيش "قطز والظاهر بيبرس"

لمقاومة التتار بعد أن دمروا بغداد وسعوا لتدمير مصر لولا أن وقف العلماء بقيادة العز بن عبد السلام والأمراء بقيادة قطز والظاهر بيبرس في خندق المقاومة وتعبئة الأمة للجهاد.

عقد قبل سنوات مؤتمر في جامعة "تل أبيب" كان عنوانه: "معركة حطين وكيف تمكن صلاح الدين من هزيمة أربعة عشر ملكا صليبيّاً"، وكانت النتيجة التي توصل إليها المؤتمرون: "إن الخطأ الذي وقع فيه الملوك الصليبيون هو غفلتهم عن الصحوة الإسلامية وجهود العلماء في إحياء الأمة وإعدادها للجهاد والمقاومة".

إن سيوف الصحابة التي حررت بلاد الشام ومصر والعراق وما وراء النيل والفرات كان معها منابر العلماء الذين نشروا الدعوة ومكّنوا للإسلام في هذه البلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.

وبعد هذا يحسن أن ندرس الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في ضوء رسالة العلماء ومكانتهم التي تحفظها الأمة ليحفظها الله من خلال النقاط التالية:

١- مكانة العالم: قال تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} (المجادلة: ١١).

٢- وراثة العالم: قال رسول الله ﷺ -فيما رواه البيهقي: "...والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا دَرهماً ولكنهم ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه، وموت العالم مُصيبة لا تُجبر، وثلمة لا تُسد، وهو نجم طمس، موت قبيلة أيسر من موت عالم".

٣- مسؤولية الأمة في إعداد العلماء ومن يخلفهم: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من صدور العلماء، ولكن يقبضه بموت العلماء ..." وهذه مسؤولية الأمة في إنشاء كليات الشريعة والمحافظة عليها وعلى علمائها حتى لا يقبض العلم، وتهلك الأمة.

٤- معاداة العلماء مؤذنة بحرب الله تعالى. في الحديث الصحيح القدسي: "من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب". وأولياء الله هم العلماء الذين يوالونه بحمل كتابه وسنة رسوله ﷺ وتعليمهما للناس.

٥- إكرام العلماء: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويعرف لعالمنا..." أي يعرف لعالمنا واجب إكرامه.

٦- بالعلماء تهتدي الأمة وتُحفظ من الهلاك: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن مَثَل العلماء في الأرض كمثل النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة" رواه أحمد.

وفي الحديث: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جُحرها لَيصلُّون على معلم الناس الخير". رواه الترمذي.

أيها العلماء الزموا سفينة النجاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد حمَّل الله العلماء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينجيهم الله من العذاب في الدنيا والآخرة، وحذرهم أن يجاروا الظالمين، ويجبنوا عن الجهر بكلمة الحق حفاظاً على ما أترفوا فيه من رتب ورواتب، فيهلكهم الله، ويهلك الأمة بسكوتهم عن تبليغ رسالته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلاَّ قليلاً ممن أنجينا منهم، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود:١١٦-١١٧). قال صاحب الكشاف: "فهلا كان منهم أولو فضل وخيرة، أو فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ..." {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه}، أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات، أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات، وأتبعوا ما عرفوا فيه من التنعم والترف من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء ... هـ" {وكانوا مجرمين} إذ آثروا الرتبة والراتب على الدين والآخرة.

نسأل الله أن يجعلنا حماة لدينه، سلماً لأوليائه، حرباً على أعدائه.

حريق المسجد الأقصى ومسؤولية الأمة

في الواحد والعشرين من شهر آب ١٩٦٩م أقدم اليهود على جريمتهم النكراء بحرق المسجد الأقصى المبارك وإغلاق الطرق المؤدية إليه ليمنعوا وصول سيارات الدفاع المدني وليتم إحراق المسجد، ولكن أهل القدس والمجاورين للمسجد هجموا على النيران وأطفئوها بما معهم من مياه ووسائل.. الرجال والنساء والشيوخ والأطفال صنعوا بطولة إطفاء حريق المسجد الأقصى المبارك، ولنا وقفه مع هذا الحدث في النقاط الآتية:

١- بعد احتلال اليهود للقدس سنة ١٩٦٧م كان مؤتمر للحاخامات في مدينة القدس عقد بسرية كاملة، وكان من مقرراته هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل سنة ٢٠٠٢م على أنقاضه، وقد بلغ هذا الخبر لسماحة الشيخ عبد الحميد السائح -رحمه الله- وقتئذ وأعلنه وأخرج من القدس بسبب إعلانه.

٢- المسجد يمثل هوية فلسطين الإسلامية والعربية ويمثل هوية الدعوة الإسلامية، ولذلك كانت المؤامرة لإحراقه هي لإحراق منبر نور الدين ومحرابه الذي أركزه صلاح الدين في المسجد الأقصى، وهذا يذكرنا بقول الشاعر:

يا حريقاً ضرّمت نيرانه ... عصبة الغدر ببيت المقدس
أي نار أكلت محرابه ... وهو في القيد رهين المحبس
أين نور الدين قد هيأه ... قبل فتح القدس فتح الأنفس
وصلاح الدين قد أركزه ... بحراب الفتح يوم القدُس

٣- المسجد الأقصى يمثل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحرير الأمة من العقائد الفاسدة والفكر الفاسد، والذين يحاولون أن ينشروا الفكر الفاسد والأخلاق الفاسدة في بلاد المسلمين يحرقون المسجد كل يوم، وهذا ما يدعونا لنتدبر آيات القرآن الكريم المتعلقة برسالة المسجد وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمتدبر لهذه الآيات يخلص إلى فوائد علمية منها:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن من أركان الإسلام وفريضة عظيمة من فرائضه لا يتركه إلا من خذل دينه وخان أمانته.

٢- العلماء ومن حقّق منهم سبقاً في رتبته العلمية أو موقعه الديني هم أولى الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن تخلف منهم عن إعلان الحكم الشرعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرّض نفسه

وعرّض المسلمين للهلاك والدمار.

٣- المساجد قلاع الإسلام العلمية وحصونه، ومن منع العلماء المؤهلين من تبليغ رسالة الله وبيان أحكام الله خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين. وكان كمن يسلّم القلعة والحصن للأعداء، فالمساجد ليست متاحف ومناظر وإنما هي للعبادة والعلم والتربية والتزكية وبناء الشخصية الإسلامية.

٤- لا يأس ولا قنوط ولا استسلام في مواجهة المنكرات، وإذا طغى سيل الباطل فهذا يدعو أن يضاعف أهل الحق جهودهم وجهادهم.

٥- على الأمة كلها أن تتحمل مسؤوليتها في نصرة العلماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى العلماء أن يتقدموا الصفوف لأنهم أولى الناس بالقيام بهذه الفريضة وأن يوالي بعضهم بعضاً برابطة الإيمان والعلم والإسلام.

٦- ومن علامات الإيمان الغيرة لدين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن علامات النفاق والمنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم عن الإنفاق والنصر لدين الله ومعاقبة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

بعد هذه المقدمة أقف عند بعض آيات القرآن الكريم التي نستخلص منها هذه الفوائد:

١- على العلماء والمسلمين من ورائهم أن يكونوا صفّاً واحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم} (التوبة: ٧١). وما ذكر الله فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين مقرونة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله، إلا لينبهنا إلى عظم أمر هذه الفريضة في هذا الدين وواجب العلماء والأمة بالقيام بها. وقال تعالى: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف...} (التوبة: ٦٧).

٢- صناعة خنق الدعوة بدعة يهودية، ذلك أن الأحبار وهم علماء بني إسرائيل، والربانيون وهم العبّاد المعروفون بالعلم والعبادة من بني إسرائيل، حين ضعفوا وجبنوا عن النهي عن المنكرات التي انتشرت في زمانهم، كان هذا مؤدياً إلى هلاك الأمة، وهلاكهم جميعاً. قال تعالى: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون} (المائدة: ٦٣)، وكلمة (لولا) تفيد توبيخهم وتقريعهم على تركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يقاومون الفساد في الكلمة والقول الآثم والتوجيه المنحرف، ولا يواجهون الفساد المالي والأخلاقي الذي انتشر في زمنهم، وختم الله الآية بقوله: {لبئس ما كانوا يصنعون} فتعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

أصبحت عند هؤلاء صناعة يتقنون رسم خططها وبرامجها ووسائل تنفيذها، وما أشبه اليوم بالأمس، فصناعة خنق الدعوة والدعاة وتجفيف ينابيع العلم الشرعي في المساجد ودور القرآن ومعاهد العلم وخطب الجمعة أصبحت "صناعات" وبرامج ينفذها ببراعة متخصصون بقمع الدعوة يقوم بها بالنيابة عن أعداء هذا الدين وكلاء لهم في بلاد المسلمين، يبيعون دينهم وآخرتهم بشيء من متاع الدنيا، يصدق فيهم قوله تعالى: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم} (آل عمران: ٧٧). وقوله تعالى: {اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون} (التوبة: ٩). فكل من حارب الدعاة والدعوة خدمة للباطل وإسكاتاً لصوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تصدق فيه هذه الآيات، وقد لفتت كلمة {يصنعون} في الآية {لبئس ما كانوا يصنعون} نظر إمام البلاغة والتفسير الزمخشري فقال: "كأنهم -يعني علماء الدنيا- جُعلوا آثم من مرتكبي المناكير، لأن كل عامل لا يسمى صانعاً، ولا كل عمل يسمى صناعة، حتى يتمكن فيه ويتدرب، وينسب إليه ...ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع -يخففه وينشطه- وينعى على العلماء توانيهم". وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "هي أشد آية في القرآن". وعن الضحاك: "ما في القرآن آية أخوف عندي منها".

وقد نبّه القرآن العظيم إلى مسؤولية العلماء في الأمر بالمعروف وإنقاذ الأمة من الهلاك بقوله: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود:١١٦-١١٧). فالآية الكريمة تفسر تاريخ هلاك الأمم السابقة بغياب أو تغييب العلماء الناصحين للأمة عن المنابر، والمساجد، وتبليغ أحكام الله وعن سكوت علماء الدنيا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محافظة على رتبهم ورواتبهم، وما أترفوا فيه، فكانوا مجرمين وكان هلاك الأمة على أيديهم.

المساجد قلاع الإسلام وحصونه الإيمانية والفكرية:

قال تعالى: {في بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب} (النور: ٣٦-٣٨)، هذه رسالة المسجد أن يكون عامراً بالمؤمنين الذاكرين بالغدو والآصال أي من أول النهار إلى آخره. وأن تكون حلقات العلم والعلماء... والناس... يزكون أنفسهم، وقد كانت المساجد في تاريخ الإسلام مدارس للتجار والأطباء وأصحاب الصناعات، تصنع وحدتهم الإيمانية والثقافية، وتثمر ثمراتها المباركة في التعاون على الخير والبر والتقوى.

وقد حذّرنا القرآن الكريم من تخريب المساجد وتعطيلها عن أداء رسالتها، بمنع العلماء والمؤهلين

من القيام بواجبهم، كما فعل بنو إسرائيل وغيرهم فقال تعالى فيهم: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها...} (البقرة: ١١٤). وقال في قتلهم للأنبياء والعلماء: {إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم} (آل عمران: ٢١). وإذ اجترأ بنو إسرائيل على الأنبياء والعلماء بالقتل، فقد اجترأت أنظمة في بلاد المسلمين على قتل العلماء وسجنهم وتعذيبهم وتشريدهم كما اجترأت على خنق الدعوة والدعاة ومنعهم من تبليغ كلمة الله وهذا قتل معنوي للعلماء يدعو الأمة والقادة للتوبة والإصلاح وطلب النجاة.

العدد (٢٢) أيلول / تشرين أول ٢٠٠٢م

صرخة الأقصى في شهر رمضان

قال تعالى: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (الحج: ٣٩) وقال تعالى: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (البقرة: ١١٤). بهاتين الآيتين الكريمتين بيّن الله مسؤولية الأمة في تحرير مساجدها وتطهيرها من القوم الظالمين ليبقى المسجد مسجداً لله لا يستبد به أحد، ولا يحاصر كلمة الله فيه أحد، والأمة مسؤولة أن تحرر مساجدها وتطهرها من المنافقين والفاسدين والمفسدين.

يأتي شهر رمضان المبارك والمسجد الأقصى معرّض للهدم والتدمير وبناء الهيكل على أنقاضه. والمساجد في بلاد الإسلام أكثرها محاصرة؛ حاصرها الظالمون وأتباع الظالمين ليمنعوا فيها كلمة الله.

وفي هذا الشهر الكريم نرفع صرخة الأقصى ونقول: كل المساجد في شهر رمضان المبارك عامرة إلا المسجد الأقصى ... كل المآذن في هذا الشهر نيّرة إلا مآذن الأقصى .. كل المنابر في هذا الشهر مدوية إلا منبر الأقصى .. المسجد أسير، والإمام أسير، والمصلي أسير، يشكون إلى الله خذلان القريب وطغيان الغريب وجور يهود.

يوافي شهر رمضان هذا العام - شهر بدر وفتح مكة وعين جالوت، شهر الفتوحات والانتصارات - وقد أعد اليهود والصليبيون حملاتهم الصليبية اليهودية لاجتثاث الأقصى وهدمه وبناء الهيكل على أنقاضه، وتهويد القدس وإعلانها عاصمة لما يسمى بإسرائيل، وتدمير العراق، واحتلال الوطن العربي الإسلامي وتقطيعه من جديد على المقاس الأمريكي، وهدف هذه الحملة الأول هو القضاء على الإسلام والقرآن في مهده وحصنه في الجزيرة العربية والوطن العربي والإسلامي كله.

أما الهدف الثاني فهو احتلال منابع النفط ونفط العراق الذي يشكل ثلثي احتياطي النفط في العالم، والتحكم بأسعاره وطرقه.

وهناك هدف ثالث ترمي أمريكا من خلاله إلى فرض أنظمة تأتمر بأمرها وتنفذ تعليماتها.

لقد عرفت الولايات المتحدة بعد أحداث (٩/١١) أن الإسلام الذي ينبع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح هو الإسلام المجاهد الذي يدافع عن الدين والوطن والمقدسات ويقاوم الاحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي والأخلاقي بجميع صوره وألوانه، ولذلك وضعت الولايات المتحدة خطتها لتجفيف ينابيع الإسلام الحق المجاهد والمقاوم، وهاهي تحاول جاهدة إغلاق دور القرآن وكليات الشريعة والمعاهد الإسلامية وتغيير المناهج في بلاد المسلمين، وتقديم صور أخرى بديلة عن الإسلام الحقيقي، حيث تريد إسلاماً أمريكيّاً لا يدافع عن أرض ولا مقدسات ولا دين، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وهاهي أيضاً تطالب محرري الصحف ورجال الإعلام والتربية والجامعات الذين يدورون بفلكها أن يسعوا لهدم حصوننا الإيمانية والأخلاقية من الداخل، وأن يستوردوا المنحرفين فكريّاً من اللادينيين الذين يلبسون ثياب التقدمية، والفكر، والفن، ويخفون أهدافهم في حرب الإسلام والمسلمين تحت ستار " الديمقراطية / تطوير التعليم، والحداثة .... " ، أو يمكنوا المنهزمين ممن ينتسبون للدعوة والعلم والعلماء ليتحدثوا عن كل شيء إلا عن الجهاد، وواجب الأمة في الدفاع عن أوطانها، ومقدساتها، وأحكام دينها، فتجد هؤلاء قد حوّلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد إلى صناعة أمريكية لا تمس جراح الأمة ولا تسعى لإنقاذها من الأخطار المحدقة بها، فلا حديث عن مجازر يهود في فلسطين وواجب الأمة في نصرتهم، ولا حديث عن كازينوهات القمار والحشيش والمخدرات وعبادة الشيطان، والملاهي والحانات واستيراد الراقصات، وبرامج التلفزة والفضائيات التي تهدم شخصية الأمة ودينها وحضارتها وتهدم قلاع المقاومة من الداخل.

وينصب حديث هؤلاء المنهزمين على كلمات عامة لا تغضب أحداً، ولا تحقق أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر. وقد وجّهنا ربنا في كتابه العظيم إلى الفساد الذي وقع به علماء بني إسرائيل حين جبنوا عن الجهر بكلمة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأهلك الله الأمة كلها بجبنهم وسكوتهم.

قال تعالى {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون} (المائدة: ٦٣)..

يأتي شهر رمضان العظيم والجراح في القلوب دامية وفي الأوطان والمقدسات صارخة، ولا نجد من يدافع عن دين الأمة وشرفها وقدسها ومقدساتها إلا أهل القرآن في فلسطين وأفغانستان وكشمير والفلبين والشيشان وغيرها من بلاد المسلمين.. هاهم وحدهم في خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هاهم وحدهم يرفعون راية القرآن العظيم ويقولون لأعداء الأمة:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

نحن أهل القرآن نرفع رايته ولا نستسلم .. معركة القرآن في فلسطين يخوضها أربعة: أم وابن وأب وطفل. أما الأم فهي التي ودّعت ولدها البطل المقبل على الشهادة وهي تقول له: وهبتك لله يا ولدي، وأما الأب فيسابق ولده إلى الجنة، وأما الشاب والطفل فيقدمان صوراً للبطولة والتضحية قلّ أن سجّل مثلها التاريخ، هذا شهر رمضان المجاهدين في فلسطين .. فأين أمة الإسلام تحول قراءتها للقرآن وشفاعة القرآنَ لها إلى وحدة، وعمل جهادي منظم. قال تعالى: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص} (الصف: ٤). وقال تعالى: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج: ٤٠).

نسأل الله أن يجعله صياماً مقبولاً وجهاداً مبروراً، وأن ينصرنا على القوم الظالمين.

الحج تربية وجهاد

المتدبر لحِكَم العبادات في الإسلام، يجد هذا القاسم المشترك بينها، وهو إعداد شخصية المسلم للتحرر من ضغوط الجسد، ووثنيات الهوى "والأنا"، والإقليمية، والعصبية، وتزكية قيم الإيمان الحق، والتوحيد الخالص بالفرار إلى الله، وإسلام الوجه لله رب العالمين. وإذا تدبرنا هذه الحكم بفرائض الصلاة والصوم والزكاة والحج، نجد أن الصلاة فرار إلى الله من شواغل النفس ومطالبها، فالمصلي بدخوله الصلاة بتكبيرة الإحرام دخل في مناجاة ربه ليحمد، ويثني عليه ويمجده ويعلن توحيده بالعبادة والاستعانة، ويتذوق حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي مولاه، راكعاً ساجداً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، والصائم بانقطاعه عن الطعام والشراب وشهوة الجسد نهار الصوم فرّ إلى الله وأعلن حريته من ضغوط الجسد، ليستقبل الفرحة والوعد الكريم ويرتقي في سلم الصديقين والأحباب، والمزكي ببذله ماله في سبيل الله، فرّ من سلطان المال ونزعة حبه وتملكه إلى رحاب الله، في إطعام الجائع، وكسوة العاري، وإدخال الفرحة في قلوب الفقراء، والمشاركة في الجهاد بالمال وبناء المجتمع الإسلامي ومؤسساته الخيرية. والحاج بإحرامه بالحج وخلعه ملابسه العادية وخروجه من بلده وإقليمه، فرّ إلى الله من وثنيات الإقليمية والعصبية واللغة، والمظهر الاجتماعي واللون، وانتظم في أمة الإسلام الواحدة ملبياً موحداً معلناً "لبيك اللهم بحجة حقّاً تعبداً ورقّاً" {قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣).

يقول بعض العلماء: إن الله سبحانه أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة بقوله: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات: ٥٦). فغاية الخلق العبادة، والثمرة التي يجب أن يعمل الإنسان على تحقيقها هي العبادة.

والله سبحانه غني عن عبادة خلقه لا تضره معصية، ولا تنفعه طاعة، وما كانت العبادة إلا لأجل تكميل الإنسان وارتقائه، وتحقيق معنى إنسانيته بانتصاره على سلطان غرائزه وشهواته وتحريره من الوثنية الظاهرة والخفية، وتمكينه من سلّم القرب والمناجاة وبركات الرحمة والمغفرة، وأنس العبد المحب لربه وسيده ومولاه.

ولنقف متدبرين لهذه الحكم في بعض أعمال الحج ومناسكه كما بيَّنها بعض العلماء الفضلاء.

مناسك الحج وحِكَمها:

١- الإحرام: أول ما يفعله الحاج، نية الحج خالصاً لله سبحانه، وكما يدخل المصلي بصلاته بتكبيرة

الإحرام يدخل الحاج في نسكه بالتلبية فيقول: لبيك اللهم بحجة، ويكون مفرداً، أو لبيك اللهم بعمرة متمتعاً بها إلى الحج فيكون متمتعاً، أو يقرن بين الحج والعمرة بإحرام واحد فيكون قارناً، والإحرام للحج أو للعمرة له شعاران: "شعار مرئي صامت وهو التجرد من المخيط المفصل على الجسم أو العضو، وعن مظاهر الترف الجسمي كالتزين بالطيب، وحلق الشعر أو قصه، وعن كل ما حرمه الله بقوله: {فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج} (البقرة: ١٩٧).

وشعار مسموع ناطق وهو "التلبية" وهي رفع الصوت بكلمات "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".

معنى هذا الشعار: والحاج يسجل على نفسه بهذا الشعار أنه في مكان السمع لأوامر الله يلبيها، وفي مكان المسارعة إلى إجابته الدائمة فيها، وأنه سبحانه، وهو صاحب الملك والنعمة، لا يحمد ولا يشكر ولا يجاب أحد سواه.

٢- طواف التحية: وإذا وصل الحاج إلى مكة قصد البيت الحرام وحيّا الله فيه بالطواف حول البيت سبعة أشواط وهو ما يعرف بطواف "التحية والقدوم".

والطواف حول البيت بسبعة أشواط يبدأ كل شوط بالحجر الأسود وينتهي عنده، والحجر الأسود هو البقية الباقية من أحجار الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام في مكانه تعييناً لمبدأ الطواف حتى لا يضطرب الطائفون بين المبدأ والمنتهى.

وهذا الحجر الأسود يحمل عبق التاريخ المجيد في توحيد الله تعالى والذكرى الحبيبة لجهاد أنبياء الله في المحافظة على معالم هذا الدين طاهرة محررة من الوثنية والأوثان، وهذا ما عبَّر عنه النبي ﷺ عندما قبّل الحجر الأسود، وفاضت عيناه بالدموع وقال: هنا تُسكب العبرات، وكأن النبي ﷺ بدموعه الشريفة يستذكر قصة خليل الرحمن إبراهيم وجهاده، في سبيل بناء هذا البيت وبأمر الله، ليكون مثابة للناس وأمناً، وما حلّ في البيت بعد ذلك من فعل الجاهلية وأصنامها، وكيف حرره النبي الكريم وحطّم الأصنام حوله وأعاده إلى سابق عهده، قبلة للمسلمين، وحصناً للتوحيد وعبادة الله وحده.

ما أشبه اليوم بالأمس: وكأني بدموع النبي الكريم ﷺ تفيض من جديد، وجيوش أعداء الإسلام ترابط في أرض الإسلام للعدوان عليها ونهب خيراتها.

٣- السعي بين الصفا والمروة: وبعد أداء طواف القدوم يخرج الحاج إلى الصفا ويسعى بينه وبين المروة سبعة أشواط يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة، والسعي بينهما مظهر من مظاهر الالتجاء والتردد بجانب بيت الله –بعد الطواف به – طلباً للمغفرة والرحمة، واستذكاراً لأم إسماعيل السيدة هاجر عليها

السلام وهي تطلب الماء والسقيا لها ولولدها إسماعيل، لا تيأس من السعي والتردد والدعاء، حتى أرسل الله لها الملك، وفجّر ماء زمزم بأمر الله، وكانت سبباً في عمارة هذه الأرض وخيراتها وبركاتها.

٤- التحلل من الإحرام: وللحاج بعد أن يتم سعيه بين الصفا والمروة أن يبقى محرماً حتى يخرج إلى عرفة، إذا أحرم مفرداً بالحج، وليس عليه هدي، وله أن يتحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير، وتكون الأعمال الماضية "الإحرام والطواف والسعي" عمرة له ثوابها وعليه في تلك الحالة أن يذبح "هدي التمتع" وذلك إذا أحرم بالعمرة متمتعاً بها إلى الحج، أما إذا كان بإحرامه قارناً بين الحج والعمرة فعليه أن يبقى محرماً حتى ينهي مناسك الحج، وعليه الهدي كالمتمتع.

٥- الوقوف بعرفة: من أعظم أعمال الحج وقفة عرفة، وطواف الإفاضة الذي يؤدى يوم العيد بعد رمي جمرة العقبة، وهما ركنان من أركان الحج من لم يؤدهما فلا حجّ له .. قال تعالى {وليطّوفوا بالبيت العتيق} (الحج: ٢٩)، وقال ﷺ: "الحج عرفة" والمقصود بوقفة عرفة الحضور في اليوم التاسع بعرفة من زوال الشمس إلى غروبها جامعاً بين الليل والنهار ويمتد وقت الوقوف إلى فجر اليوم العاشر من ذي الحجة.

والمقصود بالوقوف حضور عرفة مع التذكر والذكر، ولو قاعداً أو مضطجعاً.

والوقوف بعرفة يمثل ركن الحج الأعظم وهو موقف الضراعة الصادقة، والتجرد من الحول والقوة، والبعد عن المظاهر المادية؛ ترى على أرض عرفة يوم عرفة أمة الإسلام كيف استعادت في هذا اليوم وحدتها فالعرب هنا والعجم هنا، والبيض هنا والسود هنا والشقر هنا، هتافهم لبيك اللهم لبيك، فلا عصبية ولا إقليمية، وينتظرون الوعد الكريم "فيضوا عبادي مغفوراً لكم"، وترى بصورة عملية كيف يوحد الإسلام الأمم ويذيب الفوارق ويصنع المحبة والرحمة والسلام بين الشعوب.

٦- الوقوف بالمزدلفة: وإذا أتم الحاج الوقوف بعرفة، واتجه إلى المزدلفة وهي المذكورة بالقرآن باسم "المشعر الحرام"، ويصبح في منى في اليوم العاشر "يوم النحر" وفيه يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، وبعد رميها يحلق أو يقصر، ويذبح الهدي إن كان عليه ذبح، ويطوف طواف الإفاضة وهو ركن الحج كوقفة عرفة، من لم يؤده فلا حج له.

٧- رمي الجمار: يبدأ في اليوم العاشر برمي جمرة العقبة وفي اليوم الحادي عشر ثاني أيام عيد الأضحى يرمي الجمرات الثلاث الصغرى، فالوسطى، فالكبرى، كل جمرة سبع حصيات، ويبيت في منى، ويرمي الجمرات الثلاث في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ثالث أيام عيد الأضحى ويترك منى بعد اليوم الثاني عشر وهو اليوم الثالث من أيام العيد واليوم الثاني من أيام التشريق، وله أن يبقى إلى اليوم الثالث عشر لقوله تعالى: {فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى}

(البقرة: ٢٠٣)، ولا يجوز أن يترك منى في اليوم الحادي عشر وهو اليوم الثاني من أيام العيد والأول من أيام التشريق، وكثيرون يخطئون في ذلك.

ورمي الجمار رمز عملي يعلن به الحاج تصميمه على ترك نوازعه الشريرة، وتكرير الرمي تأكيد لهذا التصميم، وعلى المسلمين أن يغتنموا أيام منى، وأيام الحج للتشاور وتعميق معاني الوحدة، والتعاون على البر والتقوى برد كيد الأعداء الذين أعلنوا حربهم على الإسلام والمسلمين وعزموا على تقسيم الوطن الإسلامي من جديد وهدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه وتعيين "إسرائيل" حاكماً ومندوباً سامياً على الوطن العربي من محيطه إلى خليجه.

العدد (٢٤) كانون ثان / شباط ٢٠٠٣م

توجيهات القرآن العظيم في مواجهة عدوان الظالمين

لم يبق عذر لمعتذر ولا حجة لمتخلف. وهذه جيوش الكفر تتهيأ لتحقيق أهدافها التاريخية باحتلال أرض الخلافة الإسلامية في العراق، واحتلال الثقافة الإسلامية في بلاد المسلمين، وتقطيع الوطن الإسلامي على المقاس الإمريكي، ونهب خيراته، وتنصيب " إسرائيل " المغتصبة لفلسطين حاكماً عسكريّاً على الوطن الإسلامي كله، وهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل على أنقاضه.

وقد علّمنا ربنا في كتابه العظيم كيف نواجه هذا العدوان بالوقوف عند بعض التوجيهات القرآنية:

١- البيعة لله والاستبشار بهذه البيعة، وعقد العزم على الجهاد والمقاومة والاستبشار بنصر الله لقوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} (التوبة: ١١١).

٢- لا يأس ولا استسلام ، لقوله تعالى: {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} (يوسف: ٨٧)، {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم} (محمد: ٣٥)، {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} (آل عمران: ١٣٩-١٤٢). فالأمة الإسلامية في مرحلة التمحيص، والفرز، والتصفية، ليتميز المؤمنون بإيمانهم وصبرهم وجهادهم، ولينكشف المنافقون بجبنهم وسكوتهم، وحيادهم، أو مسارعتهم في خدمة أعداء الإسلام وتقديم العون والموانئ والمطارات والطعام والماء والحماية لهم، وكذلك تعبيد الطرق وتيسير المعلومات والخبرات للغزاة المحتلين.

٣- بيَّنت الآيات الكريمة أن مقاومة الغزاة والدفاع عن أرض الإسلام فريضة شرعية، وعقيدة إيمانية، بدلالة قوله تعالى: {ولا تهنوا} أي لا تضعفوا عن مقاومة أعداء الإسلام، {ولا تحزنوا} أي لا تتركوا للأحزان والمخاوف سبيلاً إلى قلوبكم، {وأنتم الأعلون} بشارة من الله بالنصر والغلبة، إن صدقتم الله إيمانكم وجهادكم {إن كنتم مؤمنين}. ولنستذكر تاريخ النبي ﷺ وأصحابه، وتاريخ هذه الأمة في المواجهة والاستعلاء على أسباب الضعف واليأس، ماذا حصل لو يئس النبي ﷺ في " أحد " أو في "

الخندق " أو في " حنين ؟!

إن المؤمنين هم الذين يحوّلون بجهادهم وصبرهم المحنة إلى منحة، والضرّاء إلى سرّاء، كما يفعل أهلنا اليوم في فلسطين، ويقدمون بجهادهم ، ومقاومتهم، وصبرهم ، دروس الكرامة لهذه الأمة فلا تكسر إرادتهم ولا يضعفون، ولا يذلّون، ولا يستكينون، بل يتركون عدوهم يترنح أمام ضرباتهم الإيمانية.

إن المجاهد القائد يحيى عياش الذي طوّر المقاومة باختراعاته الناسفة، وإن إخوانه الذين سلكوا طريقه وطوّروا أسلحة مقاومة الدبابات .. وغداً الطائرات بإذن الله، يلتحقون بأهل بدر وحنين والخندق، ويرفعون راية النبي الكريم كما رفعها أصحابه من بعد، وهم يهتفون :

"نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً".

٤- إن موالاة أعداء الإسلام وتقديم العون لهم لاحتلال أرض الإسلام، خيانة لله ورسوله وجماعة المؤمنين، وردة عن دين الله، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين } (المائدة: ٥١).

٥- وفي الآية التالية يبين الله نفاق من يسارعون في خدمة أعداء الإسلام بتقديم الموانئ والمطارات وتسهيل الطرق للغزاة، وتقديم العون لهم بقوله تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين } (المائدة: ٥٢).

٦- ويبين القرآن الكريم في الآيات التالية كيف تواجه الأمة ردة من والوا أعداء الإسلام وتحصّنوا بهم فقدّموا العون والخدمات للغزاة المحتلين فقال : {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون } (المائدة:٥٤-٥٦).

٧- ونستخلص من هذه الآيات التوجيهات التالية:

أ- الذين يواجهون الردة قوم يحبهم الله ويحبونه، تربوا في مدارس القرآن الكريم والسنة النبوية وتآخوا في الله وتحابوا به.

ب - أذلة على المؤمنين بتراحمهم وتعاطفهم يصدق فيهم قوله تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} (الفتح: ٢٩).

ج- أعزة على الكافرين بجهادهم ومقاومتهم.

د- لا يتركون فريضة الجهاد، ولا يعطّلونها، ولا يخافون لومة لائم، فالأحكام التي يضعها الظالمون للتعويق عن الجهاد، وحراسة أمن الأعداء لا تخيفهم ولا ترهبهم، والعقوبات التي يوقعها الظالمون بالدعاة إلى الجهاد أو بالمجاهدين لا تخيفهم {يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

هـ- ومن سلك طريق الجهاد، ولم يبال بالأنظمة الحارسة لأعداء الإسلام ولا عقوباتها، فقد ارتقى ونال الفضل الإلهي الواسع {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم}.

و- وربط الله في الآية التالية بين الصلاة والزكاة والركوع، والجهاد والولاء لله ورسوله والذين آمنوا الذين عرفوا كيف ينظمون صفوفهم، ويرتبون أمورهم، ويعدون العدة ليجعلوا أرض الإسلام مقبرة للغزاة المعتدين.قال تعالى : {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

إن حزب الله الذي يستحق النصر والغلبة هو الذي عرف كيف يجعل ولاءه لله ورسوله والذين آمنوا جهاداً ونصرة.

وما أجمل أن نختم هذه الكلمة بهذه الأبيات من الشعر نخاطب فيها أمة الإسلام:

وهمتكم سود الخطوب فجرّدوا ... سيف العزيمة للجهاد وشمّروا
قوموا ابعثوها في الجزيرة دعوة لله ... تقصف بالرعود وتنذر
خطر المصير أجلّ من تهديدهم ... بالناسفات كما ترون وأخطر
هم يملكون قنابلاً ذرية ... والله من تلك القنابل أكبر

العراق بين طريقين

رسم العدو الأمريكي اليهودي خطته لإبادة الإسلام والإنسان والحضارة والقيم والأخلاق في العراق وفلسطين والوطن الإسلامي كله.

ومنذ مطلع القرن العشرين بدأ بتحديد أهداف الحرب العالمية الأولى وهي :

١- تنازل الحكام الأتراك " أتاتورك " عن الإسلام ومن تبعهم من حكام العرب.

٢- تقطيع الوطن العربي والإسلامي إلى دويلات هزيلة.

٣- إقامة دولة الكيان اليهودي في فلسطين.

وأخذت هذه الأهداف تنتقل من خطوة إلى أخرى بإقامة ما يسمى بدولة إسرائيل (١٩٤٨ / ١٩٦٧) وإقامة انقلابات عسكرية تمتص غضب الشعوب وتخدعها، وإقامة أنظمة دكتاتورية استبدادية تشل حركة الشعوب وتصادر حريتها وكرامتها، وإبعاد الإسلام عن الحكم والتوجيه، والتنكيل بالعلماء والدعاة حتى لا يقوموا برسالتهم في إحياء الأمة وإعدادها للمقاومة والجهاد، ثم إشاعة التغريب والقيم المادية في المجتمعات الإسلامية وتسليم الحكم ووسائل التوجيه العام لوكلائهم في بلاد المسلمين.

وبعد ما يقارب من قرن على الحرب العالمية الأولى على دولة الخلافة أعلن بوش وتوني بلير ومعهما شارون ومن يسير في ركابهم من حكام العرب والمسلمين حملتهم الصليبية الصهيونية الجديدة على بلد الخلافة الإسلامية بعد أن استعصى عليه العراق أن يقدم له تنازلات وهي:

١- الاعتراف بالكيان اليهودي وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية معه.

٢- التخلي عن برامج التصنيع والتسلح وربط الاقتصاد والبترول بالصناعة، وطلبوا منه أن يكتفي بواردات البترول كبقية الدول النفطية ليبقى معتمداً على أمريكا والغرب اقتصاداً وسياسة.

واليوم وبعد احتلال بغداد وقيام القوات الغازية بحماية اللصوص والمخربين والعملاء لنهب وتدمير جامعات بغداد والموصل والمتاحف، وحماية وزارة البترول ومؤسساتها فحسب، بعد هذا ينكشف لكل ذي عينين أهداف هذه الحملة الصليبية اليهودية: تدمير الحضارة عقيدة ورسالة ونظاماً ووطناً ومقاومة .. ونهب آبار النفط، وتحويل الأمة العربية إلى هنود حمر يذوبون بحضارة المحتل وأخلاقه وثقافته، وتأمين إسرائيل إلى الأبد {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} (الأنفال: ٣٠).

... ولكن آمالهم وأهدافهم بدأت تنهار أمام وعي أبناء العراق المخلصين وهاهم يتوحدون تحت

راية الإسلام العظيم سنّة وشيعة، عرباً وأكراداً، ليطهروا بلدهم من الخونة العملاء الذين يظنون أن تحملهم الدبابات الأمريكية إلى سدة الحكم.

وها هي نار العراق تتأجج في فلسطين وفي الجزيرة والمغرب وبلاد الشام لتوحد الأمة من جديد لمقاومة الغزاة المحتلين.

وهذه المقاومة الإيمانية تعتمد على الأسس التالية:

١- الإيمان بالمبدأ والثبات عليه مهما عزّت التضحيات.

٢- لا يأس ولا استسلام {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} (يوسف: ٨٧)، والجهاد ماض إلى يوم القيامة.

٣- تعميق أواصر أخوة الأمة ووحدتها، فالأخوة الإسلامية التي ظللت مجتمع المؤمنين في المدينة المنورة وحرروا في ظلالها الجزيرة وشلّوا عرشي كسرى وقيصر، هي التي توحدنا من جديد عرباً وأكراداً وأتراكاً، وهي التي تطهر مجتمعنا من الأمراض القاتلة: فلسطيني، أردني، مصري، سوداني، سعودي، يمني، عراقي، كويتي. وهي التي توحد الأمة على اختلاف أطيافها لتحرير إرادتها وتقاوم أعدائها، فلنمسح هذه الجراح، ولنستقبل المرحلة الجديدة مستفيدين من أخطاء الماضي، والإسلام يجبّ ما قبله، والتوبة تمحو السيئة.

وللعلماء دور عظيم، وللمؤسسات الإعلامية والتوجيهية دورها في إحياء الأمة وتوحيدها وتوجيهها للمقاومة والجهاد.

إن أعداءنا يريدون منا أن نيأس ونستسلم لمخططاتهم، ونرضى بالدنيّة، فهل نحقق أهداف أعدائنا؟ وهو الكفر بعد الإيمان، والخسار العظيم في الدنيا والآخرة.

إن المرحلة القادمة هي الأصعب، وإن الحرب النفسية هي الأخطر، فالعدو يريد كسر إرادة الأمة لتستسلم، والله يقول: {لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} (آل عمران: ١٨٦).

فللجنة ثمن، وللنصر ثمن، ندفعه من أنفسنا، وشهدائنا، وجراحاتنا، وأموالنا.

وللحرب النفسية وهي الأذى الكثير.. خطرها، وبالصبر والتقوى نقاوم ولا نستسلم، وننتصر بإذن الله.

العدو يسعى لتفتيت مراكز المقاومة المتمثلة بعقيدة الأمة الجهادية، والإسلام المقاوم، وها هو يسعى لتغيير المناهج والكتب ليستبدل بها إسلاماً أمريكيّاً لا يدافع عن وطن ولا يدعو للجهاد، ولا يأمر بمعروف ولاينهى عن منكر، وتمزيق شعب فلسطين وتفتيته عن طريق شراء قيادات تمشي في أهدافه وتضرب

المقاومة، وعن طريق تمزيق المخيمات في الخارج وتذويبها لأنها قلاع مقاومة بشرية تمثل عناصر الإيمان والارتباط بالوطن، وهذا ما يسعى له العدو بحرمان أبناء فلسطين في الشتات من حقهم في العودة وتذويب مخيماتهم. وقد أحسن الشاعر هارون رشيد في وصف هذه المخيمات ودورها الجهادي فقال:

لماذا المخيم ؟
يظل السؤال يلح، ويُرْسَم
لماذا المخيم ؟
فمنذ البريج، وحتى شتيلا وصبرا، وحتى جنين المهدّم، يواجه هذا المخيم حرباً ضروساً ويُظلم !
لماذا المخيم؟!
يظل بأعتى السلاح المحرم يباح ويُرجَمْ
وكم فيه أم ترمّل، وكم فيه طفل تيتّم!
لأن المخيم ليلاً نهاراً بكل فلسطين ليشدو ويحلم،
لأن المخيم يعرف أن يبافا وحيفا وعكا، له وطن واحد لا يقسّم،
لأن المخيم يعلم أن النبي الكريم إلى القدس أسرى وصلى وسلم
لأن المخيم يولد فيه الصغار مع الثأر يكبر فيهم ويكرم
لأن المخيم رغم الأسى والعذاب، ورغم السلاح المحرم
تحدّى وكافح، قاتل، قاوم وأقدم
لأن المخيم مهما دجا ليله واستطال وأظلم
يرى الفجر آت، وآت مع الفجر نصر محتّم

حياة الأمة بدماء الشهداء

قال تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون} (آل عمران: ١٦٩).

وقال تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} (البقرة: ١٥٤).

على أرض فلسطين المباركة يكتب المجاهدون حياة الأمة، وفي كل قطرة دم من مجاهد إعلان ولادة حياة جديدة، وإن الإرادة العظيمة للأمة العظيمة لن تكسر مهما غلا الثمن، ومهما طغى شارون وبوش وجندهما لإذلال هذه الأمة وفرض هيمنتهم عليها، بالسعي الماكر لتجفيف ينابيع المقاومة الثقافية والمالية والجهادية، ولطمس معالم الهوية الإسلامية: عقيدة، وقيماً، وخلقاً، ونظاماً، وتشريعاً.

على أرض غزة الأبطال والشهداء، وعلى أرض القدس الشريف ونابلس وطولكرم وبيت حانون، وجنين والخليل، وكل أرض فلسطين يعلن شعب فلسطين المجاهد أنه لن يخدع بعد اليوم، وقد عرف خياره الوحيد: في قوله تعالى: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير} (الحج: ٣٩).

وفي قوله تعالى لنبيه ﷺ: {فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلا نفسك، وحرّض المؤمنين، عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا، والله أشدّ بأساً وأشد تنكيلاً}. (النساء: ٨٤).

والحُكم المستفاد من الآية أنّ كفّ بأس الكافرين لا يكون بالاستسلام لمخططاتهم، وإنما بإعلان النبي القائد للجهاد، ولو كان منفرداً، وتحريض الأمة وحشدها للمقاومة، اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ.

الربط بين الآيات:

وإذا تدبرنا الآيات السابقة لهذه الآية في سورة النساء وجدنا أنها تتحدث عن المنافقين "انظر الآيات (٧٣-٨٢) وعن ضعفاء الأمة الذين لا يعيشون همّها ولا يَعُون أخطار كيد أعدائهم فيذيعون الأسرار الحربية، ويتمكن العدو عن طريقهم من الوصول إلى أهدافه، قال تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} (النساء: ٨٢).

وهذا هو التعاون الأمني مع الأعداء الذي حرّمه القرآن. قال الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى لما أمر بالجهاد ورغّب فيه أشد الترغيب في الآيات المتقدمة، وذكر في المنافقين قلة رغبتهم في الجهاد، بل ذكر عنهم شدة سعيهم في تثبيط المؤمنين عن الجهاد عاد في هذه الآية إلى الأمر بالجهاد".

وقال السيد رشيد رضا نقلاً عن الإمام محمد عبده: "تقدّم أن الآيات السابقة في وصف أولئك

الضعفاء، ولما قال إن الرسول ليس حفيظاً عليهم وإنما هو مبلِّغ عن الله تعالى أيّد هذا وأوضحه بقوله: {فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلا نفسك وحرّض المؤمنين} أي إنك أنت المكلف أن تقاتل في سبيل الله، والرقيب على نفسك، فقم بما يجب عليك بالعمل، وحرّض المؤمنين على القتال معك لأن التحريض من التبليغ الذي منه الأمر والنهي {عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا} و(عسى) هنا تدل على الإعداد والتهيئة، لأن الترجّي الحقيقي مُحالٌ على العالم بكل شيء، القادر على كل شيء .. فهي بمعنى الخبر، والوعد، وخبره تعالى حق لأنه لا يخلف الميعادَ، والبأس القوة، وكان بأس الكافرين موجهاً إلى إذلال المؤمنين، وكسر شوكتهم، وتحطيم إرادتهم ليستسلموا، فأمر الله نبيه ألا يستسلم، ولا يضعف عن القتال، ولو قاتل وحده، حتى لا تيأس الأمة، وتستسلم، ويكون بثباته، وجهاده، ومقاومته، وتحريض المؤمنين على القتال، حياة الأمة، وكفّ بأس الذين كفروا".

أي: ولا يخيفنّكم أيها المؤمنون بأس هؤلاء الكافرين وشدتهم، فإن الله تعالى الذي وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر، أشدّ بأساً منهم، وأشدّ تنكيلاً لهم مما يحاولون أن ينكّلوا بكم، وإن سنة الله تعالى أن تكون العاقبة لأهل الحق إذا سلكوا طريق المقاومة والجهاد، واتقوا أسباب الخذلان والاستسلام فلا ينصرهم وهم قاعدون، أو لاهثون وراء مخططات الأعداء الخادعة التي زيّنت لهم ترك الجهاد، وسمّته إرهاباً وتطرفاً، وطلبت منهم التنكيل بالمجاهدين، بدل أن ينكّلوا بالأعداء المغتصبين لأرضهم، المشرّدين لشعبهم، المهوّدين لمقدساتهم.

معنى الفاء في قوله تعالى " فقاتل في سبيل الله ".

قال صاحب المنار: إنها جواب لشرط مقدّر، وهو: " إن أردت الفوز فقاتل" أو للتفريع بترتيب ما جاء بعدها على ماقبلها..

الربط بين قوله تعالى: {من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها} (النساء: ٨٥) وبين الآية السابقة {فقاتل في سبيل الله}: قال صاحب المنار: الشفع ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر، ناصراً له وسائلاً عنه، واتصال الآية بما قبلها من الآيات أن معنى قوله تعالى: {من يشفع شفاعة حسنة}: من يجعل نفسه شفعاً لك وقد أمرت بالقتال وتراً، وهي الشفاعة والحسنة لأنها نصر للحق وتأييد له، يكن له نصيب منها أي من شفاعته هذه بما يناله من الفوز والشرف والغنيمة في الدنيا، وبما يناله من الثواب في الآخرة.

{ومن يشفع شفاعة سيئة} (النساء: ٨٥) بأن ينضم إلى عدوك فيقاتل معه، أو يحرس أمن الأعداء، وينكّل بالمجاهدين، أو يقدّم المعلومات عن المجاهدين لأعدائهم، أو يخذّل المؤمنين عن قتال الأعداء، أو يعطّل فريضة الجهاد، ويمنع المؤمنين من نصرة المجاهدين، وهذه هي الشفاعة السيئة، ومثلها كل إعانة

على السيئات بتمرير المشروع الأمريكي لتغريب القيم والأخلاق والقوانين وتنفيذ إملاءات الأعداء بتغيير نظم التعليم، والقيم الثقافية، وتعديل المناهج الدينية وتحديث الحياة السياسية والاجتماعية، وتحرير المرأة على الطريقة الغربية، كل ذلك من الشفاعة السيئة، لصاحبها كفلٌ ونصيبٌ من العذاب مكفول عند الله تعالى.

الاستشراق والشفاعة السيئة:

إن عمل بوش بطرس الناسك الجديد في حملته على بغداد، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والعواصم الإسلامية، هو تحويل هدف الاستشراق النظري إلى هدف عملي تطالب بتنفيذه الأنظمة الحاكمة لإحكام السيطرة الأمريكية على بلاد المسلمين وإعادة صياغة المجتمعات الإسلامية على الطريقة الغربية الأمريكية، وممارسة السلطة عليها، ونهب خيراتها، واقتلاع جذور المقاومة: عقيدة، وكتاباً وسنة، وسيرة، لتكون المناهج الدراسية على المقاس الأمريكي، وخطباء المساجد على المقاس الأمريكي، والكُتّاب والصحفيون والإعلاميون، على المقاس نفسه، حتى ينشأ جيل جديد يبحث عن شهوته ومتعته، لا عن قدسه، ووطنه، وأمته، يسبّح في سيمفونية التغريب، بدل أن يُسَبّح لله القريب المجيب، يُحسن قراءة الآداب الغربية، ولا يحسن تلاوة سورة قرآنية، كل ذلك حتى لا يعود جيل نور الدين، وصلاح الدين من جديد.

وهنا نفقه قوله تعالى: {ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً} أي له نصيب من سوء عاقبتها وهو ما يناله من الخذلان في الدنيا والعقاب في الآخرة، {وكان الله على كل شيء مقيتاً}: أي مقتدراً أو حافظاً أو شاهداً.

الهوية والثقافة وحركة الوجود

مع بداية مرحلة الدعوة نبّهنا القرآن العظيم إلى أهداف الأعداء في طمس هوية الأمة وانتمائها فقال: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا} (البقرة: ٢١٧).

وفي سورة المائدة بعد أن حذرنا من موالاة أعداء الأمة بقوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (المائدة: ٥١). بيّن الله في الآية التالية دور المنافقين في ولاية الكافرين والمسارعة في اتباعهم في العادات والسلوك، وإرضائهم في تحقيق سياستهم وخدمة أهدافهم في بلاد المسلمين، فقال تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة} (المائدة: ٥٢)، فهم في موالاتهم السياسية والثقافية لأعداء الإسلام، يقدمون (الفواتير) للعدو، كسباً لرضائه وحفاظاً على مصالحهم.

وبعد هذه الآية بقليل يحذرنا ربنا من موالاة أعداء الإسلام الذين استهزؤوا بحضارتنا وثقافتنا وديننا. فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين. وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون} (المائدة: ٥٧-٥٨).

فهاتان الآيتان تبرزان استخفاف الأمريكان واليهود ومن والاهم بديننا وثقافتنا وحضارتنا وصلاتنا، وسعيهم لتحويل هذه الأمة إلى ثقافة الأعداء في الرقص والغناء، والمأكل والمشرب، وسائر عادات الحياة.

وقد حذّرنا رسول الله ﷺ من هذا التقليد لثقافة العدو وأخلاقه فقال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه) أو بمعنى الحديث.

ويبين القرآن الكريم أسلوب العدو في الخداع والتزوير لتمرير ثقافته وأهدافه فقال تعالى في المنافقين: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} (البقرة: ١١-١٢). وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم} (البقرة: ١٠٤). فاليهود يخاطبون النبي الكريم ويصفونه (بالرعونة) تحت ستار معنى آخر يحمله الفعل وهو: "المراعاة".

وكشف القرآن خداع أحبارهم الذين يخفون الحقيقة ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فقال:

{لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم} (آل عمران: ١٨٨).

ما أشبه يهود اليوم وأتباعهم وحاملي أختامهم، بيهود الأمس الذين يعملون على خداع الأمة وتزوير المصطلحات. فهدم القيم والأخلاق، واستباحة ما حرم الله، وتغريب المرأة والبيت والمجتمع، وإشاعة ثقافة الرومان، والغرب، وإحياء مدرجات الرومان على الطريقة الرومانية الغربية، وتغيير المناهج والكتب المدرسية باسم التطوير التربوي، لحذف الآيات المتعلقة بالجهاد، أو المقاومة، أو بني إسرائيل، وإبعاد التوجيه القرآني النبوي المتعلق بالدفاع عن الأمة والعقيدة والوطن، كل هذا يسمى في نظرهم ثقافة، وتطوراً، وما هو إلا هدم وخدمة لأهداف العدو الأمريكي اليهودي الذي أعلن أنه يريد أن يعلِّم أبناءنا الفرح على الطريقة الأمريكية، رقصاً، وغناءً، وعرياً، وإباحية، وتساهلاً في العلاقات بين الرجال والنساء.

لقد حذَّرنا القرآن الكريم أن يتحول الدين في قلوب أبنائه إلى لعب ولهو، بدل أن يكون طاعة وخضوعاً والتزاماً بأمر الله وأحكامه وتعظيماً لخالق السماوات والأرض، رب العالمين.

قال تعالى: {وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا} (الأنعام: ٧٠)، وقال تعالى في وصف المشركين: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية} (الأنفال: ٣٥)، أي صفيراً وألحاناً وتصفيقاً يتنافى مع حرمة تعظيم الله وعبادته. وذكر القرآن الكريم (الانسلاخ الثقافي) وحذرنا منه بقوله تعالى: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين} (الأعراف: ١٧٥).

وهو ما تطلبه الولايات المتحدة من الدول العربية والإسلامية في مجال التربية والتعليم وتغيير المناهج، وفي مجال قوانين الأسرة والمجتمع وتغريب المرأة والأسرة، وفي مجال الإعلام ونشر القيم الغربية وأخلاقها، وفي مجال الجامعات وتغريبها وتسهيل إقامة الجامعات الأجنبية في بلاد المسلمين لتقوم بدورها التدميري لشباب الأمة وقياداته الواعدة، وفي مجال تفريغ المساجد من الدعاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر حيث تعمل قوانين الوعظ لمصادرة حق الدعوة ومؤسسات المجتمع المدني، وفي مجال تشجيع السباحة المختلطة على ملاعب الوزارات وغيرها، وفي مجال صنع أصنام وتماثيل لأحسن مغنية أولأحسن راقصة لتحويل الشباب إلى العدمية والعبثية في الوقت الذي يعيش أهلنا في فلسطين والعراق معركة الوجود ويفرشون أرضهم بدماء الشهداء والمجاهدين.

وأخيراً، أين العلماء الذين حمّلهم الله مسؤولية الدفاع عن قلعة الإسلام وحصونه الثقافية والحضارية؟

أين العلماء الذين يبلِّغون رسالات الله ولا تأخذهم في الله لومة لائم ؟

أين الوعاظ والأئمة والخطباء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويصبرون على ما أصابهم؟

أين الأئمة الذين يدافعون عن حرمة بيوت الله حتى لا تُحوَّل إلى خطب مكرورة لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر ولا تتحدث عن جراح الأمة وهمومها؟

لقد ذكر الله بني إسرائيل والمشركين وتخريبهم للمساجد بقوله: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها} (البقرة: ١١٤).

وذكر تقصير علماء بني إسرائيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف أفضى إلى هلاكهم فقال: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون} (المائدة: ٦٣). وقال فيمن آثروا رتبهم ورواتبهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود: ١١٦-١١٧).

ومعنى: {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه} أي اتبع علماؤهم ما أترفوا فيه من رتب ورواتب، وآثروها على تبليغ كلمة الله والنهي عن المنكرات، فهلكوا، وأهلكوا الأمة معهم، وكانوا مجرمين..

معذرة يا شهر القرآن العظيم

يوافينا شهر الصيام، والعدو الصليبي يحتل أرض الخلافة الإسلامية في العراق، وينشر قواعده العسكرية في بلاد الإسلام، ويعتدي على عاصمة الخلافة في دمشق، ويمعن العدو الصهيوني قتلاً وتعذيباً وهدماً للبيوت، وجرفاً للأرض ومصادرة لها، وحرقاً للأشجار، وتنكيلاً بالشعب في فلسطين المحتلة وقدسها ومدنها وقراها، وهذا، يدعونا لنبدأ مع هذا الشهر العظيم عهداً جديداً مع الله، نحيى فيه حكمة الصوم بالتجرد لله، والزهد في الدنيا، وإعلان الجهاد الحق بكل صوره وأنواعه: جهاداً بالنفس، والمال، وجهاداً بالكلمة، وجهاداً بالصبر والمصابرة حتى ينهزم أعداء الله. لقد بدأت معركة القرآن، وها هو عدو الله ورسوله يطالب حكام العرب بالتوقف عن طباعة المصحف الشريف، وتغيير المناهج والكتب المدرسية، وحذف مباحث الجهاد والدعوة والآيات المتعلقة باليهود وعقيدة الولاء والبراء.

كما بدأ بإصدار تعليماته لتغيير القوانين المتعلقة بالأسرة وقيمها الإسلامية لهدم حصوننا من الداخل، وفرض التغريب والتهويد. فصرنا في بلاد الإسلام بين " كرزايات" حكاماً تُملى عليهم إرادة المستعمر، وبين "كرزونات" يشغلن الأمة بالأغنية والرقص على أشلاء شهدائنا في فلسطين والعراق، وما أصدق قول الشاعر:

معاول إسرائيل في الحرم القدسي ... وأهل الحمى لاهون في الرقص و" الدَّنْس "
نجـدّد أحـفـالاً ونحيي لياليا ... على مـأتم الأمـجـاد تُنحر في القدس
فماذا على الأقصى يُعرّى ويُستبى ... إذا كنتُ أكسى من حرير ومن ورس
وماذا على الأنفاق تهدم "أسّه" ... وقصري منيف يجتلي طلعة الشمس
وماذا على صوت المؤذن معولاً ... وتُشدى له الألحان في حانة الرّجس

يأتي شهر الجهاد والانتصارات في بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، ليهتف بنا: أين الرجال الذين ينصرون الله ورسوله، كما نصر أهل بدر وفتح مكة وعين جالوت دين الله.

ويأتي صوت الشعب المجاهد في العراق وصوت الشعب المجاهد في فلسطين "لبيك، لبيك ربنا، حيّ على الجهاد، حيّ على الجهاد" وينطلق المجاهدون في العراق وفلسطين، ليصنعوا كل يوم بطولات، عجزت عنها الجيوش المزودة بالطائرات والصواريخ !!

لقد صدئت أسحلة جيوش وحكام مع الجبن والتبعية لسيد البيت الأبيض وقد جنّدوهم حماة لأمن أمريكا وإسرائيل.

ولكن قلوب المجاهدين ما صدئت، وأسلحتهم ما سكتت، فرغم الإمكانات القليلة، ولكن النتائج عظيمة، فها هو المحتل الأمريكي يحمل كل يوم عدداً من جنوده "بالتوابيت"، وها هو المحتل الصهيوني يفقد مئات الألوف بالهجرة المعاكسة من أرض فلسطين، وها هم يعيشون أسوأ أيامهم رعباً وهلعاً، لقد خدعوا شعب فلسطين منذ مطلع القرن الماضي عن طريق حكام العرب فأطفئوا ثورة الـ ٣٦، وخدعونا بحرب ٤٨ وسلّموا بقية البلاد عام ٦٧، ثم بعد أن احتلوا الأرض بقي أن يحتلوا الشعب بالاستسلام ومعاهداته ليتنازلوا عن أرض فلسطين في كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة.

ولكن شعب فلسطين بقياداته القرآنية الإيمانية المجاهدة لن يخدع بعد اليوم، فأرض فلسطين وقف مقدس امتداد لساحات المسجد الأقصى المبارك ليست ملكاً لحاكم ولا لمنظمة ومن تنازل عن شبر منها فقد شرعيته وحكم على نفسه بالهلاك، وها نحن في شهر رمضان نتنسّم عطر الأبطال الشهداء إسماعيل أبوشنب، وهنادي جرادات، و الذين سبقوهما، ولحقوا بهما، ونقسم أن نسير على طريقهم حتى تتحرر فلسطين من نهرها إلى بحرها، وصدق الله العظيم: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً} (الأحزاب: ٢٣).

أيها المسلمون:

إذا اجتمعتم في شهر رمضان العظيم مع أسركم وأولادكم وأهليكم فاذكروا أن المسلمين في فلسطين والعراق قد يجتمعون على موعد الإفطار، ولا يجد الأب الطعام لأولاده وقد تفتقد الأم ابنها الشهيد، وزوجها الشهيد، وأخاها الشهيد .. ليغمسوا خبزهم بدموعهم وحسراتهم.

إن هذا الشعب المجاهد العظيم في فلسطين والعراق، الذي يعيش معركة القرآن العظيم ليدعونا لوصل رحم الإسلام والقرآن، بأن نقدم له ما نستطيع من مال وعون، واعلموا أن الدينار الذي يرسل لأهلنا في فلسطين والعراق دينار مجاهد، يضاعف الله ثوابه إلى سبعمائة ضعف، والمائة إلى سبعين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء.

قال تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم. يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم} (الحديد: ١١-١٢). وقال تعالى: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} (البقرة: ٢٦١).

أيها المسلمون:

إن بوش وشارون وأتباعهما، قد أعدوا العدة، وأعلنوا أهدافهم، يريدون أن يغيّروا دينكم، وقرآنكم،

وحضارتكم، ويهوّدوا قدسكم ومسرى نبيكم وأوطانكم، ويحوّلوا هذه الأمة إلى عبيد من النيل إلى الفرات ومن المحيط إلى الخليج تحت نجمة إسرائيل وعلم أمريكا.

وليس لنا والله طريق إلى الجنة إلا بالعزم على الجهاد والمقاومة. قال ﷺ " من لم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق".

وقد علّمنا ربنا في كتابه العظيم كيف ندفع عنا عذاب الدنيا والآخرة بقوله : {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (الصف: ١٠-١١). أي الجهاد خير لكم من الأموال والأنفس. وقال ﷺ : " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات ربه، لا يفتر من صلاة ولاصيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله".

وقال ﷺ : " إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة وجبت له الجنة". وفي حديث آخر: " ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسّه النار". وفي حديث آخر: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها".

الحج ...
والأخطار المحدقة بالإسلام وأهله

يوافينا موسم فريضة الحج هذا العام والأخطار محدقة بالإسلام وأهله وأوطانه، والمقاومة الإيمانية الجهادية تزداد قوة، وعمقاً، وخلوصاً من الشوائب والأكدار، لنجد في هذه الفريضة العظيمة، وأرض الحج المقدسة، والبيت الحرام وسيرة النبي القائد صلى الله عليه وسلم ومنهجه الحركي في تحرير البيت الحرام من الشرك وزعمائه، وتحرير أرض الجزيرة وما حولها من الأنظمة الجاهلية وصدّها عن سبيل الله ما يضعنا أمام النقاط التالية:

أولاً: المخاطر والتحديات

علينا أن نزداد تبصراً بالمخاطر المحيطة وكيف نقاومها، فقد كشف العدو الصليبي عن أهدافه باحتلال أرض الإسلام ونهب خيراتها، واحتلال المدارس والمعاهد والجامعات منهاجاً وكتاباً وثقافة وفكراً، واحتلال المجتمع الإسلامي عن طريق تغريب المرأة وقوانين الأسرة وإعطاء النساء المستغربات مراكز قيادية وسياسية للقيام بمهام التغريب والأمركة بقوة الحكم وتحت مظلات خادعة من تحرير المرأة، وحقوق الإنسان.

معركة الرموز:

في مطلع القرن العشرين طلبت الدول الصليبية التي قضت على دولة الخلافة من حليفها (أتاتورك) أن يتنازل عن الإسلام، ويعبر عن تنازله بعلمنة تركيا وإلغاء الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية في القانون والمدرسة والمرأة والمجتمع، وطلب أتاتورك من علماء الإسلام أن يخلعوا العمامة ويلبسوا القبّعة الإفرنجية ومن عصى أمره حكم بإعدامه، وواجه علماء تركيا الفتنة بشجاعة وإيمان وعلّقهم الطاغية على أعواد الشجر شهداء في سبيل الله، ولكن دماءهم الزكية بقيت فوّارة تضرّم روح المقاومة والجهاد.

وكذلك طلب من النساء خلع الحجاب الشرعي لأنه رمز للعفة ومقاومة الإباحية التي تدعو إليها الحضارة المادية الغربية، ولكن المرأة المسلمة في تركيا قاومت ولا تزال ثابتة في معركة القرآن العظيم.

شيراك وحربه الصليبية الجديدة:

ويسعى شيراك لإتمام مهمة بوش بإعلان حربه على الإسلام أرضاً ووطناً وثروات ومقدسات وإتمام

مهمة آبائه وأجداده باحتلال أرض الإسلام في المغرب العربي الكبير وسورية ولبنان، ليعلن عدوانه على الإسلام وأحكامه في العفة والحجاب الساتر لزينة المرأة ومنع المسلمات الفرنسيات من حقهن في التعلم والتعليم في مدارس فرنسا وجامعاتها.

ومن التوافق العجيب أن يلتقي قانون شيراك هذا مع مطلب الطاغية (أدونيس) الذي يسمونه شاعراً واستضافته لجنة مهرجان جرش في الأردن لينفث سمومه على أرضنا، وكان هذا الطاغية أدونيس قد كتب مقالاً في صحف فرنسا يدعو فيه لنزع الحجاب عن رؤوس المسلمات.

ومن العجائب المخزيات أن يسكت حماة حصون الإسلام في الأزهر الشريف وغيره من بلاد الإسلام عن هذه الفتنة التي يتعرض لها المسلمون في فرنسا في دينهم وأحكام قرآنهم وأن يقرّ بعض رموز الأزهر هذا المنكر وأن يصدروا فتاوى تدل على جهل أصحابها بأحكام القرآن التي تدعو المسلمين لأن يكون بعضهم أولياء بعض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحمايتهم من أن يفتنوا في دينهم.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس محدوداً ولا مقيّداً بأرض أو شعب، والله يقول في كتابه: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} (التوبة: ٧١).

والمسلم مأمور بالجهاد بالكلمة والمال والسلاح لمنع الظلم ومقاومة الفتنة أن تقع على إخوانه في مشارق الأرض ومغاربها. قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} (الأنفال: ٣٩).

وحكام العرب والمسلمين جميعاً مطالبون بالدفاع عن دين الإسلام وشريعة القرآن، وعليهم أن يتعاونوا بإظهار احتجاجهم واستيائهم من قانون شيراك وأن يبذلوا جهدهم لمنعه لأن من أول وظائف الحاكم المسلم الدفاع عن دين الإسلام وأرض الإسلام.

ومن أعظم هذه الأخطار حرب الإبادة التي يشنها شارون بدعم من بوش لإبادة شعب فلسطين، والقضاء على المقاومة المجاهدة، وكسر إرادة هذا الشعب العظيم ليستسلم، ويترك وطنه، ويتخلى المهاجرون عن حقهم في العودة إلى ديارهم التي أخرجوا منها ظلماً وعدواناً، وليستمر في بناء الجدار العنصري الظالم الذي يفتت أرض فلسطين وشعب فلسطين ويحرمه من أسباب حياته ليضطره لهجرة الأرض من جديد، وليهدم بعدها المسجد الأقصى المبارك ويبني الهيكل المزعوم على أنقاضه.

أين القادة، وأين الشعوب من هذه التحديات ودفع الأخطار؟ أما القادة الحكام فمشغولون بتنفيذ الأوامر والتعليمات بإحكام القبضة على رقاب شعوبهم حتى لا تتنفس تنفيسة جهاد أو مقاومة، وقوانين مقاومة الإرهاب ومحاكمها تكفل ذلك..

وأما القادة العلماء فمحاصرون ممنوعون من تبليغ كلمة الله والدعوة إلى المقاومة والجهاد وتحصين الأمة من هذه الأخطار، وقوانين الوعظ والإرشاد والإعلام تكفل ذلك، وأما الإعلام والصحافة

فيصدق فيها قول الشاعر:

وصحـــافة صفر الضمير كأنها سلع تبـــاع وتشترى وتعار
ومبصبصين على مواطئ أرجل يُومَى لهم بكعوبها ويشار

ثانياً: كيف نقاوم؟

إن شدة الظلام وعظم المخاطر تزيد المؤمن إيماناً وثقة بوعد الله، فهذه المخاطر حدثنا عنها رسول الله ﷺ قبل فتح هذه البلاد، فقال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فتقتلوهم أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه.

وهـذا يدعونا لنكون في خندق رسول الله ﷺ، ونحوّل الأردن وبلاد الشام إلى أرض حشد وجهاد ومقاومة. فللأسرة دورها في تربية الأبناء على العزة والكرامة والمقاومة والدفاع عن الأوطان وتحريرها.

وللمدرسة والمسجد والإعلام والقوانين التي تحكم هذه المؤسسات دورها كذلك. ووعي الأمة الإيماني والجهادي هو الذي يعطي العلماء ورجال الدعوة قوتهم ودعمهم، لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص} (الصف: ٢-٤).

فالعلماء ورجال الدعوة يبلغون كلمة الله، والأمة مدعوة معهم للعمل والتعاون للوقوف في وجه هذه الأخطار.

إن الحركات الجهادية في فلسطين ما كانت لتعطي ثمراتها المباركة لولا تعاون شعب فلسطين في الأرض المباركة.

وإن المقاومة الإيمانية في العراق تستمر وتزداد قوة بوعي الأمة وإيمانها واستشعارها لعزتها وكرامتها برفض المحتل.

وإن فريضة الحج هذا العام مضمخة بدماء الشهداء تصل ذكريات أهل بدر وأحد والخندق وفتح مكة وحنين وتحرير أرض الاسلام من يهود بني قينقاع والنضير وقريظة وخيبر، تصلهم بالمعنى العظيم الذي يقوم عليه الحج وهو الوحدة والتحرر من العصبية والأنانية، والبذل والنفقة والأضحية والجهاد ورجم الشيطان وأولياء الشيطان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من تمزيق الحجاب إلى تمزيق الكتاب
" ردَّة ولا أبا بكر لها "

" بطرس الناسك " يعود من جديد يطالب قادة العرب والمسلمين برسم هوية جديدة للأجيال القادمة تنتزع ولاءها لإسلامها وأوطانها ومقدساتها وتجرد الإسلام من ثوابته وأصوله. ويشاء الله أن يفضح رمزاً من كبار شيوخ الأزهر بخضوعه لمطلب وزير الداخلية الفرنسي ووزير الخارجية ليفتي بأن فتنة المسلمات في دينهن ونزع الحجاب عن رؤوسهن أمر جائز لا حرج فيه في ظل الحكومة الفرنسية العلمانية، وينسى شيخ الأزهر أن الحجاب فريضة شرعية كالصلاة والصوم، وأن فتنة المسلمة في أمر دينها من أعظم الآثام، وأن رسالة العالِم المسلم أن يكون حصن الدين وحاميه فكيف إذا أُتي الحصن من قبله !

وتمزيق الحجاب الهوية في فرنسا خطوة لتمزيق الوجود الإسلامي وثوابته الحضارية حتى يذوب ويضمحل في المجتمع الفرنسي الغربي، وحتى لا يعود الإسلام في فرنسا والمسلمون مؤثرين ومشاركين في قرار.

وننتقل من تمزيق الحجاب إلى تمزيق الكتاب بطريقة ماكرة خادعة تسعى لانتزاع الأجيال المسلمة وسلخها من عقيدتها وولائها لإسلامها وقرآنها وحضارتها وأوطانها، وفي ظل هذا الهدف الصليبي الأمريكي الصهيوني نفهم ما يجري في السر والعلن في المؤسسات التربوية في البلاد العربية والإسلامية من تغيير وتعديل في المناهج وعزل للموجهين الإسلاميين وإبعادهم وذلك لتشكيل أبناء المسلمين في المدارس والمعاهد والجامعات تشكيلاً جديداً يرضي " بطرس الناسك الجديد" ويقتل في أبناء المسلمين خصائصهم الإسلامية والعربية تحت شعار خادع كاذب " محاربة الإرهاب " والإرهاب في مفهومهم هو الإسلام الحي الفاعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطبق الإسلام تطبيقاً شاملاً ويفهمه فهماً شاملاً عقيدة وشريعة ونظام حياة.

وبعد،

فماذا يجري في المؤسسات التعليمية لتحقيق أهداف المستعمر الجديد؟

١- في مجال اللغة العربية التي هي من أعظم أصول الهوية ومقوماتها، جرى تعديل لتنقيص عدد حصص اللغة العربية من اثنتي عشرة حصة إلى ثلاث حصص في بعض البلاد العربية، وصدرت قرارات

بمزاحمة اللغة الإنجليزية للغة العربية في الصفوف الابتدائية الأولى خلافاً لما يقرره علماء التربية والنفس أن اللغة القومية لا يجوز أن تزاحمها لغة أخرى في الصفوف الأولى التي تتشكل بها لغة الطالب وتتجذّر مهاراته اللغوية.

٢- في مجال التاريخ: تشويه التاريخ وتفريغه من جذور الانتماء ومن القضية الفلسطينية وإحلال ثقافة السلام مع من اغتصبوا الأرض وشردوا الشعب، وتفريغ منهج السيرة من غزوات النبي ﷺ ليهود، وتشويه تاريخ الأمة في مواجهة الصليبيين، وتصوير صلاح الدين الأيوبي - محرر القدس - تصويراً مشوّهاً في بعض البلاد العربية الأخرى.

٣- في مجال التربية الإسلامية: حذف الآيات المتعلقة بالجهاد والمقاومة والدفاع عن الوطن أو المتعلقة ببني إسرائيل، وحذف التعريف بالشخصيات الإسلامية المجاهدة كالإمام ابن تيمية والإمام العز بن عبدالسلام رحمهما الله تعالى.

٤- في مجال القوانين: السعي لإدخال تعديلات على قوانين الأحوال الشخصية لهدم مقومات الأسرة المسلمة وإخراج الفتاة من ولاية والدها أو وليّها أو زوجها وتيسير أمور الطلاق والمخالعة على الطريقة الغربية تحت شعار تحرير المرأة الخادع وتيسير الزنى والخيانة الزوجية تحت شعار تعديل قوانين جرائم الشرف.

٥- في مجال التوجيه العام والإعلام: تشويه برامج الأطفال يقتل في الطفل خصائصه الإيمانية والإسلامية ويعرض المَشاهد والصور الخارجة عن الأدب .. ومنها صورة الفتاة مكشوفة البطن، ظاهرة الفتنة، إلى غير ذلك من التوجيه المسموم الفاسد. وتقديم الأغاني القاتلة المفعمة بسموم الجنس والإباحية لإشغال الشباب عن قدسهم ومقدساتهم وأوطانهم.

٦- في مجال ترخيص دور اللهو "والتدليك" التي سمح بها لنساء داعيات للفتنة بتدليك الشباب وإغرائهم وإيقاعهم في جريمة الزنى، وتيسير أمر الغواية والفساد.

٧- في مجال إعداد الأمة: إلغاء خدمة العلم، وتعطيل فريضة الجهاد، وتسمية كل من يجاهد أو يعزم على الجهاد إرهابيّاً، وذلك لحراسة أمن الكيان الصهيوني.

وبعد هذا أقول:

إن مخطط بوش وشارون وعملائهما معروف، وإن الأمة قد كشفتهم، وإن هؤلاء وهؤلاء يعجّلون بنهايتهم وفقاً للسنة الإلهية بإهلاك الظالمين.

قال تعالى: {فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين} (الأنعام: ٤٤-٤٥).

إن أعداء هذا الدين وعملاءهم لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون} (الصف: ٨).

ولا يزيدنا فسادهم وإفسادهم إلا تمسكاً واعتصاماً بحبل الله، والمستقبل لهذا الدين {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} (الشعراء: ٢٢٧).

إن الهزة التي ضربت المنطقة قبل مدة قصيرة هي جرس إنذار لهذه الأمة حكاماً وشعوباً أن تصحو وتتوب وتعود لدين الله قبل أن ينزل بها بلاء أعظم وفقاً لسنة الله تبارك وتعالى في إهلاك الظالمين.

قال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (أي مخاوفهما) تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون} (الأنعام: ٦٣-٦٥) .

من مخيم جنين إلى الفلوجة
القائد الرباني والمقاومة الإيمانية

رحمة بدماء الشعب العراقي التي سقى بها أرض الأردن وفلسطين ممتدة من بغداد إلى المفرق إلى جنين ، والتي امتزجت بقلوب الأوفياء ، وأثمرت هذه الوحدة الإيمانية من جهاد الشعبين ، وهي تنظر إلى العقوق، والخوف، يلفّان الكثيرين في هذه الأيام الذين لا يملكون الحركة والنصرة ، وينتظرون مائدة من السماء أو نصراً دون تقديم الأسباب.

لقد عرف القائد الرباني في فلسطين الطريق وكيف ينقذ الأمة من التيه، وأدرك أن المقاومة هي السبيل الوحيد للتحرير، فبدأ بإعداد الشباب المؤمن تحت راية الإسلام والجهاد، مهتدياً بالنبي القائد ﷺ الذي أمره الله بالمقاومة والجهاد، وأن يبدأ بنفسه، ثم يحرض المؤمنين على القتال: وخاطبه بقوله: {فقاتل في سبيل الله، لا تُكَلَّف إلا نفسك (أي أعلن أول خطوات المقاومة والجهاد، وابدأ بنفسك) وحرّض المؤمنين، عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا ، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلا}. (النساء : ٨٤). فبيَّنت الآية أن كفّ بأس الذين كفروا ، وتحرير الأرض من ظلمهم وطغيانهم ، لا يتم إلا من خلال قائد يعلن الجهاد والمقاومة ، ومؤمنين يلتفون حول هذا القائد ويضمّون جهادهم إلى جهاده ، ويلتحمون في صفّه، ويصدقون في نصرته ، وهذه هي الشفاعة الحسنة التي ذكرها الله في الآية التالية: {من يشفع شفاعة حسنة (أي من يضمّ نصرته وجهاده إلى رسول الله ﷺ) يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة (أي من يخذل رسول الله ﷺ ، أو يخذل المقاومة والجهاد والمجاهدين ، ويتعاون مع الظالمين ، أو يخذل المجاهدين) يكن له كفل منها ، وكان الله على كل شيء مقيتاً} (النساء : ٨٥).

مقاومة أسباب اليأس

وكان إيمان هذا القائد وثقته بربه أعظم من كل أسباب اليأس ، والاستسلام ، واستطاع أن يبدأ المقاومة بالحجر ، ثم بالسكين ، ثم " بالمولوتوف " ثم بالاستشهاديين الذين حوّلوا فلسطين من نهرها إلى بحرها ناراً وخوفاً على المحتلين الغاصبين ، وفتحت باب الهجرة اليهودية إلى الخارج ، وضربت اقتصاد العدو وسياحته .

وكانت المقاومة الإيمانية الباسلة لمخيم جنين، ومخيمات غزة ، وبلاطة، والشجاعية، وغيرها، التي حوَّلت جنود الاحتلال وقادة إسرائيل إلى وحوش كاسرة، تضرب بطائرات (F١٦) وتهدم البيوت

على الرجال والنساء والأطفال ، وكان الشهداء بالمئات ، ولكن دماءهم تحولت إلى نهر عظيم يتطهر به المؤمنون الصادقون من شباب الإسلام من الخوف واليأس، ليسيروا على طريق المقاومة والجهاد ، وهم يهتفون في وجه الطغاة المحتلين:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وحسب شارون أنه حين يقتل أحمد ياسين وعبدالعزيز الرنتيسي ، يضعف المقاومة ، وإذا بأحمد ياسين -شهيد الفجر- وعبدالعزيز الرنتيسي — أسد فلسطين -، ينتفضان من جديد، ليتحولا إلى رمزين للمقاومة والاستشهاد والجهاد، ولتكون صورهما مرفوعة مع أعلام المجاهدين من فلسطين إلى العراق إلى أفغانستان إلى باكستان إلى الشيشان ... وفي بلدة الفلوجة المجاهدة ، التي قصفتها طائرات بوش وحلفاء بوش، كما فعلت طائرات شارون في جنين وغزة وفلسطين ، وهدمت البيوت على الأطفال والنساء والشيوخ ، وكشفت عن " الديمقراطية " والإنسانية " الأمريكية المزيفة التي تقتل الطفل في حضن والدته وقامت بمذابحها الجماعية.

الصحوة المباركة

إن أخطر ما يهدد الاحتلال الأمريكي للعراق ، والاحتلال اليهودي لفلسطين هذه الصحوة الجهادية، بعد أن استسلم الكثيرون، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا حرّاساً لأعدائهم ، وجعلوا دولهم قواعد ، وطرقاً، وممرات لأعداء هذا الدين ، وإن نهر الدماء المقدسة الممتد من جنين إلى الفلوجة إلى بغداد ، إلى النجف وكربلاء ، إلى كركوك ، وسامراء ، وأربيل ، ليجدد للأمة قيادة ربانية مقتدية برسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقاً جديداً يمضي على خطوات النبي الكريم وأصحابه ، بعد أن هوت الشعارات الخادعة ، ولم يبق إلا الإسلام وحده ، في معركة الأرض والأوطان ، في معركة الهوية والقرآن .

ويحاول العدو بمكره أن يصل إلى الأهداف التالية :

١- التشكيك بقدرة الأمة على المقاومة والجهاد عن طريق الإعلام الفاجر والعملاء.

٢- تيئيس الشعوب العربية عن طريق تصوير عجز حكامها ، وأنهم لا يقدرون على اجتماع يوحدهم لمواجهة أخطر التحديات التي تحيط بالإسلام ، والأوطان ، والشعوب والمقدسات.

ولا يعلم هؤلاء المحتلون أن ارتباط الشعوب المسلمة بالله أعظم، ووفاءها لدينها أقوى، وأنهم سيعجّلون بانتقال مسؤولية المقاومة للدفاع عن الدين في الأوطان للشعوب بعد أن تخلى عنها هؤلاء !

٣- محاولة زرع أسباب الفتنة والفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وبين أبناء الأقطار المتجاورة، ولا يعلم هؤلاء أن الوحدة عقيدة في ديننا، وأن محاولاتهم ستتحطم على صخرة الإيمان والوعي بإذن الله تعالى.

٤- محاولة تجفيف ينابيع المقاومة الإيمانية والثقافية عن طريق التحكم بثقافة الطلاب في مدارسهم، وتغيير الكتب المدرسية، والتحكم بخطب الجمعة، وإبعادها عن هموم الأمة وجراحها، وهنا تبرز مسؤولية العلماء ورجال الفكر ومؤسسات المجتمع المدني، للقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- وضع الدساتير والقوانين أو تعديلها ، بما يخدم أهداف المحتل، فالدستور العراقي الجديد -مثلاً- يقطّع العراق تقطيعاً طائفيّاً يخدم أهداف المستعمر ، ولا تجد فيه كلمة " عرب أو عروبة " إمعاناً في التقطيع ، وأصرّ الحاكم المدني على إبعاد الإسلام أن يكون مصدر التشريع أو المصدر الأول للتشريع ، وما فعله " بريمر " في العراق ، يفعله كثيرون من العرب في تونس وفي غيرها من البلاد العربية بتغيير قوانين " الأسرة والأحوال الشخصية " بما يخدم التغريب، والانسلاخ من الهوية ، والاجتراء على أحكام القرآن القطعية .

٦- نهب بترول العراق وتحويله إلى مصانع أمريكا بأثمان رمزية وهمية ، والإعداد لإقامة أكبر سفارة لأمريكا في الشرق الأوسط ، في العراق ، والإعداد لإلغاء الجامعة العربية ، بعد إظهار عجزها أمام الشعوب، وعدم قدرتها على عقد مؤتمر قمة في مواجهة أخطر التحديات، كخطوة على الطريق لإقامة " مؤتمر الشرق الأوسط الكبير " الذي يصبح فيه الكيان الصهيوني المحتل لأرضنا وشعبنا في فلسطين، العضو الأقوى في هذا المؤتمر .. وليحقق حلم اليهود : " من النيل إلى الفرات ملكك يا إسرائيل" . وهنا نفهم ما وراء لقاء شارون وبوش وتقديم وعد بلفور جديد لليهود لاحتلال بقية فلسطين وهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم.

٧- تسريع عجلة التطبيع العلمي والثقافي والاقتصادي وغيره مع العدو الذي يطحن رؤوس أهلنا ويهدم بيوتهم ويجرف أشجارهم ويمعن فيهم تعذيباً وتجويعاً وتنكيلاً. فلا قرّت أعين الجبناء.

٨- الإبادة الجماعية لشعب العراق: سبعمئة شهيد في الفلوجة، وآلاف الجرحى من الأطفال، والنساء والشيوخ والرجال ، في مدينة المساجد ، ومن مدينة المساجد، ومع نداء " الله أكبر " يستقبلون الأبطال المجاهدين ، ويودعون الشهداء الصالحين، ويرددون كلمة خالد بن الوليد رضي الله عنه في وجه القائد الفارسي : " جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة "، ويتلون قول الله تعالى : { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين } ويردد أهل العراق وأهل فلسطين نشيدهم :

يا قصة للنصر نكتبها ... في السهل في الأغوار في النجد
بعناك يا رحمٰن أنفسنا ... حتى نفوز بأكرم الوعد
لا ننثني والله واعدنا ... بالحسنيين : النصر والخلد

لقد حسب العدو الأمريكي وحلفاؤه من الخونة والمرتزقة ، أن احتلال الوطن في فلسطين والعراق سيقدمه لهم أهل العراق وفلسطين على طبق من ذهب ، وراهنوا على نصائح العملاء والخونة

وخدماتهم ، وما علموا أن أبناء سعد وخالد وعز الدين القسام وأحفاد الصحابة سيكونون أقوى بإذن الله من الإرهاب والحصار، والتجويع ، والتنكيل، وها هم يتّحدون على مختلف أصولهم ومذاهبهم وطوائفهم في العراق كما اتحدوا في فلسطين على الإسلام ، والمقاومة الجهادية ، والقائد الرباني الذي يمضي على خطى رسول الله ﷺ .

إن الفلوجة - وبعد ستة أيام من الصمود الإيماني- تجبر الجنرالات الأمريكان على التنازل من غرورهم ، وغطرستهم ، والسعي من أجل التوصل إلى حل سياسي مع المجاهدين المقاومين في الفلوجة عاصمة الكرامة العراقية في محاولة لإنقاذ ماء وجوههم، ولتطويق الحريق قبل امتداده إلى باقي المدن العراقية، ولكن ضلّ مسعاهم ، فحكم الله بجهاد المحتل دَيْن في قلب كل مسلم .. وقد عرف طريقه ولا يصدّه عنها أحد، إنه إيمان بدر وحُنين . إنه زلزال تكبير الحسين {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} (الشعراء: ٢٢٧).

وأقول أخيراً:

الفلوجة يا هدية السماء .. يا أذان الفجر الجديد .. أيها الحلم الذي تجسّد حقيقة .. أيتها الثورة التي مزّقت حاجز الصمت .. أيتها البداية على طريق التحرير .. لك من المؤمنين التقدير .. ولك من الله ثواب المصلحين المجاهدين الذين شقّوا الطريق إلى النصر .. وللعراق المجيد والشبل الذي كشّر عن أنيابه فارتعدت فرائص المغتصبين بإخوان أحمد ياسين في الفلوجة والعراق .. تحية المجاهدين .. الفلوجة يا قدر الإسلام الذي سيخرج (بوش) من العراق ومن البيت الأبيض في آن واحد.

العدد (٣٢) أيار / حزيران ٢٠٠٤م

نظرات في صفات عباد الرحمن

من مقاصد القرآن الكريم في العهد المكي تربية القادة، وتربية الجند ، المؤهلين للنهوض بأعباء الدولة والدعوة وقيادة البشرية إلى سعادة الدارين .

والمتأمل في الآيات التي ذكر الله فيها صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان يقف عند معالم الشخصية القرآنية التي يعدها القرآن الكريم لتكون مع رسول الله ﷺ ناصرة لدين الله مجاهدة في سبيله. ومن أبرز هذه المعالم ما يلي :

١- فقهها لحركة الليل والنهار وحسن توظيفها للذكر والعبادة وإقامة دولة الإسلام، قال تعالى: {تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً} (الفرقان:٦١-٦٢).

٢- فقهها لشخصيتها الحضارية، وانتماؤها لعقيدتها ، متطهرة من الولاءات القبلية، والعنصرية، والمصالح والأهواء الشخصية. وهذا ما نبهنا الله إليه بقوله: {وعباد الرحمن} فانتماؤها لله ودينه.

٣- فقهها لموقعها التنظيمي في حركة الدعوة، ليكون التوافق ، والانسجام بين خطوة سيرها على هذه الأرض وكلمتها الموزونة في إزالة العوائق وتمهيد الطريق للدعوة، وبين حركة قلبها في إنابتها لله، ودعائها في جوف الليل، تخشاه حق خشيته، فصاحب الدعوة يعرف طبيعة المرحلة، والأرض التي يمشي عليها ويعرف الهدف الذي يسعى إليه في هذه المرحلة ، فيمشي على الأرض هوناً، غير متكبر وغير محجوب عن معرفة الواقع، يتألف قلوب الناس بحسن خلقه، وكمال نفسه، وعلو همته، وكريم حلمه، حتى إذا ما دعاه داع ليستشيره في معركة جانبية، للشيطان فيها حظ، قال الكلمة التي تفضي إلى السلام، وتنهي الخصومة، وهذا ما وجهنا ربنا إليه بقوله: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقرّاً ومقاماً} (الفرقان: ٦٣-٦٦).

إن قيام الليل جنة الصالحين ، وزاد الدعاة والمجاهدين. وقد وجّه الله نبيه لبركات هذا القيام في إعداد القلب ليكون محلاً لأنوار الهداية، ومستنبتاً لأزاهير رياض القرآن الكريم بقوله: {يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا} (المزمل: ١-٦).

قال صاحب الكشاف في تفسيرها: "ويعني بالقول الثقيل القرآن، وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، خاصة على رسول الله ﷺ، لأنه تحمَّلها بنفسه، ومُحَمِّلها أمته، فهي أثقل عليه ... {إن ناشئة الليل}: وهي العبادة التي تنشأ به وتحدث، أو النفس التي تنشأ من نومها إلى العبادة، أي تنهض وترتفع، من نشأت السحابة إذا ارتفعت. ونشأ من مكانه ونشز: إذا نهض". وكأن التعبير القرآني لناشئة الليل وقيام الليل، وإحياء الليل بالعبادة، ينبّه إلى حياة الأرواح التي يجدها العابدون في جوف الليل، وإلى موت القلوب والأرواح الذي يغمر المحرومين من بركات هذا القيام، وهذا ما أشار إليه صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار} (الأنعام: ٦٠) قال: "الخطاب للكفرة، أي أنتم منسدحون – منبطحون على القفا – الليل كله، كالجيف {ويعلم ما جرحتم بالنهار} أي ما كسبتم من الآثام فيه". وذهب الجمهور في تفسيرها: {وهو الذي يتوفاكم بالليل} أي ينيمكم فيه، من قوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى} (الزمر: ٤٢). فهذه الآية صريحة بأن التوفي أعم من الموت، واستعمال التعبير القرآني لناشئة الليل، للنفس التي تنشأ وتنهض للقيام، لتحيا به، وبمعاني القرآن التي تتلوه بين يدي ربها في هدأة الليل وسكونه، وخشوعه، ودموعه، ليكون هذا التفاعل الإيماني الروحي بين القلب الواعي الذاكر، وبين آيات القرآن التي أحسن تلاوتها وتدبرها، صياغة وتجديداً للقلب الذي خلص لربه وازداد إيماناً وقوة واعتصاماً بالله، وتوكلاً عليه، وهذا ما نبهنا ربنا تبارك وتعالى إليه بقوله: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً} أي أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها، أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه، وأشدّ موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق.

{وأقوم قيلاً}: أي "أشد مقالاً" وأثبت قراءة لهدوء الأصوات، ذلك أن خير ما يعين الداعية على مواجهة الصعاب والمحن والمخاوف والشدائد، أن يخلو بربه، وأن يتعرض لنفحاته، وأن يستقبل أنواره، وأن يحيي هذا القرآن بقلبه، وأن ينشأ بتلاوته إنشاءً في جوف الليل قائماً راكعاً ساجداً، خالياً من الهموم إلا همّ الآخرة، ملقياً أثقاله ومخاوفه بين يدي ربه في دعائه ومناجاته.

وهذا ما نبهنا الله إليه بقوله: {والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً (أي لازماً). إنها ساءت مستقرّاً ومقاماً}. فوصف الله لنا حرقة قلوبهم، وهمّ نفوسهم، وخلجات مخاوفهم، ليعرفنا كيف تحرروا من فتنة الدنيا وشهواتها، وفتنة الرتبة والراتب، إنهم في واد وأهل الدنيا والألقاب في واد آخر.

٤- فقهها لسياسة المال والإنفاق، فقلب الداعية ليس مشغولاً بزخارف الدنيا في مأكله، وملبسه، وبيته الذي يسكنه، وأثاث بيته، وحفلات أفراحه، ومظاهر دنياه، فلا إسراف، ولا تقتير. إنه منهج وسط أشبه بحركة قدمه، واتزان كلمته، وأسلوب إنفاقه. قال تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً} (الفرقان: ٦٧).

٥- وفقهها لمعاني التوحيد التي تنبثق منها هذه الفضائل، ومن الحكمة أن يربط الله بين هذه الأخلاق والصفات وبين قوله تعالى: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً. ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً} (الفرقان: ٦٨-٧١).

إن رجل الدعوة الذي ينشأ في ظل الهداية القرآنية هو الذي يتحرر من هوى النفس وشهواتها وضغوطها كما يتطهر من الشرك وعبادة الصنم. ولهذه الحكمة قرن الله بين الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنى. إن رجال الدعوة الذين أعدهم الله لنصرة دينه هم أصحاب الأيدي المتوضئة المتطهرة من الدم الحرام، وأصحاب النفوس التقية النقية، المتطهرة من الزنى والرجس والآثام.

إن سنة الله أن يبتلي الدعاة ليخلص صف الدعوة لأحباب الله وأوليائه الذين يخشون ربهم بالغيب، ويؤثرون أمر ربهم على أهواء نفوسهم ، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم} (المائدة: ٩٤). وقد كان هذا الصيد امتحاناً للحجاج والمعتمرين في أرض الحرم .. وقد يكون هذا الصيد امتحاناً من نوع آخر، حين يُبتلى المسلم بتجارة محرمة، أو منصب حرام يوالي فيه الظالمين، أوتعاون مع الظالمين تحت ستار الغيب، أو امرأة يخلو بها، ويمتحن الله بها. الصيد متنوع والله يراقب، وأهل الإيمان والإحسان هم الذين يراقبون الله في السر والعلن، وفي الحديث " اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " وهذه هي درجة الإحسان التي يشعر فيها المؤمن بعين الله تراقبه في غيبته، وعلنه، وفي سره وجهره.

٦- فقهها لمعنى التوبة، حتى إذا وقع في الطريق سارع بالرجوع إلى ربه نادماً تائباً، ولم تأخذه العزة بالإثم وتاب إلى الله متاباً. وهؤلاء هم جند الدعوة، وحواريوها، وربانيوها، علماء فقهاء خلصوا لله، وينتصر بهم دين الله.

٧- فقهها لمعاني عزته الإيمانية ويطلبها عند الله بالإيمان الصادق والعمل الصالح لا بمداهنة أهل الباطل والسير في ركابهم، قال تعالى: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً} (الفرقان: ٧٢). فرجل الدعوة لا يشهد الزور في محكمة ليلبس الحق ثوب الباطل، وهو الشاهد بالحق، وللحق، الداعية لله.

ورجل الدعوة لا يحضر مجالس المنكرات التي يُعصى فيها رب العالمين، ولا يشارك في حفل تُقَدَّم فيه الخمر، أو يختلط فيه النساء الأجنبيات بالرجال في أحفال الأعراس وغيرها.

ورجل الدعوة يتميز بحضوره، مع كرامته واعتزازه بدينه أينما حل ويفرض على المجتمع الذي حوله

احترامه لأحكام دينه، فلا يزلّ ولا يضلّ، ولا يهون ، ولا يخون ، ولا يشتري ثناء أهل الباطل عليه بتنازله عن غيرته لدينه، وهذا ما نبهنا الله إليه بقوله: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو (أي بمجالس الباطل) مرّوا كراماً}. لم يتدنّس ثوبهم، ولم تتلوّث سمعتهم، ولم تخدش دعوتهم.

٨- وأصحاب الدعوة أصحاب قلوب إذا ذكر الله وجلت، واستشعرت عظمة الله وازدادت إيماناً وليسوا بأصحاب القلوب القاسية التي إذا ذُكّرت بآيات الله أخذتها العزة بالإثم، وتمادت في طغيانها ، وظلمها، وصمّت آذانها عن سماع الحق، وعميت أبصارها عن رؤيته ، ولم تستشعر الأخطار القريبة التي تنزل بالمكذبين، وهذا ما حذرنا الله منه بقوله: {والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمّاً وعمياناً} (الفرقان: ٧٣).

٩- ولأن الأسرة هي الحصن الأول لبناء الجيل، وبخاصة في ظل المجتمعات الجاهلية تتضاعف مسؤولية الوالدين في تربية الأبناء حتى يكونوا قرة أعين للآباء والأمهات. وكان مجتمع مكة قبل الهجرة مجتمعاً جاهلياً، فوجّه القرآن المؤمنين ليضاعفوا رعايتهم لأسرهم وأبنائهم وبناتهم ليكون الأب قدوة في التربية والتوجيه والتقوى، وكذلك شأن الآباء والأمهات في ظل الأنظمة اللادينية والغربية، والعلمانية، تتضاعف مسؤوليتهم نحو أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم ومن حولهم من الأهل والأقربين .

وهذا ما يدعو رجال الدعوة لإقامة البرامج والعمل الجماعي، والمدارس والنوادي الثقافية والرياضية لحفظ دين الأبناء، عملاً بقوله تعالى: {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً} (الفرقان: ٧٤). والإمامة قيادة هادية واعية منظمة، تربط حركتها بعقيدتها وولائها لربها كما ربطته في مطلع صفات عباد الرحمن بحركة مشيتها على الأرض، وحركة لسانها، وحركة قلبها، كذلك تربط حركتها إمامه هادية في بناء الأسرة في آخر صفات عباد الرحمن.

١٠- وينتظر أصحاب هذه الصفات الحميدة من عباد الرحمن البشرى بالجنة وغرفها {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاماً} (الفرقان: ٧٥).

١١- وتقرر الآية الأخيرة مبدأ العبودية لله الذي بدأت به أول الآيات {وعباد الرحمن} لتتصل بقوله: {قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم} (الفرقان: ٧٧). قال صاحب الكشاف: "لما وصف عبادة العباد، وعدّد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة ، أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم، وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم ، لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرّح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم ، إنما هو للعبادة وحدها، لا لمعنى آخر".

وأن رجال الدعوة الذين يرجون أن يرفع الله لهم الراية، وينجز لهم وعده في الدنيا والآخرة،

هم المتحلُّون بهذه الصفات، المتطهرون من المعاصي والآفات ، الأنقياء الأتقياء الذين خلصوا لله رب العالمين.

وأن من لم يتصف بأخلاق الدعاء إلى الله التي هي صفات عباد الرحمن، فلا يأمن مكر الله، ولا يعبأ الله ولا يكترث له، وهذا ما يزيد المؤمنين خوفاً من ربهم، وحرصاً على طاعته، وبعداً عن كل ما يبعدهم عن رحمته ورضاه.

وهذا ما ينبه إليه قوله تعالى في خطاب الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون ، ومكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب، حتى لا يغترّ مغترّ بحلم الله، ولا يجترئ مجترئ على معصيته.

قال صاحب الكشاف: " ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه: إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري، فقد عصيت فسوف ترى ما أحلّ بك بسبب عصيانك" .

وفي هذا تبقى القلوب حية يقظة تراقب الله في السر والعلن وتسرع لمرضاته، وتخشى نقمه وعذابه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خيار الأمة

تواجه الأمة الإسلامية أخطر حملة أمريكية صليبية يهودية هوّدت أرض فلسطين، وتسعى جاهدة لهدم المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث مسجد تشدّ إليه الرحال والذي اختاره الله مسرى لنبيه ومنطلقاً لمعراجه.

واحتُلت أرض العراق، وتسعى جاهدة لخديعة الأمة بالحكومات المستعارة، والقضاء على المقاومة، لنهب خيرات الأمة وبترولها وتحقيق حلم اليهود بالشرق الأوسط الكبير ورفع رايتهم من النيل إلى الفرات ومن المحيط إلى الخليج.

وقد سكتت مدافع الجيوش والحكومات عن المقاومة ولم يبق إلا الأمة المسلمة والمقاومة الشعبية من الداخل، لم يبق إلا المجاهدون الصالحون يقدمون الشهداء على أرض فلسطين والعراق للدفاع عن دين الأمة ووجودها وهويتها وأوطانها ومقدساتها، وهذا ما جعلني أخصّص هذه المقدمة بالحديث عن خيرة الأمة وشهدائها.

الشهيد شاهد على أمته .. شاهد على نصرة دينه، وقيل - شهيد - لأنه مشهود له بالجنة لأن روحه احتضرت دار السلام، فإنه حيٌّ عند ربه، فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة.

الشهيد : رباني خلص لله ولنصرة دينه. قال تعالى: {وكأين من نبيّ قاتل معه ربيّون كثير فما وهنوا} (آل عمران: ١٤٦) وفي قراءة {قُتل معه ربيّون كثير }.

اجتباء الله للشهيد:

قال تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} (آل عمران: ١٣٩-١٤٢).

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: {ويتخذ منكم شهداء}: ليكرم ناساً منكم بالشهادة ليكونوا مثالاً لغيرهم في التضحية بالنفس من أجل إعلاء كلمة الله .. وليكونوا شهداء على الناس بأعمالهم .. ولهذا قيل شهيد.

وهاهم شهداء فلسطين والعراق.. يشهدون على الأمة العربية والإسلامية بأعمالهم .. أن يا رب

نَصَرْنا دينَك وقاومنا أخطر هجمة صهيونية أمريكية تسعى لتهويد القدس والأقصى وأرض الإسلام وتركنا أقوامنا .. يسمعون آخر الأخبار ويتابعون جهادنا بالفضائيات !!! .

فضل الشهادة :

قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} (التوبة: ١١١). وقال تعالى: {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} (النساء: ٧٤).

وفي الحديث الشريف أن رجلاً قال: يا رسول الله: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال ﷺ: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة. (القرطبي).

{والله لا يحب الظالمين} أي لا يحب الذين ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم وتخاذلهم عن نصرة الحق، وإنما يحب المؤمنين الثابتين على الحق، المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء دين الله.

حياة الشهيد :

قال تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (آل عمران: ١٦٩-١٧٠).

الحسبان: الظن، والنهي بـ (لا) هنا منصبٌّ على هذا الظن، أي أنهاكم أن تظنوا أنهم أموات ، ونون التوكيد لتأكيد هذا النهي.

لا تحسبنهم أمواتاً .. لا يتنعمون ولا يرزقون .. بل يتنعمون بألوان النعم التي أسبغها الله عليهم.

(الذين) مفعول أول، (أمواتاً) مفعول ثان، هم أحياء عند ربهم - مقربون عند ربهم - قد خصّهم الله بالمنازل الرفيعة والدرجات العالية.

الأحاديث في فضل الشهداء :

روى أبوداود بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلّغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله هؤلاء الآيات {ولا تحسبن ...}. وأخرج الترمذي عن جابر بن عبدالله

قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: [يا جابر مالي أراك منكساً مهتمّاً، قلت يا رسول الله: استشهد أبي في أحد وترك عيالاً وعليه دَيْن، فقال: ألا أبشرك بما لقي الله عز وجل به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: إن الله أحيا أباك وكلّمه كفاحاً - أي مواجهة - ليس بينهما حجاب. وما كلّم أحداً قط إلا من وراء حجاب، فقال له : يا عبدي تمنّ أعطك، قال : يا رب فردّني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية. فقال الرب: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال : يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً}،{ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} (البقرة: ١٥٤)].

- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة،

وفي رواية: لما يرى من فضل الشهادة . (البخاري ومسلم).

- قال ﷺ : (رأيت جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ملكاً يطير في الجنة ذا جناحين يطير منها حيث يشاء مضرجة قوادمه بالدماء).
- (الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته). (أبوداود).
- (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة). (الترمذي).

فضل الشهداء (كرامة الشهداء عند الله):

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن للشهيد عند الله سبع خصال:

١- أن يغفر له في أول دفعة من دمه.

٢- ويرى مقعده من الجنة.

٣- ويحلّى حُلّة الإيمان.

٤- ويجار من عذاب القبر .

٥- ويأمن من الفزع الأكبر.

٦- ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها .

٧- ويزوّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه. (رواه أحمد والطبراني).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمعت رسول الله ﷺ يقول : الشهداء أربعة، وذكر منهم : رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته فلا أدري أقلنسوة عمر أم قلنسوة النبي ﷺ، وما أصدق هذا الوصف بالاستشهاديين الذين يقومون مقام الجيوش في الدفاع عن الإسلام وأرض المسلمين.

روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم عن الأجود الأجود! الله الأجود

الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه يُبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه لله عز وجل حتى يقتل. (رواه أبويعلى والبيهقي).

الأنبياء والعلماء الشهداء وكرامتهم عند الله:

ذكر الله جرائم بني إسرائيل بقتل الأنبياء والعلماء. قال تعالى: {إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم} (آل عمران: ٢١).

فقتل القادة والعلماء .. سياسة اليهود القديمة الجديدة، وسياسة أعداء الإسلام من المشركين.

شهداء بئر معونة من علماء الإسلام:

عن أنس رضي الله عنه (جاء أناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القرّاء - فحرضوا لهم .. وغدروا بهم، وقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا: اللهم أبلغ عنا نبينا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فقال رسول الله ﷺ: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم أبلغ عنا نبينا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا). (رواه البخاري ومسلم).

وكأني بشهيد الفجر أحمد ياسين وإخوانه صلاح شحادة وعبدالعزيز الرنتيسي ويحيى عياش ومحمود أبوهنود وإخوانهم الطيبين الذين كان دعاؤهم الدائم: (اللهم إنا نسألك رضاك والجنة)، (أن تدخلني ربي الجنة .. هذا أقصى ما أتمنى) يجدون الرضى واستجابة الدعاء.

وكان لزاماً علينا في سياق حديثنا عن كرامة الشهداء - رضوان الله عليهم - أن نذكر كلمات الشيخ ياسين الذي اختار طريق الجهاد وطلب الاستشهاد، لتحقيق هذه الغاية التي صبا إليها والوصول إلى هذا الأمل الذي حدده لنفسه، إذ يقول: (نحن لا نخشى التهديد ، نحن طلاب شهادة). فالحرص على مرضاة الله تعالى والشوق إليه هو المقوّم الأول من مقومات الجهاد في سبيل الله، والمحرك الأكبر للإقدام على الجهاد، واستصغار كل أمر جلل في سبيل تحقيقه والقيام به ، وهو الوعاء الأشمل لكل بنود الجهاد وغيره من الأعمال الصالحة.

ولذلك لم يقل الشيخ - رحمه الله تعالى - أملي أن أحرر فلسطين، وهو أمل عظيم قائم في نفس الشيخ، ويدل على قيامه في نفسه أعماله وجهاده، ولم يقل أملي أن أجمع الشعب الفلسطيني بفصائله المختلفة أو حتى الأمة العربية والإسلامية ببلدانها المختلفة تحت راية واحدة، وعلى هدف واحد بل على قلب رجل واحد وتحت سلطان واحد، مع أن هذا أمل عظيم وغاية جليلة واضحة في عبارات الشيخ وأعماله وعلاقاته، إلا أنه علم - رحمه الله تعالى - أنه بهذه الكلمات الثلاث أتى على كل هذه الأهداف العظام وغيرها من الأعمال التي تنضوي تحت هذا الأمل العظيم، والهدف الجليل الذي وضعه نصب عينيه وسعى لتحقيقه.

فعلى حَمَلَة راية مواجهة العدو الغاصب أن يجعلوا جهادهم ينبثق من إيمانهم بالله عز وجل، وموازياً لالتزامهم بالعبادة من صلاة وصيام وزكاة، والتزامهم بالأخلاق والقيم التي حثّ عليها الإسلام، وإلا أصبحت مواجهتهم لعدوهم قتالاً لا جهاداً، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال : (إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه، قال: أما رأس الأمر فالإسلام وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد) وهو صحيح بطرق كثيرة - أخرجه الترمذي .

ولا يفوتني في خاتمة كلمتي أن أحيي المقاومة الإيمانية الجهادية في فلسطين والعراق من جنين إلى الفلوجة ، ومن غزة وبيت حانون إلى النجف والموصل والأنبار والبصرة وسائر مدن العراق .

ودعاؤنا إلى الله تعالى أن يخرج الأمريكان وأتباعهم مذمومين مدحورين ، وأن تُحرّر القدس وفلسطين والعراق.

العدد (٣٤) أيلول / تشرين أول ٢٠٠٤م

الرجولة وقيم الكرامة والمقاومة

يَعْجَب المتأمل في أمر هذه الأمة العربية الإسلامية من محيطها إلى خليجها، كيف تقف صامتة عاجزة وعدوّها الأمريكي الصليبي يحتل العراق، ويدك مدنه، ويهدم البيوت على أصحابها، يقتل الرجال والأطفال والنساء ، ليكسر شوكة المقاومة في الفلوجة وسامراء والأنبار والموصل ، وبقية العراق. وعدوّها الصهيوني اليهودي يعيث في فلسطين فساداً ويقوم بمجازره صباح مساء في غزة وجباليا وبيت حانون وسائر المدن الفلسطينية. وكثير من الأنظمة المجاورة تقدم للمحتل كل أسباب الدعم العسكري والأمني والاقتصادي ولانجد ردة الفعل إلا في الندوات والقنوات الفضائية، فسكتت المدافع وشرعت الألسنة لامتصاص غضب الشعوب وهدر مشاعرها، وعطلت فريضة الجهاد، وصودرت إرادة الأمة بالمجالس الشعبية الصورية، وفسدت فطر الكثيرين وتصوراتهم عن الإسلام الذي يحرم موالاة الأعداء كما يحرم الكفر وعبادة الأصنام، ويحرم القطيعة بين المسلمين ويعدّها من أعظم الفساد في الأرض حتى أصبح المسلمون على كثرتهم غثاء كغثاء السيل، ويصدق فيهم حديث رسول الله ﷺ : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا : وما الوهن يارسول الله؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت" . فالوهن وحب الدنيا وإيثار المصالح الشخصية على مصلحة الأمة، هو سبب ضعف الأمة وتحولها إلى غثاء كغثاء السيل رغم كثرتها.

وبعد هذه المقدمة أقول :

ما السبيل للإصلاح والتغيير؟

والجواب: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}. ووظيفة العلماء أن ينبهوا لأمراض النفوس هذه، وقد رأيت في هذه الكلمة أن أنبه إلى مرض في هذه الأمة، هو مرض "ضعف عصب الإحساس بالكرامة " حتى نجد كثيرين من رجال الصحافة والمال والأدب وكثيرين ممن ينتسبون إلى العلم الشرعي وأكثر الناس مشغولين بدنياهم وشهواتهم، وهمومهم المعاشية ومصالحهم الشخصية، ولا يشعرون بجراح الأمة ولا يذكرونها، بل نجد أقلامهم وفتاواهم في خدمة المحتل والجاهلية.

وسأذكر في ظل هذه المعاني بعض الآيات، وشيئاً من قصص التاريخ للمقارنة والاعتبار .

يقول صاحب كتاب تاريخ بغداد: دخل بعض التجار على تاجر من أعظم تجار بغداد اسمه (حسينك) فوجدوه يبكي وينتحب! فسألوه عن مصابه: أغرقت مراكبك ؟ أخسرت تجارتك؟ أمات أحد أولادك ؟

فقال: لا هذا ولاذاك، يهدد الروم " طرسوس " - بلد في تركيا - وليس في خزانتي صفراء ولا بيضاء أي " لا يملك ذهباً ولا فضة " ثم قال : بلى : عندي ضيعتان، فباع إحداهما، وجهز بثمنها مجاهدين في سبيل الله لإنقاذ البلد المسلم " طرسوس " الذي يهدده الرومان .

إن الإحساس بكرامة الأمة والوطن والدفاع عنها يختلف عن الإحساس بالكرامة الجاهلية القائمة على الظلم والعدوان . وإن كثيرين من الناس يحسبون أن كرامتهم في مظاهر دنياهم وقصورهم وأكلهم وشربهم ورتبهم ورواتبهم، ولوكانت هذه الرتب من صنع المستعمر الذي يحتل بلدهم، ويدنس أوطانهم ومقدساتهم. وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من أن يموت فينا الإحساس بكرامة الإسلام وفريضة تحرير الأوطان عندما يبين مصير هؤلاء الذين رضوا بحياة الاستضعاف في مكة ولم يلتحقوا بالمجاهدين وبقائدهم رسول الله ﷺ وصحبه في المدينة المنورة، مؤثرين حياة الراحة مع الأهل والمال والولد، على الهجرة والجهاد وما يتبعه من تضحيات ومشاق .

إنهما طريقان .. طريق الجنّة والكرامة والدفاع عن الدين والأوطان بالجهاد بالمال والنفس في سبيل الله. وطريق الدنيا والمحافظة على متعها وشهواتها ومكاسبها. ولا يحسم الأمر في سلوك أحد الطريقين إلا الإيمان الصادق فيسلك بصاحبه طريق الجنة والكرامة، وينقله إلى حياة الأبرار والأطهار المجاهدين الأخيار. أما الإيمان المزيف الخادع فيسلك بصاحبه طريق الجبناء أو طريق الأذلاء الذين يوالون الأعداء ويقومون بما يطلبونه منهم من حرب على الإسلام أو خدمة للاحتلال أو تسخير أقلامهم ورتبهم وقدراتهم في خدمة العدو المحتل. إنها الإرادة التي تفصل الطريق، وهذا مابينه الله في آيات كثيرة، ومنها قولة تعالى: { إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم } .

فهما إنسانان ... إنسان يريد الآخرة ويسعى لها سعيها، وإنسان يريد الدنيا ويسعى لها سعيها ليأكل ويشرب ويتمتع بمزايا الرتبة والمنصب واللقب والراتب، على حساب كرامته وكرامة أمته وضياع أوطانه. وهذا ما عبَّر الشاعر عنه بقوله :

والناس إنسانان مَنْ همُّه أن يرتوي ذلاً وأن يلعبا
وآخر يأبى عليه الحِجا إلا بأن يشقى وأن يتعبا
ما قيمة الألقاب منصوبة والظهر بالخزي قد أحدودبا

لقد صوَّر الشاعر بهذه الأبيات نماذج عديدة في عالمنا العربي الإسلامي باعت نفسها وعِلْمها وأقلامها وجعلتها في خدمة الظالمين والمستعمرين ليرتووا ذلاً، ويلعبوا بحطام دنياهم.

لقد نبَّهنا ربنا تبارك وتعالى إلى إرادة الرجال طلاب الجنة وعشاق الشهادة الذين يصنعون انتصارات الإسلام ومجد المسلمين فقال: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان

سعيهم مشكوراً} (الإسراء: ١٩).

وقال: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}.

وذكّرهم كيف يصبرون على جراحهم في مواجهة العدو {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم}.

وكيف ينتصرون على الخوف وكثرة الأعداء بقوله: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}.

وهذا ما نبهنا ربنا تبارك وتعالى إليه في رسالة المسجد التربوية ومؤسساته العلمية، قال تعالى: {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسبِّح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار} (النور: ٣٦-٣٧).

وفي وصف مسجد قباء {فيه رجال يحبون أن يتطهروا} وفي سورة التوبة (١٨): {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}. وهذا ما نبّه إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل جماعة من الصحابة وكانوا في منزل أن يتمنّوا فقال أحدهم: أتمنى لو كان ملء هذا البيت ذهباً أنفقه في سبيل الله.

وقال آخر: أتمنى لو كانت المدينة لي خيلاً أنصر بها دين الله. فقال عمر: أتمنى لو كان ملء هذا البيت رجالاً أمثال أبي عبيدة أنصر بهم دين الله.

لقد نبّه عمر رضي الله عنه إلى حاجة الأمة للقيادات المتحلية بالرجولة والصدق، والذين يعرفون كيف يواجهون الأعداء وينصرون دين الله.

إن الرجال الرجال هم الذين يقاومون في فلسطين والعراق ويواجهون أعتى آلات التدمير الأمريكية واليهودية في غزة وجباليا وغيرها من مدن فلسطين، وفي الفلوجة وسامراء وغيرها من مدن العراق فلا يضعفون ولا يستكينون. إنهم أحباب رسول الله الذين سلكوا طريق أحبائه وأوليائه وصدق فيهم قوله تعالى: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} (آل عمران: ١٤٦).

إنهم الذين يصنعون فجر هذه الأمة من جديد، ويبدّدون لهذه الأمة برجولتهم وصبرهم ومقاومتهم ظلام اليأس والاحتلال ويعيدون لهذه الأمة أمجادها وانتصاراتها. {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي

عزيز} (الحج: ٤٠).

وفي الخاتمة أقول : لابد للمقاومة من عقيدة تحيا بها، ومن أخلاق تمدّها بمعاني العزم، والصبر، والثبات على المنهج . والدارس لتاريخ الأمم في مقاومة المستعمر والتحرر من أسباب الضعف والاستسلام، يجد أن أخطر ما يهدد المحتل اجتماع الأمة على كراهيته ومقاومته في ظل قيادة مخلصة واعية ، متجردة عن المكاسب والمغانم ، لا تيأس ولاتضعف ولا تستسلم، وإن دور العلماء في هذه المرحلة دور عظيم، فما كان انتصار حطين وعين جالوت إلا ثمرات مباركة لجهاد العلماء ونقل الأمة من حالة اليأس والتهالك على الشهوات إلى شرف المقاومة والزهد والجهاد، فمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عبد الرحمن بن الجوزي ومدرسة الإمام أبي حامد الغزالي وإحياء علوم الدين كانت الإعداد الروحي والثقافي لجند نور الدين وصلاح الدين.

ومدرسة الشيخ العز بن عبد السلام وإخوانه كانت وراء انتصار عين جالوت ودحر التتار وهزيمتهم. فأين العلماء ؟ أين قادة الأمة يلتقون في خندق المواجهة لدحر أخطر هجمة يهودية ؟ وقد أعلن بوش بقانونه الأخير حول عداء السامية أن اليهود في حمايته ونصرته، وهم يعملون لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه، ويقتلوننا في فلسطين، فلا قرَّت أعين الجبناء الذين ينفذون تعليمات بوش لتصل قبضته إلى الكتب المدرسية والمساجد ودور القرآن وعلماء الإسلام في بلاد المسلمين.

شرف المقاومة ومسؤولية العلماء

ماذا بعد قتل مئة ألف عراقي على يد المحتل الأمريكي؟ ماذا بعد تدمير الفلوجة ليجعلوا عاليها سافلها؟ ماذا بعد إعلان بوش تدمير الحضارة الإسلامية؟ لا بد أن نبين حكم الله بإعلان فرضية الجهاد وإعلان النفير العام، واستشعار الأخطار الماحقة المهلكة القادمة، والوقوف في وجهها قبل فوات الأوان، فاحتلال العراق يتبعه احتلال الوطن العربي والإسلامي وإبادة حضارته كاملة.

وصف صحفي عربي هذه الجرائم بقوله : ما أشبه الليلة بالبارحة .. كما ذهب الأمريكيون إلى العراق قبل عام ونصف بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل فلم يجدوها، ذهبوا اليوم إلى الفلوجة ليجعلوا عاليها سافلها بحثاً عن الزرقاوي .. !!

هل رأيتم العراقيين يحفرون الأنفاق خارج الفلوجة ليدفنوا ثلاثة آلاف وسبعمئة جثة لا يمكن التعرف على أصحابها بعد أن شوّهتها نيران القذائف الأمريكية تشويهاً كاملاً ؟! وهل سمعتم مسؤول الصليب الأحمر الدولي وهو يصف منع سيارة الإسعاف من دخول المدينة المدمرة لإجلاء القتلى والجرحى بأنه " انتهاك للكرامة الإنسانية "؟! وأضف إلى ضحايا الفلوجة جرائم أمريكا في العراق كله حيث خرجت مجلة " لانسيت " العلمية البريطانية - ذات السمعة المتميزة - على العالم بدراسة تؤكد أن ما لا يقل عن مئة ألف عراقي كانوا ضحايا تلك الحرب .. حدث ذلك قبل موقعة الفلوجة التي سوّتها القوات الأمريكية بالأرض ...

ويعلّق صحفي عربي على هذه الجرائم بقوله :

١- إن الصحافة الأمريكية هي التي كشفت الجرائم الأمريكية في العراق إن في " أبوغريب " أو "مسجد الفلوجة".

٢- إن بعض الجيران القريبين والبعيدين الذين أكدوا على أهمية الانتخابات الحرة في العراق "المحتل" لم يجربوها أبداً في بلدانهم المستقلة.

٣- إن الكراهية المتصاعدة للأمريكيين في المنطقة تفتح باب التحرير للأمة كلها بإذن الله.

وهذا ما يدعونا لدراسة التاريخ واستقراء النصوص الشرعية لنقف عند النقاط التالية:

١- إن احتلال العراق سبقه احتلال لأرض الإسلام والعرب المحيطة به في مطلع القرن العشرين وتقسيم أرض الإسلام إلى دول وتنصيب حكام عليها موالين للغرب، يقومون عنه بحماية أمنه ومصالحه

وتنفيذ مخططاته السياسية والعسكرية والاقتصادية والقانونية والثقافية في بلاد المسلمين.

٢- إن هذه الدول هي التي فتحت حدودها للقوات الأمريكية ومكّنتها من الاحتلال، وهي التي أعلنت حربها على الجهاد والمجاهدين وحرست حدودها من تسلّل عناصر المقاومة والجهاد.

٣- إن هذه الدول تقوم بأخطر عملية تزوير لإرادة الشعب وخداعه لتؤدي وظيفتها في خدمة المستعمر باسم " الشرعية " و " الانتخابات المزورة " ثم القمع والتعذيب، والتنكيل بالمعارضة، والمخالفين. وقد أخذ هذا الخداع والتزوير صوراً وأساليب متعددة منها :

أ- إقامة برلمانات صورية وصفها أحد الشعراء بقوله :

هاهم كما تهوى فحرِّكهم دُمى لا يفتحون بغير ما ترضى فما

ب- إقامة وظائف " دينية وشرعية " مرتبطة بالحاكم ولا تؤدي وظيفتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالوظائف الكبرى الدينية مثل منصب شيخ الأزهر، والمفتي العام، فقدت قوتها الفاعلة، بعد أن أصبحت أداة بيد الحاكم، وغاب عنها أصحاب الجرأة والغيرة من العلماء.

ج- حرص الحاكم على مظاهر الدين بإقامة صلوات العيد في المناسبات أو إقامة " أكبر مسجد " أو إحاطته نفسه ببعض أصحاب العمائم والرموز الدينية، دون أن يصاحب ذلك إقامة للأحكام الشرعية .

د- استعمال المصطلحات والأحكام الشرعية في غير موضعها مثل وجوب طاعة ولي الأمر، ولو ارتكب كفراً بواحاً، واستحلّ ما حرم الله بموالاة أعداء الإسلام وتمكينهم من احتلال أرض الإسلام في العراق وفلسطين وأفغانستان، وتقديم التنازلات لهم في مجال تغيير الكتب المدرسية في مباحث التربية الإسلامية والتاريخ وخطب الجمعة، لتحذف منها آيات الجهاد، وما يتعلق بجرائم بني إسرائيل، وعقيدة الولاء والبراء، وما يحفظ الشخصية الإسلامية في ولائها لله ورسوله وجماعة المؤمنين وفي هويتها الحضارية وتميزها الحضاري في طعامها وشرابها وملبسها، ومحافظة النساء على الأحكام الشرعية والعادات الإسلامية.

هـ- تزوير أحكام الشريعة الإسلامية باستحلال التنازل عن أرض فلسطين باسم السّلم والسلام، والقرآن يحرم تحريماً قاطعاً التنازل عن أرض الإسلام لأعداء الإسلام، ويعلن الجهاد والنفير العام إذا دخل العدو أرض الإسلام جهاداً دفاعيّاً عن الإسلام ديناً وأرضاً وحضارة ومقدسات.

وقد حذّرنا القرآن الكريم في كثير من آياته من أن نخدع بهؤلاء المنافقين الذين يتسترون بالأسماء الإسلامية واللافتات الشرعية، والأيمان الكاذبة، والمظاهر الخادعة، ليكون مقياسنا في القبول أو الرد مقياس القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك

لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون} (المنافقون: ١).

{ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} (المجادلة: ١٤).

و - تعطيلهم للجهاد وانتحال الأعذار الكاذبة. قال تعالى: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} (التوبة: ٤٤-٤٥).

ز- تنفيذ سياسات أمريكا والغرب في إفساد ثقافة الأمة وقيمها وأخلاقها، قال تعالى: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون} (التوبة: ٦٧) .

وتفضح هذه الآية المعجزة جرائم أمريكا وعملاءها في هدم القيم الإسلامية والأخلاق القرآنية وفتح الباب واسعاً للفجور والانحلال الأخلاقي، كما تفضح مخططاتها في تسليم أجهزة الإعلام والتوجيه للفاسدين والمفسدين.

ح - هرولة المنافقين في إرضاء الأعداء والسير في مخططاتهم بالتنازل عن ثوابت الأمة، وتقديم بعض الكتّاب المرتزقة وتسليط الأضواء عليهم، الذين يسمون المقاومة "مقاولة"، والجهاد "إرهاباً"، والمحتل المستعمر "محرراً" والفساد الأخلاقي "تقدماً"، وتغريب الأمة "تحريراً" .. إنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف من أجل صهيون، ومن أجل الكرسي والمنصب {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين} (المائدة: ٥٢).

البشرى والوعد الكريم :

إن هذه الهجمة الأمريكية الصليبية الصهيونية تذكرنا ببشرى رسول الله ﷺ للمجاهدين المقاومين، كما تذكرنا بما ينتظر المنافقين الذين جنّدوا أنفسهم في خدمة أعداء الإسلام، أو أعلنوا انهزامهم أمام مطالب العدو وإملاءاته. قال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم : " لا تقوم الساعة حتى تغزوَ الرومُ الأعماقَ فيخرجَ لهم جيش من المدينة – والمدينة رمز للقيادة الإسلامية المتمثلة بعلماء الإسلام وأحباب رسول الله ﷺ الملتفين حول قيادته ورسالته – فينهزم الثلث هم شرّ أهل الأرض لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً – أي لا يقبل الله منهم عملاً سنة أو فرضاً ، نفلاً أو فريضة – ويقتل الثلث هم خيرة الشهداء عند الله، ويفتح على الثلث هم خير أهل الأرض يومئذ " رواه مسلم .. باب الفتن وفتح القسطنطينية.

وإنني لأرى أبطال الإسلام في فلسطين والعراق وفي غزة وجنين ورفح وفي الفلوجة وسامراء والأنبار وغيرها، ممن ينتظرون هذه البشرى شهداء بررة من خيرة الشهداء.

أو ينتظرون النصر بإذن الله وهم خيرة هذه الأمة، لم يفرِّطوا بأرض، ولم يخضعوا للضغوط والإرهاب، وإنني لأرى شرّ هذه الأمة المنهزمين أمام مطالب العدو المسارعين في مخططاته في فلسطين والعراق وغيرها من أرض الإسلام.

إن الفجر قادم، ودماء الشهداء في جنين والفلوجة وفلسطين والعراق لن تذهب هدراً بإذن الله، وسيطلع الفجر من زكيِّ دمائها.

العدد (٣٦) كانون ثان ٢٠٠٥م

الهجرة والزلزال

بين زلزال يتفجر في أعماق المحيط الهندي، فيهلك الحرث والنسل، ويجعل للفضائيات والصحافة العالمية حديثاً واسعاً عن الهلاك والضحايا، وما وراء الطوفان..! وكذلك بجعل الحديث هادفاً حين يتحدثون عن المفاسد والشذوذ واغتصاب الأطفال الذي كان يجري على سواحل هذا المحيط ومنتجعاته السياحية.

وبين زلزال آخر بدأ يتفجر في قلوب المجاهدين الذين اغتُصبت أرضهم في فلسطين وفي العراق، وأخذوا يحوّلون الأرض ناراً على المحتلين الغاصبين، ليعقب هذا الزلزال هزات "للاحتواء" تتخذ من إشغال الناس بالانتخابات لإعطاء المحتل شرعية، وإعطاء نواب المحتل شرعية أخرى يمارسون من خلالها أشد أنواع القمع والبطش بالمقاومة ورجالها تحت ستار القانون والأمن: (قانون الاحتلال، وأمن المحتل)!.

إن نور الفجر حين يبدأ يمحو أمواج الظلام، يترك أثره في نفوس الذين تعوّدوا على حياة الظلام والظلم، ويجمعون أمرهم لحجب النور، ولكن هيهات فشمس الله لا يحجبها حاجب، ونور الإسلام يغلب كل ظلام.

ولنقف عند السيرة النبوية، ودروس الهجرة المباركة لنتفيأ ظلالها ونحن نواجه لفح ريح المستعمر الصليبي الصهيوني، وهذا ما نجمله بالنقاط التالية:

أولاً: كانت الدعوة الإسلامية زلزالاً في وسط المجتمعات الجاهلية وهي تدعو إلى التوحيد والعدل، وتحرير الإنسان، والعلم، ومحاربة الفقر والجوع والكهانة والشعوذة، وإقامة المساواة بين الناس.

ثانياً: حاول زعماء الجاهلية أن يخدعوا رسول الله ﷺ بالتنازلات للاعتراف "بدينهم" مقابل أن يعترفوا بدينه، وليزيلوا الحواجز بين التوحيد والشرك، وبين الحق والباطل، أو لتلتقي عمامة "العالم"، وقبعة "الحاخام" الذي احتل الأرض، وهَوَّدَ المقدسات، وشَرَّدَ الشعب، في سبيل إطفاء نار المقاومة، وإخماد حرارة الزلزال !!

وكان توجيه القرآن الكريم واضحاً جليّاً، مزلزلاً في تحريم تقديم التنازلات لأعداء الإسلام، الذين يريدون أن يخدعوا النبي الكريم ﷺ بدعوته، ومداهنته ليعترف بدينهم، ويعطيه "الشرعية والمصداقية"؛ فأعلن القرآن الكريم التمييز، والمفاصلة.. {قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين} (الكافرون: ١-٦).

وفي سورة القلم (٨-٩): {فلا تطع المكذبين. ودُّوا لو تدهن فيدهنون}. وفي سورة الإسراء تربط

الآيات بين ضغوط المشركين أصحاب السلطة والقوة، ليقدم النبي بعض التنازلات عن ثوابت دينه؛ ليعترفوا به، ويحظى باحترامهم، وخيراتهم، وبين ممارسة أنواع الأذى والكيد، والفتنة لإخراجه من بلده، ويرشد الله نبيه إلى الحصن الحصين الذي يلتجئ فيه إلى ربه ثابتاً على دينه مناجياً له في صلاته وقيامه، كما يرشده إلى الهجرة التي يجمع فيها أنصار دينه، وينظمهم لإقامة دولة الإسلام، وتحرير مكة من الشرك والمشركين، وليكون مدخل الصدق، ومخرج الصدق، في الهجرة والعودة، وانتصار الإسلام بظهور الحق، وإزهاق الباطل، في آيات متتابعة معجزة: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً. إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً. وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً. أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً. وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} (الإسراء: ٧٣-٨١).

ثالثاً: الهجرة طريق التغيير والإصلاح: الذي يستمع للفضائيات العربية وبرامجها ليلة استقبال العام ٢٠٠٥ الميلادي يجد ضياع العرب ممثلاً برجال الفكر والصحافة الذين أوسعوا الأنظمة نقداً، وأوسعوا أمريكا والصهيونية شتماً، ولكنهم لم يهتدوا ولم يتفقوا على طريق الإصلاح والإنقاذ والتغيير. فالأنظمة الاستبدادية المدعومة من أمريكا وإسرائيل، تقدم الحماية لأمن أمريكا وأمن إسرائيل، وتقوم بقمع الشعوب، بأشد أنواع الفتك والإرهاب الذي تتحدث عنه سجون العدو الصهيوني، والعدو الأمريكي في "أبوغريب" و"غوانتانامو" وغيرها ... وخطة الإعلام الأمريكي والغربي أن يخدع الشعوب، والعالم، بديمقراطية مزيفة، لا تسمن ولا تغني من جوع. وهنا نجد أجراس الخطر تنذر ... البقاء، أو الهلاك لهذه الأمة، إذا لم تسلك طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإصلاح والمقاومة، والتحرير، وهذا ما سأحاول إيجازه بالنقاط التالية:

أولاً: حسن الاقتداء بسيرة النبي القائد، ومن أعظم معالمها:

١- الإيمان بالمبدأ والثبات عليه، ومقاومة الضغوط والمغريات وأسباب القمع.

٢- لا يأس، ولا قنوط، ولا استسلام.

٣- تجنيد المؤمنين، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

٤- الحرص على التربية الإيمانية، والثقافة السياسية: إن المجتمع الجاهلي القبلي تحول إلى رابطة الأخوة الإسلامية، التي حوَّلتهم من حياة العداوة واستحلال بعضهم لدماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض، إلى مجتمع المحبة والوحدة والرحمة الذي يرفع راية الإسلام، ويوحد الجزيرة في ظلها، ويحرر الأرض من ظلم كسرى وقيصر.

وفي هذه الحقبة من الزمن تعود الروابط الجاهلية التي حوّلت المجتمع العربي إلى دويلات أشبه بقبائل، تفتح الحدود أمام المحتل، وتقدم العون له، لاحتلال العراق، وترسيخ أقدامه في فلسطين.

فنسأل: أين المثقفون العرب؟ أين أصحاب الفكر والرأي من المحامين، والأطباء، والمهندسين، والإعلاميين؟ وما دورهم في معركة المصير؟

والجواب: شُغل هؤلاء بأنفسهم، ورتبهم، ورواتبهم. وأما العلماء فهم فريقان: فريق يقاوم، وقاوم، وقدّم الشهداء، ولا يزال وحده يواجه في العراق، وهيئة العلماء على رأس المقاومة، وفي فلسطين، وشهيد الفجر أحمد ياسين، وعبدالعزيز الرنتيسي، ويحيى عياش، وغيرهم من حفظة القرآن الكريم وأعلام الأمة هم الذين فجّروا الانتفاضة المباركة وقادوا الأمة.

وفريق آخر رضي أن يكون في خندق الحاكم لاهثاً وراء رتبته وراتبه، فاقدًا احترامه عند الناس، وقد قطع صلته برب الناس!

ثانياً: حسن الانتفاع بسنن الله وآياته الكونية في القرآن الكريم، أو فيما نراه مشاهداً من هذه الآيات، لنتوب لله ونرجع إليه شعباً وقائداً ورعية وراعياً. قال تعالى: {وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين} (سورة الأنبياء: ١١-١٥). وقد رأيت أن أنقل بعض عبارات الإمام المفسر الزمخشري:

يا لثارات الأنبياء:

قال الزمخشري: الآية الأولى (واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم؛ لأن القصم أفظع الكسر). وكأن الزمخشري يفسر لنا ما صنعه الزلزال "تسونامي" من هلاك. ثم تحدث الزمخشري عن فساد بني إسرائيل وإهلاك الله لهم، وتسليط عدوهم عليهم بسبب محاربتهم لدعوة الله، وقتلهم للأنبياء فقال: بعث الله إليهم نبيّاً فقتلوه، فسلّط الله عليهم بختنصّر، كما سلّطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم، وروي أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى منادٍ من السماء: يالثارات الأنبياء، ندموا، واعترفوا بالخطأ، وذلك حين لم ينفعهم الندم.

وتصوّر الآيتان بعدها فرار المعذبين من أمواج الهلاك لما شعروا بالخطر: {فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون}.

قال الزمخشري: {وارجعوا إلى ما أترفتم فيه} من العيش الراغد والحال الناعمة، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفّه.

وكأن الآية تصف هؤلاء الذين كانوا يعيشون على سواحل البحار في لهوهم وفجورهم وخمورهم ومعاصيهم.

وقال الزمخشري: {لعلكم تسألون} تهكّم بهم وتوبيخ، أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم ....

ثالثاً: الهجرة هجرتان: هجرة القلب إلى الله، وهجرة المؤمنين إلى خندق النصرة والمقاومة، قال تعالى: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض}(الأنفال: ٧٢). وقد كانت توجيهات القرآن واضحة في أن الذين يقفون متفرجين على الحياد والمعركة ملتهبة بين جند الله وجند الشيطان هم من الذين ظلموا أنفسهم لا يجدون عند الله ما يرجون من رحمة .. قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض} (النساء: ٩٧) .. وكان حكم الله فيهم: {فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً} (النساء: ٩٧).

وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام تبينت المعالم: فالأمريكية الصليبية المتصهينة، والصهيونية الحاقدة، اجتمعتا في فلسطين والعراق لتهويد الأرض والقدس والتاريخ والحضارة. ودور المحتل وأنصاره أن يحيِّدوا الأمة. وصار للهجرة .. في وجه هذا الاحتلال والتحديات مفهوم جهادي جديد يعني أن ينتزع المسلم نفسه من شواغله وهمومه الشخصية، لينضم إلى خندق المقاومة والجهاد بالنفس، وبالكلمة، وبالمال، وبالنصرة في كل درجاتها، معلناً البراء والانخلاع من الظالمين والمغتصبين ومن يساعدونهم، متوجهاً إلى الله بجهده وقلبه، مهاجراً إليه، ذاهباً إلى معسكر أحبابه وأنصاره.

معركة القرآن العظيم وسبل الدفاع والمقاومة

بدأت معركة القرآن العظيم، وجنّد لها أعداء الله أتباعهم في بلاد المسلمين، ووسائل إعلامهم، وحتى نحدد وسائل الدفاع والمواجهة لا بد أن نعرف خطط الأعداء وأوراقهم التي أعدّوها ورتّبوها بمكر، وهذا ما تكشفه الأوراق التالية:

١- ورقة التحريف والتبديل والاجتراء على أمة الإسلام بالعدوان على كتابها المقدس: القرآن العظيم، وهذا ما يبدو في كتاب يسمونه (الفرقان) الذي نظم مؤلفه فيه عقائد الكفر وسماها فرقاناً، وقال إن محمداً ألف كتابه في ٢٣ سنة وأنا ألّفته في أشهر !!! {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً} (الكهف: ٥). وأخذت مؤسسات الظالمين تنشر كتابها المحرّف الممسوخ من خلال شبكة الإنترنت، وتوزعه بعض سفاراتها في بعض الدول العربية للأسف الشديد!!

٢- ورقة تجنيد الأنظمة القمعية الظالمة في محاربة تعليم القرآن العظيم، وتحفيظه لأبناء المسلمين من خلال تجفيف مصادر الدعم لدور القرآن الكريم وملاحقة العاملين فيها، ووضع العقبات أمامها، وتغيير المناهج والكتب المدرسية، وإنقاص حصص التربية الإسلامية واللغة العربية، وحذف ما يتعلق باليهود والجهاد من الآيات الكريمة والسيرة النبوية الشريفة، فالولايات المتحدة الأمريكية تقوم بأمرين:

أ- تنشر الكتاب الباطل عبر سفاراتها وأجهزتها الإعلامية.

ب- وتضع العقبات والمعوقات أمام تعليم القرآن الكريم وتدريسه وتحفيظه !!

٣- ورقة الخداع والتضليل، إذ يقومون بجرائمهم في هدم هوية الأمة وخصائصها الحضارية ومقوماتها الثقافية تحت عنوان " محاربة الأصولية " ومحاربة " الإرهاب " وما الإرهاب إلا ما يقومون به من مصادرة لحريات الناس والعدوان على مؤسسات المجتمع المدني، والقيام بما يمليه عليهم أعداء الإسلام من الاجتراء على حرمات الناس بالضرب والسجن، وعلى أموالهم بالنهب والمصادرة.

التقت دعوة عدو الله (شارون) مع دعوة عدو الله (بوش) في تحريض الأنظمة العربية على الإسلام والقرآن تحت عنوان " محاربة الأصولية " وهم يبيحون لأنفسهم في أرضنا المحتلة في

فلسطين أن يخصصوا أموالاً كثيرة لدعم جمعيات التوراة، عدا عما تقوم به مؤسساتهم الرسمية من تعليم ودعم، وكذلك يحرصون على تزوير إرادة الأمة بالانتخابات المزورة الشكلية أو إعطاء الشرعية للحكام الظالمين.

سبل المواجهة:

١- نشر الوعي الإيماني والسياسي في جماهير الأمة لتمكين المؤمنين الصالحين من تسلم الحكم في بلاد المسلمين عن طريق "الشورى" وصناديق الاقتراع، وكشف هوية الفاسدين والمفسدين الذي جنّدوا أنفسهم في خدمة أعداء الإسلام ليحافظوا على مكاسب الرئاسة والترف والمال والمتع الحرام، واعتدوا على الدستور والقانون بالرشوات وسوء استغلال السلطة. وقد نبّهنا القرآن الكريم للقيام بهذه الفريضة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين} (هود: ١١٦).

إن الحكم الفردي والاستبدادي الذي لا يخضع لمحاسبة الأمة ومراقبتها عن طريق الممثلين الصادقين للأمة هو أساس البلاء، والفساد، والهلاك، وإن تمكين الأمة من القيام بوظيفتها في محاسبة حكامها ومراقبتهم ومساءلتهم عن الالتزام بالشريعة وإنفاق المال العام، واستقلال القضاء هو أول خطوات الإصلاح. وهذا ما نبهنا ربنا تبارك وتعالى إليه في سورة الشورى حين ربط بين الدعوة إلى الله والاستقامة على أمره، ومقاومة أهواء الظالمين، والأمر بالعدل، في آية واحدة بقوله: {فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم ..} (الشورى:١٥).

وكذلك نلاحظ هذا التوجيه الرباني للأمة بتوسط الأمر بالشورى بين فريضتي الصلاة والزكاة بقوله تعالى: {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون} (الشورى: ٣٨)، كما نلاحظ كيف عطف عليها في الآية التالية صفة الانتصار من الظالمين بقوله تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون}(الشورى: ٣٩)، ليرشدنا إلى أن الأمة التي تحسن اختيار ممثليها وتتنزع سيادتها على نفسها، وتقوم بمراقبة حكامها الذين تختارهم عن طريق صناديق الاقتراع هي التي تحسن الانتصار من الظلم والبغي، بكل صوره وألوانه، كما تحسن القيام بفريضة الله في إقامة أحكام الشريعة واختيار الذين يقومون بتنفيذ أحكامها نيابة عنها، ولجم الظَلَمة الذين يجترئون على الناس بالظلم والبغي ويتصرفون بأموال الأمة بغير حساب، ودون رقيب أو مساءلة، ودون قضاء مستقل عادل لا يخضع لأوامر الحكام. قال تعالى: {ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم} (الشورى: ٤١-٤٢).

إن الله تعالى خاطب الأمة كلها في كتابه لتنفيذ أحكامه، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تتمكن الأمة من القيام بهذه الفريضة إلا عن طريق حكامها المنتخبين الذين تحسن اختيارهم، وتتمكن من مساءلتهم ومحاسبتهم ومراقبتهم عن طريق ممثليها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الانتخاب وصناديق الاقتراع، بعد أن اتسعت البلاد وانتشرت وسائل الإعلام.

وهنا يحسن التذكير بما رواه البخاري وغيره بسنده عن رسول الله ﷺ : "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة". وأقول : إن أخطر الغش أن نفسد على الأمة دينها ومناهجها وكتبها الدراسية، ونضع العقبات أمام تعليم القرآن الكريم وتعلمه رعاية لأوامر الظالمين.

٢- تعميق روابط الوحدة والأخوّة الإسلامية: إنّ من أعظم الفرائض الإسلامية أن يسعى علماء الأمة لإيجاد الوعي الإيماني والسياسي بأن أمة الإسلام أمة واحدة، وأن الحدود التي رسمها المستعمر بين بلاد المسلمين، وقطّعها فيها إلى دويلات، ما هي إلاّ جراح في قلوب المسلمين، وأن الدعوة إلى الفرقة تحت شعار الإقليمية، والعصبية، والأنانية، كفر وضلال.

وإذا ذكرنا أن هذه البلاد كانت في ظل الخلافة الإسلامية منذ عهد الرّاشدين، إلى الخلافة الأموية، فالعباسية، فخلافة العثمانيين، بلاد واحدة، وأن المستعمر الصليبي بعد الحرب العالمية الأولى قطّعها بطريقة ماكرة، لينفصل كل إقليم عن أسباب قوته، وليثير العداوة، ويزرع أسباب الخلاف بين البلد والإقليم وجيرانه.

فَفَصَل سوريا مثلاً عن موانئ لبنان، وفصل الأردن عن موانئ فلسطين، وفصل العراق عن موانئ الكويت، وهكذا صنع في دول المغرب العربي، ومصر والسودان والجزيرة واليمن، ودول الخليج.

كيف نتحرر من سياسة المستعمر، وجرائمه؟

الدارس للتاريخ القريب والبعيد يجد أن للمستعمر الصليبي هدفين كبيرين في بلاد المسلمين:

الأول: الهيمنة على آبار النفط وتيسير طرق وصولها إلى مصانعه وبلاده.

والثاني: حفظ أمن إسرائيل وأمريكا ومصالحها في بلاد المسلمين.

وفي سبيل هذين الهدفين يفرض على بلادنا الفرقة والقطيعة ويثير الخصومة والنزاع بين كل بلدين متجاورين، لتبقى جميع الدول بحاجة إليه، وتطلب حمايته، وتفتح بلادها لقواعده.

وقد كانت دول أوروبا تعيش مرحلة الحروب والصراع هذه، وخسرت في الحرب العالمية الأولى والثانية ملايين القتلى ومليارات الدولارات، وكان وراء هذه الحرب الحكام المستبدون، وإبعاد الشعوب عن الحكم.

إلى أن استفادت الشعوب الغربية من تجاربها وكوارثها، وانتزعت الحكم والسيادة عن طريق صناديق الاقتراع والانتخابات النزيهة، ومؤسسات المجتمع المدني، فأقامت التعاون ولغة الحوار والتفاهم بدل الحروب، وكانت أوروبا الموحدة اقتصاداً، وسياسة، ونقداً، قوة للبناء وسعادة الشعوب. وإن الأمة الإسلامية اليوم أولى بأن تقيم روابط التعاون والوحدة ورسالتها هي رسالة التوحيد والوحدة، فأوروبا المكونة من قوميات متعددة، ولغات مختلفة، وجدت صيغة للوحدة والتعاون، والدول العربية والإسلامية التي تشكل وحدة الدين واللغة والتاريخ والحضارة والمصالح المشتركة، أولى بهذه الوحدة، ولا سبيل لتحقيقها إلا إذا انتزعت الشعوب السيادة على نفسها وتحررت من هيمنة الحكام المستبدين الذين أشعلوا الحروب وقطّعوا أواصر الأمة، وفتحوا الأبواب لأعدائها وطلبوا حمايتهم، وكذلك فعلت أوروبا فحوّلت الحروب إلى سلام وتعاون(١)، وإن رفع راية الإسلام والقرآن، راية الأخوّة الإسلامية هي الطريق للتحرير والمقاومة.

٣- مقاومة خطط العدو الصهيوني السياسية، والجغرافية، والاقتصادية، والثقافية، وفضحها والوقوف في وجهها، وتوعية الشعوب والحكام بأخطارها وبيان الأحكام الشرعية بتحريم التطبيع مع كيان العدو الصهيوني تجارة وصناعة وسياسة وسياحة وثقافة، والعمل للجهاد لتحرير الأرض المقدسة في فلسطين، وتحرير العراق.

دور الوالدين والمؤسسات التعليمية في المواجهة:

الدارس للقرآن الكريم يجد دروساً تبين مسؤولية الآباء في حفظ هذا الدين وكيف واجه أنبياء بني إسرائيل وعلماؤهم وأهل الصلاح فيهم سياسة القمع والفساد التي سلكها حكام بني إسرائيل وملوكهم.

فزكريا عليه السلام يطلب الولد الصالح بعد أن رأى الفساد يطغى حتى خشي الموالي الأقربين ولم يجد فيهم ناصرًا لدين الله. قال تعالى: {وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين} (الأنبياء: ٨٩) وفي آية أخرى: {وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا} (مريم: ٥-٦). وأم مريم تهب ما في بطنها محرراً ليقوم بواجب الدعوة إلى الله: {إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم} (آل عمران: ٣٥).

إن مسؤولية الوالدين والمؤسسات التعليمية، ومسؤولية أغنياء المسلمين وعامتهم في مواجهة حرب بوش وشارون وحلفائهما على القرآن الكريم والإسلام تبدأ من الأسرة ورعاية الأبناء ثم بالتعاون بين أبناء المسلمين بالمال والجهد لدعم مؤسسات المجتمع المدني التي ترعى تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وهنا أذكّر بالأحاديث التالية:

١- قال ﷺ : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ".

٢- وقال ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (رواه البخاري ومسلم).

٣- وفي حديث آخر " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده " (رواه مسلم).

وهذا الحديث ينبّه إلى دور الأمة في القيام بفريضة تعليم القرآن الكريم في مساجد الله حتى لا تغلق هذه البيوت أمام هذا العمل الصالح.

٤- وفي الحديث " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران" (رواه البخاري ومسلم).

وهنا نجد جائزة من أحسن التلاوة وأجاد أحكامها ليكون مع الملائكة السفرة الذي يسفرون إلى الناس برسالات الله، كما نجد جائزة المبتدئين الذين يعانون وهم يتعلمون.

٥- وكذلك نجد ثواب من نصر القرآن الكريم، وكيف يقوده إلى الجنة، وعقاب من حارب القرآن، واستهان به، وكيف يقوده إلى النار، قال ﷺ : "القرآن شافع مشفع وماحل مصدق" أي شافع يُلتجأ إليه في الشفاعة مقبول رجاؤه، ومشمول بالنجاح، و "ماحل" أي مجادل شديد المماكرة والمكايدة لأعدائه، مصدق عند من أنزله، فالقرآن الكريم سيكون حجة على أعدائه الذين حاربوه، وسعوا لوضع العقبات أمام تعلمه وتعليمه، مصدق بحججه، وفي الدعاء " اللهم لا تجعله علينا ماحلاً"، فأين الذين يحاربون القرآن وأهله من هذه الأحاديث ؟!

٦- ثواب الوالدين اللذين علما أبناءهما القرآن العظيم وربّياهم على أخلاقه. قال ﷺ : " من قرأ القرآن، وعمل به، أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا". (رواه أبوداود والحاكم). وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى: {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا}، وقوله: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم}.

٧- وقال ﷺ : " يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حلّه، فَيُلْبَسُ تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له : اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة" رواه الترمذي .

٨- وقال ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها". وهنا يحسن التنبيه إلى مدرسة قيام الليل في تغذية القلب والعقل

بمعاني الآيات خلال ترتيلها بين يدي الله تعالى.

٩- والمتأمل في سورة المزمل نجد أمر الله لنبيه بقيام الليل وقراءة القرآن فيه ليكون الليل وهدأته جوّاً مناسباً لتدبر آياته وتأثر القلب بمواعظه وحكمه وأحكامه، وعلى هذا الطريق سلك أصحاب رسول الله ﷺ، وأقف عند قوله تعالى: {يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلا} (المزمل: ١-٦).

إن القيام بتكاليف الدعوة يحتاج إلى قلوب فقهت هذا القرآن وواطأت معانيه عقولها، وملك زمامها، ونوّر صدورها.

١٠- أهل القرآن أهل الله وخاصته، قال رسول الله ﷺ: "إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته" رواه النسائي.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر المقال القيم الذي كتبه الدكتور أحمد البرصان في جريدة القدس العربي بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٦ ص١٧ تحت عنوان: نشأة الدولة القطرية وأزمة النظام الإقليمي العربي.

علو الهمة في سيرة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

الدارس لسيرة النبي ﷺ يجد الإنسان الكامل الذي جمع الله به أكرم الأخلاق وخير الصفات، فكان مجمع الكمالات: النبي القدوة: {الله أعلم حيث يجعل رسالته}، {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} (الأحزاب: ٢١).

وما أحوجنا في زمن الامتحانات والمواجهات أن نسلط الضوء على بعض من صفات هذا النبي الكريم لنجد ما يعيننا على الثبات والمواجهة، وهذا ما يبدو في النقاط التالية:

١- الإيمان بالمبدأ والثبات عليه.
٢- لا يأس ولا استسلام.
٣- الزهد في الدنيا والتنزه عن مكاسبها وشهواتها.
٤- الصدق والأمانة.
٥- العفو والرحمة حيث يحسنان، والعدل والحزم حيث يحسنان.
٦- الشجاعة في مواجهة الأخطار.
٧- حبه لأصحابه، وحب أصحابه له.
٨- تقديمه لأقاربه في مواطن المقاومة والجهاد، وإبعادهم عن مواطن المكاسب الشخصية.
٩- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
١٠- الشورى، وحسن التخطيط.

وبعد هذا يحسن أن نقف عند بعض هذه الخصائص القيادية، ونبدأ بـ:

١- الإيمان بالمبدأ والثبات عليه:

المبادىء والعقائد ليست ثياباً تُلبس ثم تخلع، والإيمان بالمبدأ والثبات عليه هما من أعظم صفات النبي الكريم الذي تعرض للإغراءات المتنوعة، ليكون أكثرهم مالاً وليزوّجوه أجمل نسائهم، وليملكوه عليهم، والثمن: أن يعترف للمشركين بدينهم، ويتنازل عن دعوته، وإن لم يفعل نكّلوا به وبأصحابه، وأوقعوا بهم أشد العذاب.

فكان جواب النبي الكريم ﷺ: " والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك

هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه".

وكان توجيه القرآن العظيم للنبي الكريم مصدر ثباته وعلو همته ﷺ، ومنه قوله تعالى: {واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك} (المائدة: ٤٩) {فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم} (الزخرف: ٤٣).

وما أحوجنا في هذه الأيام والأمة تتعرض لحملة ماكرة رهيبة تطالب الحكومات والشعوب بالتنازل عن ثوابتها في القيم والأخلاق، والعقائد والتوجيه عن طريق تغيير المناهج والكتب المدرسية والتحكم بسياسة الإعلام، وتغيير قوانين الأسرة والأحوال الشخصية، ما أحوجنا إلى الثبات على المبدأ، ومواجهة مكر الأعداء مقتدين بالنبي الكريم ﷺ، وأن نطلب العزة والكرامة عند الله، لا في حماية الظالمين المستكبرين.

قال تعالى: {من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور} (فاطر: ١٠).

٢- لا يأس، ولا استسلام، والنفس العالية الكريمة هي التي تستمد من إيمانها بربها قوة وهمة تستعلي بها على الجراح والمخاوف. ماذا حصل لو يئس رسول الله ﷺ وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار وقد وصل المشركون إلى باب الغار؟

ماذا حصل لو يئس رسول الله ﷺ في أحد، وقد دارت الدائرة على المسلمين؟

ماذا حصل لو يئس رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب وقد حاصر المدينة أكثر من عشرة آلاف مشرك يمدّهم اليهود في الداخل، والروم والفرس في الخارج؟

ماذا حصل لو يئس رسول الله ﷺ في غزوة حنين يوم أعجبت المسلمين في بداية المعركة كثرتهم فلم تغن عنهم من الله شيئاً، وفرّ أكثر المسلمين فثبت النبي ﷺ في الساعة الحرجة ونادى أصحابه واستعادوا النصر من جديد؟

إن النبي القائد الذي طرد اليأس عن قلبه في مواطن الشدة والخوف، كان وراء حفظ الإسلام، وانتصار الدعوة، ولو يئس النبي الكريم في هذه المواطن لانتهى أمر الدعوة والدعاة وغلب الكفر وأهله.

واليوم يتعرض أهلنا في فلسطين والعراق لأخطر حملة صليبية صهيونية مزودة بأعتى الأسلحة المادية والنفسية والمعنوية، وليس لنا – والله – إلا الصبر، والمقاومة، والاقتداء بالنبي الكريم والاعتصام بحبل الله. قال تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب

الظالمين. وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} (آل عمران:١٣٩-١٤٢).

٣- الزهد في الدنيا، والتنزه عن مكاسبها: إن رجال الدعوة المقتدين بالنبي الكريم يهتدون بقوله تعالى: {ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى} (طه: ١٣١).

ومدّ البصر إطالته مع الإعجاب بالمنظور إليه، وقد نزّه الله قلوب أحبابه أن يتطلعوا إلى مباهج الحياة الدنيا، وأن يمدّوا عيونهم إلى أهلها، برتبهم، ورواتبهم، وبالسيارة الفارهة، والبيت الأنيق، والأثاث والزخارف وغيرها، وحصّنهم أن يخضعوا نفسياً ويتعلقوا بهذه المظاهر، ووجّه قلوبهم للجنة ونعيمها، وحسن لقاء الله بقوله: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} (الكهف: ١١٠).

وفي الصورة المقابلة بيّن عاقبة من رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها فقال: {إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها، والذين هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون} (يونس: ٧ – ٨).

وحين دخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على بيت رسول الله ﷺ ووجد خشونة الفراش، قال للنبي الكريم : يا رسول الله : كسرى وقيصر في النعيم والسعة، وأنت بهذا الحال .. فقال ﷺ: مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا، إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم تركها، أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وتلا قوله تعالى: {ويوم يعرض الذين كفروا على النار، أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فاليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون} (الأحقاف: ٢٠).

٤- الصدق والأمانة: هذا ما كان يُعرف به النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، وهذا ما يميز رجال الدعوة المقتدين بالنبي الكريم في القديم والجديد.

ترى الناس صدقهم في شعاراتهم ومبادئهم، وترى أمانتهم في سلوكهم وأعمالهم وسيرة حياتهم، فيعطونهم الثقة، ويقفون من خلفهم .

٥- وعفو رسول الله ورحمته، وعدله وحزمه، صفات للقائد، أحسن التعبير عنها أمير الشعراء بقوله :

وإذا عفوت فقادر ومقدر لا يستهين بعفوك الجهلاء

وكذلك رجال الدعوة لا يُستغفلون، ولا يُستدرجون، ويضعون تقديراتهم للأمور وحكمهم عليها تحت ضوء الدراسة، والخبرة والحكمة، حتى لا يقعوا في مكر أعدائهم وكيدهم.

٦- وشجاعة النبي ﷺ في مواطن الخطر كانت السكينة التي ملأت قلبه، وقلوب أصحابه المقتدين به، ففي غزوة حنين، وبعد فرار أكثر جيشه واجه المشركين ﷺ وحده بالعدد القليل: وهو ينادي :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وأمر عمه أن ينادي: يا أهل سورة البقرة، يا أهل البيعة، أين المهاجرون، أين الأنصار، فلبّوا نداءه واستنقذوا الموقف والنصر من جديد.

وفي الغزوات كلها كان أقرب الناس إلى العدو، يلوذ بشجاعته وقتاله الأبطال ﷺ.

٧- وكان من علوّ همته ﷺ أن يرتبط بأصحابه وجنده برباط المحبة، والفداء، فما كان أحد ليخذله في ساعة شدة، بل يفديه بنفسه حتى شهد أبوسفيان قبل إسلامه وقال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

٨- وكان من علو همته ﷺ ألا يؤثر أقاربه بالغنائم والمناصب، بل يقدمهم لمواطن التضحية والخطر. ففي غزوة بدر قدّم عمه حمزة وابني عمه عليّاً والحارث لمواجهة أبطال المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وبعد فتح مكة اعتذر لعمه العباس، وقد طلب منه أن يجعل مفتاح الكعبة بيد بني هاشم، مكافأة لهم على نصرتهم وتحملهم مع النبي الكريم، وقال له: اليوم يوم وفاء وبر، وأبقى المفتاح بيد عثمان ابن طلحة.

٩- ومن علوّ همته ﷺ أنه ما كان يختار للمهمات والقيادات إلا أصحاب الكفاءة والخبرة، دون النظر إلى العاطفة والحب الشخصي، فأرسل عمرو بن العاص أميراً على سرية فيها أبوبكر وعمر.

واختار حذيفة بن اليمان ليأتي بخبر الأحزاب وأحسن القيام بالمهمات.

١٠- ومن علو همته ﷺ أنه عامل أعداء الأمس بما يشرح صدورهم للإسلام ويحول كفاءتهم لنصرة دين الله.

فعفا عن عكرمة بن أبي جهل، وعن صفوان بن أمية بن خلف، وعن هند زوج أبي سفيان، وعن أبي سفيان وأولاده، فكان هؤلاء الذين عفا عنهم من قادة الفتح والنصر في معركة اليرموك، فبايع عكرمة على الموت أربعمئة اخترقوا صفوف الروم، ونال الشهادة مع ولده، وكان يزيد بن أبي سفيان من قادة المعركة، وكان صوت أبي سفيان مدوياً في جو المعركة: " يا نصر الله اقترب" وكانت هند من المشاركات في المعركة، وكان صفوان من أبطال غزوة حنين.

١١- وكان من علو همته ﷺ أن يستشير أصحابه وينتفع بخبراتهم وآرائهم ليكون مجتمع الأحرار الصفة المميزة لمجتمع الإسلام، فما كان أحد أكثر استشارة لأصحابه من النبي الكريم، وكان يتنازل عن رأيه إذا رأى الصواب عند أحدهم، كما حصل في غزوة بدر، وغيّر مكان نزول الجيش بناء على رأي الحباب

ابن المنذر، وكذلك في غزوة أحد نزل عند رأي الأكثرية وخرج لمواجهة المشركين في أحد.

وحفظ خلفاؤه الراشدون هذا النهج الكريم في الشورى وحسن التخطيط والانتفاع بالخبرات، وتمكنوا بهذه الهمم المؤمنة، والثبات على المبادئ، وحسن الجهاد وحشد طاقات الأمة وعدم موالاة الأعداء أن يحرروا الجزيرة من الشرك والمشركين، وأن يشلّوا عرشي كسرى وقيصر، ويرفعوا راية الإسلام في أقل من مئة عام من جبال البرانس في فرنسا إلى تخوم الصين، ومن المحيط إلى الخليج.

إن الرجال الرجال الذين حملوا هذا الإيمان وهذه العزائم والهمم هم الذين انتصروا في حطين وعين جالوت، ودحروا الغزو الصليبي والتتري، فكان نورالدين وصلاح الدين، وكان السلطان قطز والظاهر بيبرس، وكان الإمام الشيخ عبدالقادر الكيلاني مدرسة لجند نور الدين وصلاح الدين، وكان الإمام العز بن عبدالسلام محركاً لجيوش الإسلام بقيادة قطز والظاهر بيبرس، وهم الذين يقاومون اليوم في فلسطين والعراق، وكان منهم القائد الشهيد أحمد ياسين وإخوانه ورجال المقاومة والجهاد في فلسطين والعراق. فأين الرجال، وأين الهمم، وأين الإيمان، يقف في وجه أخطر حملة صليبية صهيونية؟! إنها معركة رسول الله تنتظر جند رسول الله .. ربّنا عجّل بالنصر والفرج، يا قوي يا عزيز، يا رحيم.

العدد (٣٩) نيسان ٢٠٠٥م

المسجد الأقصى وبشائر النصر

- فَجَّر المسجد الأقصى الانتفاضة الأولى والثانية في فلسطين المحتلة، بعد أن اقتحمه شارون في المرة الأولى والثانية، وكانت الشرارة التي فجَّرت اللهب المقدس للجهاد والمقاومة. وفَجَّر المسجد الأقصى المقاومة في عهد نور الدين وصلاح الدين حتى تم النصر في حطين.

- وها هو المسجد الأقصى يرسم معالم المعركة من جديد ويكشف المنافقين والجبناء، ويميز المؤمنين الأوفياء، وهم يتصدّون بصدورهم العارية لمقاومة التنظيمات اليهودية الحاقدة التي عزمت على هدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم سنة ٢٠٠٥م حسب عقيدتهم الفاسدة حتى ينزل المسيح المزعوم كما يدَّعون بعد بناء الهيكل. وتمتد معركة الأقصى من فلسطين إلى العراق، ومن جنين وغزة إلى الفلوجة والأنبار.

- كما رسم المسجد الأقصى معالم المعركة العقائدية والفكرية والثقافية والعربية والإسلامية والسياسية، وكشف الزيف والخداع، وهذا ما يظهر في النقاط التالية:

- المسجد الأقصى سيرسم خارطة المنطقة ويحوّل المسلمين إلى وحدة جهادية:

١- إن معركة الأقصى المبارك هي معركة القرآن العظيم مع التوراة المحرفة، ومعركة مسرى النبي الكريم ﷺ مع الهيكل المزعوم، ومعركة رسول الله ﷺ مع أعداء رسول الله ﷺ.

٢- عرف أعداؤنا دور الإسلام في المعركة، فسعوا سعيهم ووضعوا خطتهم لتقديم قرآن مزوَّر، وإسلام أمريكاني، ليشوّهوا معالم الإسلام، ويجفّفوا ينابيعه عن طريق مدارسهم وجامعاتهم ومن ينفّذ مخططاتهم {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون} (الصف: ٨).

٣- عُقد مؤتمر في جامعة تل أبيب قبل سنوات، كان موضوعه "معركة حطين" وكيف تمكن صلاح الدين من إلحاق الهزيمة بأربعة عشر ملكاً صليبيّاً بجيوشهم وحصونهم ومدد الغرب لهم، وكانت نتيجة المؤتمر أن الملوك الصليبيين وقعوا في خطأين:

الخطأ الأول: أنهم غفلوا عن الصحوة الإسلامية التي امتدت من المساجد والمدارس عن طريق العلماء الصالحين، ومدرسة الإمام أبي حامد الغزالي والشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ عبدالرحمن ابن الجوزي رحمهم الله تعالى. وقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون.

الخطأ الثاني: أنهم سمحوا لمصر أن تتحد مع بلاد الشام في عهد صلاح الدين وغفلوا عن خطر هذه الوحدة على احتلالهم لأرض الإسلام.

والدارس لمخططات أمريكا والصهاينة في بلاد العرب والمسلمين يجدها يقظة عاملة لعدم تكرار أخطاء الأمس التي كانت وراء انتصار حطين. وهذا ما يظهر من خلال النقاط التالية:

١- تهميش دور المسجد في بث روح الجهاد ضد من اغتصبوا الأرض ودنّسوا المقدسات.

٢- تغيير المناهج والكتب المدرسية ومحاولة حذف آيات الجهاد والمقاومة.

٣- إشاعة الفساد الأخلاقي والإعلامي والعمل على تحويل الشباب إلى حياة اللهو والعبث، والأمة إلى قيم الاستهلاك والهدر والأكل والشرب وسماع آخر الأخبار.

٤- مصادرة مؤسسات المجتمع المدني كالجمعيات والنقابات التي تمثل حصون الأمة في الدفاع عن قضايا الوطن وهموم المواطن وبناء هويته وشخصيته الحضارية.

٥- تعطيل الجهاد وتقطيع الدول العربية والإسلامية وفرض الانفصال والفرقة عليها، ففصلوا مصر عن فلسطين والمقاومة بمعاهدة (كامب ديفيد)، وأخذوا في سياسة الانفراد بكل دولة عن طريق إقامة معاهدات اعتراف بـ "إسرائيل"! وتطبيع العلاقات معها، وهم يعلمون أن هذا "الاعتراف" يعني التنازل عن أرض الإسلام لأعداء الإسلام.

المسجد الأقصى والمقاومة الإيمانية وتصحيح المسار:

المسجد الأقصى في التاريخ كان يفجر المقاومة، كما كان معطياً لها طريقها الصحيح، فالمقاومة -حين احتل الصليبيون بيت المقدس وبلاد المسلمين- كانت مقاومة شكلية؛ كانت مقاومة أمراء وعسكر مشغولين بأنفسهم وبحروبهم الداخلية وانقسامهم السياسي، ففي كل بلد أمير المؤمنين ومنبر، وكانوا أمراء أشراط الساعة، ولم تلامس نكبة الأقصى شغاف قلوبهم، حتى هيأ الله لهذه الأمة: العالم الصالح المجاهد، والأمير المؤمن المجاهد، فجاء نور الدين، وصلاح الدين ثمرة مباركة للمدرسة الإيمانية، وكان جندهما جند هذه المدرسة التي تحررت من أمراء أشراط الساعة، ووحَّدت الأمة تحت راية الجهاد، وحققت انتصارات الإسلام في حطين، وتحرر المسجد الأقصى المبارك ليقوم برسالته في عبادة الله وحده، ونشر دعوته وهدايته، وتوحيد المسلمين تحت رايته. وكان من أعظم أسباب انتصار حطين تحرير الأمة من الأمراء الذين صنعوا الهزيمة والفرقة، والعلماء الذين شغلوا الناس بقضايا الفروع، وأهملوا قضايا الأصول المتعلقة بأصول العقيدة في تحريم الشرك وموالاة أعداء الإسلام وتعطيل الجهاد.

وقد عبَّر إمام المسجد الأموي في دمشق بتهنئته لصلاح الدين بعد تحرير حلب في شهر صفر بقوله:

وفتحُكم حلب الشهباء في صفر مبشِّرٌ بفتوح القدس في رجب

ومن فضل الله أن صدق الله البشرى وفتح بيت المقدس في شهر رجب بعد سبع سنوات من البشرى سنة ٥٨٧هـ.

وعبَّر الشاعر ابن القيسراني عن هذه الروح التي صنعتها مدرسة المسجد والإعلام الإسلامي المتصل بالمعركة في خطابه لصلاح الدين بعد أن انتصر في إحدى المواقع:

كأني بهذا العزم لا فُلَّ حدُّه وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحدادُ فروضَها فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر

ما أشبه اليوم بالأمس:

بعد الخداع الطويل الذي وقعت فيه أمتنا منذ وعد بلفور وحرب (١٩٤٨) وحرب (١٩٦٧) ومعاهدات (كامب ديفيد) و (أوسلو) و (وادي عربة)، واحتلال القوات الأمريكية والأجنبية للعراق، أراد بوش أن يجدد حملة الخداع والتضليل وأنه جاء محرراً ومنقذاً، لتكشف المقاومة الإسلامية بقيادة هيئة العلماء هذا الخداع، وتطالبه بجدول للانسحاب وأن المقاومة ماضية بجهادها حتى يحرر العراق وترفع أعلام الإسلام فيه.

وكذلك أراد شارون أن يجدد خداعه ويطلب من الدول العربية معاهدات اعتراف باحتلاله والتطبيع معه، وهو ماض في تهويد الأرض، والجدار العازل، وإقامة المستوطنات، وفرض هيمنته الاقتصادية والسياسية والعسكرية على الأمة العربية والشرق الأوسط الكبير من المحيط إلى الخليج.

عز الدين القسام و أحمد ياسين و عبدالعزيز الرنتيسي وصلاح الدين شحادة وأبطال المقاومة:

وأنجبت الأرض المباركة -أرض الإسراء والمعراج- قائد المقاومة وإمامها عز الدين القسام وإخوانه أحمد ياسين وقادة المقاومة، لتكون مقاومة العقيدة والقذيفة؛ مقاومة الكتاب والمدفع؛ مقاومة التحرير الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي والجهادي فمضت في طريقها الصحيح في العراق وفلسطين تحت راية الإسلام العظيم. وما أصدق قول الشاعر في وصف هذه المقاومة:

حمل الكتاب ومدفعاً قهر العدو وأوجعا
نادى بصوت المصطفى لن نُستذلَّ ونخضعا
جدَّدت عزَّ الدين عزَّ الدين فاجتمعا معا
هو مبدأ وقذيفة رفعا الأذان وأسمعا

الله أكبر في دمي الله أكبر في فمي زلزالها من مِعْصمي
لن نستذل ونخضعا

يا لهب الأقصى المبارك يبدِّدُ نورك الظلمات، وينير لنا الطريق، وقد عرفناه وحدة وجهاداً و مقاومة، حتى نفك أسارك وقيودك بإذن الله.

لقد كتب الله في كتابه اسمك جزءاً من قرآنه، وقدسيتك جزءاً من عقيدتنا وديننا بقوله: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}(الإسراء: ١). واختارك من بين بقاع الأرض لتكون منتهى الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرمة، ومبدأ المعراج من القدس الشريف إلى السماوات العلى، وملتقى رسل الله بسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ، وسلَّموه الراية حين قدَّموه ليصلي بهم إماماً، ويكون الأمين على رسالاتهم ودعوتهم لله بالكتاب الذي أنزله الله عليه خاتماً للكتب ومهيمناً عليها ومصدقاً لها. ولتستقر في قلب المسلم عقيدة أن حرمة المسجد الأقصى في القدس كحرمة المسجد الحرام بمكة.

أيها المسجد الأسير:

لقد علَّمنا الله في كتابه كيف نصون حرمتك، ونحفظ عهدك وعهد مساجد الإسلام، وأن السيادة على القدس ومسجدها جعلها الله للمسلمين فريضة في كتابه العزيز بقوله: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (البقرة: ١١٤). والقرآن يخاطب الأمة أن تحرر مساجد الله من قبضة أعداء الله، وأن غير المسلمين لا ينبغي أن يدخلوا القدس ومسجدها الأقصى ومساجد الله إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم {أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين}. وأن المراكز الثقافية والإعلامية والتوجيهية التي تبني شخصية المسلم الحضارية والثقافية، والمساجد والمدارس والجامعات، يفرض الله على الأمة المسلمة ألا تتخلى عنها، وألا تتركها للمدارس الأجنبية، والجامعات الغربية، ووسائل الإعلام والثقافة المرتبطة بالأجنبي ولاءً وثقافةً وفكراً.

هذه معركة الأقصى في أبعادها الثقافية والإيمانية والحضارية والسياسية، تتحمل الأمة كلها مسؤوليتها، وتفتح لها أبواب الجهاد بالكلمة والموعظة، كما تفتحها بالقتال والمقاومة {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (الحج: ٣٩)، و(الجهاد ماض إلى يوم القيامة).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حصون المقاومة كمّا تبيِّنها سورة الأحزاب

الدارس لسورة الأحزاب، ومناسبة نزولها يجد إعجاز القرآن الكريم بتوجيه الأمة المسلمة إلى حصون المقاومة الإيمانية، والعسكرية، والنفسية، والاجتماعية، لتكون هادياً للأمة عبر العصور تعلمها كيف تقاوم، ولا تستسلم، وكيف تتحصن بإيمانها وتعتصم بربها، وتهتدي بقرآنها وسيرة نبيها وهي تواجه ضغوط العدو وإرهابه وعدده وجيوشه ومكره.

لم تكن غزوة الأحزاب معركة قتال ميداني بالسلاح ولكنها كانت معركة قتال نفسي، تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأشد أنواع الزلزلة والحصار والخوف الذي وصفه الله بقوله: {وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً} (الأحزاب: ١٠-١١). وقد ميزت هذه الزلزلة المؤمنين بإيمانهم وثباتهم والتفافهم حول النبي القائد ﷺ يفدونه بأنفسهم وما يملكون. وقد وصفهم الله بقوله: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً} (الأحزاب: ٢٢).

وكذلك كشفت هذه الغزوة المنافقين بنفاقهم وجبنهم، وفرارهم من المواجهة، ودعوتهم للاستسلام، ومفاوضة أبي سفيان قائد جيوش المشركين للتنازل عن هذا الدين وعودة المهاجرين إلى مكة، وإنهاء المقاومة.

وقد هدانا الله بهذه السورة إلى حصون المقاومة الإيمانية والنفسية والاجتماعية والجهادية، ويمكن إيجازها بما يلي:

١- حصن الإيمان بالمبدأ والثبات عليه، الذي يتحلى به القائد والأمة من ورائه فلا يتنازلون عن دينهم ولا عن أرضهم ولا عن مقاومتهم.

٢- حصن الوعي الإيماني والسياسي الذي يجعل أبناء الإسلام أقدر على الصبر والمواجهة، عارفين معنى الابتلاء، وصفات المؤمنين والمنافقين.

٣- حصن الأسرة المسلمة والمحافظة على هوية الأمة التي جعل الله آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم قدوة لها، في عفتها، وطهرها، وزهدها، وتنزهها عن مكاسب الدنيا وشهواتها والتزامها بأحكام الله، وهذا ما وجهنا الله إليه بقوله: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة

الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً} (الأحزاب: ٢٨-٢٩)، وقوله: {يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن} (الأحزاب: ٥٩). {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً} (الأحزاب: ٣٢) وغيرها من الآيات.

٤- حصن المجتمع المسلم المحافظ على هويته وأرضه، الذي يؤثر الله ورسوله على حظوظ النفس وشهواتها ويفدي الإسلام ونبيه بالغالي والنفيس، ويسارع للامتثال لأحكام الله، والتطهر من عادات الجاهلية في "التبني" والتبرج والظهار وغيرها، وإقامة مجتمع الإسلام على أحكام الله وقيم شرعه: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} (الأحزاب: ٣٦). {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال} (الأحزاب: ٧٢). {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً} (الأحزاب: ٧٠).

٥- حصن النبي القائد إيماناً ومحبة وولاء ووفاء والتفافاً حول قيادته، ومسارعة لنصرته ونصرة دينه في كل زمان ومكان.

لقد تمكن الزعيم اليهودي حيي بن أخطب من تأليب أحزاب الوثنية وهي القبائل العربية المشركة في جزيرة العرب من قريش وغطفان وغيرها لتحاصر المدينة المنورة بأكثر من عشرة آلاف مقاتل، ومن ورائهم يهود بني قريظة في المدينة ويهود خيبر وتيماء، وقبائل العرب المشركة. وكان امتحان عظيم للنبي ﷺ وأصحابه واجهوه بالصبر والإيمان وصدق التوكل على الله والتحدي للأخطار وحسن الثقة بالله والشجاعة والصدق، وكما ميزت المؤمنين بصدقهم وثباتهم فضحت المنافقين بجبنهم وتخذيلهم عن الجهاد وهروبهم من المواجهة وسعيهم لخدمة أهداف المشركين بالاستسلام وخذلان الإسلام والمسلمين، وقد نزلت سورة الأحزاب في هذه الغزوة تعلمنا دروس المقاومة وترشدنا إلى حصونها لنعرف كيف نواجه أحزاب الكفر في كل زمان، وهذا ما نزيده بياناً بالنقاط التالية:

- حصن الإيمان بالمبدأ والثبات عليه، الذي تحلى به القائد ﷺ وجنده في مواجهة ضغوط المشركين والمنافقين الداعية للاستسلام وترك الجهاد، وهذا ما نبَّه له مطلع السورة في قوله تعالى: {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيما . واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً} (الأحزاب: ١-٣).

كان حصار المشركين للمدينة باعثاً للرعب في قلوب المنافقين الذين نشطوا في تخذيل الأمة عن الجهاد، وعدم الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق، وعرضوا على النبي والمهاجرين أن يتركوا هذا الدين، ويعودوا لمكة، ويعقدوا صلحاً مع أبي سفيان يتنازلون فيه عن دينهم وكرامتهم

ونصرتهم للإسلام والمسلمين.

وكان تحذير الله تعالى للنبي والمؤمنين قوياً حاسماً ألا يتخلّوا عن الجهاد وألا يطيعوا المشركين وأتباعهم من المنافقين الذين يدعون للاستسلام والاستجابة لمطالب أعداء هذا الدين، فربط الله في مطلع السورة بين الأمر بتقوى الله وتحريم طاعة الكافرين والمنافقين، وأرشدنا إلى حصن التوكل على الله والثقة به في إعداد العدة والمقاومة بقوله: {وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً} (الأحزاب: ٣).

- حصن الوعي الإيماني والسياسي وكشف صفات دعاة الاستسلام والهزيمة وترك المقاومة:

ولحكمة أن تفصّل هذه السورة في صفات المنافقين دعاة الاستسلام وترك المقاومة لتربي الأمة من الداخل على المقاومة بازدراء هؤلاء المنافقين والاعتصام بحبل الله، وطريق الجهاد والمقاومة.

ويمكن إجمال صفاتهم هذه بما يلي:

١- التشكيك بوعد الله بالنصر، وإشاعة روح اليأس والاستسلام في الأمة.

٢- وضع العقبات أمام الجهاد والمقاومة.

٣- الجبن والصغار وفقدان حس الكرامة للدفاع عن الوطن وهذا ما سنشير إليه بعد قليل.

وكذلك فصّلت الآيات في صفات المؤمنين في مواجهة الأخطار لنعرف كيف نقتدي بهم في هذه المواجهة.

بدأ الحديث عن غزوة الأحزاب في السورة ببيان المكافأة الربانية للأمة التي قاومت وصبرت مع رسول الله ﷺ بأن أمدها الله بملائكته وجنده من الريح بقوله: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً} (الأحزاب: ٩-١١).

ودلّتنا هذه الآية في مجال التربية الإيمانية على أهمية أن يعرف المؤمنون أن للجنة ثمناً، وللنصر ثمناً، يدفعونه من مقاومتهم وصبرهم، وهم يتعرضون للمخاوف التي تزيغ عندها الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر ويزلزلون زلزالاً شديداً.

وهذا ما بيّنه القرآن الكريم بقوله: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً . ليجزي الله الصادقين بصدقهم..} (الأحزاب: ٢٢-٢٤). وما وعدهم الله به هو ما ذكره في سورة البقرة: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا

من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} (البقرة: ٢١٤).

وينضم إلى هذا الحصن إيمانهم بالنبي القدوة ﷺ وحسن الاقتداء به في مواجهة الأخطار والجهاد والثبات في مواجهة الأعداء وبذل الأموال والنفوس في سبيل الله، وفداء لهذا النبي الكريم ﷺ، وهذا ما وجهنا الله إليه بقوله: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦) فالنبي ﷺ أحق بنفوسهم منهم، يبذلونها نصرة لهذا الدين تحت قيادة هذا النبي الكريم. وفي قوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}. (الأحزاب: ٢١). إن من أعظم حصون الأمة الاقتداء بالنبي الكريم. إن حصن النبي القائد في الأمة كما يتجلى بحسن الاقتداء به يتجلى بصدق الولاء لدينه والاعتراف بفضله، والتحلّي بأخلاقه واتباع سنته. وما ظهرت قيادة لهذه الأمة صادقة أجرى الله النصر على يديها إلا كانت قيادة مقتدية بالنبي الكريم معظمة له، رافعة لرايته، مهتدية بهداه، ولهذه الحكمة ورد في هذه السورة التنبيه على مقام رسول الله ﷺ في مواطن عديدة منها قوله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً} (الأحزاب: ٤٠).

{يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا} (الأحزاب: ٤٥-٤٨).

{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً} (الأحزاب: ٥٦-٥٧).

والتحذير من إيذاء النبي ﷺ شامل لإيذائه في حياته وبعد وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى. ومن أشد أنواع الإيذاء موالاة أعداء النبي ونشر مدارسهم وجامعاتهم وثقافتهم في بلاد المسلمين، والخروج عن هدي النبوة في حفظ حصن الأسرة المسلمة والحذر من التشبه بالأجانب ودعاة التغريب الذين يسعون جهدهم لتحطيم حصون الأمة من الداخل، وإشاعة الفساد الأخلاقي والإباحية بين أبناء المسلمين والإنفاق على الإعلام الفاسد والفضائيات الفاسدة المتخصصة بعرض مفاتن المرأة وإغراء الشباب وإفسادهم، وهذا ما نبهنا الله إليه بقوله: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً . لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً} (الأحزاب: ٥٩-٦٢).

عود على بدء:

حذرت السورة في مطلعها من إطاعة الكافرين والمنافقين دعاة الاستسلام والهزيمة وفصّلت في صفاتهم بدعوتهم لترك الجهاد والمقاومة مما نذكره بإيجاز:

١- التشكيك ونشر روح اليأس: قال تعالى: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً} (الأحزاب:١٢) فهم المشككون بوعد الله وبقدرة الأمة على مقاومة أعدائها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعدهم وهم يحفرون الخندق بملك كسرى وقيصر، وحين جاء الأحزاب واشتد الخوف أخذوا يخذلون ويتهكمون: " أيعدنا محمد ملك كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته من الخوف، إن هذا إلا وعد غرور" فأنزل الله الآية.

٢- التخذيل عن المقاومة وانتحال الأعذار الكاذبة لترك الجهاد: قال تعالى:{وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا} (الأحزاب: ١٣) {قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا} (الأحزاب: ١٨).

٣- جبناء يتابعون المعركة بنشرات الأخبار، بعيدين عن مواطن المقاومة: قال تعالى: {يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً} (الأحزاب: ٢٠).

وبعد كشف المنافقين وقياداتهم بهذه الآيات ذكر الله في خاتمة السورة براءة المنافقين من زعاماتهم الموالية للكافرين يوم القيامة: {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً} (الأحزاب : ٦٧-٦٨).

وفي مواجهة أقوال المنافقين ورؤسائهم المخذّلين عن الجهاد والمقاومة، يأمر الله المؤمنين أن يقولوا القول السديد الذي يصوّب الطريق، ويضيء المنهج بألا يقفوا متفرجين على الإعلام الفاسد، ودعاة الاستسلام وترك المقاومة، بل يجهروا بالقول الذي يسدد خطوات الأمة ومسيرتها وأهدافها، في نصرة هذا الدين ومقاومة أعدائه، وعلماء الأمة أكثر الناس مسؤولية، وأعظمهم حملاً، في الجهر بالحكم الشرعي بفريضة الجهاد وتحريم الرضى باحتلال أعداء الإسلام لبلاد المسلمين، ومن وراء العلماء الأمة كلها تعلن براءتها من الكفر والنفاق والكافرين والمنافقين، وكلاء المستعمر في بلاد المسلمين، المعطلين للجهاد، المشرعين لبقاء الاحتلال، الحارسين له في بلاد المسلمين.

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً} (الأحزاب: ٧٠-٧١). وإذا تدبرنا الآية الكريمة وما جعله الله من

ثواب عظيم في إصلاح أعمالنا وأحوالنا في الدنيا، وإصلاح أحوالنا في الآخرة بمغفرة الذنوب والفوز العظيم، عرفنا دلالة هذا القول السديد الذي يعرف فيه كل مسلم هدفه، والطريق الموصل إلى الهدف، وكيف يسدد قوله باتجاه نصرة هذا الدين عملاً وسلوكاً وقولاً مجاهداً مبروراً. قال الإمام الزمخشري: " {قولاً سديداً} قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق والقول بالعدل. يقال سدَّدَ السهم نحو الرمية: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد... والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها".

جند الفتح كما تصوّرهم سورة الفتح

بعد ست سنوات ونصف من الهجرة النبوية، كان المسلمون بقيادة النبي الكريم ﷺ قد أنجزوا مرحلة عظيمة في سبيل الوصول إلى الهدف الأكبر وهو تحرير مكة المكرمة والبيت الحرام ورفع راية الإسلام في ربوع الجزيرة وما حولها، ومن معالم هذه المرحلة:

١- ترسيخ قوة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وإقامة الأمن والعدل وتوثيق عرى الروابط بين سكان المدينة على أساس الأخوة الإسلامية ونصرة دين الله.

٢- تحرير اقتصاد المدينة من الهيمنة اليهودية.

٣- إحياء الأراضي الزراعية وتقسيمها بين المزارعين.

٤- انتصارات المسلمين في بدر والأحزاب ومواجهة الآثار السلبية لغزوة أحد.

٥- الوعي الإيماني والسياسي من خلال المسجد والقرآن الكريم والتوجيه والتربية.

وجاء التخطيط للمرحلة التالية وهي فتح مكة وتحرير البيت الحرام. وكان أول معالم النجاح لتحقيق هذا الهدف:

١- النبي القائد ﷺ الذي يؤمن بعقيدته، ولا يتنازل عنها، ولا يساوم عليها.

٢- الجند المؤمنون الذين يلتفّون حول النبي القائد ﷺ ويضحّون بالنفس والمال في سبيل الله ونصرة لدينه.

٣-الخطة الرشيدة التي رسمها النبي القائد للوصول إلى الهدف الكبير، التي التقت في ظلالها سيوف المجاهدين وحكمة القيادة ووعيها السياسي، والالتزام الصارم بتوجيهات القيادة وأوامرها.

وهذا ما تبينه لنا سورة الفتح من خلال النقاط التالية:

١- النبي القائد ﷺ الذي بشّره الله وكافأه بالفتح المبين ثمرة لقيادته المباركة التي قاومت وصبرت، وجاهدت فأحسنت الجهاد، وأعدت فأحسنت الإعداد، وربّت جندها فأحسنت التربية.

هذا النبي القائد الذي لم ييأس، ولم يستسلم، رغم المحن والشدائد، فماذا حصل لو يئس النبي الكريم في غزوة أحد، أو في غزوة الخندق؟ ماذا حصل لو يئس النبي داخل الغار في رحلة الهجرة؟ إن ثقة النبي الكريم ﷺ بربه وصدق توكله عليه، وحسن تخطيطه وتنظيمه، وإعداده، كان وراء هذه

الثمرات المباركة. وتلقّيه للبشرى: {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً} (الفتح: ١-٢).

٢- الجند المؤمنون الصادقون المتوكلون الذين سمعوا توجيه النبي ﷺ يدعوهم لزيارة البيت الحرام وأداء العمرة -وكانت مكة في قبضة المشركين- وكانت دعوة النبي الكريم لأداء العمرة مخاطرة كبرى! إذ كيف يدخلونها ويؤدون عمرتهم، وقريش الحاقدة الحاكمة فيها، والدماء والثارات والحروب السابقة.

أما المؤمنون فاطمأنوا لوعد الله، وبشرى رسول الله ﷺ، ولبوا النداء، ولم يبالوا بالأخطار والمخاوف.

وأما المنافقون فكشف الله نفاقهم وجبنهم، وانتظارهم أن يعود المسلمون بين قتيل وجريح أو أسير مكبل بالقيود.

وذكر الله في سورة الفتح موقف المؤمنين، وموقف المنافقين، فقال في وصف المؤمنين: {هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً. ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً} (الفتح: ٤-٥).

والسؤال: ما حكمة ذكر المؤمنين ووصفهم بالسكينة وزيادة الإيمان وهم يواجهون الأخطار؟! ما حكمة هذا الثواب العظيم الذي ينتظرهم؟!

إنها مرحلة خطيرة في تاريخ الإسلام، تسبق فتح مكة، ولا يواجه الأخطار الكبرى إلا الرجال الرجال، الكبار الأقوياء بإيمانهم، وثقتهم بربهم، وصدق توكلهم عليه، والأقوياء بالتزامهم بطاعة القائد، والتنظيم الحركي الجهادي، لمواجهة الاخطار القادمة، وتحقيق الأهداف العظيمة.

وفي الصورة الأخرى نجد المنافقين الجبناء الذين يدورون حول أنفسهم ومصالحهم، ولا يملكون العقيدة الصحيحة، ولا التوكل الصادق، ويحكّمون مقاييسهم المادية النفعية في سلمهم وحربهم، ففضحهم الله بقوله:{ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً. ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً} (الفتح: ٦-٧).

٣- التخطيط الرشيد للنبي ﷺ: إن معركة التحرير وإنقاذ المقدسات تحتاج إلى قيادة تحسن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جند مؤمنين يحسنون اتباع أصحاب النبي الكريم في جهادهم وتنظيمهم وشجاعتهم وحسن تخطيطهم للوصول إلى الأهداف المرجوة.

ولابدّ من التقاء سيوف المجاهدين، وحكمة القيادة في حربها وسلمها، ملتقية في تحقيق الأهداف

المرجوة، وقد تكون الخطة السياسية المحكمة أكثر نفعاً وتحقيقاً للأهداف من المعارك والقتال. وهكذا كانت عزوة الحديبية ميداناً للصراع السياسي الذي التقت فيه قوة المجاهد العسكرية مع قوته التنظيمية، وبراعته السياسية مع قوته في التفاوض والتعبير عن أهدافه... مشهداً كريماً، ودرساً عظيماً لرجال الفكر والدعوة، وهذا ما يظهر في النقاط التالية:

أ. حرص النبي الكريم على كسب المعركة الإعلامية والنفسية والفكرية بإظهار تعظيمه للبيت الحرام وسَوْق الهدي إليه والإعلان أنه ما جاء لقتال، وإنما جاء لعبادة الله، وأداء العمرة، وتعظيم البيت.

ب. وأرسل عثمانَ رضي الله عنه لقريش يعلمهم بقصد النبي الكريم.

جـ. وفتح النبي الكريم الباب واسعاً للتفاوض والحوار، من خلال حواره مع رسل قريش حتى توصل إلى معاهدة انتزع من خلالها اعتراف قريش بدولته في المدينة المنورة، وحقه في تبليغ دعوة الله إلى القبائل العربية، وكسر الحصار المفروض على الدعوة؛ مما هيأ لآلاف العرب من الدخول في دين الله، وهيأ للإسلام القوة والانتشار في أنحاء الجزيرة العربية. وكانت هذه النتائج مكاسب عظيمة للدعوة هيأت لفتح مكة المكرمة في السنة الثامنة والنصف للهجرة، بعد عامين من صلح الحديبية.

د. وكذلك هيأت لفتح خيبر الذي حرر الجزيرة من آخر حصون اليهود وأوكارهم الحاقدة المتآمرة على الإسلام والمسلمين.

وقد نبّهت السورة لانتصارات الدعوة هذه وهي تتحدث عن البيعة على الموت والجهاد التي أكرم الله بها أصحاب نبيه، وهم يواجهون حرب العدو النفسية بإشاعة قتل عثمان، كما نبهت لقوة التنظيم في حركته الجهادية التنظيمية، حين بايعه الجميع على الموت ما تخلف إلا الجد بن قيس، وكانوا بذلك خيرة أهل الأرض. قال تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً} (الفتح: ١٨-١٩).

وكذلك نبهت السورة لقوة التنظيم الجهادية في إطاعة القائد، ولو خالف ذلك الاجتهادات الفردية، وثقة الجند بقائدهم، ولولم تظهر الصورة للمستقبل بعد، وتحمل بعض مظاهر عناد العدو، وغروره، وعصبيته في سبيل الوصول للأهداف الكبرى بفتح مكة وانتصار الإسلام. وهذا ما ذكره الله بقوله: {إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً} (الفتح: ٢٦).

وكذلك نبهت السورة إلى نظرة النبي الكريم البعيدة، وصبره، وحلمه، وحرصه على تحقيق أهداف الدعوة الكبرى، وتحرره من العصبية، وردود الفعل الآنية، والمكاسب الصغيرة. وهذا ما ذكره الله بقوله. {وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم

وكان الله بما تعملون بصيراً} (الفتح: ٢٤).

ومناسبة الآية ماروي أن ثمانين من جنود المشركين هبطوا على رسول اللهﷺ من جبل التنعيم عند صلاة الصبح حتى وصلوا الحديبية، وهم يريدون الفتك برسول الله ﷺ ، فأسرهم المسلمون، وأُتي بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفى عنهم وخلّى سبيلهم ولم يقتلهم؛ فكان ذلك انتصاراً معنوياً طوّق به النبي أعناق قريش، وأشعرهم أنه يفاوض من مركز القوة واليد العليا، وهو حريص على هدايتهم لا على دمائهم، فشرح صدورهم للصلح الذي كان مقدمة للفتح العظيم.

لقد وصف الله في هذه السورة -في مطلعها وفي خاتمتها- جند الفتح؛ لتكون هذه الصفات نموذجاً رفيعاً لرجال الدعوة وهم يطلبون نصر الله، ويواجهون أعداء الله.

ومن أعظم هذه الأوصاف:

١. السكينة التي تعني شجاعة لا تعرف الخوف، وثقة بالله وتوكلاً عليه لا يعرف الوهن مع التزام بطاعة القائد، وعبّر عن هذه الصفة بالسكينة في مطلع السورة، وحين البيعة، وحين مواجهته عناد قريش وحميتها الجاهلية.

٢. أخوة صادقة يقوم عليها التنظيم الجهادي الملتف حول القائد ﷺ، وكراهية للكفر وشدة في مواجهة الكافرين. وهذا ما ذكره الله بقوله: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} (الفتح: ٢٩).

٣. التحلي بصفات جند العقيدة عبادة لله وطلباً لرضوانه وتحرراً من حظوظ النفس وأهوائها، وذوباناً في حب الله ورسوله، تمثله عبادتهم الخالصة، وجهادهم الصادق، وأخوتهم وتناصرهم وتعاونهم في تنظيم حركي جهادي خلص أفراده لله غاية وعبادة وتنظيماً وعملاً. وقد نبّه القرآن لهاتين الصفتين بقوله: {تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً} (الفتح: ٢٩)، وبقوله: {كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه} (الفتح: ٢٩).

ومما يلفت النظر أن الله بشّر بالتوراة والإنجيل بنبوة محمد ﷺ وصفاته. وكذلك بشّر بالتوراة والإنجيل بصفات أصحاب نبيه محمد ﷺالذين ينصرون دين الله فقال: {سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة} (الفتح: ٢٩) أي علامتهم التي تظهر للناظر، أن وجوههم اكتست بنور السجود والعبادة {ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار} (الفتح: ٢٩). وهذا الوصف ينبهنا لقوة التنظيم الجهادي الحركي وقد مثّل الله أصحابه بالزرع يقوى ويشتد بفراخه -أي بحسن حشده للأنصار والدعاة- حتى يصبح قويّاً مستقيماً غالباً محققاً لأهدافه، معطياً ثمراته المباركة، وقد نضج فيه الحَبُّ وازدهر.

وهنا نجد كيف جعل الله الفتح المبين، والرؤيا النبوية بهذا الفتح، مصاحبة للعمل الجهادي المنظم ومكافأة للقائد والجند الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والتفوا حول النبي القائد مصدقين مجاهدين ناصرين لدين الله.

قال تعالى: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً} (الفتح: ٢٧-٢٨).

هذه سورة الفتح... دروس في الإيمان والجهاد والسياسة، وكيف تُقطف الثمرات بالإيمان والوعي والتخطيط بالقيادة الصالحة، والجند المؤمنين، والوعي السياسي لمتطلبات الحاضر والمستقبل.

العدد (٤٣) آب ٢٠٠٥م

نصرة القرآن والدفاع عن الأقصى *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها العلماء الأجلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ملتقانا هذا لنصرة القرآن الكريم والدفاع عن الأقصى ينادي علماء الأمة، والأمة كلها، للوقوف صفّاً واحداً، للجهاد في سبيل الله بكل صوره وأنواعه لحفظ وجود الأمة والوقوف في وجه أخطر حملة صليبية يهودية تستهدف القرآن كتاباً ومنهج حياة، وتستهدف الأرض مقدسات وحضارة، وتستهدف الأمة كلها وجوداً وهوية. وبين القرآن الكريم والمسجد الأقصى سبب وثيق، فقدسية الأقصى قرآن يتلى في سورة الإسراء: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} (الإسراء: ١).

والمسجد الأقصى عنوان الحضارة القرآنية والدعوة الإسلامية التي حملها أنبياء الله ورسله، وكانت وراثة النبي ﷺ لهذا المسجد بالإسراء إليه وإمامة المسلمين فيه، والعروج منه إلى السماء، يعني تجديد عهد الدعوة الإسلامية في هذه الأرض المباركة والمسجد الأقصى الطهور، بعد أن خرّبه الرومان والمشركون، وهدموه، وعطّله اليهود عن وظيفته بنشر الدعوة وعبادة الله وحده، وتزكية النفوس وتطهيرها وإخلاصها لله رب العالمين.

وهذا ما وجهنا إليه ربنا تبارك وتعالى بقوله: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (البقرة: ١١٤) وكان المسجد الأقصى في فلسطين حصن الدعوة الذي خرّبه اليهود والرومان وكفار المجوس.

وكان تحريره وتجديده بالفتح الروحي للأقصى بالإسراء والمعراج، والفتح العسكري في عهد عمر ابن الخطاب، ثم في عهد صلاح الدين، وكان من ثمرات هذا الفتح وأسبابه الدعوة الإسلامية، والهداية القرآنية التي التقى فيها العالم مع المجاهد في خندق التحرير والمواجهة.

واليوم نجد القرآن والأقصى معاً في المواجهة، فأين العلماء وأين المجاهدون؟!

أيها العلماء الأجلاء:

ذكر الله تعالى حفظه لكتابه وتعهده جلّ وعلا بحفظه بقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر: ٩)، وفي جَمْعِه في قلب النبي الكريم: {لا تحرّك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} (القيامة: ١٦-١٨). وكذلك ذكر الله كتابه وأنه حفظه في صدور العلماء ليكون العلماء الصالحون ورثة النبي الكريم حفظاً لكتابه ونصرة لدينه فقال: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون} (العنكبوت: ٤٨-٤٩).

وبيّن لنا رب العزة سند هذا القرآن المتصل من لدن رب العزة إلى جبريل الأمين إلى قلب محمد ﷺ بقوله: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين} (الشعراء: ١٩٢-١٩٥).

كما يبين لنا مقام هذا القرآن بمكانه ونصره وإجلاله والأدب معه مع القسم العظيم بقوله: {فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين} (الواقعة: ٧٥-٨٠).

ويبين لنا في آيات كثيرة شرف القرآن، ومسؤولية الأمة في حفظه وتبليغه ونصرته، قال تعالى: {وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون} (الزخرف: ٤٤). وإن وقفة عند السور التي ابتدأت بالتنبيه إلى تنزيل الكتاب متبوعة ببعض أسماء الله الحسنى تجدها تملك القلوب والعقول وتصلها بمسؤوليتها في تلقي هذا التنزيل بالإيمان والإخبات والعلم والحفظ والرعاية. فكلمة التنزيل بدلالتها الموحية تهيئ قلب المؤمن وعقله لاستقبال المُنزَل كما تستقبل الأرض ماء السماء، وهذا ما وجهنا ربنا تبارك وتعالى إليه بقوله: {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين} (الزمر: ١-٢).

{حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد . كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب} (غافر: ١-٥).

وبقوله: {الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد} (الزمر: ٢٣).

وفي قوله: {حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون} (فصلت ١-٤). وغير هذه السور بعدها.

أيها العلماء الأجلاء:

ما ذكر الله لنا هذه الآيات في كتابه العزيز إلا لنعرف مسؤوليتنا في تعلمه وتعليمه وحفظه ونصرته، وأن هذا القرآن الذي نزل عليكم من ربكم لا بد أن تستقبله قلوبكم بالحفظ والقيام والعمل والدعوة، ودفع الأخطار عنه، وعسى في مؤتمرنا هذا أن نذكر بعض هذه الأخطار، لنتعاون على دفعها والله المستعان:

١- ومن أعظم هذه الأخطار تهوين أمر هذا القرآن العظيم وقداسته في نفوس المسلمين، وما جرائم أمريكا في جوانتنامو بتدنيس المصحف الشريف، ونشر هذا الخبر ثم نفيه، ثم تأكيده بعد أن رأوا ردة الفعل الضعيفة من الشعوب الإسلامية إلا لتأكيد جريمتهم واستهانتهم بنا.

٢- ويتصل بالاعتداء على القرآن الكريم كتاباً، الاعتداء عليه منهجاً وتعليماً، وذلك بحذف بعض حصص تدريسه، وحذف بعض حصص اللغة العربية، ليتخرج الطالب من الثانوية بل من الجامعة، وهو عاجز عن قراءة صفحة من القرآن الكريم بغير أخطاء، وعاجز عن قراءة صفحة باللغة العربية السليمة. وهذا كله من أجل تحقيق هدف أمريكا والغرب في علمنة الثقافة والهوية والانتماء، وهدم مقومات وجود الأمة الحضاري والثقافي.

٣- ويتصل بالعدوان على المصحف ما تقوم به وزارات التربية في البلاد العربية والإسلامية من تغيير في مناهج التربية الإسلامية والاجتماعية، بحذف آيات الجهاد وغزوات الرسول ﷺ، والآيات المتعلقة بعداوة اليهود للإسلام والمسلمين.

٤- ويتصل بهذا العدوان ما فعلته أمريكا في العراق من حرق للمصاحف ونهب للمكتبات وهدم للمساجد وإحراق لها، وما أعلنه بوش من حرب صليبية وتحالفه مع اليمين المسيحي المتصهين لغزو العالم الإسلامي عن طريق وكلائه من أصحاب السلطة السياسية والإعلامية والتربوية والاجتماعية والثقافية لفتح أبواب الفساد الأخلاقي والإباحية الجنسية، وفتح أبواب الهدم الثقافي عن طريق جامعاته ومعاهده ومؤسساته الثقافية، وهيمنته على أصحاب القرار السياسي والتربوي والثقافي لتنفيذ مخططاته. وما تنظيمات عبدة الشيطان في الجامعات والمعاهد وبين الشباب إلا كتائب موساد يهودية لهدم مجتمعنا من الداخل.

وقد كان هذا التدمير الثقافي لهوية الأمة وحضارتها وأخلاقها هدف الحملات الاستعمارية منذ مطلع القرن الماضي، وهذا ما عبر عنه الشاعر العربي في العراق في الأربعينات من القرن الماضي وهو يرى أخطار هذا التدمير الذي يقوم به وكلاء المستعمر قمعاً وتفريقاً بقطع الصلات بين الآباء والأبناء

بقوله:

سيقول عهد مقبل عن حاضر ... نُشوى عليه لُعنت عهداً بائدا
ولسوف يبرأ عاقب من أهله ... ولسوف يتهم البنون الوالدا

ويحمِّل العالم والمعلم مسؤولية الإصلاح والإنقاذ بقوله:

أصلح بنهجك منهجاً مستعبداً ... صُنع الغريب على الثقافة حاقدا
قالوا قواعدُ يبتنيها غاصب ... وسط العراق على الكرامة قاعدا
تحتل منه مشارعاً ومناهلاً ... وتسد منه مسالكاً ومنافدا
ساقت جيوشَ الموبقات حواشداً ... للرافدَيْن مع الجيوش حواشدا
ما كان أهونَ خطبه مستعمراً ... لو لم يقم وسط العقول قواعدا

٥- ويتصل بهذا العدوان سياسة محاصرة المساجد، ومنع كثير من العلماء المؤهلين الذين يدعون إلى الجهاد ومقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٦- ويتصل بهذا العدوان سياسة التدمير الأخلاقي الذي تقوم به مؤسسات ثقافية وسياحية تستضيف طواغيت الكفر والإفساد لينفثوا سمومهم بحماية هذه المؤسسات بين أبنائنا وبناتنا مثل "أدونيس" و"نوال سعداوي" وغيرهما، وتمنع استضافة علماء ودعاة لهم بين الناس قبول وذكر حسن.

أضف إليها المهرجانات الحاقدة الفاسدة التي تستهدف عقول أبنائنا وأخلاقهم، وأضف إليها ترخيص مراكز التدليك والمساج التي تحولت إلى دور بغاء تحت عناوين فارغة يستقدم لها الساقطات من روسيا ودول أوروبية شرقية وغربية.

ولا مجال للتعداد بعد ذلك وأنتم ترون، وتسمعون وتشاهدون، ويُحَمِّلنا الله تعالى جميعاً مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهة هذه التحديات، وأن نجعل من لقائنا المبارك هذا بداية إعلان رابطة العلماء التي لا يُسمح لنا بترخيصها كرابطات أهل الفن والحرف المختلفة.

(أقول: وقد اتخذ المجتمعون - بفضل الله - قراراً بالموافقة على تشكيل هيئة العلماء في الأردن وكانوا مؤسسين لهذه الهيئة).

أيها العلماء الأجلاء:

إن إخوانكم العلماء في العراق يواجهون اليوم أعداء القرآن ويقودون معركة المصحف بإيمانهم وصبرهم، وصدقهم، وجرأتهم ووعيهم. وإن إخوانكم في فلسطين يقودون معركة المصحف في مواجهة التوراة المحرفة، ومعركة الأقصى في مواجهة الهيكل المزعوم، ويربطون الجهاد بالله وفي سبيل نصرة دينه علماء أبرار ومجاهدين أحرار في مواجهة شارون وجنده وفي مواجهة الفساد والرشوة والعلمانية

وكان منهم شهيد الفجر أحمد ياسين وإخوانه من حفظة القرآن الكريم.

وإن إخوانكم في مصر يقودون معركة المصحف في مواجهة الديكتاتورية والاستبداد، والظلم والفساد، وإبعاد الإسلام عن الحكم والحياة، وفرض التغريب، والتطبيع، والتهويد، والقمع والتجويع والاعتداء على أعراض المسلمات. وكان العلماء في تركيا قد واجهوا في مطلع القرن الماضي قمع أتاتورك الذي علّقهم على أعواد المشانق لمّا رفضوا أن يستبدلوا بالعمامة "البرنيطة الغربية"، وقاوموا التغريب لغة وثقافة وقانوناً وحضارة.

وها أنتم اليوم في المواجهة وقد أعلن (بوش) حربه على قرآنكم ودينكم وبدأ بتنفيذ مخططه التربوي، والثقافي، والاجتماعي في المدرسة والكتاب.. في الجامعة والمعهد.. في محاضرة المسجد.. في المؤسسات الثقافية والفكرية.. في المهرجانات والمنتديات.. في الكتاب والنشرات.

أيها العلماء الأجلاء:

كان من أسباب هلاك بني إسرائيل ضعف صوت العلماء أمام جبروت الحكم الظالم وأنصاره، وضعف الناس أمام أهوائهم وشهواتهم ومطاعمهم ومشاربهم، وتعطيل فريضتين عظيمتين في حفظ وجود الأمة وهويتها وهما: الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ذكّر الله الأمة الإسلامية الوارثة لرسالة الأنبياء بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم ذكر فساد بني إسرائيل والذلة التي ضُربت عليهم بسبب خيانتهم لرسالة الله واجترائهم على العلماء وتعطيلهم لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ذكر الطائفة الناجية من بني إسرائيل التي قاومت التيار الفاسد، ولكنها لم تستطع أن تغلبه أو تصدّه، لأن كثيراً من العلماء لم يجمعوا أمرهم واتخذوا العلم بغياً بينهم ووسيلة للمكاسب واستعلاء بعضهم على بعض.

وهذا ما بيّنه الله في كتاب ليكون لنا درساً وعبرة. قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يضرّوكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يُولّوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه والله عليم بالمتقين} (آل عمران: ١١٠-١١٥).

وهكذا وصف القرآن لنا الطائفة الناجية التي استعصت أمام تيار الباطل:

١- أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون.

٢- يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين.

ليبين لنا سرّ مقاومتها وعدم انجرافها مع التيار،كما يبين لنا أن الأكثرية الفاسدة جديرة بالهلاك وهذا ما يدعو للتفاعل مع الجماهير وقيادتهم والاستعانة بالله أولاً وآخراً.

وإن المواقف السلبية وعدم المشاركة في مواجهة الباطل يؤدي إلى خسائر كبيرة. وقد أحسن الأستاذ العلامة مصطفى السباعي -رحمه الله- في نقده للعلماء في مرحلة مواجهة الاستعمار الفرنسي وحركات العلمنة والتغريب التي شجعتها في بلاد المسلمين بقوله: (وأما القادة -وأعني بهم العلماء- فقد تخلوا عن المسؤولية وقبعوا في البيوت والمعابد ومكّنوا الفوضى والإباحية أن تجوس خلال الديار! ولم يكن منهم إلا قول في مسجد، لا يتجاوز الآذان، وأنّة في درس لا يسمعها إلا العجزة والشيوخ، وحوقلة واسترجاع هما عدة العاجز وتكئة المهزوم).

وتابع يقول: (قد يكون هذا الحكم قاسياً، ولكنه الواقع، وقد يكون مؤلماً ولكن الألم في السكوت عنه أشد، وكيف لا يذوب القلب أسىً حين يرى أشد الناس صلة بالدين، وأحقّهم بالدفاع عن عقائد المسلمين، ينزوي كل واحد منهم في وظيفة أو مسجد أو بيت بينما تُشَادُ معاهد التبشير، وتؤسس بيوت الدعاية الأجنبية، وتحارب أحكام الله عمداً يوماً بعد يوم من قبل الحاكمين على شؤون البلاد، ولا يرتفع للعلماء صوت، ولا يرى لهم أثر، ولا يحس لهم بوجود؟ وإذا لقيت أحدهم فذكرت له ما يعانيه المسلمون اعتذر لك بفساد الزمان، وضعف الدين، وأنبأك أن هذا من علامات قرب الساعة، والسعيد من لزم بيته وحفظ نفسه).

وقال: (إن هذا كان شأنهم حتى زمن قريب، ثم شاء الله أن يبعث الحمية في نفوس أفراد منهم فألّفوا عدة جمعيات ..). وأقول: وشاء الله أن يجدد لهذه الأمة أمر دينها بالحركة الإسلامية الراشدة التي بعثها الإمام حسن البنا وإخوانه، وجمع الأمة على رسالة القرآن على مختلف تخصصاتهم وأعمالهم.. ونادى بالعلماء لقيادة المسيرة .. وقدموا الشهداء في مصر، والعراق، وسورية، وفلسطين، وغيرها من بلاد الإسلام، وأقاموا التنظيم الإسلامي الحركي الراشد في مؤسساته التربوية والثقافية والإسلامية والاجتماعية والصحية والسياسية.

وها أنتم اليوم تواجهون أخطر التحديات! المصحف المعتدى عليه في جوانتانامو، ومساجد العراق، وفلسطين، ومؤسسات التعليم، والمسجد الأقصى الأسير المهدد بالهدم وبناء الهيكل على أنقاضه، كل ذلك يستصرخكم لتجمعوا أمركم، وتوحدوا صفكم، وتعلوا صوتكم في نصرة دين الله والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر. نناديكم أيها العلماء لنكون صفّاً واحداً يدافع عن قلعة الإسلام وحصن القرآن في وجه هذه الحملة الصليبية اليهودية الحاقدة. {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز}(المجادلة: ٢١).

* ألقي هذا الخطاب في ملتقى العلماء لنصرة القرآن الكريم والدفاع عن الأقصى الذي عقد في الأردن بتاريخ (١١/٦/٢٠٠٥م).

شهر رمضان ومواجهة الأحداث الجسام

نشهد شهر رمضان هذا العام ونشهد معه أخطر التحديات التي تحيط بأمة الإسلام، ومن أخطرها: تخطيط اليهود لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه. وقد سلك شارون وعصابته مسلكاً ماكراً لتحقيق هذا الهدف. ومن خطوات شارون هذه:

- الانسحاب من غزة لينجو من ضربات المقاومة الإيمانية الشجاعة من جهة، وليخدع الناس بأنه رجل سلام!

- وتحت هذه الحجة أراد أن يجرّد المقاومة من قوتها وسلاحها، ليجرد الأقصى من سلاح الشعب الفلسطيني الذي يدافع عنه.

- وأن يجرّد أيضاً الأقصى من نصرة الأمة العربية والإسلامية التي تحميه وترهب أعداءه، وذلك بأن تبدأ هذه الدول بالاعتراف بالكيان الصهيوني، والتطبيع معه، بالتجارة وغيرها؛ ليتركوا الأقصى وحده تحيط به المستوطنات التي تزايد عددها، وكثر سكانها بعد الانسحاب من غزة، وبنى شارون جداراً عازلاً فصل القدس عن الضفة الغربية، وأعلن أن القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل، وأن الضفة أرض إسرائيل.

إن الحكام الذين سارعوا بالاعتراف بإسرائيل، أو إعلانهم عن بداية التطبيع والتبادل التجاري، يكونون قد سدّدوا سهمهم في خاصرة الأقصى الأسير، وخذلوا شعب فلسطين، وقدموا لشارون أكبر العون للمضي في طريق تهويد فلسطين، والقدس، وهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل على أنقاضه، فلا قرّت أعين الجبناء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكان من فضل الله وكرمه أن المقاومة الجهادية في فلسطين مدركة لهذه المخططات، وشعب فلسطين معها، فأعلنت أنها لن تلقي سلاحها، ولو كره الكافرون والمنافقون.

يوافينا شهر القرآن هذا العام، وقد أرانا ربنا بأسه، وتنكيله ببوش، وجنده، وإدارته، وعرّاهم أمام شعوبهم، وأمام الناس بإعصار "كاترينا" الذي حوَّل "لويزيانا" إلى خراب أشبه بما تصنعه الطائرات الأمريكية في مدن العراق وأفغانستان. وإذا هذا "الطاغية المستكبر" الذي يزعم كاذباً أنه أرسل جنده إلى العراق لتحريره، كان عاجزاً عن الدفاع عن شعبه أمام إعصار عرفوا وقته وقوته وحركته، فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب. قال أحد الأساتذة المؤرخين: إن الجنود الأمريكان الذين شاركوا في ضرب الفلوجة ومدن العراق، أكثرهم من هذه المدينة التي أهلكها الله بهذا الإعصار!

يوافينا شهر رمضان هذا العام والعدو الأمريكي يخطط لاحتلال سوريا ولبنان، ليحكم قبضته على الوطن العربي بأكمله.

يوافينا شهر القرآن ونحن نواجه مع القرآن العظيم أخطر حملة ثقافية فكرية حضارية، تسعى لتغيير المناهج والكتب المدرسية، وخطب الجمعة، والتوجيه الإعلامي، لطمس هوية الأمة الإسلامية الحضارية، وتحويل الجيل الجديد إلى القيم الغربية والأخلاق الغربية؛ لينسى وطنه وجراح أمته، ويعيش لشهوته ولذته. وما عبّاد الشيطان، والحركات الماسونية التي أحكمت قبضتها على رئاسة الجامعات ومراكزها الأساسية في أكثر البلاد العربية إلا صورة من صور هذا المخطط الأمريكي اليهودي.

يأتينا شهر رمضان ونحن نرى النموذج الأمريكي لتقطيع الوطن في العراق، حيث أشعل فيه (بريمر) ووكلاؤه العصبية الإقليمية، وأشعلوا الفتنة الطائفية؛ ليبيدوا هذا الشعب العظيم، ووضعوا دستوراً جديداً للبلاد يكرس هذا التقطيع ويثير هذه الفتن.

يأتينا الشهر الكريم ونحن نواجه هذه الأعاصير والتحديات لنسأل عن طريق الخلاص والإنقاذ .. ويأتينا الجواب الهادي من القرآن العظيم {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} (الإسراء: ٩) ليدلنا كيف جمع محمد ﷺ هذه الأمة تحت قيادته النبوية، وأعطى كل مسلم ولاءه لله ورسوله وجماعة المؤمنين، وبايعوا النبي القائد على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وكانت الجماعة المؤمنة المجاهدة في مكة المكرمة بصبرها والتفافها حول النبي القائد ﷺ هي التي هاجرت معه إلى المدينة المنورة لتقيم دولة الإسلام، وتحرر مكة والجزيرة وما حولها من الشرك والمشركين.

يوافينا شهر رمضان هذا العام ليجند أهل القرآن في معركة القرآن، وليطهرهم بالصوم من ضغوط الجسد، وشهوات النفس التي من شأنها أن تثاقل بالإنسان إلى الأرض، وليحررهم من الخوف وهم ينتظرون الفرحة الكبرى بلقاء الله، والثواب الكبير بأجر الصائمين القائمين، وإذا تعودنا أن نذكر في هذا الشهر انتصارات الإسلام في غزوة بدر الكبرى، وفتح مكة، وعين جالوت، وما كان للصوم، وصدق النية مع الله، وصدق التوكل على الله، وحسن الطاعة للقائد في مرضاة الله، من أثر في نصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة، فإني رأيت أن أبدأ من قصة طالوت وجيشه التي تمثل معركتهم معركة دولة المؤمنين الموحدين مع المشركين الوثنيين، على أرض فلسطين، والتي شارك فيها الحجر، مع القيادة المؤمنة الخالصة لله، وكان جندها هم الاستشهاديون الأبطال الذين انتصروا على شهوات نفوسهم، وأثروا أمر الله على هوى النفس، وكان حرصهم على الشهادة سرّ قوتهم وصبرهم وهم يواجهون طغاة المشركين المتفوقين بالعدد والسلاح، ونقف عند الآية الكريمة: {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين} (البقرة: ٢٤٩).

ونقف عند المعاني التالية:

١. {فلما فصل طالوت بالجنود}: يقال في اللغة: فصل عن موضع كذا: إذا انفصل عنه. والمعنى: انفصل عن بلده.

روي أنه قال لقومه: "لا يخرج معي رجل بنى بناءً لم يفرغ منه، ولا تاجر مشتغل بالتجارة، ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ...".

وفي هذا إشارة لدور الشباب في المعركة وإحراز النصر، وتذكير بخطط أعدائنا بإفساد الشباب وإشغالهم عن قضايا دينهم وأمتهم وأوطانهم.

٢. {قال إن الله مبتليكم بنهر}: لا بد من التصفية قبل المعركة، ليتميز الجند الذين ينتصر بهم دين الله، عن ضعاف النفوس الذين يتساقطون أمام شهوات نفوسهم. وكذلك ابتلى الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل غزوة بدر، بنجاة عير قافلة أبي سفيان، وكانوا قد خرجوا ليغنموها، ومواجهتهم جيش قريش، وكان عدده ألفاً، وعدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً.

إنه الابتلاء قبل المعركة ونجح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوا النبي على الموت. وكان النصر العظيم الذي شاركت به ملائكة السماء وقرّت به عيون المؤمنين. وكذلك يبتلي الله دعاة التحرير في فلسطين والعراق وغيرها من بلاد الإسلام؛ ليتميز جند العقيدة الذين وهبوا نفوسهم لله، وكان منهم شهيد الفجر أحمد ياسين، وعبدالعزيز الرنتيسي، وصلاح شحادة، ويحيى عياش، وغيرهم من أهل الصيام والقرآن، ليتميزوا عمن رفعوا شعار التحرير، وحين تسلموا شيئاً من السلطة، كشفهم شعب فلسطين برشاواهم، وفسادهم، وظلمهم، وتعاونهم مع العدو اليهودي، آثروا الفنادق على البنادق، ودنياهم على دينهم وأوطانهم. وكذلك جند طالوت.. كانوا عطاشى، وسألوا الله أن يجري لهم نهراً: {قال إن الله مبتليكم} بما اخترتموه من النهر، {فمن شرب منه فليس مني} وليس من جيشي الذي أقاتل به عدوي، {ومن لم يطعمه فإنه مني} أي ومن لم يذقه فإنه مني، {إلا من اغترف غرفة بيده}: رخّص الله لهم في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والشرب الكثير، {فشربوا منه} أي فكرعوا فيه، {إلا قليلاً منهم} أي فلم يطيعوه إلا قليل منهم، قيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً. (انظر: الكشاف ج١/٢٩٦).

{فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده}: هنا يسجّل القرآن الكريم، ويلفت ربنا الأنظار إلى جملة حديث المؤمنين وهم يحكّمون الحسابات الظاهرة في مواجهة الأعداء قبيل المعركة ويقولون: {لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده}. وكذلك يوجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى دور الاستشهاديين الصادقين في صنع الانتفاضة، وتحقيق النصر، حين ينتفضون بإيمانهم وحسن توكلهم

على ربهم، وصدق طلبهم للشهادة وسعيهم للقاء الله عن طريقها، على كل أسباب الجبن والضعف.

ويذكر قولهم: {قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}. هؤلاء الاستشهاديون الأبطال {الذين يظنون أنهم ملاقو الله} يعني "الخُلّص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه، أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عمّا قريب ويلقون الله. والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة" (الكشاف ج١/ ٢٩٦).

هؤلاء هم الذين أنقذوا الأمة، وأحرزوا النصر، وحفظوا الإسلام في الأرض، وانتصروا في داخل الأمة على دعاة الاستسلام والتطبيع وتقديم التنازلات، وتعطيل الجهاد، كما انتصروا على أعداء الإسلام في ميادين المقاومة والجهاد.

ويذكر الله دعاء هؤلاء المجاهدين الذي يمثل ذروة إيمانهم وصبرهم وصدقهم وهم يلتحمون في المعركة في مواجهة المشركين: {ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين} (البقرة: ٢٥٠-٢٥١). ولنا وقفة عند هاتين الآيتين الكريمتين من خلال النقاط التالية:

١. من هو جالوت؟ إنه جبار من العمالقة المشركين.. إنه يمثل في عصرنا هذا.. وكل عصر.. الجبارين المحاربين لدين الله من شارون إلى بوش وما يملكون من قوة السلاح، وقوة العدد، وقوة الإمكانات.

٢. من هو طالوت؟ إنه رجل مؤمن موحد من عامة الناس، آتاه الله بسطة في العلم والجسم. وكذلك القيادات الإسلامية الشعبية تتميز بأنها تظهر من وسط الشعب متسلحة بالإيمان والعلم والقوة والخبرة .

٣. من هو داود؟ إنه نبي الله الذي لعن بني إسرائيل الذين عصوا وخانوا الله ورسوله ورسالته: {لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} (المائدة: ٧٨-٧٩).

٤. وإن داود عليه السلام الذي كان جندياً في جيش طالوت، قد جعل الله قصته مثلاً لرجال الجهاد والمقاومة، وإنه أحد أفراد أسرة مجاهدة من أسر الموحدين في فلسطين، كان أبوه وإخوانه الستة في جيش طالوت، جيش المقاومة والجهاد والتحرير، وما أشبههم بأسر المجاهدين في فلسطين. وانضم داود لهذا الجيش، وحمل في طريقه إلى المعركة مجموعة من الأحجار قاتل بها.. إن أحجار فلسطين منذ عهد طالوت وداود تحمل شرف الجهاد .. وستكون بإذن الله مجاهدة وهي تدل المسلمين على مخابئ اليهود.. كما هي مجاهدة اليوم بأيدي أبناء فلسطين .. نصرهم الله نصراً عزيزاً بقوته وعزته.

٥. وإن دعاءهم: {ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين} يوجهنا إلى عظم المواجهة، وخطر العدو، وهم يدعون الله أن يفرغ عليهم صبراً، ويهبهم ما يثبتهم في مواجهة المشركين من قوة القلوب، وإلقاء الرعب في قلب العدو، ونحو ذلك من الأسباب.. قارنوا بين دعاء المجاهدين بالتثبيت، ودعاء وكلاء بوش وشارون بالاستسلام والتطبيع!

٦. {فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت}: هذه عاقبة المتقين المجاهدين، هذه عاقبة المنتفضين الاستشهاديين وهي النصر بإذن الله: {فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت}.

٧. {وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء}: إنها قيادة صنعتها المعركة، وكشفتها الانتفاضة الإيمانية المباركة، وهذا عطاء الله للقادة المجاهدين: {وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء}.

وإذا كان بعض الناس يبنون قيادتهم على ما يقدمونه للمحتل من خدمات، ويربطون أنفسهم بالولاء للأجنبي، فإن القيادة المؤمنة تفرزها ساحات المقاومة، وشرف المواجهة، وصدق الجهاد، وثقة المجاهدين بالقائد الذي أحسن التخطيط، وأحسن القيادة، وأحسن الجهاد، ثابتاً على مبادئه، صابراً في مواجهة الأخطار، مستعصياً على أسباب التفريط والتنازل وملاينة الأعداء. وهذه هي المكافأة الربانية للقائد المجاهد .. وآتاه الله الملك في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها .. وآتاه الله الحكمة.. وهي النبوة.. والقائد الذي يمضي على هدي النبوة يعطيه الله بركاتها..

{وعلّمه مما يشاء}: والعلم والانتفاع بتجارب الآخرين، والاستفادة من منجزات العصر.. أساس في بناء شخصية القائد المسلم.

٨. {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين}: إن تحرير الأوطان من المحتل اليهودي والأمريكي، وإن إنقاذ المسجد الأقصى من الهدم في مواجهة الهيكل المزعوم، وإن حفظ الإسلام في هذه الأرض في مواجهة الحرب الصليبية التي أعلنها شارون وبوش على القرآن والإسلام والمقدسات لا يتم إلا من خلال الجهاد وحركة الأمة وتعاونها في دعم الجهاد والمجاهدين، وإن أخطر ما يهدد الإسلام والهوية الإسلامية في المؤسسات التعليمية والإعلامية والتوجيهية هو قيام بعض الحكام بتقديم التنازلات لليهود في مجال التطبيع، أو في مجال التربية والتعليم، أو في مجال الاعتراف السياسي، والتعاون الأجنبي. وهم يعلمون أهداف بوش وشارون، وأخطارها على الإسلام والقرآن والقدس والأقصى والمقدسات.

إنه الفساد في الأرض لا يدفعه إلا أهل القرآن، الماضون على منهج محمد عليه الصلاة والسلام.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

{وليأخذوا حذرهم}

قال تعالى: {وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة..} (النساء: ١٠٢).

إنها فريضة شرعية، كالصلاة والصوم.. الحصول على الأسلحة الرادعة للعدو وإعداد العُدة، وتسليح المجاهدين، وتدريب القادرين على حمل السلاح، والحصول على أسلحة تكافئ أسلحة العدو نوعاً وكمّاً، ليكون توازن القوى سبباً في إرهاب العدو ومنعه من الاعتداء على المسلمين أرضاً وشعباً وعقيدة ومقدسات.

قال تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون} (الأنفال:٦٠).

والمتأمل في هاتين الآيتين في سورتي النساء والأنفال يجد ما يلي:

١- أن تجريد الأمة والمقاومة من أسلحتها هدف ماكر للعدو لطمس معالم الأمة واحتلالها والقضاء عليها وجوداً وأرضاً وهوية ومقدسات. قال تعالى: {ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة} (النساء: ١٠٢).

وإن العدو اليهودي يسعى بمكره وكيده، ليجعل من انسحابه من غزة وسيلة للضغط على المقاومة وتجريدها من سلاحها، ليتسنى له بعد ذلك هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، وحماية أمن إسرائيل من كل مقاومة. وهذا ما تسعى إليه أمريكا واليهود من تجريد حزب الله من سلاحه، وتجريد إيران من قوتها النووية.

وقد بيّن الله في كتابه أن إعداد القوة المستطاعة لمواجهة العدو فريضة شرعية لإرهاب العدو من أن يجترئ على العدوان، وللدفاع عن المقدسات والأوطان.

٢- أن الخطاب في الآية الكريمة {وأعدوا} موجه إلى الأمة كلها لتكون جيشاً وراء التنظيمات الإيمانية المجاهدة، بعد أن انكشف الغطاء، وتبين أن الأنظمة المرتبطة بمعاهدات السلام مع العدو الصهيوني عاجزة عن المقاومة والنصرة. ومن الأحكام التي أجمع عليها علماء المسلمين أن الجهاد فرض عين على كل قادر على حمل السلاح إذا احتل العدو شبراً من أرض الإسلام، ولا تتحقق هذه الفريضة

إلا بإعداد العدة سلاحاً وتدريباً، وتحويل الأمة إلى حياة الجهاد بالمال والسلاح والتوعية الإعلامية الإيمانية.

وإن مسؤولية حكام المسلمين كبيرة ومضاعفة للدفاع عن أرض الإسلام، ودين الله، ومقدسات الأمة، وإنّ أي تقصير في هذا يعد خيانة لله ورسوله وجماعة المؤمنين. قال رسول الله ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) (رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن معقل بن يسار رضي الله عنه).

٣- أن من أعظم الغش للأمة أن نشغلها عن الجهاد، ونحولها إلى حياة الأكل والشرب والرقص والغناء، ومطالب الجسد الرخيصة. هذا، وقد كذّب الله في كتابه الذين يزعمون الغيرة على الأمة والحرص على الجهاد، وأعمالهم تكذبهم.

ومنها تعطيلهم للتدريب والتسليح وفتح أبواب الفتنة والفساد والرجس، وتنكيلهم بالمجاهدين، ومصادرتهم لأسلحتهم، وانشغالهم بالرشاوى والفساد وجمع الأموال. قال تعالى في وصفهم: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين} (التوبة: ٤٤-٤٦).

وقال تعالى: {فلا تعجبْك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون . ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أومُدَّخلاً لَوَلَّوا إليه وهم يجمحون} (التوبة: ٥٥-٥٧).

ونقف مع هذه الآيات عند النقاط التالية:

١- علامة الإيمان ألا يستأذن صاحبه عند الجهاد بالمال والنفس. وعلامة النفاق انتحال الأعذار الكاذبة للتخلف عن الجهاد.

٢- المتخلفون عن الجهاد مشغولون بتنمية مكاسبهم المحرَّمة على حساب مصلحة الأمة، وارتباطهم بالأجنبي ولاءً ومصالح معتمدين على الخداع والأيمان الكاذبة. وهذا ما نبهنا الله إليه بقوله: {فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم... ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم..}.

٣- بيّن الله أن الجهاد فريضة محكمة، وأن التخلف عن الجهاد لنصرة دين الله وتحرير الأوطان من العدو الأجنبي الكافر هو من أعظم الخيانة لله ورسوله وجماعة المسلمين، يؤذن بعذاب عظيم يصيب الأمة كلها. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم

عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير} (التوبة: ٣٨-٣٩).

وقال تعالى: {انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (التوبة:٤١).

وقال تعالى -بعد أن أمر الأمة بالاستجابة لله وللرسول بالجهاد في سبيل الله الذي فيه حياة الأمة-: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب} (الأنفال: ٢٤-٢٥).

وقد حذرنا الله بعد ذلك بقوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم} (الأنفال: ٢٧-٢٨).

حرب المصطلحات وخداعها:

منذ مطلع القرن الماضي صاحبت جيوش المستعمر البريطاني حملة تبشير ثقافية للتشكيك بديننا وقيمنا وأخلاقنا، وتنفيرنا من تاريخنا وحضارتنا وهويتنا. وصارت تسمّي الاعتصام بالله والتمسك بدينه رجعية وتأخراً وجموداً. وتسمّي الإباحية والتحلل من التزامات الإسلام تقدماً ومرونة. وفي ظل هذه الحملة نجد في زماننا هذا يسمون الجهاد للدفاع عن الوطن والمقدسات والإسلام إرهاباً وأصولية وتطرفاً.

ومن العجب أن المستعمر البريطاني والأمريكي -الذي يرفع هذه الدعوى- هو الذي يمارس أحط أنواع الإرهاب في دعمه للعدو الصهيوني في فلسطين بالمال والسلاح والرجال، وهو الذي يهدم المنازل على أهلها، ويقتل الشيوخ والأطفال في فلسطين والعراق وأفغانستان.

قَتل في العراق أكثر من مئة ألف عراقي أطفالاً وشيوخاً ونساءً باسم محاربة أسلحة الدمار التي لم يجد منها شيئاً.. ولا يزالون يقتلون ويذبحون.

وقدّم الإنجليز لليهود في الخمسينات الماء المخصب لليورانيوم ليصنعوا قنبلة الدمار الذرية الإسرائيلية.

وقدمت أمريكا في حرب ١٩٦٧ لليهود عن طريق السفينة (اليبرتي) خدمات التجسس، وقدمت لهم الصواريخ المتقدمة. وشارك ١٥ ألف مرتزق أمريكي في مواجهة الجيش المصري في حرب اليمن .

وها هم في العراق يرتكبون المجازر في سجن أبوغريب والسجون الأخرى والتنكيل بالعراقيين، وفي مدن العراق وقراه وريفه، حتى حولوا هذا البلد الحضاري إلى مدن تفتقر إلى الماء والكهرباء والغذاء والدواء. وتقوم بعملية إبادة لهذا الشعب عن طريق الأسلحة المسرطنة والطعام المسرطن والقتل الجماعي.

أيّ إرهاب دولة أعظم من هذا؟ ومع ذلك يصفون من يقاومهم بالإرهاب. وما أصدق المثل العربي فيهم: "رمتني بدائها وانسلّت".

إن الحكومة الأمريكية الإرهابية المعتدية، والحكومة البريطانية الإرهابية المعتدية انكشف أمرهما حتى عند رجال البرلمان والرأي والصحافة في بلديهما إلا عند نفر من الناس في بلادنا العربية.. قعدوا على صدور شعوبهم، وأخذوا يرددون كلام أعدائهم في صحافتهم وإعلامهم! وما علموا أن الفجر الصادق قد آذن بالطلوع، وأن شمس الإسلام قد آذنت بالشروق، وأن الشعوب في الطريق لحمل الأمانة والدفاع عن دينها ومقدساتها وأوطانها. {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}.

العدد (٤٤) أيلول ٢٠٠٥م

بالوحدة والجهاد نواجه المخطط التدميري الاستعماري

منذ مطلع القرن الماضي، وبعد القضاء على دولة الخلافة الإسلامية التي كانت توحد أمة الإسلام وأقطارها رسم المستعمر البريطاني والفرنسي، وتبعه الأمريكي خطة لتقطيع الأوطان العربية والإسلامية، وذلك بهدف احتلال الأوطان وشل حركة الشعوب ومنعها من المقاومة والتحرر.

وكان من أسس هذه الخطة ما يلي:

١- التقطيع السياسي بمعاهدة سايكس بيكو وتحويل الوطن العربي إلى دويلات تفتقر كل دولة إلى مقومات الدولة .. فنظام الحكم فردي استبدادي، والديمقراطية مغيبة، أو مزورة، والميزانية من مساعدات الأجنبي لإحكام هيمنته، أو قائمة على القروض والديون، والاقتصاد والتنمية محكومة بأهداف المستعمر في فرض التخلف والعجز.

٢- التقطيع الثقافي والفكري بإقامة مدارس أجنبية في بلاد المسلمين وجامعات تحمل الفكر الغربي وتحارب الإسلام عقيدة وحضارة، وتشكك بأصولنا الحضارية التي صنعت أمجاد هذه الأمة ووحدتها، مثل كتاب طه حسين في الأدب الجاهلي وتشكيكه بلغة القرآن والشعارات التي رفعها : " خذوا عن الغرب خيره وشره"، والتأسيس للأحزاب العلمانية التي تحارب الإسلام حضارة وتشريعاً وقانوناً، وتدعو لفرض التغريب والعادات الغربية والقوانين الغربية في بلاد المسلمين، وكان تغريب المرأة والأسرة من أخطر ما تعرضت له وحدتنا الاجتماعية والأسرة المسلمة.

٣- تشجيع الغرب للحركات القومية المنفصلة عن الإسلام ومحاربة الحركات القومية التي تؤلف بين عروبتها وإسلامها.

وفي ظل القومية المنفصلة عن الإسلام تحصَّن أصحاب الفكر المستورد من اليساريين واللادينيين والماركسيين ليخدعوا الجماهير بأنهم قوميون، وما هم إلا شعوبيون منسلخون عن عروبتهم وإسلامهم وحضارتهم، ويسعون لتحقيق أهداف المستعمر بالقضاء على دين الأمة؛ دين الوحدة والجهاد والتحرير. وكان أوضح مثال على ما ذكرنا الأحزاب القومية التركية والعربية والكردية التي انسلخت عن الإسلام، ففقدت مصداقيتها في توحيد الأمة. وحين تمكنت من الحكم حوّلته إلى "مزارع" للحاكم وأتباعه وأنصاره وأعدمت " الديمقراطية" وقطّعت أوصال المجتمع وعاثت في الأرض فساداً، وهيأت للمحتل المستعمر أن يحتل الأوطان، والشعوب في القيود والأغلال التي صنعها الحكم المستبد الظالم.

وكذلك الأحزاب الكردية " العلمانية" و " الماركسية" التي تحولت إلى " مطايا" لجنود المحتل المستعمر في العراق، ولا يجد المحتل الصليبي خادماً لأهدافه، وهيمنته خيراً من نظامين : نظام يدّعي القومية، ويرفع شعار العلمنة والماركسية، ونظام يدّعي الإسلام، ويبطن الكفر بولايته للأجنبي الذي ينهب خيرات الأمة وبركاتها، ويعطل الشورى والمحاسبة والمراقبة على مال الأمة، ويحوله إلى ميزانيته الخاصة، ومشاريعه الفردية والأسرية، ولا ينال الشعب إلا الفتات.

والأمثلة كثيرة لأهداف المستعمر التربوية والسياسية في إنشاء الأحزاب والشعارات التي تمزق وحدة الأمة، فالدعوة إلى الفارسية رفع شعارها شاه إيران في ظل القومية الفارسية وكان حليف اليهود الأول في المنطقة.

والدعوة إلى الفرعونية رفع شعارها " لطفي السيد" وإخوانه في مصر، برعاية من السفارة البريطانية.

والدعوة إلى "الفينيقية" رفع شعارها "أنطوان سعادة" و "القوميون السوريون" في سورية ولبنان وبلاد الشام، وكذلك الدعوة إلى "البربرية في المغرب" "والأشورية في العراق"، واليوم نجد الصورة واضحة صارخة في العراق فهو يواجه مؤامرة التقطيع والتفتيت في ظل العصبية الكردية اللادينية، وفي ظل العصبية الطائفية، وإذا نجح المستعمر الأمريكي في تقطيع العراق وحوّله إلى سنة وشيعة، وعرب وكرد وتركمان .. كان الخطر الماحق الذي يهدد وطن الإسلام وأمته، وهذا ما يدعونا إلى رفع شعار الوحدة والتذكير بثوابت العقيدة وشواهد التاريخ.

الإسلام ومنهجه في بناء وحدة الأمة :

كان العرب قبل الإسلام قبائل يستحلُّ بعضها دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض، وكانت الفرس والروم هي المستفيدة من هذا التقطيع والعداوة، وكان اليهود داخل الجزيرة هم المستفيدين من حروب الأوس والخزرج للهيمنة على سوق المدينة التجاري وأحسن أراضيها الزراعية، وفي خيبر وتيماء، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ بهذا الإسلام ليصنع وحدة الأمة على الأسس والقواعد التالية:

١- إعلان هوية الأمة وترسيخ أخوتها الإسلامية، وقد بيّن الله تعالى: {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون} (الأنبياء: ٩٢)، {إنما المؤمنون إخوة} (الحجرات: ١٠).

وفي ظل رابطة الأخوة الإسلامية تآخى المهاجرون والأنصار، وتوحدت القبائل العربية، وانطلقت في ظل هذه الوحدة لتحرر أرضها من الشرك والأوثان، ومن الفرس والرومان، ومن الأنظمة الجاهلية، وفي ظل هذه الأخوة الإسلامية تآخى العرب والترك والفرس والعجم ما وراء النهر، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ووجدت القوميات المتعددة في ظل الإسلام القاسم المشترك الذي يوحدها ويعتصر

خبراتها وكفاءاتها، فخدموا اللغة العربية، وعلوم التفسير والفقه والحديث، وكان سيبويه إمام العربية، والزمخشري إمام التفسير، والبخاري ومسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه أئمة الحديث النبوي .. هذه العلوم التي حفظت هوية الأمة الحضارية لغة وكتاباً وحديثاً وتفسيراً.

وما أجمل قول الشاعر العربي في هذه الأخوة:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقول الشاعر الهندي:

الصين لنا، والعرب لنا والهند لنا، والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً وجميع الكون لنا وطنا

و يذكّر الشاعر الهندي بأصل هذه الأخوة فيقول:

غرس الأخوة أصله من يثرب هي جنة المأوى وغارسها النبي
إن ضلّت الدنيا أعاد صوابها نور المدينة لا شعاع الكوكب

وقد حذّرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ من الفرقة بكل صورها وألوانها فقال تعالى:{ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم } (آل عمران: ١٠٥) وفي آية: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} (الأنفال: ٤٦).

وقد دلّنا ربنا على القاعدة التي تقوم عليها الوحدة وهي طاعة الله ورسوله وأتبعها بالنهي عن النزاع والخلاف، فعلى طاعة الله ورسوله تتوحد الأمة، وتلتقي على المنهج الرباني الذي يقيم العدل والمساواة والتراحم، والتعاون، والتكافل، مهتدياً بقول النبي الكريم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

وهذا ما ذكره الله بقوله: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً} (آل عمران: ١٠٣).

وقد حذّرنا النبي الكريم ﷺ من الفرقة وقرنها بالكفر بقوله: " لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". وفي ظل هذا الحديث النبوي نتوجه لأهلنا في العراق وفي كل أرض ونقول: هل يسرُّكم أن تحققوا أهداف المحتل الأمريكي فيضرب بعضكم رقاب بعض، ليقضي أعداء الله على الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، ولا يبقى أحد: لا سنة ولا شيعة ولا عرب ولا كرد؟ إن عدوكم يراهن على فرقتكم، وتفجير الحروب الداخلية ليجعل من هذه البلاد " أندلساً جديدة " ليبيد فيها الإسلام والمسلمين، فماذا تقولون للتاريخ وللأجيال؟ وأستشهد هنا بشعر للشيخ عز الدين التنوخي رحمه الله وقوله:

ليس قتل الحسين أعظمَ جرماً وهو مما اهتزت له الأجرام

من تعاديكم الذي حرّم الله ومن أن تُقطَّع الأرحام

إن الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه وحّد المسلمين في عام الجماعة وتنازل عن الحكم ليحقن دماء المسلمين، وكان وراء هذا الصلح انتشار الإسلام في أفريقيا وما وراء النهر، حيث تفرغ المسلمون للجهاد، ونشر الدعوة، بدل القتال الداخلي.

الوحدة والفتوحات والانتصارات:

أخطر ما يهدد الوحدة أن تكون شعاراً بلا مضمون عقائدي وأخلاقي وثقافي وحضاري.

إن العقيدة الحقة التي تصهر صاحبها في رسالته وهدفه، كانت غائبة لدى بعض الأحزاب القومية، وحلّت محلها الغنائم والمصالح والاستبداد والقمع الذي فرّق الأمة ومكّن أعداءها منها. إن الشعب في ظل القمع والجوع والتنكيل لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولا أن يتحد ويجمع صفه وقد هشمته سهام حكامه وظلمهم. ولكن الشعب حين يجد القيادة المؤمنة الواعية الهادية التي تقيم العدل والمساواة وتنشر قيم الرحمة والتكافل والتعاون بين الناس، تكون قد وحدت الأمة من الداخل وجعلتها كالبنيان المرصوص. وهذا ما نضرب له بعض الأمثلة من تاريخ هذه الأمة:

١- في غزوة بدر -وبعد نجاة عير أبي سفيان- كان همّ رسول الله ﷺ وحدة المجاهدين في وجه الأعداء .. وكان الطريق لهذه الوحدة : "الشورى" "أشيروا عليَّ أيها الناس"، حتى إذا بايعوا جميعهم رسول الله على الموت، يبشرهم النبي الكريم بنصر الله.

٢- في فتح مكة .. كان همّ رسول الله ﷺ المحافظة على وحدة قريش ودخولهم في دين الله، ولهذا رفع شعار العفو العام وداوى الجراح وعفا عن أبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية .. وهند زوج أبي سفيان .. وكان من آثار هذا العفو وهذه الوحدة انتصارات الإسلام في اليرموك التي كان من جنودها وأبطالها عكرمة وولده ويزيد بن أبي سفيان وأبوسفيان وهند زوجه.

٣- في معركة اليرموك .. كانت خطة خالد بن الوليد رضي الله عنه لمواجهة جيوش الروم التي حشدها هرقل عند اليرموك لتكون المعركة الفاصلة. أقول كانت خطة خالد ما لخّصه بخطبته في الجيوش الأربعة من المسلمين التي كانت تقاتل تحت أربع قيادات: "إن وحدتكم أنفع من كل الإمدادات التي تطلبونها، وإن فرقتكم أنفع لعدوكم من كل الإمدادات التي وصلته"، ثم عرض عليهم أن يوحّدوا القيادات بقيادة واحدة، والجيوش بجيش واحد، وأن يتناوبوا الإمارة، وطلب أن يسلموه القيادة في اليوم الأول، واستجاب القادة المؤمنون لنداء الوحدة، وسلموا خالداً القيادة .. وأحرز النصر للإسلام والمسلمين من اليوم الأول.

٤- في معركة حطين .. كان تعدد الإمارات في بلاد الشام، وكان انفصال مصر عن بلاد الشام من أسباب سيطرة الصليبيين واحتلالهم بلاد الشام وإقامة الإمارات الصليبية في فلسطين والكرك وبلاد الشام وغيرها.

وكان طريق صلاح الدين للنصر في حطين أن وحّد بلاد الشام وبلاد مصر في جيش واحد، كما وحّد الإمارات في بلاد الشام تحت لوائه ووحّد الأمة تحت راية الإسلام والجهاد، وأقام العدل وأرسى معالم الأمن فكان النصر العظيم في حطين الذي هزم فيه صلاح الدين أربعة عشر ملكاً صليبيّاً بقلاعهم وحصونهم وجيوشهم.

٥- وفي معركة عين جالوت .. وحّد السلطان قطز والظاهر بيبرس الأمة تحت راية الإسلام والجهاد.. وأقام ملك العلماء العز بن عبدالسلام العدل في الرعية وأجبر الحكام على العدل والرحمة، وحرّض الأمة على الجهاد، وجعل يوم الجمعة وساعة الأذان موعداً لبدء المعركة لتتوحد قلوب الأمة مع تكبيرات المجاهدين في معركة الإسلام الفاصلة التي هزم بها التتار شر هزيمة، وحفظ الله بعدها الإسلام في هذه الأرض.

الوحدة خلق، وتربية، وثقافة:

وإذا درسنا تعاليم الإسلام في وحدة المسلمين في الصلاة صفوفاً متراصة يتقدمهم إمامهم، ووحدة المسلمين في الصوم ينضبطون جميعاً لبداية الإمساك والإفطار وبأخلاق الصائمين، ووحدة المسلمين في الحج على أرض عرفة، وحول منى، وحول البيت، يلبّون ويكبرون ويعلنون الأخوة الإسلامية : العرب هنا، والترك هنا، والشقر هنا، والسود هنا .. قبلتهم واحدة، وهتافهم واحد: لبيك اللهم لبيك، كتابهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم محمد ﷺ واحد، هذه الوحدة التي يصنعها الإسلام في شعائره وعباداته وسلوك أبنائه تحتاج إلى الإمام القائد الذي يجمع الأمة ويوحدها للوقوف في وجه أخطر حملة تدميرية صليبية يهودية، تسعى لهدم حصوننا الإيمانية والثقافية والحضارية والسياسية والاجتماعية من الداخل، وتحتاج إلى الشعب الواعي الذي يعرف كيف يجنّد نفسه لله في وجه الاحتلال الأمريكي التدميري الذي فرّقنا إلى دويلات لا تملك من أمرها شيئاً، وإلى شعوب مقهورة، تُسلب خيراتها، وتُحتل أوطانها، ويُقتل أبناؤها في العراق وفلسطين والشيشان، ويُهدد مسجدها الأقصى بالهدم لبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

لقد أعلنها "بوش" حرباً صليبية على العراق وأفغانستان، وهذا ما يدعونا إلى الوحدة بالتراحم المتواصل وبتعاون مؤسسات المجتمع المدني، لمقاومة هذه الحملة وبإعلان الشعوب ولاءها لدينها وقرآنها، ومطالبتها حكامها بالوحدة والجهاد، وإقامة أحكام الله.

لا عذر لأحد والخطر داهم، وصوت المنادي من خلال العصور يهتف بحديث النبي الكريم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية، ذروها فإنها منتنة". "لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" فإلى الوحدة والجهاد، ورب العزة يقول: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص} (الصف: ٤).

تفجيرات عمان وعماية الألوان

الدارس لأحاديث النبي الكريم ﷺ التي بشرت بالأردن قلعة مقاومة وتحرير: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فتقتلوهم. أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه).

والتي ذكرت عمان في معرض وصف حوض النبي ﷺ :(حوضي من عدن إلى عمان البلقاء).

والتي ذكرت جهاد شعب فلسطين ومقاومته : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة. قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)، ومن أكناف بيت المقدس الأردن وبلاد الشام وفلسطين.

الدارس لهذه الأحاديث يجد أن أهل فلسطين والأردن هم أصحاب البشرى، وأن سعيهم لتحقيق هذه البشائر يكون بالالتزام بمنهج الله، والسير على خطى رسول الله ﷺ.

وأهل الأردن هم سند أهلنا في فلسطين والعراق .. هم سند المقاومة في هذين البلدين، وهم أهل البشائر وأمل المسلمين، وإضعافهم إضعاف للمقاومة. وإن التفجيرات التي حصلت في عمان يوم (٢٠٠٥/١١/٩) وقتلت أكثر من ستين مسلماً، من النساء والرجال والأطفال، لا يستحقها أهل فلسطين والأردن الذين هم أهل المقاومة، ومدد المقاومة، ودعم المقاومة.

اغتالوا أفراح الناس ساعة فرحهم!

وكأني بالنبي الكريم يبكي وهو يرى من يزعمون أنهم أتباعه يجترئون على قتل النساء والأطفال والشيوخ والشباب، والكبار والصغار، ويروّعون أهل هذا البلد لتقام المآتم في فلسطين والأردن، وقد حوّلوا العرس إلى مأتم، وكأني بالشاعر يقصدهم وهو يقول:

عادت أغاني العرس رجع نواح ... وتكفّنت بملابس الأفراح
لم يكفهم يهود ما فعلت بهم ... سالت دماؤهم مع الأتراح!
تلك المآسي فانظموا حباتها ... عقداً لهذا المجرم السفاح

وهنا لا بد من وقفتين:

الأولى: أننا مع مقاومة المحتل المستعمر الصليبي للعراق حتى يتحرر، ومع المقاومة المجاهدة في فلسطين لتطهيرها من اليهود الغزاة.

الثانية: وأننا لسنا مع من يُكَفِّرون جمهور الأمة، ويستحلّون دماءهم باسم المقاومة، وهم بذلك يضرّون

المقاومة ويشوّهونها. قال تعالى: {وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً} (النساء: ٩٢)، وقال تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً}. (النساء: ٩٣).

وفي حديث للنبي الكريم: (لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). فاستحلال المسلم لدم أخيه المسلم كفر بعد الإيمان. ولا يجد اليهود وأعداء الأمة شرّاً من هذا الفكر التكفيري في تمزيق الأمة من الداخل واستحلال بعضهم لدماء بعض. هؤلاء الجهلة الذين لا يفرقون بين مقاومة المحتل، واستباحة دماء المسلمين، فيضعفون المقاومة ويحرمونها من عناصر قوتها ومددها واستمرارها.

وقد حاول يهود المدينة أن يشعلوا نار الفتنة بين الأوس والخزرج وأن يذكّروهم بحروبهم الجاهلية؛ فنزل قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم} (آل عمران: ١٠٠-١٠١). وقد وجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى أمرين: أن استباحة المسلم لدم أخيه المسلم هو كفر بعد الإيمان، وأن الذي يعصم من هذا الكفر والفرقة والحروب هو الاعتصام بالقرآن الكريم وسنة النبي الكريم ﷺ {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم}.

وهنا يأتي دور العلماء الأحرار الربانيين الصادقين في توجيه الأمة، ومحاورة الآخرين، وإظهار الحجة، وإنقاذ الأمة من هؤلاء الذين يستبيحون دماء المسلمين باسم المقاومة وما هم بصادقين.

وقد وجهنا ربنا تبارك وتعالى في بقية الآيات في سورة آل عمران إلى أمور:

أولها: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} (آل عمران: ١٠٣).

وثانيها: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} (آل عمران: ١٠٤).

وثالثها: التحذير من الفرقة: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون} (آل عمران: ١٠٥-١٠٧).

الاعتداء على هوية الأمة:

وبالتأمل بهذه الآيات نجد أن إعلان الحرب على الإرهاب لا يكون بإعلان الحرب على الإسلام وقيمه وأخلاقه وتشريعه، وإنما يكون بحسن فهم القرآن وتدبر آياته. ولكن المتربصين بهذه الأمة من الحاقدين

على الإسلام واللادينيين، والذين يسمُّون أنفسهم أحراراً، وهم عبيد يتلقون الأوامر والتوجيهات من أسيادهم، يريدون أن يغتنموها فرصة لإعلان الحرب على الإسلام بتغيير المناهج، والاعتداء على هوية الأمة، وتاريخها، ومحاولة تشويهها ليقدموا للناس (إسلاماً أمريكيّاً) يحرّم الجهاد والمقاومة، ويحذف الآيات القرآنية المتعلقة ببني إسرائيل، وليحذفوا من السيرة النبوية غزوات النبي ﷺ و فضيلة الجهاد ومكانة القدس وفلسطين والمسجد الأقصى.

يلتقي هدف هؤلاء الحاقدين على الإسلام مع أهداف المستعمر الأجنبي في تغريب أبناء المسلمين عن طريق الجامعات والمناهج والتوجيه العام، ومن المناسب أن أذكر هنا ما كتبه الدكتور حامد عمار من مصر، ونقله عنه الكاتب الأردني الأستاذ إبراهيم العجلوني في عدد جريدة الرأي ليوم (٢٠٠٥/١١/٧)، يقول الدكتور حامد:

(إنه لا بد من مواجهة التسارع المحموم في إنشاء الجامعات والمعاهد الأجنبية في مصر والعالم العربي، ومن اتخاذ قرارات توصية وتشريعات توضح وتحدد الضوابط والشروط للأنشطة التعليمية للمؤسسات الأجنبية، بل إلى توقف استمرار النمو لأنماطها ولسياسات التعليم باللغة الأجنبية في التعليم الجامعي وما قبله).

ويقول الدكتور حامد عمار: (هل بلغك أيها القارئ أن واحداً من أقل أقطار هذا الوطن سكاناً، ارتفعت فيه أعلام سبع جامعات أجنبية خلال السنوات الأربع الماضية، ثم إن واحداً من هذه الأقطار أخذ في صبغ جامعته الوطنية بالألوان الأجنبية، مناهج وطرق تدريس ومناخاً ثقافيّاً. وقد يهولك أن تعلم أن أحدها قد بدأ منذ عامين في التحويل التام لكلية التربية - أي لمؤسسة إعداد المعلم لنطاق التعليم قبل الجامعي - إلى النمط الأمريكي، مناهج ولغة، وأساتذة وامتحانات، ليتم التعليم كله فيها باللغة الإنجليزية، وهذا يستتبع منطقيّاً وعمليّاً بالضرورة أن ينقلب التعليم في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية.

إن لهذه الهجمة المبرمجة التي ستؤدي إلى الانسلاخ من هويتنا الثقافية العربية بواعث اقتصادية وثقافية وسياسية (فإنشاء الجامعات الأجنبية وتزاحمها على هذه المنطقة مرتبط بخدمة الاستثمارات المتزايدة لتلك الدول وتشابك مصالحها مع استغلال موارد المنطقة، بخاصة مورد (الذهب الأسود) من حقول البترول المتدفقة واحتياطاتها الهائلة، فضلاً عن مصالح واحتياجات فروع شركاتها المتعددة الجنسية والمنتشرة في مدننا وقُرانا).

أما عن الدوافع الثقافية فيرجح الدكتور حامد عمار (أن التعليم الأجنبي أو باللغة الأجنبية قد يكون وسيلة لتكوين عقلية وثقافة تحقق ما يزعمون من أن نظم تعليمنا ومناهجها وأجوائها مصادر لتوليد العنف

الذي يصل إلى مرحلة الإرهاب ...)، وبذلك يصبح التعليم الجديد أداة للاندماج في ثقافة الغرب ومجتمعه.

ويشير الكاتب في هذا السياق إلى (دعاوى اليمين المسيحي والصهيوني في أمريكا وإلى اعتبار الإسلام العدو الحالي لحضارة الغرب، فهم يريدون إسلاماً لا يدافع عن وطن ولا عن هوية، ولا يحمل سماته المميزة، إسلاماً يذوب في الغرب، وينسلخ من هويته، ويحمل اسماً بلا مضمون). وأما عن الدوافع السياسية فيرى الكاتب (أن ثمة علاقة بين اتفاقية الدول الثماني الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، فيما عرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير، والذي هو البديل العولمي الاستعماري للمشرق العربي الإسلامي؛ من أجل إعادة تشكيل خريطة المنطقة، وتفكيك الروابط والوشائج التاريخية والثقافية بين الدول العربية، وإذ تعتبر تدريس اللغة العربية والتعليم من خلالها عقبة في تحقيقه، وينبغي العمل على استبدال لغة أجنبية بها، بما يعين على التخلخل الثقافي، بل ذوبان ما تبقى من عوامل التواصل والارتباط في دائرة الوطن العربي).

ويقول الدكتور حامد عمار بعد ذلك: (إن موجة التعليم باللغة الأجنبية وفي ذروتها الجامعات الأجنبية، إنما تتجه في تعليمها إلى الخارج، إلى السوق العولمي، إلى إنتاج الفرد التسوقي لا المواطن المصري أو العربي، وإلى أنها ستؤدي إلى ذوبان هويتنا الحضارية بل وانسلاخ أجزاء الوطن العربي من ثقافتها وتراثها الحي، ولغتها ومصالحها).

وأقول بعد ذلك إن سياسات تعليم اللغة الإنجليزية في الصفوف الابتدائية الأولى يضعف اللغة العربية الأم - كما يقرر علماء التربية، وبعض المدارس الخاصة التي تعتمد اللغة الأجنبية تقتل الهوية والانتماء !! وإن سياسة إنقاص عدد حصص اللغة العربية والقرآن يستهدف الهوية والشخصية الحضارية للطالب، ويحقق هدف المستعمر في تقطيع الروابط الثقافية التي توحد أبناء الأمة.

وإن ما يفعله المحتل الأمريكي في العراق من إثارة لأسباب الفرقة بين عربي وكردي وتركي، وسني وشيعي، ومسلم ونصراني، يشبه ما يقوم به أتباع المستعمر وعبيده في سياستهم التعليمية في بلاد المسلمين؛ فالنتيجة واحدة: تفكيك الروابط الثقافية والحضارية التي تجمع الأمة.

ومن العجيب أن يلتقي الفكر التكفيري الذي يكفّر جمهور الأمة والأئمة بإثارة الخلافات المذهبية القديمة مع أهداف المستعمر الثقافية والسياسية في تمزيق الأمة وتقطيعها من الداخل، واستباحة دمائها من أفراحها وأتراحها.

كيف نواجه هذه التحديات؟

إجابات كثيرة نسمعها، فبعضهم يدعو للحوار، وبعضهم ينادي بتكفير هؤلاء وإخراجهم من الملة

ليواجه تكفيراً بتكفير، تزداد فيه الأمة تقطيعاً وضعفاً. وهنا أذكر النقاط التالية:

١- الذي أراه هو أن نبحث في الأسباب التي نشأ الفكر التكفيري في ظلها، منذ عهد بني أمية إلى عصرنا هذا.

والدارس للتاريخ القديم والحديث يجد أن القمع السياسي، واستبداد الحكام الظالمين، وما فعلوه في سجونهم من أنواع التعذيب بالمعارضين كان من أخطر الأسباب التي أدت إلى هذا الفكر، الذي لا ينبغي أن نقاومه بالفتاوى وحدها، بل لا بد من إنقاذ الأمة من أسباب القمع السياسي، والاقتصادي، وأن نفتح أبواب الحريات السياسية، وتحتكم الأمة إلى صناديق الاقتراع في انتخابات نزيهة عادلة، وإلا ففي ظل القمع والجوع والتخلف، وغياب الحاكمين عن وظيفتهم في الدفاع عن الوطن، وحرصهم على إرضاء المحتل الأجنبي، وانشغالهم ومن حولهم من المنتفعين بالرشاوى وتجميع الأموال بالباطل، فإن العنف سيزداد سوءاً، والإرهاب سيزداد حدة، ولا ينفع الشجب، والاستنكار، والتدابير التشريعية.

٢- غياب العلماء الأحرار الربانيين عن التوجيه العام، وترك الساحة فارغة لعلماء يرهبون السلطة، فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر؛ فلا يحظون بثقة الناس واحترامهم، ليأتي دور التكفيريين وأصحاب الفتاوى التي تستحل الدماء والحرمات.

٣- ضعف فقه "مقاصد الشريعة" عند الكثيرين من المنتسبين إلى العلم الشرعي، وأضرب المثال التالي:

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان). فهمه فقهاء المذاهب بأن تكون الجزيرة حصن الإسلام، لا ينازعه فيها أصحاب دين آخر، بقوة عسكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية؛ ولذلك أباحوا لبعض التجار والعمال دخول الجزيرة خارج أرض الحرم.

ولكن أحد أساتذة كلية الشريعة، يحاول أن يفسر هذا الحديث تفسيراً ناقصاً بعيداً عن فهم المقاصد، ويجتزئ من أقوال أئمة المذاهب الأربعة بعض الأقوال التي تبيح للتاجر غير المسلم العمل بعيداً أو قريباً من أرض الحرم، ليعطي تبريراً أو فتوى بجواز إقامة القوات الأجنبية على أرض الجزيرة، وإقامة القواعد العسكرية فيها، مثل هذا الفتاوى السلطانية، تزيد المخالف إصراراً، وتزيد المكَفِّر تكفيراً وعنفاً.

وبعد هذا أقول:

إن مصيبتنا في عماية الألوان، والبعد عن هداية القرآن، فالحق أبلج والباطل لجلج، وبين اللون الأبيض واللون الأسود، ألوان متعددة، يراها أصحاب البصائر والأبصار، ويعرفون من خلال الدراسة

والتعمق في بحث المشكلات ما هو الأقرب لفقه الشريعة ومصلحة المسلمين.

فأين العلماء الأحرار ..؟

وأين الحكام الصالحون ..؟

وأين الأمة الحريصة على دينها الناصرة لعلمائها ومنهج ربها ..؟ {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} (التوبة: ٧١).

دماء الشهداء ومداد العلماء ومستقبل الأمة

الذين يصنعون مستقبل هذه الأمة هم الذين لا يخشون مواجهة الأعداء جهاداً وفكراً وصبراً وتضحية. والدارس لتاريخ هذه الأمة يجد وفاءها لعلمائها وقادتها المجاهدين الذين حفظوا عهد الله وأحسنوا الدفاع عن هوية الأمة ديناً ووطناً وحضارة بأقلامهم وتوجيههم، وجهادهم وسيوفهم، وهم الذين قاوموا العدو وحفظ الله بهم الدين والأوطان.

ملوك وأمراء كثيرون تعاقبوا على الحكم في بلاد الإسلام:

ولكن الذين حفظت الأمة أسماءهم ومواقفهم، ورسخت أعمالهم وآثارهم في ذاكرة الشعوب، هم العلماء الربانيون والقادة الصالحون الذين ثبتوا في وجه الفتن والأخطار، وأحسنوا قيادة الأمة لتنتصر على أعدائها في ميدان المواجهة العسكرية، وفي ميدان المواجهة الفكرية والثقافية.

ولهذا حفظت الأمة أسماء الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، يذكرون أبا بكر الذي كان صاحب رسول الله في الغار، والذي وقف بحزم في وجوه المرتدين فأرسى دعائم الإسلام في الجزيرة وبعث الجيوش لتحرير الأرض من سلطان فارس والروم. ويذكرون عمر وعثمان وعليّاً الذين مضوا على آثار أبي بكر وأتموا الفتح ونشروا الإسلام شرقاً وغرباً.

خلفاء وملوك وأمراء، نسيت الأمة أسماءهم، وبقي اسم القائد والعالم الذي اتصلت حياته وجهاده بالناس بعلمه واجتهاده، وبقيادته وجهاده، فهم يذكرون من القادة خالداً، وأباعبيدة، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، ويذكرون صلاح الدين، والسلطان قطز، والظاهر بيبرس؛ يذكرون أبطال اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت، ويذكرون من العلماء أبا حنيفة، والشافعي، ومالكاً، وابن حنبل، وابن تيمية، وعبدالقادر الكيلاني، والعز بن عبدالسلام، وابن قيم الجوزية، وابن الجوزي، والطبري، وغيرهم من الأئمة الأعلام الذين كانوا ولا يزالون بعلمهم مراجع للناس ومنارات هدى.

وفي عصرنا هذا، واجهت هذه الأمة أخطر حملة صليبية صهيونية، تمكّن فيها العدو من مطلع القرن الماضي من بسط هيمنته على بلاد المسلمين، واحتلها عسكريّاً، وقطّعها سياسيّاً، ونصّب الحكام والقادة الذين ينفذون سياسته، ويحفظون مصالحه وكذلك هيمن عليها ثقافيّاً وإعلاميّاً واجتماعيّاً

واقتصادياً،ووقف في وجه هيمنته علماء ومفكرون كان منهم جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، وهؤلاء العلماء الأئمة أحسنوا في بيان الحجة، ولكنهم لم يتمكنوا من التنظيمات الشعبية الحركية التي تقتدي بسيرة النبي ﷺ في التنظيم والتكتيل ورسم الخطط والأهداف المرحلية، والاستراتيجية، لانتزاع إرادة الأمة وأرض الوطن من هيمنة المحتل الأجنبي، ووكلائه، وتحرير الأرض وتجنيد المقاومة لإقامة الحكم العادل الذي يعلي كلمة الله وشرعه، وينقذ مال الأمة وخيراتها من الأجنبي المحتل، وينقذ أمة الإسلام من فتن العدو وثقافته، وقوانينه وأخلاقه، وينقذ المجتمع الإسلامي من قيم الغرب، وإباحيته، وإعلامه المدمر لديننا وقيمنا واقتصادنا.

وشاء الله أن يقود هذا التغيير وهذه المقاومة الإمام المجدد الشيخ حسن البنا رحمه الله تعالى الذي أحسن وضع الخطة، ورسم المنهج وتكتيل الشباب، والطاقات الإيمانية، على اختلاف تخصصاتها ومشاربها، في تنظيم حركي شوري جهادي، وكاد أن يبلغ هذا التنظيم قطف الثمرة، لولا أن خانه بعض من انتسبوا إليه من "رجال الثورة" وأيدتهم أمريكا، ليقوموا بدورهم في ضرب القوة الإسلامية المنظمة القادرة بإذن الله على تجنيد الأمة لمواجهة الأعداء .. ولكن البذور الطيبة والغراس الصالحة التي بذرها وغرستها الدعوة الإسلامية في مصر، تعود بقوة من جديد بروحها وأصالتها، وطيبها، لترفع الشعار العظيم (الإسلام هو الحل)، ولينجح ثمانية وثمانون نائباً في البرلمان المصري..

ومضى على منهج الإمام حسن البنا وطريقه الشيخ أحمد ياسين في فلسطين، وقد وجد أن المقاومة للعدو الصهيوني تحتاج إلى أمرين ، الأول: رجال يتربون تربية إيمانية قرآنية جهادية على طريق رسول الله وأصحابه. والثاني: تنظيم حركي شوري جهادي يحسن تنظيم هؤلاء الرجال، والانتفاع بكفاءاتهم وطاقاتهم، وخبراتهم للوصول إلى أهداف التنظيم في تحرير الأرض، وإقامة العدل الذي تكفله وتحققه شريعة الإسلام.

وها هم تلاميذ الشيخ أحمد ياسين رحمه الله يقطفون من جديد ثمرات التفاف الناس حول قيادتهم الإيمانية ويحققون هذا الفوز الكبير بالانتخابات البلدية، ويعلن الشعب معهم كفره بأوسلو والحلول الاستسلامية، وأن الطريق هو طريق المقاومة الإيمانية حتى تحرر الأرض وتنقذ القدس والمقدسات.

وهنا أذكر أبياتاً من الشعر تحية للمجاهدين في مصر وفلسطين، وأقف مع آية في كتاب الله تتصل بموضوعنا.

١- تحية شعرية للفائزين المبشَّرين في مصر وفلسطين: إن نصر الله قادم، وأول الغيث قطر ثم ينهمر:

تبلّج الفجر لا زور ولا كذب ... وحصحص الحق لا شك ولا ريبُ
وأقبلت بالأماني البيض زاهية ... كالغيث يرجو حياه روضنا الجدب
وقام فتية صدق يصنعون لنا ... سفن النجاة وموج البحر يضطرب

إيمان نوح شراع فوق لجتها ... وصدق يونس منجاة لمن رهبوا
يا راية المصطفى المختار خافقة ... عودي فقد عاد هذا الجحفل اللجب
عادت كتائب بدر في مواكبها ... تستنزل النصر لا حزن ولا رهب
يا أيها الشيخ عند النيل مرقده ... قم واشهد الفجر لا زور ولا كذب
بشائر النصر للإسلام مقبلة ... هذي الرسائل يا بنّاء والكتب
قم ناد (سيد) يشهد من معالمه ... معالماً عاد منها البغي يضطرب
وناد (عودة) والأحباب كلهم ... ليشهدوا الفرحة الكبرى بما طلبوا
دماؤكم لم تزل في نار جذوتها ... تسقي الكفاح على الباغين تلتهب
قالوا مضى (حسن البنا) وما علموا ... أن الشهيد لنور الحق ينتسب
هذي الدماء سقت أقلامها خضراً ... لله ما سطروا، لله ما كتبوا
يا سيدي يا رسول الله نحن على ... عهد الرجال وإن طالت بنا الحقب
إما حياة بحكم الله عادلة ... أو فالشهادة والجنات ترتقب

٢- وأقف بعدها عند قوله تعالى في سورة البقرة يحذرنا من ترك المقاومة والجهاد. قال تعالى: {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم. من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون} (البقرة: ٢٤٣ - ٢٤٥).

شرح الآيات:

قدّم الله لقوله: {وقاتلوا في سبيل الله} بقوله: {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ..} ليحذرنا من الجبن في مواجهة العدو، وأن الكثرة التي تخشى من الموت كثرة هزيلة ميتة؛ لا تستحق نصراً، ولا كرامة، وأن أخطر ما يهدد الأمة أن تتحول إلى قطعان رغم أن أعدادها بالملايين، نتيجة الخوف والقمع الذي تمارسه الأنظمة الاستبدادية مما يحولها إلى فريسة سهلة وغنيمة باردة لأعدائها. وهذا ما عبّر عنه الشاعر العربي بعد هزيمة حزيران / ١٩٦٧ بقوله:

نحن موتى وشر ما ابتدع الطغيان ... موتى على الدروب نسير
نحن موتى، وإن غدونا ورحنا ... والقصور المزوَّقات قبور
نحن موتى يُسِرُّ جار لجار ... مستريباً: متى يكون النشور ؟!

وبعد هذا أقول: إن الله تعالى أعلم بنية حال أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم وأوطانهم وهم ألوف مؤلفة وكثرة كاثرة فراراً وخوفاً من الموت الذي سيلاقيهم عاجلاً أو آجلاً، فأماتهم الله، ثم

أحياهم ليروا هم وكل من جاء بعدهم أن الإماتة بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر، وقد جعل الله هذه الآية مقدمة بين يدي أمر المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد.

وقد ذكر العلماء قولين بالنسبة للإماتة .. هل هي حقيقية أم معنوية؟

أجمع المفسرون السابقون على أن الموت كان حقيقيّاً حسيّاً لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت إعادة حقيقية حسية.

وقد خالف الأستاذ الإمام محمد عبده إجماع المفسرين هذا فرأى أن المراد بالموت في الآية الموت المعنوي، بمعنى أن موت الأمم إنما هو في جبنها وذلّتها، وأن حياتها إنما تكون في عزتها وحريتها، فقد قال رحمه الله ما ملخصه: (... والمتبادر من السياق أن أولئك القوم خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قلّتهم، فقد كانوا ألوفاً أي كثيرين وإنما هو الحذر من الموت الذي يولده الجبن في أنفس الجبناء، فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت، وما هو إلا سبب الموت بما يمكّن الأعداء من رقاب أهله، قال أبو الطيب:

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

ثم قال: لقد خرجوا فارين {فقال لهم الله موتوا} أي أماتهم بإمكان العدو منهم .. فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكّل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرّق شملها، وذهبت جامعتها. فكل من بقي من أفرادها بقي خاضعاً للغالبين ضائعاً فيهم، لا وجود له في نفسه، وإنما وجوده تابع لوجود غيره، ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم، ذلك أن من رحمة الله في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديباً لهم وتطهيراً لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة. أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الخوف والجبن والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها فجمعوا كلمتهم ووثقوا رابطتهم حتى عادت لهم وحدتهم فاعتزوا وكثروا حتى خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم ..) تفسير المنار ٢/٢٥٤ وما بعدها.

ثم أمر سبحانه عباده بالجهاد في سبيله فقال: {وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم} أي قاتلوا أيها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن دينه، واعلموا أنه سبحانه عليم بكل أقوالكم صالحها وطالحها؛ عليم بكل ما يدور في نفوسكم وخواطركم، وسيجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته.

والمتدبر للآية يجد أنها رسمت للأمة والمقاومة هدفها العظيم وهو أن يكون الجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمته حتى لا يضعف ولا يتنازل عن أهدافه في تحرير الأرض والمقدسات والرضا بالحلول الاستسلامية.

وكذلك بيّنت للأمة هدف الإعلام والتوجيه ليكون مرتبطاً بالغاية والهدف العظيم، وهذا ما نبّه الله إليه بقوله في خاتمة الآية {أنّ الله سميع عليم} أي سميع لأقوالكم وتصريحاتكم وما تعلنون في صحائفكم وإعلامكم .. عليم بنواياكم وما تُجرون من مفاوضات واتفاقيات ولقاءات في السر وتحت مظلة الكتمان.

ثم أمر الله تعالى الأمة كلها بأن تتحول إلى المشاركة في الجهاد والمقاومة بأن ينفقوا أموالهم، ويمدوا الجهاد والمجاهدين بما يستطيعون من نفقات ليسدوا بها حاجات المقاومة، فقال تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة} فهؤلاء الذين ينفقون على المجاهدين يقرضون الله قرضاً حسناً، فالمعركة معركة الإسلام والقرآن، والجهاد هو في سبيل الله، وطالب القرض هو الله الذي نقاتل من أجله، ولإعلاء كلمته، ولتحرير مسجده الأقصى ومقدسات الإسلام وأرض الإسلام من جند الصليبيين واليهود الذين أعلنوها حرباً صليبية يهودية، تريد أن تجتث جذور هذه الأمة الإسلامية في التربية والتعليم والتوجيه وتحولها إلى أمه تعيش في ظل هيمنتها فاقدة لهويتها وإسلامها وكرامتها. والاستفهام في قوله: {من ذا الذي يقرض الله} للحض على البذل والعطاء وللتهييج على الاتصاف بالصفات الكريمة، فالله يخاطب الأمة لتبرز من أبنائها وأغنيائها من يقرضون الله قرضاً حسناً، حتى كأن المستفهم لا يدري من هو المؤهل لهذه الصفات ويريد أن يعرف من هو أهل لها..

وقوله {قرضاً حسناً} حثٌّ للناس على إخلاص النية وتحري الحلال فيما ينفقون، وختم الله الآية بقوله {والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون}. والمعنى: والله تعالى بيده الإعطاء والمنع، فهو يسلب تارة ويعطي أخرى، وما المال بأيدينا إلا أمانة استخلفنا الله على إنفاقها بالمعروف، فلا تبخلوا بها عن الجهاد في سبيل الله، فيعاقبكم بسلب النعم وهو القائل : {والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون}.

وأجدني -في خاتمة هذا المقال- في حاجة إلى التنبيه إلى أن أكبر خديعة يسعى فيها العدو الأمريكي واليهودي للإجهاز على مقاومة الأمة، ولقبولها بالتنازل عن أوطانها ومقدساتها هي معاهدات الاستسلام التي يسمّيها معاهدة "سلام"؛ ذلك أن الذين احتلوا الأرض بقي عليهم أن يحتلوا الشعب "معنويّاً ونفسيّاً" بإعلان تنازله عن أرضه ووطنه بهذه المعاهدات. وقد بيّن العلماء أن أرض فلسطين وأرض الوطن جزء من عقيدة الأمة لا يتنازل عنها إلا من تنازل عن عقيدته ودينه، وأن الجهاد والمقاومة هي الفريضة الشرعية التي فرضها الله علينا حتى تحرر الأوطان وتنفذ المقدسات وترفع راية القرآن.

علو الهمة ودروس من سورة الكهف

لا يطلب المؤمن الجنة ولا يسعى لمرضاة رب العالمين بصدق إلا إذا كان عالي الهمة، متعلقاً قلبه بربه، حبّاً له، ورغبة إليه، وإيثاراً لما عند الله على ما عند الناس . إنه طالب الجنة وصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وكان يوسف عليه السلام عالي الهمة حين رفض الخروج من السجن بعفو ملكي بعد أن فسّر لهم الرؤيا {وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم} (يوسف: ٥٠).

وكان يوسف عليه السلام عالي الهمة حين ثبتت براءته، وتبيَّن صدقه، واعترفت امرأة العزيز بخيانتها {وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلّمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم} (يوسف: ٥٤-٥٥).

وعلو همة يوسف كان بطلبه الوزارة لإدارة خزائن الأرض بكفاءة وقوة وأمانة، كان هذا مرتبطاً بهدف المسلم وغايته في الإصلاح والاستخلاف في الأرض وإعمارها بالأمانة والعدل والتقوى والحفظ والعلم.

وكان يوسف عالي الهمة حين لم تشغله حظوظ الدنيا عن طلب الآخرة، ولم يشغله الملك والوزارة وعودة الأهل وجمع الشمل عن دعائه أن يتوفاه الله مسلماً ويلحقه بالصالحين.

وهذا ما سجّله القرآن الكريم في دعاء يوسف عليه السلام {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين} (يوسف: ١٠١).

إن دعاء يوسف {أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين} يضع مناراً عالياً لأصحاب الهمم أن يعقدوا العزم ويصوّبوا الهمم، ويصحّحوا النية ليتوفاهم الله مسلمين ويلحقهم بالصالحين.

وإن الدنيا ورتبها ما هي إلا وسيلة للحصول على المنزلة الكبرى: {توفني مسلماً وألحقني بالصالحين}.

وإن الملك والسلطان إذا حكمته قيم العفة والعدل والحرص على الإصلاح يؤتي ثمراته المباركة في إصلاح الدنيا والآخرة.

فيوسف عليه السلام يسعى للإصلاح عن طريق الحكم بما آتاه الله من علم وحفظ وأمانة، وكذلك الدعاة الصالحون يسعون لإصلاح مجتمعاتهم ببرامجهم الإصلاحية التي يعرضونها على الأمة، وتوكلها الأمة إليهم بالحكم والتمثيل النيابي. هناك فرق كبير بين من يتقدم للحكم عن طريق الأمة بكفاءته وبرامجه الإصلاحية وبين من يتقدم للحكم متنازلاً عن مبادئه وثوابته مقدماً خدماته ليكون عوناً للظالم أو عيناً على إخوانه {خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين} (الحج: ١١).

وهنا يبرز علو الهمة بالاستعلاء بالغاية والوسيلة المؤدية إليها حتى لا يكون الهدف العظيم أسيراً خارجاً عن مداره وحكمته.

وهنا نذكر موقف الشهيد سيد قطب رحمه الله حين عرضوا عليه وهو داخل السجن، الخروج من السجن وتسلم منصب رئاسة أخبار اليوم برتبة وزير، والثمن أن يكتب اعتذاراً للسيد الرئيس فكان جوابه: "إن كنت سُجنت بحق فأنا أقبل حكم الحق، وإن كنت سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أستجدي الباطل ؟!".

الأسس الإيمانية لعلو الهمة :

١- اليقين بالإيمان بالغيب .. وطلب الجنة، والخوف من النار والزهد في الدنيا. ومن خير ما يوضح ذلك حارثة رضي الله عنه حين سأله النبي الكريم: كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقّاً. قال: انظر ما تقول .. فما حقيقة إيمانك؟ قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون في النار، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، فقال له ﷺ: "عبد نوَّر الله قلبه، يا حارثة عرفتَ فالزم".

وحارثة الذي تعلقت همته بالجنة عبادة وقياماً وصياماً، كان من أول الشهداء في غزوة بدر، وبشَّر النبي ﷺ أمه حين سألته عن ابنها وقالت: إن كان في الجنة صبرت. فقال لها ﷺ: "إنهن جنان ثمان، وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى". وهذا ما يذكرنا بالأثر: "نُجِّي أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل".

٢- التصديق بوعد الله، وقد وصف الله المجاهدين من أصحاب الهمم العالية بقوله: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} (الأحزاب: ٢٢-٢٣).

٣- احتقار الدنيا وزخرفها حتى لا يتعلق بها القلب ولا تتطلع إليها العين، وقد وجّه الله نبيه والمؤمنين إلى هذه القيمة بقوله: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق

ربك خير وأبقى} (طه: ١٣١).

وقال تعالى: {وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون} (العنكبوت:٦٤).

٤- صدق التوكل على الله والتحرر من ضغوط الخوف على النفس والمال والاستعانة بالله للوصول إلى الأهداف وتذليل العقبات، وهنا نذكر بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} (البقرة: ١٥٣)، وبقوله تعالى: {ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون} (إبراهيم: ١٢)، وبقوله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} (آل عمران: ١٧٣).

٥- حسن استقباله لأنوار الهداية من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فأصحاب الهمم العالية هم أصحاب القلوب المستنيرة الذين {إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون} (الأنفال: ٢). أما أصحاب الهمم الميتة فهم أصحاب القلوب المريضة المحجوبة عن الله بالشهوات والركون إلى الظالمين. قال ابن قيّم الجوزية رحمه الله: "إن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات، لم تنجع فيه المواعظ، ومن أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته. القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها، والقلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقّها وأصلبها وأصفاها". وهنا أذكر قول شاعر الإسلام محمد إقبال:

يبتسم المسلم في سلمه عن رقة الماء ولين الحرير
وتبصر الفولاذ في عزمه إذا دعا الداعي ونادى النفير

إن أصحاب الهمم العالية يعيشون همّ الإسلام الكبير، وإن أصحاب النفوس الصغيرة يعيشون همّ أنفسهم الصغيرة. كان الإمام الشهيد حسن البنا يعيش همّ الإسلام ومواجهة الحملة الصليبية الحضارية الفكرية التي تسعى لإبادته.

وكان صغار النفوس ممن يعيشون هموم رتبهم ورواتبهم يتزلفون للظالمين من أجل هذه الرتب والرواتب، فزهد حسن البنا بالرتبة والراتب وأنشأ تنظيماً تربويّاً سياسيّاً ثقافيّاً زلزل الأرض بالظالمين وأعاد لشباب الإسلام روحه وجهاده ونصرته، وكشف الباطل وأهله، فكان مجدد هذا العصر، ورسم للحركة الإسلامية طريقها على هدي النبي الكريم فأعطاه الله عزّ الدنيا وكرامة الشهداء وجزاه عن الإسلام خير الجزاء.

إن أصحاب الهمم العالية هم الذين ذكرهم الله بقوله: {كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون} (الذاريات: ١٧-١٨). {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً

وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون} (السجدة: ١٦).

وما أجمل قول ابن القيم "إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد".

"الشوق إلى الله نسيم يهب على القلب يروِّ عنه وهج الدنيا، ومن وطّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق".

"لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة: إذا أحب الله عبداً اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته، فشغل همه به، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته. والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفاؤه في التوبة والحمية". (الفوائد / ابن القيم ٩٨/١).

علو الهمة ودروس من سورة الكهف

والدارس لسورة الكهف يجد كيف يوجّه الله أمة الرسالة الخاتمة لقيادة البشرية ويربيها على القيم التربوية العالية التي لا تستسلم للأسباب المادية مهما طغت، وكيف تُعمل عقلها وفكرها وتدبيرها لمواجهة هذه الأسباب. إنها تربية جند الإسلام على الهمم العالية وحسن التدبير والتخطيط، وحسن الحوار وبيان الحجة، وكيف تتحلى بالصبر والانضباط والدقة وألا تيأس ولا تعجز، وكيف تواجه ظلم الملوك المستبدين بحسن التدبير والتخطيط حين لا تنفع المواجهة ولا تحسن الوصول إلى الأهداف، وكيف تجعل من الأسباب التي يراها الناس مخلفة للنتائج، سبباً للوصول إلى هذه النتائج وتحقيقها، ويصدق فيهم قول الشاعر:

وإذا العواصف حجَّبت وجه السما جدل العواصف للسما أسبابا

ولنقف بإيجاز عند هذه الوحدة الموضوعية للسورة التي تجمع أكثر قصصها:

١- قصة الفتية الذين كبرت هممهم أن يستسلموا للمجتمع المادي الكافر فآووا إلى الكهف لينشر لهم ربهم من رحمته ويجعل قصتهم مثلاً للمؤمنين. (الآيات: ٩-٢٦).

٢- توجيه الله لنبيه ألا يعبأ بالأسباب الظاهرة لقوة أهل المال والجاه وأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. (الآية: ٢٨).

٣- قصة صاحب الجنتين الذي اغترّ بجنتيه وماله، واستعلى بثمره ورزقه، وكيف واجهه صاحبه المؤمن بهمة مستعلية على الدنيا وثمرها ومظاهرها، معتزّاً بالله معلناً قيم التوحيد: {قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً. لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً.

فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك..} (الآيات:٣٧-٤٠) وهكذا كشفت السورة خسارة المتعلقين بالأسباب الظاهرة، كما كشفت أن الغنى الحق بالله وحده.

وما أعظم قوله تعالى بعد هذه القصة: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً} (الآية: ٤٦). إن أصحاب الهمم العالية لا يتعلقون بالفاني الزائل وإنما بالنعيم الباقي الدائم عند الله.

٤- قصة نبي الله موسى عليه السلام والعبد الصالح لنجد فيها الدروس التالية لأصحاب الهمم العالية:

أ- الهمة في طلب العلم: {وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً} (الآية: ٦٠). حدّدَ الهدف أن يصل مجمع البحرين للقاء بالمعلم .. مهما طال الزمن .. أو يمضي حقباً ..

ب- الهمة في تفسير ضياع الحوت إشارة للقاء بالمعلم، فلا يأس ولا استسلام: {قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت} (الآية: ٦٣). {قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً}. (الآية: ٦٤).

ج- الهمة بالتحلي بالصبر والانضباط الدقيق في تنفيذ التوجيه للوصول إلى الأهداف: {قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمت رشداً. قال إنك لن تستطيع معي صبراً. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً}. (الآيات: ٦٦-٦٩).

د- الهمة باستكناه الأسباب الخفية والمعلومات الباطنة لتفسير ما يتعلق بحماية أمن الدولة، وأمن الناس وأموالهم. إن وضع الخطط الأمنية لحماية أمن الوطن والمسلمين لا بد أن تحاط بالسرية التامة التي لا يصبر عليها من لم يحط بها، وإن وظيفة رجال السياسة والأمن أن يستنبطوا ويحللوا، ليكشفوا خطط الأعداء، ويحفظوا أمن المسلمين. وهذا ما تشير إليه دروس موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

١- خرق السفينة من أجل إنقاذها من الملك الظالم عملية استخبارية ذكية حجبت عن الملك الظالم صلاح السفينة وزهّدته بها.

٢- قتل الغلام .. عملية يخبر ظاهرها بقتل نفس زكية بغير نفس، ويتبنى باطنها بحكمة الله في إنقاذ الوالدين من الولد السيئ.

٣- الهمة في بناء الجدار الآيل للسقوط لقوم منعوهم من واجب الضيافة. وكان زهده بالأجر حتى لا يلفت أنظارهم إلى ما تحت الجدار. هذا الكنز الذي أراد الله أن يحفظه لأبناء رجل صالح، سخّر الله هذا العبد الصالح لبنائه ... {وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً} (الآية: ٨٢).

إن همة موسى عليه السلام بطلب العلم لا بد أن تقف عند ساحل يعترف فيه لأهل الاختصاص

والاستخبارات السرية بعملهم، ملتزمين فيه بقيم الشرع وأخلاق الإسلام وخير الناس {رحمة من ربك وما فعلته عن أمري}.

٤- قصة ذي القرنين صاحب الهمة الإيمانية الذي مكّن الله له في الأرض وسلك أسباب العلم والعمل والجهاد للتوسع والفتح وتذليل الصعاب لتبليغ كلمة الله، {إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. فأتبع سبباً} (الآيتان: ٨٤-٨٥).

- الملك الصالح يبني الجدار الذي يحمي البشرية من قوم محرومين من القدرة على الفهم والتجرد من معاني وحشيتهم {حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً. قال ما مكنّي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً} (الآيات: ٩٣-٩٥).

- وهكذا نجد الملك الصالح صاحب الهمة الإيمانية العالية المستعينة بالله على نشر الدعوة، ومنع فساد المفسدين، وهكذا نرى سورة الكهف ترينا أصحاب النفوس المؤمنة والهمم العالية من الفتية الذين آووا إلى الكهف بإيمانهم إلى الملك الذي استعان بالله في دكّ حصون الظالمين ومنع ظلمهم.

إنها التربية القرآنية لأصحاب الرسالة الخاتمة، ليحملوا أعباءها بقوة وإيمان بالعلم والعمل والخلق، بحسن التخطيط والنظرة البعيدة التي لا تهمل الأسباب وتسخّرها لنصرة دين الله.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كلنا فداك
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يظن الغرب بعد أن احتل أرض الإسلام ومزّقها سياسيّاً إلى دول، وأقام جامعاته ومدارسه ووسائل الإعلام لتغريب الأمة ثقافةً وفكراً، وبعد أن أقاموا الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين، واحتلت أمريكا يدعمها الغرب أفغانستانَ والعراقَ، كانون يظنون أن أمة الإسلام ماتت، ولم يبق إلا صورة اللحم والدم، أما الروح والقلب والفكر، فقد تغرّبت ومُسِخَت، وفقدت أصالتها وانتماءها. ورأى هؤلاء أن يجروا "بالونات اختبار" لقياس درجة حياة الأمة ومقاومتها.

وكانت بالونات الاختبار متعددة ومتنوعة، ومنها:

١- نزع حجاب المسلمات في فرنسا.

٢- الاعتداء على المصحف الشريف في سجن جوانتنامو.

٣- هدم المساجد وتمزيق المصاحف في الفلوجة والعراق.

٤- ما يقوم به اليهود من اعتداء على المسجد الأقصى المبارك وانتهاك لحرماته وتقويض لأسسه وعملهم على هدمه لبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه. وما قاموا به من تحويل قسم من المسجد الإبراهيمي في الخليل إلى كنيس، وقتل المصلين في صلاة الفجر على يد المجرم اليهودي الطبيب، مع احتلالهم لفلسطين وتشريدهم لشعبها وقتلهم لأبنائها وهدمهم للمدن والقرى وإهلاكهم للحرث والنسل.

٥- وما تقوم به أمريكا من تغيير للمناهج والكتب المدرسية، وما تقوم به من تحويل لمساجد المسلمين عن رسالتها في الوعظ والهداية لتقدم إسلاماً أمريكيّاً، يستثني القيم والعناصر التي تبني الشخصية الإسلامية المجاهدة التي تعمل لإنقاذ أوطانها وتحرير قدسها ومقدساتها وتحافظ على هويتها وثقافتها.

٦- وكان من آخر صور العدوان وبالونات الاختبار ما نشرته الجريدة الدنماركية من رسومات مسيئة لشخص النبي الأعظم محمد ﷺ.

وما كانوا يظنون أن هذا العدوان على شخص النبي الكريم سيكون الشرارة التي تفجر الغضب المقدس، وتحوّل أمة الإسلام على اختلاف أجناسها وألوانها إلى خندق المواجهة مع الغرب الصليبي الحاقد وأمريكا المتصهينة، ممثلة بالدنمارك والنرويج التي حملت كبر هذا العدوان العنصري الصليبي

الحاقد على خير النبيين وسيد المرسلين، وإمام المتقين محمد بن عبدالله ﷺ.

حاولت دولة الدنمارك أن تختبئ تحت ستار حرية الصحافة والتعبير، وأقامت على نفسها الحجة حين كشفت أن الإساءة والعدوان والاعتداء على مليار ونصف مسلم في الأرض لا يحمل فكراً ولا رأياً، وأن حرية السباب والشتائم العنصرية شيء، وحرية الفكر والتعبير شيء آخر، وأن هذه الصحافة تلتزم باحترام رموز اليهود وتحرّم الحديث عن المحرقة اليهودية.

وحتى لا تكون هذه الغضبة فورة عاطفة تثور ثم تهدأ علينا أن نحسن ما يلي:

١- لا بد للعلماء أن يحسنوا التوجيه والبناء بمطالبة مؤسسات المجتمع المدني والبرلمانات ومجالس الشعب والحكومات لتقف في خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعاً عن دينه وسنته، واقتداءً به، وانتماءً لقيادته وهدايته، وهذا ما يدعو رجال التربية والتعليم، والإعلام، ومؤسسات الأوقاف والوعظ والإرشاد لتعلن أن هذا العام الهجري الجديد عام رسول الله ﷺ في المدرسة والجامعة والإعلام والمسجد تمجيداً لشخصه الكريم وتعريفاً بأخلاقه، ودعوة لهدايته واتباعاً لسنته، وعملاً بشريعته، وتعلماً للكتاب الذي أنزله الله عليه، بزيادة حصص التربية الإسلامية واللغة العربية.

٢- لا بد لسفراء الدول الإسلامية والعربية أن يُعرِّفوا الغرب بسيرة نبي الرحمة وأخلاقه لأن من جهل شيئاً عاداه، وكذلك التعريف بالإسلام دين الرحمة والعدل.

٣- لا بد من طرد سفراء الدنمارك والنرويج ومقاطعة منتجاتهم حتى تكون سلاحاً رادعاً يحفظ على أمة الإسلام كرامتها وهيبتها.

٤- لا بد من تعميق أواصر التعاون الاقتصادي والسياسي والإعلامي والاجتماعي مع شعوب الأمة الإسلامية تحت شعار: محبة الله ورسوله والولاء لله ورسوله. وما أجمل قول شاعر الإسلام إقبال:

الصين لنا والغرب لنا ... والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً ... وجميع الكون لنا وطنا
يا أرض النور من الحرمين ... ويا ميلاد شريعتنا
إن اسم محمد الهادي ... عنوان المجد لأمتنا

٥- وهنا لا بد من توجيه تحية لشعب فلسطين الذي عرف كيف ينتصر لرسول الله ﷺ من خلال صناديق الاقتراع، ويبايع النبي الكريم على الجهاد والمقاومة بانتخابه من رفعوا راية النبي الكريم جهاداً ومقاومة وتحريراً.

ولا بد من توجيه التحية لشعب العراق والمقاومة الإيمانية وإلى هيئة علماء المسلمين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، وأعلنوا أن المقاومة

ماضية حتى يخرج آخر جندي أمريكي من أرض العراق.

٦- ولا بد أن نبين هنا أن خير ما نردّ به عدوان أمريكا والغرب على أمة الإسلام، ونحفظ به مقام رسول الله ﷺ هو تعميق روابط الوحدة بين المسلمين، وإن قلب النبي الكريم ليتفطر حزناً وألماً حين يقتل المسلمُ أخاه المسلمَ في أفغانستان أو باكستان أو العراق أو غيرها من بلاد الإسلام باسم الطائفية والمذهبية والعصبية.

٧- وإنه لمّا يثلج صدر النبي الكريم أن نحوّل المال وما آتانا الله من نعم البترول والثروات في بلاد المسلمين لمشاريع إنتاجية زراعية وصناعية، نحمي به حق الأجيال القادمة بهذا المال ونحصنهم من الحاجة والإذلال إذا نضب البترول.

٨- إن صرخة الغضب حبّاً للنبي الكريم وتعظيماً له تعني البيعة المباركة التي بايع بها أصحاب النبيِّ الكريم رسولَ الله على الجهاد والطاعة والعمل والبناء وحفظ هذا الدين. وإن قوله تعالى: {إن الذين يبايعونَك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} (الفتح: ١٠) تعني التقاء القائد والشعب في خندق النبي الكريم دفاعاً عن الحضارة والهوية والوطن والوجود {ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} (المائدة: ٥٦). {إن الذين يُحَادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلين} (المجادلة: ٢٠).

٩- وهذا ما يدعونا لتعميق الوعي الإيماني بمقام رسول الله ﷺ، وتعريف الناس برسالته وسيرته، وهذا ما سأبيّن طرفاً منه من خلال خصائص رسالته، أتبعها بخصائص قيادته كما تعرضها سورة الأحزاب.

الدارس لكتاب الله تعالى يجد التوجيه الرباني لهذه الأمة لمعرفة مقام النبي الأعظم محمد ﷺ، وأنه النبي الذي ائتمنه الله على رسالته الخاتمة لرسالات الأنبياء جميعاً وحمله إرث النبوة من لدن آدم ونوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وأنه نبي الرحمة الذي بلّغ كلمة ربه: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات:١٣) وأعلن للناس جميعاً: "من لا يَرحم لا يُرحم. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، "الراحمون يرحمهم الرحمن"، "لا تُنزع الرحمة إلا من شقي".

وكانت رسالته رسالة العلم والعلماء في محاربة الجهل والجاهلية تفتح المدرسة التي كانت مغلقة بقوله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} (العلق: ١). وكانت رسالة تحرير الإنسان من الخرافة والشعوذة والكهانة. وبيّن قوله تعالى: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} (النمل: ٦٥).

وفتح هذا النبي الكريم كنوز الأغنياء التي كانت مغلقة في وجوه الفقراء والمساكين، وأعلن قوله تعالى: {والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم} (المعارج: ٢٤-٢٥). {ويطعمون الطعام على

حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً} (الإنسان: ٨).

وفتح ﷺ المحكمة للعدل وإنصاف المستضعفين بعد أن كانت مغلقة يتحكم بها أصحاب السلطة والمال والعشيرة. وأعلن قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...} (النحل: ٩٠). وقال خليفته الراشد: "القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له". وحذرنا النبي الكريم من طغيان أصحاب المال والترف والاستكبار بقوله تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً} (الإسراء: ١٦). {ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون} (الأحقاف: ٢٠).

هذا النبي الكريم الذي قدمه الأنبياء جميعاً إماماً وسيداً وأميناً على رسالاتهم ومكملاً لها، جمع الله به الأمة ووحّد شملها ونقلها من جاهلية القبيلة وعصبية العشيرة إلى أخوّة الإسلام ونصرة دينه ووحدة أمته، وقد أكرم الله هذه الأمة بقيادة رسوله الكريم في حياته وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ليكون هذا النبي الأكرم ﷺ قدوة المؤمنين في سلمهم وحربهم، يهتدون بهداه، وليكون وجود الأمة، وهويتها وثقافتها وحضارتها متمثلاً بوفائها لرسالة النبي الكريم واتّباعها لسنته، وتعظيمها ومحبتها له، وليكون الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم أصلاً عظيماً وشجرة مباركة تتفرع منها في قلوب المؤمنين غراس المحبة والولاء والاقتداء، وليكون هذا النبي الكريم موحّداً للأمة في حياته وبعد وفاته، حيّاً في القلوب التي تلهج بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله.

سورة الأحزاب ومقام النبي الكريم:

وقد نبّهنا الله تعالى إلى مقام النبي الكريم وأثره العظيم في الوحدة والمقاومة والجهاد، في سورة الأحزاب – سورة المقاومة من الداخل والخارج ، ففي مطلع السورة يتوجه الخطاب للنبي الكريم: {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً. وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً} (الأحزاب: ١-٣).

فمطلع السورة يقرن الأمر العظيم وهو {يا أيها النبي اتق الله} بالأمر العظيم وهو {ولا تطع الكافرين والمنافقين} لتكون مقاومة الأمة بالثبات على مبادئها وإغلاق الباب في وجوه الكافرين والمنافقين.

ويعمّق الله معاني هذه المقاومة بقوله تعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦)، فالنبي ﷺ أولى بأنفسنا وبأموالنا وأولادنا منا نبذلها في سبيل الله ونصرة لرسول الله ﷺ.

والنبي هو الأمين على رسالات الأنبياء، الوفيّ لميثاق ربه: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً} (الأحزاب: ٧-٨).

والنبي ﷺ هو القدوة الحسنة في المقاومة والجهاد والثبات في وجوه أعداء هذه الأمة {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} (الأحزاب: ٢١).

والنبي ﷺ القائد هو الذي يبعث في نفوس المؤمنين وجنده البشرى والثقة بنصر الله، ويطرد عن قلوبهم ظلمات اليأس والخوف {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً} (الأحزاب: ٢٢). والنبي ﷺ هو القدوة في تبليغ رسالات ربه لا يخشى إلا الله {الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً. ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتمَ النبيين وكان الله بكل شيء عليماً} (الأحزاب: ٣٩-٤٠).

والنبي هو الأمين الشاهد المبلغ لرسالة ربه {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً. ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً} (الأحزاب: ٤٥-٤٨). والمقاومة بمواجهة ضغوط الكافرين والمنافقين وعدم المبالاة بأذاهم، مع صدق التوكل على الله، من أعظم دروس هذه السورة منذ مطلعها إلى هذه الآية إلى خاتمتها.

ويعرّفنا ربنا في هذه السورة بمقام نبيه العظيم لنحسن الاتباع والدفاع عنه وعن دينه ورسالته بقوله: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً. إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً} (الأحزاب: ٥٦-٥٧).

إن مقام رسول الله مقام عظيم، فالله وملائكته يصلّون عليه، وصلاة الله على نبيه رحمة وتشريف يشمل ما آتاه الله من مقام محمود وشفاعة يوم الدين والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وما أفاض عليه من بركات وأنوار، وصلاة ملائكة الله استدعاء للرحمة وهو دعاؤهم بأن يوثّق الله الدرجات الرفيعة والمقام العظيم مع ما يلهجون به من دعاء بأمر ربهم لتكون صلاتهم على محمد النبي الكريم في المقام الكريم في الملأ الكريم نوراً على نور ورحمة من رب العالمين، ويأمرنا ربنا أن نرتقي هذا المرتقى، ونصعد هذا المعراج بالمشاركة بالصلاة على رسول الله لنكون مع الله وملائكته في تكريم هذا النبي والصلاة عليه "اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد".

ونقف مع خاتمة السورة لنجد التوجيه الكريم بالتحذير مما وقع به بنو إسرائيل الذين آذوا نبي الله موسى وخانوا الأمانة، لنقف مع القول السديد الصائب الذي تكفله الكلمة الطيبة والشجاعة المنتصرة لدين الله ولرسول الله ﷺ. فهذا القول السديد شامل لمقاومة العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين يحاربون الانحراف في كل صوره ويجددون أمر الدين ليعود الناس إلى المنهج

السديد والطريق المستقيم، مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات .. هؤلاء العلماء الذين تحرروا من ضغوط السادة والكبراء وبلَّغوا كلمة الله على طريق سيد الشهداء. قال تعالى: {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً. إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذِّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً} (الأحزاب: ٦٧-٧٣).

منهج الوسطية في الإسلام
بين تشدد المغالين وضعف المداهنين وبين حكمة العلماء الصالحين

في مواجهة الإسلام الثقافية والحضارية لمكر المستشرقين وأتباعهم في بلاد المسلمين، كانت حرب المفاهيم ومحاولة تشويهها بما يخدم هدف الغرب المستعمر ليتنازل المسلم عن منهج الاستقامة والاستمساك بأحكام الله؛ فتارة يستخدمون مصطلح المرونة والانفتاح ويفسرونه حسب أهوائهم، وتارة يستخدمون مصطلح الوسطية والاعتدال، وباسمه يدعوننا للتخلف عن الجهاد والدفاع عن الأوطان. وباسم الوسطية والاعتدال يدعون المرأة لمجاراة العادات الغربية في التبرج وطريقة الحياة، وباسم الوسطية والاعتدال يدعوننا لإباحة الربا والانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والتربوي على الغرب حتى تصبح جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية صورة عن الجامعات الغربية، فإذا استمسك المسلم بحقّه في الدفاع عن وطنه كان أصوليّاً متطرفاً، وإرهابيّاً خطيراً، وإذا أعلن ولاءه للإسلام في طريقة حياته باللباس، والعادات الاجتماعية؛ كان رجعيّاً جامداً، وأصوليّاً متطرفاً.

وهم في سبيل ذلك يسوّقون الكُتّاب والأدباء ورجال الإعلام وبعض المنتسبين للعلم الشرعي ليتحدثوا عن الوسطية في الإسلام والاعتدال، ونبذ العنف، والسماحة، من وجهة النظر الغربية التي تزيِّن للمسلم مجاراة الغرب، والتنازل عن ثوابت دينه وأحكام شرعه. وباسم الوسطية يعطون الشرعية للحكم الفردي الاستبدادي الذي يقمع الشعب ويذلّه. من أجل ذلك رغبت ببيان مفهوم الوسطية في الإسلام حتى لا يخدعنا أحد، ولا يستدرجنا أصحاب المكر وتجار الكلمة. وسأتحدث بإذن الله في النقاط التالية:

أولاً: معنى الوسطية في الإسلام:

الدارس لمعنى الوسطية في اللغة يجدها ترجع إلى معاني الحق، والعدل، والاستقامة، وكذلك ترجع إلى معنى توسط الناس وقيادتهم وهدايتهم.

قال العلامة الشيخ المختار الشنقيطي: وسط القوم توسَّطهم؛ أي: صار في وسطهم. ووسط الرجل قومه، وفيهم: توسط في الحق والعدل. قال تعالى: {قال أوسطهم ألم أقل لكم...} (القلم:٢٨)؛ أي: أقصدهم إلى الحق والعدل. قال تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً} (البقرة:١٤٣)؛ أي: أخياراً عدولاً.

(انظر كتاب "الترجمات والدليل لآيات التنزيل" للشيخ المختار أحمد محمود الشنقيطي).

والدارس لكتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم قَرَنَ بين الأمر بالاستقامة على دين الله والنهي عن الغلو والتطرف، والنهي عن الركون إلى الظالمين وموالاتهم والتعاون معهم؛ لأن موالاة الظالمين هي أصل البلاء في مصادرة العدل وإقامة الظلم والاعتداء على حقوق الناس في أموالهم وأعراضهم وأوطانهم. قال تعالى: {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون} (هود: ١١٢-١١٣). فالاستقامة على دين الله تتناقض مع الغلو والمبالغة التي تخرج عن هداية الإسلام وخصائصه الربانية القائمة على الاعتدال وتكليف الإنسان بما يسعه من غير إرهاق ولا مشقة ولا حرج، وكذلك تتناقض مع موالاة الظالمين الذين يحوّلون الناس إلى عبيد ويتحكمون وحدهم بالقرار، والمال، والقضاء، وتصبح ثروات الأمة نهباً لأهوائهم وشهواتهم وقصورهم ونزوات أولادهم وأحفادهم.

ثانياً: منهج الوسطية في العقيدة:

كان الإسلام في دعوته للتوحيد تصحيحاً للغلو الذي وقع به أهل الكتاب بتأليه أنبيائهم ورجال دينهم والخروج عن منهج الحكمة واليسر في تشددهم في العبادات والمعاملات.

قال تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} (الأعراف: ١٥٧).

وقال تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم...} (النساء:١٧١). ونبَّه القرآن إلى غلوهم في عبادتهم لرجال دينهم الذين اعتدوا على حق الله في التحليل والتحريم وأسندوه لرجال دينهم. قال تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} (التوبة:٣١).

ثالثاً: منهج الوسطية في المعاملة والسلوك:

شخصية المسلم شخصية متوازنة: وجّهها ربنا بكتابه لمنهج الاعتدال في الدعاء حين نتوجه إلى ربنا، وفي القول حيث يخاطب بعضنا بعضاً، وفي الحب والكره، وفي طريق المشي، وفي التعامل مع الناس. قال تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً} (الإسراء:١١٠). وقال تعالى: {واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} (لقمان:١٩).

وقال رسول الله ﷺ: "أحبب حبيبك هوناً ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، واكره بغيضك هوناً ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوماً ما".

وقال تعالى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً} (الفرقان: ٦٣) أي: بسكينة وتواضع ووقار، {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} (الفرقان: ٦٣) أي: قالوا القول الذي يفضي إلى السلام ويطفئ الخصومة. إن سنن الله في الكون قائمة على التوازن، فالجبال تمنع الأرض من المَيَدان والاضطراب {وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم} (النحل: ١٥).

وقانون الجاذبية بين أجزاء الكون يحفظ توازنها وقيامها بوظيفة تسخيرها، وكذلك سنن الله في شريعته وحكمته في دينه الذي ختم به الرسالات قائمة على التوازن والاعتدال بين حاجات الروح وحاجات الجسد ومصلحة الفرد ومصلحة الجماعة دون غلو ولا تفريط.

فالعبادة التي هي غاية الخلق - قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} (الذاريات: ٥٦) - شرعها الله متناسبة مع قدرات الإنسان ومقاصد عيشه. قال تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج} (الحج: ٧٨)، وشرع الصيام وشرع معه الرخصة بالإفطار للمريض والمسافر، وشرع الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، وشرع الصلاة وشرع معها الرخصة للمريض والمسافر .. قال النبي ﷺ: "صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب". قال تعالى: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم} (آل عمران: ١٩١) وفي أحكام الزواج حرم الإسلام الزنى وشرع الزواج، وأباح التعدد وقيّده بشرط العدل حتى لا يغلو المغالون ويعتدوا على حق المرأة في الحياة الكريمة وحفظ الأسرة.

وفي أحكام الأسرة أقام الإسلام التوازن بين حق الرجال في القوامة والوفاء بحقوق الأسرة في الإنفاق والتربية والرعاية، وحق المرأة والأبناء بالعيش الكريم، وإكرامها والوفاء لها بحقوقها المالية والاجتماعية برّاً وإحساناً وعدلاً.

رابعاً: هلك المتشددون:

وقد نبّه النبي ﷺ إلى خطورة منهج المبالغة والتشدد في العبادات على حساب مسؤوليات المسلم نحو بيته ومجتمعه.

وقد أنكر النبي ﷺ على قوم من المسلمين قال أحدهم: إني أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: سأقوم الليل ولا أنام، وقال الثالث: لا أتزوج النساء. فوقف ﷺ خطيباً في المسجد يذكر مقالة هؤلاء وينكر عليهم ويقول: "أما إني أصوم وأفطر، وأنام وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني". وقد ظهرت في تاريخ الإسلام صور للمغالاة أو التفريط كان وراءها جهل أصحابها بسنة النبي الكريم، ومقاصد الشريعة.

فالذين كفَّروا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وحاربوه، حكمهم جهلهم بسنة النبي ومقاصد الشريعة.

والذين يكفِّرون علماء المسلمين يحكمهم جهلهم بالكتاب والسنة وعقيدة السلف وغلوهم في تقديس مشايخهم دون النظر إلى الدليل وفهم حكمته ومقصده.

والذين يستبيحون دماء المسلمين تحت شعار تكفير الحاكم الذي لم يحكم بما أنزل الله، وتكفير من لم يكفِّره أو رضي بحكمه، خرجوا عن هدي النبوة التي حرمت دم المسلم على المسلم إلا بإحدى ثلاث: الردة، والثيِّب الزاني، والقصاص بالقتل العمد.

وما وجد أعداء الإسلام من المستعمر الصليبي واليهودي شرّاً من هؤلاء في تمزيق الأمة وإشاعة الرعب والخوف بين أبنائها، وضرب مؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتمكين أعدائها في أرضهم.

خامساً: ماذا يجري في العراق؟

إن الإسلام بوسطيته واعتداله لم يكفِّر ولم يستبح دماء الذين يخالفون أهل السنة في بعض العقائد الفرعية والفروع الفقهية، وبقي أهل المذاهب الإسلامية المختلفة من الشيعة الإمامية والإباضية والزيدية يعيشون مع أهل السنة والجماعة دون أن يعتدي أحد على أحد أو يظلم أحد أحداً، حتى جاء المستعمر الأمريكي والغربي واحتل العراق وأثار الفتن ومهَّد وخطَّط للاعتداء على أضرحة الأئمة، لتلتهب المشاعر، وتقوم المجازر التي لا ينتفع بها إلا العدو الكافر المحتل لأرضنا والمستبيح لأوطاننا ومقدساتنا.

وهنا يأتي دور العلماء الحكماء في بيان حكم الله وأن مساجد المسلمين لأهل السنة والشيعة هي مساجد الإسلام لا يعتدي عليها إلا من خرج عن هداية الله وخدم أهداف المستعمرين.

سادساً: دعوة الإخوان المسلمين هي منهج الوسطية والاعتدال:

كان المستعمر البريطاني ووكيله الملك فاروق يحكمان مصر ويعملان على تفريغ قوة الأمة الإسلامية بأساليب متعددة منها:

١- إضعاف دور الجامع الأزهر ووضع العقبات والمعوقات أمام علمائه وطلابه.

٢- تشجيع الجامعات العلمانية والمناهج الغربية.

٣- تشجيع الفرقة بين الحركات الإسلامية السلفية والصوفية والعقلية وغيرها.

٤- حصر أهداف الدعوة الإسلامية في قضايا جزئية، دون العمل على إصلاح المجتمع عقيدة وشريعة وسياسة ونظام حياة.

فقامت حركة الإخوان لتدعو إلى توحيد الحركات الإسلامية وإيجاد القواسم المشتركة بينها، ومحاربة نزعة الغلو والتطرف و "الأنا"؛ فجعلت شعارها "الإخوان المسلمون" الذي لا ينسى أفرادها أخوتهم لكل مسلم، ولا يبخسون أهل الفضل فضلهم، ولا يتكبرون عن الحق، وجعلت من منهجها أن المفاصلة في الإسلام لا يجوز أن تكون على أساس الفروع الفقهية، ولكن على أساس الأصول العقدية، ودعت من يرفعون شعار السلفية أن يوسّعوا نظرتهم إلى شمول الإسلام ومنهج السلف الصالح في إصلاح الحكم والسياسة والاقتصاد والفرد والمجتمع معتصمين بالكتاب والسنة، ودعت من يرفعون شعار التصوف إلى أن يعمّقوا إخلاصهم وتوحيدهم لله ليشمل أنه لا معبود إلا الله، ولا مشرِّع إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وأن العبادة والذكر أساس في بناء شخصية المسلم الأوّاب التوّاب الذي يذكر الله ذكراً كثيراً.

ودعت من يرفعون شعار العقلانية والعلم أن يتصلوا بمنهج الإسلام في الإصلاح وبناء المجتمع القائم على تكريم العقل وهدايته وإنقاذه من ضلال الفلسفات المادية، ورسمت لأبناء الجامعات على مختلف تخصصاتهم طريق النهضة في التنظيم والتربية والتعليم وحسن توظيف طاقات الأمة ومؤسسات المجتمع المدني للتحرر من استبداد الحاكم وقهره، وسياسة المستعمر وظلمه بالوصول إلى الحكم عن طريق توعية الأمة والنهوض بها لتدافع عن حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالتنظيم الحركي الذي يعرف كيف يصل إلى الأهداف المرجوة بحسن التخطيط والتربية والعمل الدؤوب ليقيم حكم الله في الأرض ويكونوا أهلاً لبشرى رسول الله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" (رواه مسلم).

وفي رواية لأحمد: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين. لا يضرهم إلا ما أصابهم من لأوائه، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

وكأني بشعب فلسطين الذي بايع رسول الله على المقاومة والجهاد، وأحسن اختيار ممثليه حافظي عهد رسول الله الذين آتاهم الله حكمة العلماء، وصبر المجاهدين، وصدق الصالحين، ينتظرون هذه البشرى {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف: ٢١).

مفهوم الشورى في الإسلام

الدارس لكتاب الله العزيز، وسنة النبي الكريم ﷺ، وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم؛ يعلم أن الشورى فريضة ملزمة، وأن من خُلق الحاكم المسلم وواجباته الأولى أن يرجع إلى أهل الرأي والخبرة في قضايا الأمة ومصالحها، وكان أهلُ الحل والعقد - من العلماء وأصحاب الخبرة في الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية والتشريعية - مرجعَ هؤلاء الحكام، يصدرون عن رأيهم واستشارتهم.

ومع تغير الزمن، وتطور المجتمعات، واختراع وسائل الإعلام الحديثة، وتقارب المسافات بوسائل السفر والطرق، واختراع الآلة والمصنع، وانتشار المدارس والجامعات، واستفادة الأمم من تجارب الأمم الأخرى؛ كانت المجالس النيابية وقيام الأمة باختيار ممثليها وحكامها لتحقيق الأهداف التالية:

١- تحرير إرادة الشعب من الحكام الظالمين، فالشعب هو الذي يختار حكامه، ويختار ممثليه الشرعيين، وممثلو الشعب الذين اختارهم بالانتخاب المباشر هم الذين يختارون الحكومة، ويحاسبونها.

٢- تحصين الشعب بالقضاء العادل المستقل الذي يعلن أنه لا أحد فوق القانون، واستقلال القضاء أساس في العدل.

٣- تحصين الشعب بالإعلام الصادق الحر الذي يقف بالمرصاد لكشف أية خيانة سياسية أومالية، وفضح أي تقصير، وتسليط الضوء على أداء رأس الحكم ووزرائه وكبار المسؤولين وصغارهم لتكون السلطة التشريعية بالممثلين للأمة في مجالسها التشريعة، والسلطة التنفيذية بالحكام المنتخبين من ممثلي الشعب، والسلطة القضائية المستقلة عن نفوذ الحكام وضغوطهم، والصحافة الحرة والإعلام الصادق .. لتكون هذه السلطات الأربع أساساً في تقدم الأمة وحفظ حقوقها وتحصينها من الحاكم الظالم وأصحاب النفوس المريضة والقرارات المتسرعة.

الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية:

في القرآن الكريم سورة "الشورى". وقد بيّن الله فريضة الشورى ومكانتها حين ذكرها في سياق صفات ملزمة للمؤمنين بقوله: {والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} (الشورى: ٣٧-٣٨). فذكر الله الشورى بين فريضتي الصلاة والزكاة، وهما من أعظم أركان الإسلام.

والشورى خُلُق رسول الله ﷺ. قال تعالى: {فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا

عزمت فتوكل على الله}. (آل عمران: ١٥٩).

وقد بيَّن الصحابة الكرام استشارة النبي الكريم لأصحابه في السلم والحرب في غزوات بدر وأحد والخندق وغيرها، وما كان أحد أكثر استشارة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

والشورى خلق المؤمنين في حياتهم الخاصة والعامة؛ يرشدنا القرآن الكريم إلى هذا الخلق في فطام الرضيع: {فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور ...}. (البقرة: ٢٣٣). (فصالاً أي فطاماً).

وفي الأثر: "ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار" و "المستشار مؤتمن".

بين الشورى والديمقراطية والحاكمية لله:

بين الشورى في الإسلام وبين الديمقراطية الغربية نقاط توافق ونقاط اختلاف.

أما نقاط اللقاء والاتفاق فهي تحرير الشعب من طغيان الحاكم المستبد والرجوع إلى الشعب في اختيار حكامه وممثليه الشرعيين، وتجريد الحاكم من السلطة أو القوة أو السلاح الذي يَفرض من خلاله سلطته على الناس، لتكون السلطة كلها للشعب، والرقابة والمحاسبة على المال العام للشعب وممثليه، ولتكون مصلحة الأمة محصنة، وليكون الجيش وقوة الأمن العام محكومة بالدستور والقانون ومصلحة الأمة الكبرى.

وأما نقطة الخلاف بين الشورى وبين الديمقراطية الغربية فهي أن الديمقراطية تقوم على إطلاق صلاحيات الشعب إلى (الحاكمية) بمفهومها المطلق.

فالشعب يصدر من القوانين والتشريعات ما تحكمه أهواؤه ولو خالفت هذه القوانين أحكام الله، وشرائع الأنبياء، وأباحت الزنى والشذوذ وغير ذلك من المحرمات.

أما الإسلام فيقرر أن الحكم لله، والله وحده هو المشرِّع، وهو وحده المعبود. قال تعالى: {إنِ الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه} (يوسف: ٤٠)؛ فمبدأ أن الحكم للشعب يصطدم مع عقيدة المسلم وهي: "أنّ الحكم لله" لأن حكم الشعب معناه منح الحكم للمخلوق، والاعتداء على حق الخالق الذي له وحده الحكم على من خلق. قال تعالى: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} (الأعراف: ٥٤).

الشريعة الإسلامية:

لقد فرَّقت الشريعة الإسلامية بين مبدأين: مبدأ السلطة للشعب ومبدأ الحاكمية لله، وحصَّنت الشعب بذلك من الضلال والانحراف بإلزامه بهداية الله ونهج الأنبياء وعدالة القرآن الكريم؛ لأن شريعة الله لم تحاب طبقة على طبقة، ولا رجال المال على حساب العمال، ولا الرجل على حساب المرأة،

لأنها شريعة الله العادل التي لم تضعها فئة متنفذة لتخدم مصالحها على حساب الطبقات الأخرى. بينما نجد في الغرب أن أصحاب المال والشركات وصناعة الإعلام هم أصحاب القرار، "وأن الطبقة التي تملك هي التي تحكم، وتحكم لمصلحتها ضد بقية الطبقات". وأكبر شاهد على هذا ما نشاهده من جرائم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في تدمير العراق وقتل شعبه وإهلاك حرثه ونسله في ظل الديمقراطية الأمريكية والغربية التي يسيطر فيها اليهود على الرأي العام وتضليله. وكذلك ديمقراطية هتلر في ألمانيا، وديمقراطية اليهود في فلسطين. أما مبدأ السلطة للشعب، فهذا الذي يخشاه الحكام في بلاد المسلمين، ويعملون لمصادرة حق الشعب في اختيار حكامه ومحاسبتهم، ويتهمون من يسعون لتحرير الشعوب من الحكام الظالمين بأنهم يريدون فرض الديمقراطية الغربية على بلاد المسلمين، أما من باع نفسه وثروات بلده وأرض الوطن للأجنبي، فهذا لا يجاري الغرب ولا يتشبّه بهم !! ويعدّ نفسه كذباً وخداعاً أنه يقيم حكم الشورى؛ والإسلام بريء من ظلمه واعتدائه على المال العام.

مبدأ السلطة للشعب وأصوله الشرعية:

الدارس للقرآن الكريم يجد مدرسته التربوية العظيمة القائمة على حرب الطغيان والاستكبار، وقد ذكر القرآن الكريم طغيان فرعون وسبب طغيانه وأن الشعب الذي رضي بالظلم واستكان للطاغية جدير بأن يذوق أشد العذاب. قال تعالى: {وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون} (الأعراف: ١٢٧).

وقد صوَّر القرآن الكريم طغيان الحاكم المستبد بفرعون ليجنّد الأمة ويوجهها كيف تقاوم الفراعنة والحكام المستبدين، وكيف تدافع عن شرفها وكرامتها، لأن فرعون كان أشد الطغاة طغياناً وأكبرهم غروراً وأكثرهم استهانة بقومه. وسجّل القرآن كلمته لقومه: {أنا ربكم الأعلى} (النازعات: ٢٤).

ووراء طغيان الطاغية شعب جبان يزيِّن للحاكم طغيانه خوفاً وطمعاً. وهذا ما نبَّه القرآن الكريم إليه بقوله: {فاستخفَّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين} (الزخرف: ٥٤). فوصف الله تعالى قوم فرعون بهوان الشخصية، وتفاهة العقل والخروج عن كل مكرمة؛ لأن الأمة التي تترك الظالم وبطانته وأعوانه يعيثون في الأرض فساداً لا تستحق الحياة، ولا يكون مصيرها إلا إلى الهلاك والزوال.

وما أجمل قول الشاعر في تصوير هوان الأمة وكيف يشجّعون الطاغية على ظلمه:

الناس ما الناس عُبدان القوي بهم ... ما بالمطية من مهماز مغوار

يُزجون من سامهم خسفاً وأرهقهم ... عسفاً تحيات إجلال وإكبار

ويَضفرون بأيديهم لقاطعها حرصاً ... على البغي إكليلين من غار

وما أجمل قوله في وصف قمع الحاكم وتزويره لإرادة الشعب بالانتخابات المزيفة:

تلا باطلاً وجلا صارماً وقال: رضيتم فقلنا: نعم

وقوله :

ها هم كما تهوى فحرِّكهم دمى لا يستحون بغير ما ترضى فما

مبدأ السلطة للشعب في الإسلام وأصوله الشرعية :

تتفرع عن مبدأ السلطة للشعب المبادئ التالية:

المبدأ الأول: حق الشعب في اختيار الحاكم. وهذا ما نسمّيه: "البيعة"؛ فالشعب هو الذي يبايع من يريد ويختار من يريد.

المبدأ الثاني: حق الشعب في أن يشاوره الحاكم ولا ينفرد بالقرار. بدليل قوله تعالى: {وشاورهم في الأمر} {وأمرهم شورى بينهم}.

المبدأ الثالث: حق الشعب في مراقبة الحاكم. وهذا المبدأ يقرره قوله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة شرعية وركن عظيم في الدين وأصل في بقاء الأمة. قال تعالى: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود: ١١٦-١١٧). وبيَّن النبي ﷺ أن "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وقال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده - فهي سلطة الرقابة في تغيير المنكر - فإن لم يستطع فبلسانه - فهي سلطة الإعلام والمنبر ورجال الفكر في تغيير المنكر وبيان أخطاره- فإن لم يستطع فبقلبه - أي فليغير بقلبه"، وهنا نجد دور الأمة في التغيير عن طريق مقاطعة المنكرات، وتأييد العلماء والوعاظ الذين أنكروا هذه المنكرات، وأن مؤسسة الحسبة في الإسلام نشأت عن هذه الفريضة في مراقبة الحكام ومحاربة الانحراف.

المبدأ الرابع: حق الشعب في مقاضاة الحاكم إذا أساء. بدليل قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} (النساء: ٥٩). ومن معاني الآية: أن الأمة وأولي الأمر إذا تنازعوا في أمر ردُّوه إلى القضاء العادل الذي يحكم به القضاة العلماء بأمر الله ورسوله، فليس هناك حاكم فوق الشريعة في دين الله. وكم كان العامة من المسلمين يقاضون الحكام ويجلس الحاكم بين يدي القاضي.

المبدأ الخامس: حق الأمة في عزل الحاكم المسيء. وفي هذا يقول الله تعالى: {إن الله يأمركم أن تؤدوا

الأمانات إلى أهلها} (النساء: ٥٨) "ولكن عزل الحاكم قد يؤدي إلى فتن ومفاسد؛ ولذلك اجتهد العلماء أن يبايعوا الحاكم لفترة محدودة معينة ثم بعدها تنتهي مدة حكمه، ويجدد له بانتخابات جديدة.." (انظر الشيخ الزنداني وحديثه عن الشورى). جريدة القدس العربي / عدد تاريخ ٢٠٠٦/٣/١١.

وأختم كلمتي بأن التوجيه القرآني الذي حذّر الأمة من حالة الاستضعاف والركون إلى الظالمين ودعاها لمقاومة الفراعنة والمستبدين هو الذي يحكم مبدأ الشورى لتنتفض الأمة وتحطم القيود التي تغيِّب إرادتها باختيار الحاكم الصالح، أو تغيِّب مصلحتها في محاسبة هذا الحاكم إذا أخطأ، وإلا فإن عذاب الله ينتظرها في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبّاً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطَّعت بهم الأسباب. وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كَرَّة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار} (البقرة: ١٦٥-١٦٧). وقال تعالى: {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون} (هود: ١١٢-١١٣).

أفتك الأسلحة وأخطرها

قال تعالى: {ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم، ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} (المجادلة: ١٤).

في صراع الحق مع الباطل، وصراع هذه الأمة في مواجهة الأعداء والعملاء الذين يأتمرون بأمرهم، نجد من أخطر أسلحتهم وأفتكها سلاح الكذب الذي يسخرونه بإعلامهم الفاجر وكُتَّابهم الخونة، ليضللوا الشعب ويحرموه من وضوح الرؤية، وليشلوا إرادته وحركته باتجاه نصرة أهله، وهم يعلمون أن مكاسبهم وامتيازاتهم قائمة على خديعة الشعب، ليصوِّروا أنفسهم حماة له، حريصين على مصلحته، ولأنهم يخشون الشعوب أن تغضب، وتندفع باتجاه النصرة لدينها، يجعلون من الكذب و "فبركة" الافتراءات درعاً واقية، وسلاحاً ماضياً لخداع الشعب وتضليله، ومحاربة الحق وأهله، وموالاة الأعداء وتنفيذ مخططاتهم !!

كان المنافقون في عصر الرسالة موالين لليهود، لا ينتمون لدينهم ولا لأمتهم، ويعملون على إخفاء خيانتهم وموالاتهم للأعداء بالأيمان الكاذبة والإعلام الفاجر، ففضحهم الله بقوله: {ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم (وهم اليهود) ما هم منكم (أي لا يوالون أمتهم) ولا منهم (ولا يعدهم اليهود منهم) ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} أي سلاحهم أن يحاربوا الحق ليفتروا على أهله الأكاذيب، ويشوِّهوا صورته في عيون الناس، ويسندوا كذبهم بالأيمان الفاجرة خداعاً للناس وتضليلاً، يصدق في أحدهم قول القائل: "وتراه أكذب ما يكون ويُقسم" !!

يقول أحد العلماء: "ليس لدعاة الإسلام في معركة البلاغ وإحقاق الحق – بعد فضل الله سبحانه وتأييده – غير قوتين ضاربتين: أولاهما قوة (الحق) الذي يؤمنون به ويدعون إليه، والثانية قوة (أخلاقهم) التي هي أثر هذا الحق ومصداقه وحجته على الناس. الأولى تكسر كبر الباطل وتكشف زيف دعواه: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق} (الأنبياء: ١٨)، والثانية تكسر كبر النفوس وتشهد الناس على أنفسهم وتقطع حبل المراء ... ولذلك كان أفتك الأسلحة في كل حرب تُشهر على دعوة الإسلام، وأبلغها خطراً، هو سلاح (الكذب) الذي ينال من أولى القوتين فيفتري صاحبه على الحق – مارقاً عن عمد، أو عابثاً بغير علم – ويمسخ ملامحه، ويشوِّه معالمه، ويفسد وجهه على الناس ....، أو الذي ينال من ثاني القوتين فيفتري صاحبه على الدعاة ويلغ في أعراضهم، كي ينزع الثقة فيهم، ويصرف الناس عنهم" ويضع العوائق والسدود حتى لا يلتفَّ الشعب حولهم، ويحققوا برامجهم بتحرير الأرض وإنقاذ المقدسات والأمة من الفساد والمفسدين.

وقد ذكر الله ما ينتظر هؤلاء العملاء الخونة الكاذبين من عذاب مهين فقال: {أعدَّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون. اتخذوا أيمانهم جُنَّة فصدُّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين. لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون. إن الذين يحادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلين. كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} (المجادلة: ١٥-٢١).

ونقف مع هذه الآيات عند النقاط التالية:

١- المنافقون يتمترسون بالأيمان الكاذبة التي اتخذوها جُنَّة ودرعاً، ويلبسون ثياب التقوى والحرص على الأمة والوطن وهم العملاء الخونة ينتظرهم العذاب المهين.

٢- هم أعداء الحق والقيم المفرِّطون بدينهم وأوطانهم، وهذا ما ينبِّه إليه قوله تعالى: {فصدُّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين}.

٣- هم لا يعملون إلا لأموالهم وأرصدتهم وأولادهم ومصالحهم القريبة التي لن تغني عنهم من الله شيئاً، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

٤- بلغ من غرورهم وفساد فِطَرهم أنهم يجترئون فيحلفون لله يوم القيامة بالكذب كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون.

٥- استحوذ عليهم الشيطان، واستولى على عقولهم وغلب عليها فأنساهم ذكر الله، وجنَّدهم في خندق أعداء الإسلام، حتى رفعوا راية الشيطان بالاستسلام للأعداء، والتنازل عن الأوطان، والمقدسات، وحق العودة، وأعلنوا حربهم على الله ورسوله وجماعة المؤمنين، وسارعوا في حصار شعب فلسطين كما يحاصره اليهود وبقية الأعداء حتى يستسلم ويترك خيار المقاومة، ويتنازل عن الأرض والمقدسات، وهذا ما نبَّه الله تعالى إليه بقوله: {استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون}.

٦- وبشَّر الله المجاهدين بالنصر ببيان سنته التي لا تتخلف: {إن الذين يحادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلِّين. كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز}. فهؤلاء الذين وقفوا في خندق اليهود والأمريكان وتنازلوا عن الأوطان ويطلبون من المجاهدين أن يعترفوا بالعدو ويتنازلوا عن أوطانهم وثوابتهم، هم في الأذلين، أذلهم الله ثم شعب فلسطين، وحكمت عليهم الأمة بالذلة والصغار، وهؤلاء الذين احتلوا أرضنا ومقدساتنا في الأذلين، فنصر الله قادم، وجند الله هم الغالبون.

٧- كيف نقاوم؟

ويفرض الله علينا أن نقاوم في الميادين جميعاً: في ميدان الحرب النفسية بفضح أساليب العملاء وتثبيت المؤمنين، وفي ميدان النفقة وإيصال الدعم للمجاهدين بفك الحصار ومعرفة الحكم الشرعي بأن حصار شعب فلسطين من أعظم المحرمات وأكبر المنكرات، والرسول ﷺ يقول: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه" والمعنى: كما يحرم عليه أن يظلمه بالاعتداء عليه يحرم عليه ألا ينصره ويسلمه لعدوه ينكّل به، أو يعين عدوه على ظلمه فيبوء بخزي الدنيا والعذاب المضاعف في الآخرة.

إن النفقة وإيصال الدعم المالي والمادي والمعنوي لشعب فلسطين فريضة شرعية وثوابها من أعظم الثواب، والبخل بها والخوف من إرسالها من أعظم الآثام، قال تعالى: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} (البقرة: ٢٦١). فثواب الحبة بسبعمئة، وثواب المئة بسبعين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء. ولقد قرن الله النفقة في سبيل الله بالإيمان بياناً لعظيم ثوابها فقال: {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير} (الحديد: ٧).

وربط الله النفقة في سبيل الله بالثبات على المقاومة والمحافظة على قيم الإيمان جهاداً ومحافظة على الأرض والمقدسات، قال تعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم. إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم} (محمد: ٣٥-٣٦) {هاأنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} (محمد: ٣٨). وفي هذه الآيات دروس عظيمة تنادي شعب فلسطين وقيادته المجاهدة كما تنادي المسلمين جميعاً ألا يهنوا ولا يضعفوا ويستجيبوا لدعوات الأعداء والعملاء بالاستسلام والتنازل عن الأرض وترك السلاح والمقاومة ويبشرهم بأنهم الأعلون والله معهم ولن يَتِرَهم ولن ينقصهم أجورهم وثواب أعمالهم، ويحذر الأمة أن تبخل ولا تقدِّم أموالها نصرة لهم وهم يَدافعون عن شرف الأمة وشرف المسلمين جميعاً، وأن الذين يبخلون ما يبخلون إلا على أنفسهم، لأن نجاح المشروع الصهيوني يعني احتلال الأوطان وهلاك الأمة وتدمير حضارة الإسلام ومقدساته، {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}.

خيار المقاومة لا بديل له لدفع العدوان:

قال تعالى: {فقاتل في سبيل الله لا تُكَلَّف إلا نفسك، وحرِّض المؤمنين عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا والله أشدُّ بأساً وأشد تنكيلا} (النساء: ٨٤). ففي هذه الآية يأمر الله النبي القائد ﷺ أن يعلن الجهاد ويبدأ بنفسه، وأن يحرِّض المؤمنين على القتال، وأن طريق الجهاد هو الطريق لدفع بأس

الأعداء وعدوانهم {عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً}. وبيَّن الله في هذه الآية (النساء: ٨٥): {من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً}. (أي حفيظاً أو مقتدراً) . والشفاعة في اللغة تعني الضم، أي أن تضم نصرتك إلى رسول الله ﷺ وجنده، وهذه هي الشفاعة الحسنة التي يحصل صاحبها على ثوابها، أما الشفاعة السيئة فهي التي يجنِّد صاحبها نفسه في خندق اليهود والأعداء وينضم إليهم داعياً إلى الاستسلام وترك المقاومة خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. والشفاعة الحسنة بالنصرة والمقاومة ولها ثوابها، والشفاعة السيئة بالتخذيل والتعويق عن الجهاد وخدمة مخططات الأعداء ولها إثمها وخزيها ونارها، وكان الله قادراً على ثواب المحسنين، وعقاب المسيئين البائعين لدينهم وأوطانهم. ويوجهنا ربنا إلى استمرار المقاومة مهما اشتدت التضحيات بقوله: {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً} (النساء: ١٠٤). وفي آيات أخرى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحِّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} (آل عمران: ١٣٩ – ١٤٢)، وفي آية تالية {وكأيِّ من نبي قاتل معه ربِّيُّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} (آل عمران: ١٤٦). نفى الله عن أوليائه في هذه الآيات الوهن والضعف والاستكانة وهي أنواع الضعف التي تصيب المجاهدين في أنفسهم وفي قواتهم، وفي استمرار مقاومتهم وعدم استكانتهم أي "وهن النفس وضعف الجوارح واستكانة القلب"، ثم يبين في الآية التالية مصدر هذه القوة من التجائهم إلى الله تعالى وتضرعهم إليه بقوله: {وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين} (آل عمران: ١٤٧) لتكون البشرى بالنصر والتمكين والجنة ثواب الدنيا والآخرة بقوله: {فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} (آل عمران: ١٤٨).

ولا يفوتني قبل أن أختم مقالي هذا أن أذكر هذه الآية التي بيَّنت موالاة المنافقين في عهد النبي ﷺ لليهود الذين كانوا يحضرون مجلس النبي عليه الصلاة والسلام للتجسس ونقل الأخبار لمن أرسلوهم ويقيمون التعاون الأمني القائم على حرب الله ورسوله، واختراع الأكاذيب والافتراءات ليشوِّهوا بها كلام النبي الكريم وسمعة الدعوة، قال تعالى: {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا، سمّاعون للكذب (أي يحضرون مجلس النبي الكريم من أجل الكذب، فهم يسمعون ليكذبوا ويخترعوا) سماعون لقوم آخرين لم يأتوك (أي يسمعون لحساب قوم آخرين لم يحضروا مجلسك) يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون إن أوتيتم

هذا فخذوه وإن لم تُؤتوه فاحذروا (أي سياستهم قائمة على المساومات ليتنازل المسلمون عن مبادئهم) ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم} (المائدة: ٤١). نصر الله المجاهدين وخذل المنافقين العملاء الكاذبين وطهَّر أرض الإسلام من أعداء الإسلام أجمعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحب في الله والبغض في الله سبيل النجاة

١- ما كان المجتمع المسلم ليقطف ثمار النصر، ويحقق أهدافه في بناء الدولة وتحرير الأرض ورفع راية الإسلام إلا بعد أن خلص أبناؤه لله رب العالمين، ولاءً للدين، وطاعة للقائد، وإخلاصاً في الجهاد والعمل، ومحبة بعضهم لبعض خالصة من شوائب المغانم والمكاسب الشخصية، فكان حبهم في الله، سرّ قوة التنظيم ونجاح حركته، وكان بغضهم لأعداء الله سرّ تميزهم وتطهير صفهم من الاختراق والنفاق، ذلك أن حبَّ من أحبه الله من المؤمنين والصالحين الذين أعطوا ولاءهم لله ورسوله، وبغض من أبغضه الله من الكافرين والمبتدعين والفاسقين الذين حاربوا الله ورسوله وجنَّدوا أنفسهم في خدمة أعداء الإسلام، هذا الحب في الله، وهذا البغض في الله، هو الذي يجعل الصف المسلم كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، ويستحق أبناؤه البشرى والنصر الذي آتاه الله لأصحاب نبيِّه. وقد أحبوا في الله، وأبغضوا في الله فكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً. محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركَّعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود} (الفتح: ٢٨-٢٩).

وبعد أن ذكر الله في سورة المائدة تحريم موالاة اليهود والنصارى وذكر من يسارعون ويهرولون في خدمة مخططاتهم، ذكر الله من يواجهون هذه الردة ويقاومون هذه الفتنة فإذا هم أحباب الله الذين جمع صفهم الولاءُ لله ورسوله وجماعة المؤمنين، واستحقوا بهذه المحبة وهذا الولاء أن يكونوا حزب الله الغالبين، قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} (المائدة: ٥١-٥٦).

٢- أخطر ما يهدد الصف والأخوَّة التنافس على المغانم والمكاسب الشخصية. وقد نبَّهنا ربنا تبارك وتعالى

في سورة الأنفال إلى خطر الحرص على المغانم وإفساده لذات البين وفرقة الصف بقوله: {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين} (الأنفال: ١).

فكان في أول آية في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر الكبرى وانتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة، التنبيه على خطر التنافس على الأنفال والمغانم والمكاسب، في ضياع مكاسب النصر، وفرقة الصف. وفي سورة الحشر التي تحدثت عن تحرير المدينة من يهود بني النضير وما أفاء الله على المسلمين من أموالهم كان الوسام الذي قلّدة الله للمهاجرين والأنصار هو ذكر أخوتهم ومحبتهم ونصرتهم لله ورسوله وزهدهم في مكاسب الدنيا ومغانمها وتطهرهم من الشح والتنافس عليها.

قال تعالى: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} (الحشر: ٨-٩).

وفي غزوة حنين قسم النبي الغنائم وأعطى بسخاء للمؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار، ووجد الأنصار في أنفسهم أن حرموا من المغانم فجمعهم النبي الكريم ﷺ وألقى فيهم موعظة كان منها: "أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ... اللهم ارض عن الأنصار وأبناء الأنصار" فحمدوا الله وقالوا: رضينا بالله ورسوله. وفي هذا درس للدعاة ألا يجعلوا المغانم والمكاسب همهم، وأن أنصار الله لا يتطلعون إلا لما يوحّد صفهم وينصر دينهم، وأن يكونوا مع النبي الكريم ﷺ. وقد عمَّق النبي الكريم هذا الخلق وهو يبني المسجد، ووجّه المسلمين وهم يبنون أساس المسجد ويقيمون بنيانه، إلى الأسس الإيمانية والأخلاقية التي يقيمون عليها دولتهم ومجتمعهم ومنها الزهد في الدنيا وإيثار ما عند الله على ما عند الناس، وما أجمل نشيدهم وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وفي رجز آخر:

هذا الحِمال لا حِمال خيبر هذا أبرّ ربنا وأطهـــر

لئن قعدنا والرســول يعمل لذاك منا العمل المضلّل

لنجد في هذين النشيدين هذه المقارنة الإيمانية بين ما يحمله المسلمون من تراب ولُبن لبناء المسجد، وبين ما يحمله التجار من أموال خيبر وثمرها. وأن الحمال الرابحة هي ما اتصل بالدعوة وقوتها وانتصارها، لا ما اتصل بالمكاسب والمناصب، وكذلك نجد الوفاء للقائد الأسوة الحسنة وأنه من

الضلال الكبير أن يتركوه وحده يعمل وهم لا يعملون، ويزيد هذا المعنى إشراقاً ونوراً هذا النشيد:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

إنه تربية على التنظيم والعمل الحركي المتصل بالهدف الكريم ودعوة للدعاة أن يأخذوا حظهم من التعب والجهد والتضحية، ذلك أنه لا يستوي عند الله من يعمر المساجد، يدأب فيها قائماً وقاعداً، ومن يرى عن التراب حائداً.

كذلك لا يستوي عند الله من يعمرون دعوتهم بعملهم وجهادهم، وإنفاقهم وشغل أوقاتهم بالدعوة وواجباتها يدأبون فيها قائمين وقاعدين، لا يستوي مع من انتسب للدعوة، وتراه عن التراب حائداً، وفي الواجبات مقصراً، معظم وقته لنفسه، ودنياه، ويخشى أن تغبرَّ في سبيل الله قدماه.

٣- ومن أخطر ما يفسد المحبة ويضعف الصف الولاءات الشخصية التي تفرِّق الصف، وتضعف قوة الجماعة، وتفتح الباب واسعاً للشيطان وجنده. وقد حذَّرنا ربنا تبارك وتعالى من هذه الولاءات الشخصية حين حصر الولاء بالله ورسوله وجماعة المؤمنين فقال: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} (المائدة: ٥٥-٥٦).

فالجماعة المؤمنة بإمامها الذي اختارته، وولاؤها لله ورسوله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وجملة: {وهم راكعون} جملة حالية تصف حالهم ووحدتهم في غاية الانقياد والانتظام والتآلف في الصف كوحدتهم في ركوع الصلاة وخضوعهم لله، فالمصلي الراكع لله خضع بكليته لربه، وكذلك رجال الدعوة في إقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة، تطهروا من كل شرك وهوى وغرض دنيوي وأخلصوا عملهم وجهادهم لله رب العالمين. وقد حذَّرنا ربنا تبارك وتعالى في سورة المجادلة من التكتلات الجانبية، التي تحوِّل الجماعة إلى شيع وأحزاب، كما حذرنا من اللقاءات والأحاديث البعيدة عن روح الجماعة ووحدة أبنائها التي تفرِّق ولا توحِّد، وتوغر الصدور، وتستحلّ الغيبة، والسخرية، واتهام الآخرين، وتعبث في الجماعة فساداً وإفساداً، وذلك من أجل تشويه سمعة أخ، أو تحطيم رمز، أو تحصيل مكاسب ومناصب.

٤- لقد بيَّن لنا النبي الكريم ﷺ أن المجالس أمانة، ينبغي أن نحفظها بأدب الإسلام وحكمه. قال ﷺ: "المجالس بالأمانة ..." رواه أبوداود (٤٢٢٦) وأحمد (١٤١٦٦). وقال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم} (الأنفال: ٢٧-٢٨).

فالدعوة أمانة، وعِرض كل مسلم أمانة، ووحدة الجماعة أمانة، والخوض في أعراض المؤمنين خيانة، والإساءة لوحدة الجماعة وقيادتها خيانة. وهذا ما نبهنا إليه ربنا في سورة المجادلة بقوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون. إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا، وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون} (المجادلة: ٩-١٠).

في هاتين الآيتين تحذير من الاجتماعات السرية الخارجة عن نظام الجماعة ووحدتها والتي من شأنها أن تحوِّل الجماعة إلى شيع وأحزاب يستحل بعضها أعراض بعض، وتنصر فريقاً على فريق، وتهدم بنيان الجماعة ووحدتها، وتفتح الباب واسعاً لأعداء الدعوة والحاقدين المتربصين.

وهذا ما حذرنا منه تعالى بقوله: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} (الأنفال: ٤٦).

إن قوة الجماعة بانفتاح بعضها على بعض، وإفساح بعضها لبعض، وهذا ما وجهنا ربنا إليه بقوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسَّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير} (المجادلة: ١١).

وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من الفرقة وأن نقع فيما وقع به بنو إسرائيل بقوله: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} (آل عمران: ١٠٥).

وحذرنا ربنا من أخلاق الجاهلية التي تفتك بالأخوة والمحبة ووحدة الجماعة وقوتها بقوله: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم}(الحجرات: ١٠-١٢).

٥- وبيَّن لنا ربنا بالحديث القدسي: "وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ" (رواه مالك).

وروى أبوداود بسنده عن رسوله الله ﷺ: "إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (يونس: ٦٢).

وفي الحديث القدسي: "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء" (رواه الترمذي).

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى يوم القيامة: "أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" (رواه مالك ومسلم).

هذه هي المحبة في الله، وهذه هي الجماعة الحافظة لهذه المحبة والأخوة، وهؤلاء هم أولياء الله وأحبابه وأنصاره. وأما الذين يعملون على إفساد هذه المحبة والأخوة فما أعظم خسارهم في الدنيا والآخرة، وهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، وينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويفسدون في الأرض! نسأل الله الهدى وأن يحفظ الله نعمة الأخوة والمحبة فيه علينا. {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} (آل عمران: ٨). ربنا لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

ثواب النفقة على الجهاد والمجاهدين

قال تعالى: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (البقرة: ٢٦١-٢٦٢). ذكر بعض المفسرين أن هاتين الآيتين نزلتا في صدقة عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وذلك أن رسول اللهﷺ حثّ الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، وكان قد بلغه أن الروم يستعدون لغزو المدينة المنورة، وحين تتعرض أرض الإسلام لغزو الأجنبي يصبح الجهاد والنفقة على الجهاد والمجاهدين فرض عين على كل قادر.

فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال: يا رسول الله لي ثمانية آلاف، فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها لربي، فقال رسول الله ﷺ: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت"، وجاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبَّها في حجر الرسول ﷺ. قال عبدالرحمن بن سمرة راوي الحديث: فرأيته ﷺ يدخل يده فيها ويقلبها ويقول: "ما ضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم، اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان". وقال أبوسعيد الخدري: رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان ويقول: "يا رب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه".

ونزول هاتين الآيتين في صدقة هذين الصحابيين الجليلين، لا يمنع من شمولها لكل من نهج نهجهما وبذل ماله على الجهاد والمجاهدين في سبيل الله. فهؤلاء الذين ينفقون أموالهم على المجاهدين المقاومين للمحتل الأجنبي في فلسطين والعراق وغيرها من أرض الإسلام مشمولون ببركة دعاء النبي الكريم وثواب المجاهدين، وإن البركة في المال الذي أنفق تتعداه إلى المال الذي بقي لقول النبي الكريم لعبدالرحمن بن عوف: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت". ومعنى الآية: أن ثواب الإنفاق للجهاد في سبيل الله مضاعف، فالحبة تتضاعف إلى سبعمئة حبة، والمئة إلى سبعين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء.

وأعظم هذا الثواب ما يجده المؤمن يوم القيامة حين يرى صدقته في سبيل الله حاجزاً له من النار.

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون} (البقرة: ٢٥٤).

والمعنى: أنفقوا أيها المؤمنون في وجوه الخير كإعانة المجاهدين ومساعدة الفقراء والبائسين من أموالكم التي رزقكم الله إياها بفضله وكرمه، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا يكون فيه تجارة ولا مبايعة حتى تقدموا عن طريقها ما تفتدون به أنفسكم، ولا يكون فيه صديق يدفع عنكم ولا شفيع يشفع

لكم. ثم ختم سبحانه الآية بقوله: {والكافرون هم الظالمون} أي والكافرون الجاحدون لنعم الله هم الظالمون لأنفسهم، لأنهم حالوا بينها وبين الهداية بإيثارهم العاجلة على الآجلة، والغي على الرشد، والبخل على السخاء والإنفاق.

أما المؤمنون فليسوا كذلك لأنهم سلكوا الطريق المستقيم وبذلوا أموالهم في سبيل الله ونصرة لدين الله، فإما أن نكون مع المؤمنين المنفقين أو الكافرين الظالمين.

النفقة في سبيل الله والإيمان قرينان:

ولعظيم ثواب الإنفاق في سبيل الله قرنه الله بالإيمان بقوله تعالى: {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير} (الحديد: ٧).

والنفقة في أيام المقاومة وساعات العسرة أعظم ثواباً، قال تعالى: {.. لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير} (الحديد: ١٠). إن المعركة التي تخوضها المقاومة الإسلامية في فلسطين والعراق وغيرها من أرض الإسلام في وجه الاحتلال الصهيوني الأمريكي الصليبي الذي يسعى للقضاء على هوية الأمة وحضارتها ويهوِّد أرضها ومقدساتها، تدعو المؤمنين والمؤمنات ليكون بعضهم أولياء بعض في نصرة دين الله بأموالهم وأنفسهم، وإن العذاب الأليم الذي يكتوي بناره أبناء الإسلام في فلسطين والعراق وغيرهما لا ينجينا منه إلا الإيمان والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وهذا ما وجهنا الله تبارك وتعالى إليه بقوله: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين} (الصف: ١٠-١٣) وفي هذه الآية الكريمة بيان المنهج الرباني للإنقاذ والتحرير وهو الجهاد وبذل الأموال والنفوس في سبيل الله، وهو التجارة الرابحة التي عدّد الله أرباحها.

بيان عناصر التجارة التي تنجينا من عذاب الاحتلال ونار العدو وقهره وطغيانه:

١- الإيمان والجهاد: {تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}. والمعنى أن المقاومة للمحتل يجب أن تكون تحت راية الإسلام والإيمان، وأن الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال خير لكم من أموالكم وأنفسكم عند الله، لما تجدونه من ثواب عظيم للجهاد يحفظ على الأمة دينها وكرامتها ومقدساتها وأوطانها. ثم ذكر الله ثواب هذه التجارة الرابحة.

٢- ثواب الآخرة بمغفرة الذنوب، والجهاد محاء للذنوب، وجنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة

في جنات عدن ذلك الفوز العظيم.

٣- وثواب الدنيا بالنصر والتحرير والتمكين: {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين}.

إن الإسلام حين يُستهدف، وإن الوطن حين يُغزى، لا يبقى عذر لأحد أن يتخلف عن الجهاد بنفسه وماله، أوينتحل الأعذار للفرار من المشاركة، قال تعالى: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} (التوبة: ٤٤-٤٥) والذين يبخلون عن تقديم العون لإخوانهم المجاهدين، إنما يبخلون في الحقيقة على أنفسهم حين يحتل العدو أرضهم ويصادر أموالهم، ويقتل رجالهم ونساءهم، وينكّل بهم ويذلهم، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. قال تعالى: {ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله، فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} (محمد: ٣٨).

إن خطر الهلاك والاستبدال يتهدد أمة تؤثر البخل على النفقة في سبيل الله، وتؤثر الدنيا على الآخرة، والجبن على مواجهة الأعداء.

في أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة المنورة يبين فيها للمؤمنين كيف يكون لقاء الله يوم القيامة، وكيف يقون وجوههم من النار. جاء في السيرة النبوية لابن هشام أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة: حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه -: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟! فما قدمت لنفسك؟! فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدّامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

وكأني بالنبي الكريم ﷺ يخطب بنا من وراء القرون ويذكرنا بهذه الكلمات كيف نواجه أعداء الإسلام، وكيف نتحمل مسؤولياتنا في الدفاع عن الدين والأرض والعرض والمقدسات، وكيف نقدم لأنفسنا، يذكرنا بساعة الموت التي نفارق بها الدنيا، وننتقل بعدها إلى دار الجزاء.

"تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع .." صاحب التجارة يترك تجارته، وصاحب المصنع يترك مصنعه، وصاحب الوظيفة والحكم يترك حكمه وسلطته، وصاحب المزرعة يترك مزرعته، وصاحب الغنم يترك غنمه، ليس لها راع..

ما قيمة المزارع، والمصانع، والأرصدة، والأموال إذا لم نوظفها في طاعة الله، ونقي بها وجوهنا من النار يوم القيامة، ومن الذل والمهانة في الحياة الدنيا؟!

عرف العربي وظيفة المال الإنسانية والاجتماعية حين خاطب زوجته وقال لها:

أماويُ إن المال غـــادٍ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أو يقول لها:

إذا كان بعض المال ربّاً لأهله فـإني بحـمد الله مالي مُعَبَّد

يُـفـكُّ به العاني ويؤكل طيِّباً ويُعطى إذا منَّ البخيل المصرِّد

ويقول الشاعر:

ذريني أطوِّف في البلاد لعلني أُفيد غنىً فيه لذي الحق محملُ

أليس عظيـماً أن تلـمَّ ملمّةٌ وليس علينا في الحقوق مـعـوّلُ

هذه وظيفة المال في الإسلام أن نعبر به آخرتنا، ونصلح به دنيانا ومجتمعاتنا، ونقوم به بحقوق الضعفاء والفقراء والأيتام، ونسد به نفقات الجهاد وحاجات الأمة.

وبهذه العقيدة والإيمان الحي كان الأغنياء في المجتمع الإسلامي يتسابقون في أبواب البر والإحسان والجهاد وسد حاجات المسلمين. قال تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين} (آل عمران: ١٣٣-١٣٤) وقال تعالى: {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (البقرة: ٢٧٤).

إن روح الجهاد، وصدق الشعور بالكرامة، والانتماء للإسلام والأمة والوطن يحوِّل الأمة إلى المعركة، حين يتعرض الوطن للعدوان، وأرض الإسلام للاحتلال.

قال صاحب كتاب "تاريخ بغداد": "دخل بعض التجار على "حُسَيْنك" وهو من كبار تجار بغداد، فوجدوه يبكي، فعجبوا وسألوه: ما الذي يبكيك؟! فقال: يهدد الروم "طرطوس" وليس في خزائني صفراء ولا بيضاء. ثم قال: بل عندي ضيعتان، أبيع إحداهما، وأجهز بثمنها مجاهدين ينصرون المسلمين في طرطوس.

هذه القصة التي يرويها صاحب "تاريخ بغداد" تبين لنا كيف واجه المسلمون الغزاة من الروم ثم من الصليبيين والتتار.

وكان التاجر ينقطع قلبه حسرة وتفيض دموعه إذا لم يجد السيولة الكافية لتجهيز المجاهدين ودعم الجهاد. فما بالك بمن يملكون الأموال ويخزنونها في البنوك في الداخل والخارج! ويبخلون عن أن يقدموا لأنفسهم ما يقي وجوههم من النار يوم القيامة، وما يقي وجوههم وأمتهم من عار الاحتلال

وانتصار الأعداء.

إن المعركة على أرض فلسطين هي معركة القرآن العظيم مع التوراة المحرفة، معركة الأقصى مع الهيكل المزعوم، معركة رسول الله ﷺ مع أعداء الإسلام الذين أعلنوا عن أهدافهم في القضاء على دين الأمة وهويتها وحضارتها ومقدساتها، وإن الذين يجاهدون في العراق يقاومون أخطر هجمة أمريكية صهيونية تريد احتلال أرض العرب من محيطها إلى خليجها.

وإن أعظم ما يقدمه المسلم لنفسه في هذه المرحلة أن يكون في خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقدم ما يستطيع من مال لدعم المقاومة والجهاد، وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من هذه الأموال والأرصدة والكنوز التي لا تنفق في سبيل الله، وانتصاراً لدينه، ودعماً للمقاومة كيف تتحول يوم القيامة إلى نيران تكوى بها جباه أصحاب هذه الكنوز وجنوبهم وظهورهم. قال تعالى: {.. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون} (التوبة: ٣٤-٣٥).

في مواجهة الغزاة للدفاع عن الدين والوطن والتاريخ والمقدسات يسبق أهل الإيمان بجهادهم بالنفس والمال والعمل والتخطيط، ويتميز المؤمنون بإيمانهم وجهادهم وينكشف المنافقون بجبنهم وبخلهم. وقد ذكر الله أصنافاً ثلاثة في سورة التوبة:

١- الأعراب والمنافقين من الأعراب الذين لا يعيشون هموم دينهم وأوطانهم. قال تعالى: {الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم} (التوبة: ٩٧).

{ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم} (التوبة: ٩٨).

٢- الصالحين من الأعراب الذين طهَّر الإيمان قلوبهم وصدقوا في نفقاتهم. قال تعالى: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم} (التوبة: ٩٩).

٣- السابقين من المهاجرين والأنصار الذين ارتقوا إلى كرامة الموقف وسبق الجهاد وعياً إيمانيّاً وبذلاً سخيّاً، وجهاداً مبروراً، وسبقاً مباركاً {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} (التوبة: ١٠٠).

لنسأل أنفسنا بعد ذلك كيف نطهر قلوبنا وصفوفنا من هذه الجاهلية التي تحجب القلب والأمة عن الله والجهاد في سبيله وكيف نسارع للاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار، الذين رضي الله

عنهم ورضوا عنه بصدق جهادهم ونصرتهم لدين الله ورسوله. ثم ننتظر بشرى النبي الكريم الذي قال: "حصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع".

العدد (٥٥) آب ٢٠٠٦م

مفهوم العدل في الإسلام

من صفات المؤمنين أنهم قوامون بالقسط شهداء لله، والأمة المسلمة التي تستحق نصر الله ورحمته هي التي تقيم العدل فيما بينها فينصف المؤمن الناس من نفسه،ويؤدي ما عليه من حقوق، نحو زوجه، وجاره، وصديقه، ومن يعاملهم بتجارة أو زراعة، أو حادث سير. إن الله يمتحن المؤمنين بولاياتهم، ووظائفهم وأعمالهم، التي أسندت إليهم، كما يمتحنهم بأولادهم و بناتهم وأزواجهم ليقيموا العدل، ولا يحابوا، ولا يرتشوا، ولا يقدموا خدمة لذي جاه، ويحرموها الآخرين، قال تعالى: {وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم} (الأنعام: ١٦٥). وسيكون حديثي هذا شاملاً بإذن الله لما يلي:

١- تفسير قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين...}. (النساء: ١٣٥).

٢- ترغيب أصحاب السلطة التنفيذية و القضائية و التشريعية بالعدل، وترهيبهم من الظلم، وترهيب كل صاحب ولاية صغرت أم كبرت من الظلم .

تفسير الآية:

في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله} تحذير لأصحاب المسؤوليات الكبرى في القضاء و التشريع أن يفصلوا بين الحكم و الشهادة لله، وأن يستشعروا رقابة الله تعالى في الحكم الذي يصدرونه، أو القانون الذي يصدرونه، كما هو تحذير لكل صاحب مسؤولية أو ولاية.

قال العلماء في تفسيرها: قوله: {قوامين} جمع قوّام، وهو صيغة مبالغة من قائم . والقوّام هو المبالغ في القيام بالشيء و الإتيان به على أتم وجه وأحسنه.

وقوله: {شهداء} جمع شهيد بوزن فعيل، والأصل في هذه الصيغة أنها تدل على الصفات الراسخة في النفس ككريم وحكيم . والمعنى : أيها المؤمنون الذين آمنوا بالحق إيماناً صادقاً، كونوا مواظبين على إقامة العدل فيما بينكم في جميع الظروف و الأحوال دون أن يصرفكم عن ذلك صارف، وكونوا شهداء لله، أي مقيمين للشهادة بالحق ابتغاء وجه الله،لا لغرض من الأغراض الدنيوية، ولا لمطمع من المطامع الشخصية، فإن الإيمان الحق يستلزم منكم أن تعدلوا في أحكامكم وأن تؤدوا الشهادة على وجهها، فكأن سبحانه يقول لهم : روِّضوا أنفسكم على التزام كلمة الحق وعوِّدوها على نصرة المظلوم وخذلان الظالم، وليكون ذلك خلقاً من أخلاقكم وسجية من سجاياكم، فلا يكفي أن تعدلوا في أحكامكم مرة أو مرات،

وإنما الواجب عليكم أن تداوموا على إقامة العدل في كل الأحوال ومع كل الأشخاص.

فهؤلاء الذين يُغيِّبون العدالة استجابة لرغبة مسؤول، أو خوفاً على فوات مصلحة أو رغبة في مغنم، ويصدق فيهم قول الشاعر:

أخــو ورع يطيع الله حينـاً و يعصيه إذا اقتضت الظروف !

هؤلاء ما كانوا قوامين بالقسط ولا شهداء لله، والظروف و المصالح هي التي تملك أحكامهم .
وفي هؤلاء يصدق قوله ﷺ : " من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدلَه جورُه فله النار". (رواه أبو داود).

وقال ﷺ :" القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى بغير حق يعلم بذلك ، فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة". (رواه أبو داود).

وعن ابن أبي أوفى قال رسول الله ﷺ :" إن الله مع القاضي ما لم يَجُر فإذا جار تخلّى عنه ولزمه الشيطان". (رواه الترمذي).

وبعض الناس يحسبون العدل مطلوباً من القاضي فحسب، وهو مطلوب من القاضي و النائب والعين، و مطلوب من الوزير و الأمين، و المدير، وكل ذي مسؤولية كبرت أو صغرت، ومطلوب من الأب مع أولاده في تقسيم المال و العدل بينهم، ومطلوب من الزوج مع زوجته أو زوجتيه وأفراد أسرته. ومطلوب من كل صاحب جاه أن يعدل في الشفاعة، و الإصلاح، و مطلوب من رأس العشيرة أن يعدل و يصل الأرحام و يصلح بينهم، ومطلوب من رئيس الجامعة وكل مسؤول أن يعدل باتباع قواعد المساواة والكفاءة، في التعيين و الترقية، وأن تكون قوامتهم بالقسط و شهادتهم لله أقوى من كل الضغوط و المظالم و المخاوف و إلا وقعوا في نذير قولهﷺ فيما رواه معقل بن يسار رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله تعالى عليه الجنة". وفي رواية: "فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة". (رواه البخاري ومسلم).

فالقرار الجائر يصدره المسؤول الإداري غشٌّ للمؤسسة والأمة، والقانون المخالف للشرع تصدره المؤسسة التشريعية غشٌّ للأمة ومهلك لمن أقره أو وافق عليه.

و الحكم الجائر يصدره القاضي أو المسؤول أو الأب أو الأم أو أصحاب ولاية صغرت أو كبرت يفضي بصاحبه إلى نار جهنم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" من ولي من أمر المسلمين شيئاً فغشّهم فهو في النار".

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من ولي من أمتي قلّت أو كثرت فلم يعدل فيهم كبّه الله على وجهه في النار". (رواه الحاكم).

وفي الصورة المقابلة نجد أهل العدل قضاة وحكاماً، وآباء و أمهات، ومسؤولين في ظل الله ورحمته وتوفيقه في الدنيا و الآخرة.

قال ﷺ : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ... وذكر بقية السبعة". رواه (البخاري ومسلم).

وفي الحديث : " ثلاثة لا ترد دعوتهم ؛ الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". (رواه أحمد) .

وفي الحديث: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا". (رواه مسلم و النسائي).

الدوائر الأمنية و مسؤوليتها في إقامة العدل، وتحقيق الأمن الاجتماعي:

حين يحصل نزاع بين الناس،أو اعتداء على أحد، كان المركز الأمني ملجأه. وحين يحصل صدام بين مركبتين كان رقيب السير وشهادته طريق العدل وإصلاح الأمر.

وحين يتقدم مواطن لوظيفة كان التقرير الأمني أساساً في قبوله أو رد طلبه. وقد توسع هذا الأمر حتى شمل وظائف وتسلّم مسؤوليات كثيرة.

وهؤلاء الذين يحكمون في وظائف الناس وأموالهم وأرزاقهم يطلبون ويسعون لأمن البلد واستقراره وتحصينه.

وأذكّر هؤلاء بأن العدل هو الذي يحفظ أمن البلد ويحميه من الحقد ويبعد عنه أسباب الغلو والتطرف، وأنهم بعدلهم وحسن رعايتهم يقوّمون المعوجّ ويصلحونه، وأن القضاء العادل هو الذي يجب أن يحكم فيمن تسوء سيرته فإذا تنازل رأس المؤسسة عن حقه في التعيين والترقية، كان غاشّاً لمؤسسته ولوطنه. وقد وصف الإمام الحسن البصري الإمام العادل فقال: " هو قِوام كل مائل،وقصد كل جائر (أي يهديه ويرشده) وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف".

والإمام العادل كالراعي الشفيق على إبله، وكالأب الحاني على ولده، وكالأم الشفيقة البرة الرحيمة. وإن التعاون بين مؤسسات الدولة يجب أن يقوم على العدل ليكون في مصلحة الوطن بعيداً عن العصبية و الهوى وإثارة الشعور بالظلم . ولتكون مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية صانعين للولاء والانتماء الحق بإقامتهم للعدل، وتحكيمهم لمقاييس الكفاءة و المساواة والرحمة. وليكونوا كالراعي على

إبله والأب الحاني على أولاده والأم الشفيقة البرة على أبنائها .. وإن الرجولة والشجاعة في إظهار الحكم والعمل به هو المفهوم من صيغة المبالغة بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين}. وهذه الآية الكريمة ترسم لنا خطوطاً نميز فيها بين الروابط الأسرية والانتماء الجهوي والارتقاء إلى قيمة العدل وذلك بقوله تعالى: {شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين..}.

قال الفخر الرازي:" وإنما قدَّم- سبحانه - الأمر بالقيام بالقسط على الأمر بالشهادة لوجوه، ومنها: أن أكثر الناس من عادتهم أنهم يأمرون غيرهم بالمعروف، فإذا آل الأمر إلى أنفسهم تركوه، حتى إن أقبح القبيح إذا صدر عنهم كان في محل المسامحة وأحسن الحسن، وإذا صدر عن غيرهم كان في محل المنازعة. فالله - تعالى - نبّه في هذه الآية على سوء هذه الطريقة، وذلك أنه سبحانه أمرهم بالقيام بالقسط أولاً، ثم بالشهادة على الغير ثانياً. وقوله: {ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين} تأكيد للأمر بالتزام الحق في الأحكام و الشهادات".

قال القرطبي: وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها، ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما... .

فهذه الآية تبين صفة المؤمن الذي يؤثر ربه والعدل الذي أمر به، ويقيم موازينه، ولو شهد على والديه والأقربين، وتحرر المجتمع الإسلامي من القرار المتأثر بهوى الوالدين والأقربين والعشيرة حتى لا يتحول المجتمع إلى مزارع تحكمه الشهوات والأسباط والأصهار ويفقد المواطن إحساسه بانتمائه لوطنه وأمته، ويصبح انتماؤه للوجيه أو القريب الذي يؤمّن له مصالحه، فهذه الآية ولو وردت في مجال الحكم و الشهادة لكنها عامة في الحكام والمسؤولين وأصحاب القرار. ومعنى {ولو على أنفسكم}: أي ولو كانت الشهادة على أنفسكم فاشهدوا عليها بأن تقروا على أنفسكم بالحق ولا تكتموه . ويمكن أن نقول بأن يكون قرار الوزير أو المسؤول خالياً من شوائب الهوى و المصلحة الشخصية، مؤثراً جانب العدل ومصلحة الأمة على العواطف والأهواء.

وهذا ما نبّه إليه رسول الله ﷺ بقوله: "من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس" .(رواه الترمذي) .

وفي الحديث :" من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه.." (رواه الطبراني).

والمؤمنون متعاونون في نصرة الحق وإقامة العدل، فإذا دُعي أحدهم إلى شهادة يحرم عليه أن يعتذر عنها، أو يتهرب منها ويكتمها.قال تعالى: {فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن

الله كان بما تعملون خبيراً} (النساء: ١٣٥) وقال تعالى: {ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا} (البقرة: ٢٨٢). وقال تعالى: {ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه، والله بما تعملون عليم}. (البقرة: ٢٨٣). ويفرض الله عليه أن يؤدي الشهادة كما رأى وسمع من غير زيادة أو نقصان أو تحريف يخل بالعدالة أو يلبس الحق ثوب الباطل، لأن تغيير الشهادة عن وجهها الحق شهادة زور تدخل صاحبها نار جهنم. قال ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر / ثلاثاً /: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور وقول الزور، وكان متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت". (رواه البخاري ومسلم و الترمذي).

ومن صور إضاعة الحق وظلم الناس ألاّ يعترف من عليه التزام مالي في تجارة أو بناء أو تعهد، ولا يرضى بدفع ما عليه من حقوق إلا عن طريق المحكمة وإقامة الدعوى، ليطول أمد المحكمة و الوفاء بالالتزامات ولا يدفع الالتزام إلا بعد مدة طويلة قد تصل إلى سنوات، وهذا حرام، وتعريض لحقوق الناس للضياع، قال تعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون} (البقرة: ١٨٨). ومعنى: {وتدلوا بها إلى الحكام} أي تحوِّلوا القضية إلى المحكمة لتحاولوا إخفاء الحقيقة، وتضليل القضاء، وإطالة المدة، وأنتم تعلمون أن الحق يلزمكم، وأن عهد الله أولى بالوفاء.

ومن صور إضاعة الحق التعاون مع الظالمين تحت جنح الظلام للحصول على المكاسب و المغانم، وقد يغتر بعض الناس بصلاتهم وصيامهم، ولا يعلمون أن الاجتراء على أحكام الله مبطل لعملهم مهما ظهر للناس حسناً. قال رسول الله ﷺ: " لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً ... ووصفهم النبي الكريم فقال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" (رواه ابن ماجه، ورواته ثقات).

أقام الله فينا سنن العدل و محا الباطل وأهله، إنه سميع مجيب.

بين المداراة والمراءاة

المداراة: أن تبذل من دنياك من أجل دينك ..

والمراءاة: أن تبذل من دينك من أجل دنياك ..

ونجد عند هذين التعريفين الفرق الدقيق بين من جعل قلبه متعلقاً بالله، وجعل الدنيا مسخَّرة لنصرة دينه، وبين من جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، يبيع من أجلها دينه، ويتعاون مع الظالمين، ويوالي أعداء الإسلام، لينال عندهم حظوة، أو رتبة، أو راتباً.

قد يتعرض المسلم لامتحانات، يدفعها بحسن الخلق، والصبر، وبحسن تأليف القلوب بما يبذل من ماله، كسباً للأصدقاء والأنصار، ومسحاً للعداوة، وترغيباً بالخير والهدى. وقد يكون هذا الذي يبذله من جاهه مساعدة لمكروب أو مشاركة في واجب، أو إصلاحاً بين متخاصمين. فهذه المداراة التي تكسب فيها قلوب الناس حبّاً واحتراماً يعود خيرها عليك وعلى الدعوة التي تحملها.

أما المراءاة، فهي صنعة الإنسان المنافق الذي يعبد نفسه، ويحكمه هواه، فإن كان تاجراً سارع في الإنفاق لإرضاء أصحاب الجاه أو القرار، وتأخر في دفع الزكاة، أو العون والمشاركة في نصرة دين الله.

وإن كان خطيباً أو مسؤولاً أو كاتباً، سارع في إرضاء الظالمين، وتقديم ما يرضيهم على ما يرضي الله رب العالمين.

وجدير بهؤلاء أن يذكروا حديث رسول الله ﷺ: "من أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى من أسخطه في رضاه، ومن أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط من أرضاه في سخطه".

الولاء والمداراة والمراءاة:

إن الأصل الذي يحكم معاملة المسلم للناس دينُه وحكم ربه وولاؤه لله رب العالمين، فإذا كان قلبه يشهد بصدق أنه لا إله إلا الله، ولا معبود إلا الله، وأنه تعالى هو الملك الحق، تحرَّر من الخوف، وهانت عليه مظاهر الظالمين، وآوى إلى حصن الله الحصين، لا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يوالي إلا الله، وهذا ما ذكّر الله تعالى به نبيّه، وهو يتعرض للامتحانات وأسباب الضيق فيقول

له: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون. فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين} (الحجر: ٩٧-٩٨)، وفي آية أخرى: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم} (الطور: ٤٨-٤٩).

وفي ظل هذا الحصن الحصين يكون ولاؤه لله ورسوله وجماعة المؤمنين، ويحكمه في معاملاته مع الناس في المجتمع أن يكون جندياً من جنود الله، يناصر جماعة المؤمنين، ويتلزم بشروط النصرة، يداري حيث تكون المداراة أنفع للجماعة المسلمة، ودفع الأخطار عنها، ويواجه حين تكون المواجهة خيراً ونصرة وأصلح لأمة الإسلام، ويحذر أشد الحذر أن يرائي ويستذل، ويخضع لرغبات الظالمين وترغيبهم بالإغراء، وترهيبهم بالتخويف، وقد علم أن الله وحده هو مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير.

المستقبل لهذا الدين:

وتحقق الأمة هدفها حين يكون أبناء الإسلام كالبنيان المرصوص ولاءً لله، واعتصاماً به، وكراهية للكفر وأهله، والظلم وأعوانه، يتحصنون من أسباب الاختراق والبيع الرخيص لشرف الدعوة، وكرامة الموقف والانضمام لفريق أعداء الإسلام الذين يكيدون له ويمكرون بدعاته.

بعد فتح مكة المكرمة بشّر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح بلاد فارس والروم ليفتح لهم أهدافاً جديدة يسعون لإنجازها، فكَبُر ذلك على المنافقين واليهود وهم يعتقدون أن هذين الجيشين لأكبر دولتين في ذلك العصر لا يقهران؛ فقال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم! وهم أعز وأمنع من ذلك، لم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله قوله تعالى في سورة (آل عمران: ٢٦): {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير} (القرطبي ٤/٥٢/الآية).

إرادة القتال وثقة المؤمن بربه:

ما أشبه اليوم بالأمس، إن الذين استكانوا لأمريكا وإسرائيل، وخرافة الجيش الذي لا يقهر، ويئسوا من المواجهة والإعداد، وعطّلوا فريضة الجهاد، كشف الله لهم الحقيقة وفضح عدوهم، حين عزم المؤمنون على الجهاد والإعداد، وأخزى الله جيش اليهود والأمريكان على أيديهم في لبنان والعراق وفلسطين، واستعادت الأمة وعيها الإيماني والجهادي وثقتها بنفسها بفضل جهادهم ومقاومتهم وإلحاقهم الهزيمة بجيش العدو المغرور المستكبر.

ولنقف عند بعض معاني هذه الآيات الكريمة لنتصل بهدي الله ونحن نواجه من جديد أعداء الله.

ومعنى هذه الآية: قل يا أيها المؤمن وأنت تستقبل البشرى، وتسعى لرفع راية الإسلام وتحرير الأرض من القوم الظالمين، قل: يا أللّه يا مالك الملك أنت وحدك صاحب السلطان المطلق في هذا الوجود، بحيث تتصرف فيه كيف تشاء، إيجاداً وإعداماً، وإحياءً وإماتة، وتعذيباً وإثابة، من غير منازع. أي أنت وحدك الذي تعطي الملك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتنزعه ممن تشاء نزعه منهم، فأنت المتصرف في شؤون خلقك، لاراد لقضائك ولا معقّب لحكمك، وأنت وحدك الذي تعزُّ من تشاء إعزازه بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء إذلاله بالهزيمة والخذلان.

ثم ختم سبحانه الآية بهذا التسليم المطلق من المؤمنين لذاته فقال تعالى: {بيدك الخير إنك على كل شيء قدير} أي أنت وحدك الذي تملك الخير كله، وتتصرف فيه حسب إرادتك ومشيئتك لأنك على كل شيء قدير.

وبعد أن ذكر الله بعض مظاهر قدرته التي تدل على إرادته الغالبة، وقدرته الباهرة في قوله تعالى: {تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب} ليزداد المؤمنون إيماناً بوعد الله وقدرته ونصرته لهم لتحرير الأرض من القوم الظالمين.

بعد هذه الآيات وجّه الله المؤمنين كيف يكونون صفّاً واحداً في ولائهم لله ورسوله، وأن يحذروا أن تخترق وحدتهم وصفهم الولاءاتُ للأجنبي التي تهدد أمن الأمة وتحرمها من ثمرات النصر فقال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير} (آل عمران:٢٨).

قال العلماء في تفسيرها:

"لا يحل للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء ونصراء، بل عليهم أن يراعوا ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وأن يقدموها على ما بينهم وبين الكفار من قرابة أو صداقة أو مصلحة شخصية أو غير ذلك من ألوان الصلات، لأن في تقديم مصلحة الكافرين على مصلحة المؤمنين، تقديماً للكفر على الإيمان، ومن شأن المؤمن الصادق ألا يصدر منه ذلك".

وقد ورد مثل هذا النهي في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } (سورة الممتحنة:١)، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}(المائدة :٥١).

ثم قال تعالى: {ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} أي ومن اتخذ الكافرين أولياء وأنصاراً

من دون المؤمنين، فقد برئ الله منه، وابتعد عن ولاية الله وانسلخ منها، وليس بينه وبين الله صلة تُذكر. وفي قوله تعالى: {فليس من الله في شيء} ولم يقل "فليس من ولاية الله" للإشعار بأن من اختار مناصرة أعداء الإسلام وموالاتهم فقد ترك ذات الله – تعالى – وكان مؤثراً لقوة الكفار على قوة العزيز الجبار، فهو في هذه الحالة يحارب الله ويعاديه.

ثم استثنى الله سبحانه من أحوال النهي حال التقية فقال: {إلا أن تتقوا منهم تقاة}.

السياسة الحكيمة في الاتقاء والمداراة:

الحركة الإسلامية الراشدة لها أهدافها الكبرى، ولها أهداف قريبة توصلها إلى أهدافها الكبرى، وسياستها في إعلان العداوة أو إخفائها تحكمها مصلحة الدعوة والمسلمين، فسياسة الحركة الإسلامية قبل الهجرة في زمن الضعف غير سياستها في المدينة في زمن القوة وإقامة الدولة. وفي هذه الآية يوجه الله المؤمنين لما يحفظون به قوتهم، ويصلون به إلى أهدافهم بالمداراة وحسن الإدارة والتخطيط، ففي قوله تعالى: { إلا أن تتقوا منهم تقاة} توجيه عظيم للدعاة يحسن أن يقفوا عند هدايته.

قال العلماء في تفسيرها: "والاستثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكافرين أولياء في أي حال من الأحوال إلا في حال اتقائكم منهم، أي إلا أن تخافوا منهم مخافة، أو إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه من الضرر في النفس أو المال أو العرض. كأن كان الكفار غالبين ظاهرين، أو كنتم في قوم كفار فيرخص لكم في مداراتهم باللسان على ألا تنطوي قلوبكم على شيء من مودتهم، بل تداروهنم وأنتم لهم كارهون، ولا تعملوا ما هو محرم كشرب الخمر، أو إطلاعهم على عورات المسلمين، أو الانحياز إليهم في مجافاة بعض المسلمين، وإذن فلا رخصة إلا في المداراة باللسان".

توجيه وتحذير:

إن هذه الآية الكريمة تبين أصلين عظيمين:

الأصل الأول: تحريم موالاة الكافرين، وهذا يقتضي أن يكون للمسلمين قيادة من العلماء ورجال الدعوة الذين يسيرون على هدي ربهم ويحكمون هذه المقاطعة.

الأصل الثاني: التقاة أو المداراة التي تحفظ بها قيادة المسلمين وعلماؤهم على المسلمين قوتهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم انتظاراً للمرحلة القادمة التي يشتد بها ساعد الدعوة وقوتها، وتكون أقدر على المواجهة.

ثم ختم سبحانه الآية بهذا التهديد الشديد حيث قال تعالى: {ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير}.

والتحذير: هو التخويف لأجل الحذر واليقظة، من أن يقع الإنسان في قول أو عمل منهي عنه، والمعنى: يحذركم الله تعالى من نفسه أو عقابه وانتقامه، وإليه سبحانه مرجعكم ومصيركم فيحاسبكم على أعمالكم.

وقوله: {ويحذركم الله نفسه..} فيه ما فيه من التهديد والتخويف من موالاة الكافرين، لأن التحذير من ذات الله، يقتضي الخوف ووقوع الرهبة في النفس من الذات العلية، فالنذير قد جاءكم من الله تعالى لا من غيره فعليكم أن تمتثلوا أمره، فإن إليه وحده المآل، وانتهاء أمر العباد وسيجازيهم على أعمالهم بما يستحقون، فاحذروا التعرض لعقابه.

أحكام مستفادة من الآية:

وفي الآية دليل على مشروعية التقية، وعرّفوها بالمحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء. وأن رجال الدعوة وقادة الحركة وهم في سعيهم لإقامة حكم الله، مأمورون بالتميز وألا يوالوا أعداء الإسلام.

وكذلك مأمورون باتخاذ الخطط الواقعية التي تمكنهم من بلوغ الأهداف عن طريق المداراة والتقية، دون أن يكون ذلك على حساب عقائدهم ومبادئهم. قال العلماء: والعدو قسمان: الأول من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكفار، وهذا يقتضي أمرين: الأمر الأول: أن كل مؤمن وقع في محل لا يمكن له فيه أن يظهر دينه لتعرض المخالفين له بالعداوة فإنه يجب عليه أن يهاجر من ذلك المكان إلى مكان يستطيع أن يظهر فيه دينه. وهذا الحكم يشمل المسلمين الذين يفتنون في دينهم ودين أبنائهم في بلاد الكفر، ويتعرضون للإغراء والإباحية وهدم القيم الإيمانية والأخلاقية.والأمر الثاني: أن يكون هؤلاء المهاجرون إلى بلاد الكفار من أصحاب الضرورات الذين خرجوا من أوطانهم فارين بدينهم وأنفسهم من الحكام الظلمة، فهؤلاء حكمهم أن يأخذوا بالتقية والمداراة من حيث الالتزام بشروط الإقامة، وحتى لا يتعرضوا للأذى، ويحسنوا إقامة المراكز الإسلامية والمساجد في ظل القوانين المعمول بها.

والقسم الثاني هو من كانت عداوته بسبب المال والإمارة، والخوف من الحركة الإسلامية في المعارك الانتخابية وما إلى ذلك، فالتقية والمداراة في مواجهة هؤلاء يعتمد على تعميق حبال الدعوة في الجماهير بالكلمة الطيبة، والمساعدة الخيرية من جهة، والحذر من إثارة معارك شخصية مع هؤلاء من جهة ثانية. وأن تكون كلمات الدعاة مختارة، وتصريحاتهم مدروسة، واستقراء أسباب مخاوف الحكام وأصحاب السلطان، والابتعاد عنها ما أمكن.

قال العلماء: "ومن باب التقية الجائزة مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوههم لكف أذاهم، وصيانة العرض منهم بشرط ألا تكون هذه المداراة مخالفة لأصول الدين وتعاليمه، فإن كانت مخالفة لذلك فلا تجوز.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول اللهﷺ وأنا عنده، فقال رسول الله ﷺ: بئس أخو العشيرة. ثم أذن له فألان له القول. فقلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول! فقال: يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس اتقاء فحشه.

ولكن تحرم المداراة حين يخدش الدين، ويرتكب المنكر، وتسيء الظنون". (انظر تفسير الألوسي ١٢١/٢/ الآية، والوسيط/ الآية).

قال تعالى: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً} (النساء: ١٤٠). ذلك أن المداراة لا تعني الهوان والذلة والرضى بمظاهر المعاصي والآثام. والمؤمن كريم عزيز، وقد وصف الله عباد الرحمن بقوله: {وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً} (الفرقان: ٧٢) أي إذا مروا بمجالس اللغو والباطل، لم يشاركوا، ولم يتلوّث ذيلهم، ومروا كراماً حافظين لكرامتهم وعزة دينهم، وفي الصورة المقابلة أمرهم ألا يَسُبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم، فالتصرف الحكيم أن لا أخوض معركة يكون ضررها على الدين والدعوة أكبر وأعظم. وفّقنا الله لما يحب ويرضى، وبصّرنا بالحكمة، وجنّبنا الزلل، إنه سميع مجيب.

مَن أنصاري إلى الله؟

رفع نبي الله عيسى عليه السلام نداءه هذا {من أنصاري إلى الله} حين اشتد به الكرب وكاد اليهود ينفذون مكرهم بقتله ليقضوا على الرسالة والرسول فواجههم بالحواريين الخلّص من أتباعه. ورفع رسول الله نداءه: (من ينصرني ويؤويني إلى أن أبلّغ كلمة ربي) وقد أغلقت عليه قريش الطرق، تمنع كلمة الله وتضع في وجهها الحواجز والمعوّقات، وكأني بالنبي الكريم ﷺ يرفع هذا النداء في فلسطين والعراق وبلاد العروبة والإسلام، وقد اشتدت أخطار التهويد، والتغريب، والتقطيع وإلغاء الهوية العربية والإسلامية، ورسمت وزيرة الخارجية الأمريكية ويهود وأتباعهما مخطط الوطن العربي والإسلامي من جديد الذي يلغى به اسمه ودينه وعروبته وهويته ليحل محله اسم "الشرق الأوسط الجديد" لتكون إسرائيل الجزء الأقوى والمهيمن فيه، ولتصاغ المجتمعات العربية صياغة طائفية ومذهبية وعرقية واجتماعية وسياسية فلا عروبة ولا إسلام ولا قرآن ولا جهاد ولا مقاومة، وإنما هي ولايات مرتبطة بالبيت الأبيض منفذة لسياساته عن طريق الوكلاء والأتباع والعملاء.

والذين يواجهون أخطار إبادة الأمة العربية وتهويدها وتقطيعها هم المجاهدون في فلسطين والعراق ولبنان وغيرها من بلاد الإسلام. وأكبر عقبة تواجه الأعداء هي الحركات الجهادية والإسلامية في بلاد الإسلام، ولذلك تفرض أمريكا وإسرائيل الحصار الظالم على أهلنا في فلسطين وتقطع عنهم الرواتب وأسباب العيش ليتنازلوا عن أرض فلسطين، وعن المقاومة، ثم عن هويتهم وحضارتهم ومقدساتهم وقدسهم ويفرض المتعاونون مع الإدارة الأمريكية الحصار على شعب فلسطين تنفيذاً لإرادة السيد ويقومون بتجفيف منابع روح المقاومة والجهاد في الأمة عن طريق حصار المساجد والفتاوى وعن طريق القوانين الظالمة وحراسة أمن إسرائيل والأعداء، وعن طريق تشجيع أسباب الفساد الأخلاقي والثقافي وحمايته وفتح الباب واسعاً للفرق الضالة التي تكفّر أئمة الإسلام وكبار الصحابة.

كيف نواجه هذه الأخطار؟

سجَّل القرآن الكريم كيف واجه الحواريون الخطر وكيف واجه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الخطر، لتقتدي الأمة بهم. وأقف مع آيات الله وهي تعلّم وتعدّ الأمة حتى لا تيأس ولا تضعف ولا تستسلم. وأول حصن في دفع الأخطار إيمان الحواريين الذي خلص لله رب العالمين. قال تعالى: {فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} (آل عمران: ٥٢-٥٤).

ونقف مع الآيات الكريمة عند هاتين النقطتين:

١- النبي الرسول يستعين بالله ثم بأصحابه لدفع الأخطار ونصرة الدين.

٢- الذين يستجيبون لنداء النبي هم الأصفياء الأنقياء الذين تطهرت قلوبهم من شهوات الدنيا ومن الغش والنفاق ومن الجبن والاستكانة.

ولنقف عند تفسير هذه الآيات بما يزيد المعنى وضوحاً.

فقوله تعالى: {أحس} بمعنى علم وعرف، أي لما أحس عيسى منهم الكفر وعلمه يقيناً، ولما رأى تصميمهم على باطلهم قال على سبيل التبليغ وطلب النصرة: من أنصاري إلى الله، أي من أعواني في الدعوة إلى الله والتبشير بدينه حتى أبلّغ ما كلفني بتبليغه.

وفي قوله {من أنصاري إلى الله} حضٌّ لهم على المسارعة إلى نصرة الحق لأنهم لا ينصرون من أجل مصلحة شخصية، وإنما هم ينصرونه لأنه يدافع عن دين الله، ويبشر به، ومن نصر دين الله نصره الله.

والآية الكريمة تشير إلى أن الكافرين كانوا هم الكثرة الكاثرة من بني إسرائيل والمؤمنون هم القلة غير الظاهرة حتى لكأن عيسى بقوله: {من أنصاري إلى الله} يبحث عنهم بين تلك الجموع الكثيرة من الكافرين.

وهنا يحكي القرآن أن المؤمنين الصادقين – مع قلتهم – لم يتقاعسوا عن تلبية نداء عيسى – عليه السلام – فقال تعالى:{قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون}.

من هو الحواري؟ أصل مادة "حور" في اللغة هي شدة البياض، أو الخالص من البياض، ولذلك قالوا في خالص لباب الدقيق "الحواري"، وقد سمى الله تعالى أصفياء عيسى وأنصاره بالحواريين، لأنهم أخلصوا لله تعالى نياتهم وطهرت سرائرهم من النفاق والغش فصاروا في نقائهم وصفاتهم كالشيء الأبيض الخالص البياض.

وفي قوله تعالى: {قال الحواريون نحن أنصار الله} أي نحن أنصار الله الذين تبحث عنهم، ونحن الذين سنقف إلى جانبك لنصرة الحق، فقد آمنا بالله إيماناً صادقاً، يفرض علينا أن ننصر أولياءه ونحارب أعداءه، ونريدك أن تشهد لنا يا عيسى بأنا مسلمون حين تشهد الرسل لأقوامهم.

وقولهم {آمنا بالله} جملة في معنى العلة للنصرة، أي نحن أنصار الله يا عيسى لأننا آمنا بالله الذي بعناه أنفسنا وأموالنا وأجبناه وأجبنا أحبابه ونصرناه ونصرنا رسله فالإيمان الصادق يقتضي المحبة والولاء والنصرة لله ورسوله. وقولهم {واشهد بأنا مسلمون} يصوّر صدق إيمانهم بيوم القيامة والجزاء. والشهادة هنا بمعنى العلم المنبعث من المعاينة والمشاهدة، فهم يطلبون من عيسى عليه السلام

أن يكون شاهداً لهم يوم القيامة بأنهم أسلموا وجوههم لله، وأخلصوا له العبادة.

ثم حكى القرآن عنهم أنهم قالوا أيضاً {ربنا آمنا بما أنزلت} على أنبيائك من كتب {واتبعنا الرسول} أي امتثلنا ما أتى به منك إلينا {فاكتبنا مع الشاهدين} أي فاكتبنا بفضلك ورحمتك مع الشاهدين بوحدانيتك العاملين بشريعتك المستحقين لرضاك ورحمتك.

هذه صفات جند العقيدة ورجال الدعوة وهذه خصائص جهادهم: حواريون تطهروا من العمل للمغانم والمكاسب والأهواء .. مؤمنون أعطوا ربهم حبات قلوبهم وخالص نصرتهم وكريم جهادهم .. متّبعون خاضعون لأحكام الله يطلبون شهادة النبي الكريم لهم يوم الموقف العظيم. ويبقى نداء عيسى عليه السلام حيّاً قويّاً مزلزلاً عبر القرون يدعو المؤمنين المسلمين {من أنصاري إلى الله} أي من أنصاري مبلغاً لكلمة الله ومدافعاً عن دين الله، وناصراً لشريعة الله، ليقول الحواريون الخلص من أهل الإسلام: {نحن أنصار الله آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون} فالحواريون الذين نصروا عيسى عليه السلام والحواريون الذين نصروا سيد الأنبياء وخاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم هم الذين يتجددون في هذه الأمة بإيمانهم وطهارة قلوبهم وصدق نياتهم وخالص جهادهم.

قال النبي ﷺ في الزبير بن العوام: "لكل نبي حواري وحواريي الزبير".

كيف واجه النبي محمد ﷺ الأخطار وحقّق الانتصار؟

قال ابن كثير: (كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: "هل من رجل يؤويني وينصرني حتى أبلّغ كلمة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلمة ربي" فقيّض الله له الأنصار فآووه ونصروه ومنعوه من الأسود والأحمر) ابن كثير - ٣٦٥/١.

وكانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية ترجمة لهذه النصرة فقد اجتمع ثلاثة وسبعون رجلاً من أهل المدينة وبايعوا رسول الله على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن يقوموا في الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، وعلى أن ينصروا رسول الله إذا قدم عليهم، ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة. ولما قاموا يبايعونه أخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين – فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب له أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذركم عند الله. فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة. ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام.

وقفة عند هذه البيعة:

المتدبر لهذه البيعة يجد المنهج الحركي النبوي الذي يرشد الجماعة المسلمة للطريق السديد في نصرة هذا الدين ودفع الأخطار عنه، وأهم معالم هذا الطريق:

١- قيادة مؤمنة تهتدي وتقتدي برسول الله ﷺ منهجاً وخلقاً وسلوكاً.

٢- جند مؤمنون يبايعون القائد ولا يحصرون عملهم للإسلام بما لا يعرضهم لأخطار المواجهة مع الظالمين الذين يحاربون الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ويقدّمون لأعداء الإسلام القواعد والخدمات وباطن الأرض وظاهرها.

٣- ما أشبه اليوم بالأمس حين نتدبر كيف نواجه المشروع الصليبي اليهودي والشرق الأوسط الكبير. ونذكر كلمة أسعد بن زرارة رضي الله عنه في تبعات النصرة وهي: "مفارقة العرب كافة – أي بلغة اليوم عرب أمريكا وحلفائها- وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف".

٤- إن الذين يحسبون أن دفع الخطر الصليبي اليهودي عن فلسطين والعراق وأرض الإسلام لا يحتاج لهذه البيعة بعيدون عن هدي النبي الكريم ومنهجه.

وصدق أصحاب النبي الكريم بيعتهم. وما كانت انتصارات بدر والخندق وخيبر وفتح مكة، وحرمان قريش من تحقيق أهدافها في أحد، وما كانت عودتهم للقتال في حنين ليستعيدوا النصر إلا وفاء لهذه البيعة الكريمة والنصرة الصادقة التي صدقوا فيها ما عاهدوا الله عليه.

ولنقف عند بعض دروس القرآن الكريم في بيان هذه النصرة:

ففي بدر يبايع الصحابة النبي الكريم على الموت ويواجهون جيشاً يبلغ ثلاثة أضعاف عددهم وتنتصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وينزل جبريل بعد هذا النصر العظيم يسأل النبي الكريم: ما تعدّون أهل بدر فيكم، فيقول رسول الله ﷺ: هم خير المسلمين. فيقول جبريل: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم خير الملائكة.

وفي غزوة الحديبية يبايع ألف وستمئة من الصحابة النبي الكريم على الموت وينزل فيهم قوله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً} (الفتح: ١٨). وقوله: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً} (الفتح: ١٠). والدارس للسيرة النبوية يجد أن سبب هذه البيعة ما أشيع أن المشركين قد قتلوا عثمان رضي الله عنه الذي أرسله النبي إلى قريش مبلغاً هديه، وأن مواجهة هذا الخطر والاستهانة بأمة الإسلام تحتاج إلى بيعة إيمانية جهادية على الموت، فلا يكسر شوكة الظالمين واستكبارهم إلا قائد وجند يبايعون الله على الموت في سبيله.

وفي غزوة الأحزاب حين حاصر أكثر من عشرة آلاف مشرك المدينة المنورة يريدون أن يستأصلوا هذا الدين في حصنه ويقتلوا النبي ومن معه، فواجه هذه الأخطار النبي القائد والجند المؤمنون الذين ذكر الله صدقهم وإيمانهم وثباتهم بقوله: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً. ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً} (الأحزاب: ٢١-٢٣).

دين قديم جديد:

حين حاصر المشركون المدينة بأكثر من عشرة آلاف مقاتل يسندهم مشركو العرب ويشد من أزرهم يهود المدينة والمنافقون كانت الدروس التالية:

١- تميز المؤمنون بإيمانهم وانكشف المنافقون بجبنهم وتخاذلهم.

٢- كان من مطالب المنافقين الذين يوالون اليهود أن يرجع المسلمون عن دينهم، وأن يعودوا إلى مكة.

٣- وكان من وسائلهم لخدمة الكفر والقضاء على هذا الدين التخذيل عن الجهاد والتشكيك بوعد الله بالنصر، وإشاعة روح اليأس والهزيمة في الأمة وحجتهم في ذلك أنهم لا يستطيعون مواجهة جيوش المشركين واليهود تمدهم فارس والروم – كما يقول المنهزمون اليوم: اعترفوا بإسرائيل - لأنهم عاجزون عن الجهاد والمواجهة.

٤- ذكر الله موقف المنافقين في سورة الأحزاب ليحذرنا منه، قال تعالى: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً} (الأحزاب: ١٣).

وفي آية أخرى يصف تعويقهم عن الجهاد ووضع العقبات أمام المجاهدين، وبلغة اليوم: وضع القوانين والتشريعات المحرمة للجهاد أو الحارسة لأمن الأعداء وسيطرتهم على بلاد المسلمين.

قال تعالى: {قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً} (الأحزاب: ١٨).

٥- كان مطلع سورة الأحزاب (١-٣): {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً. وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً}.

٦- وجاءت بعدها الآيات توجه إلى مقام النبي القائد ﷺ {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} (الأحزاب: ٦)، {إن الله وملائكته يصلون على النبي} (الأحزاب: ٥٦) ليستقر في قلوب المؤمنين عقيدة أن الكافرين والمنافقين من حلفائهم وأتباعهم هم في خندق واحد، وأن الله أمر نبيه وقرن أمره بالتقوى لتحذيره من طاعة الكافرين والمنافقين، وأن ولاء المؤمنين لله ورسوله يقتضي أن يكونوا كالبنيان المرصوص في وجه الكافرين والمنافقين الذين يعملون معهم لتهويد الأرض والمقدسات والقضاء على الإسلام والمسلمين. والله حسبنا ونعم الوكيل.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مفهوم السيادة في القرآن الكريم

المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن عقيدة التوحيد مصدر تحرير الإنسان من عبادة الإنسان وكل الأوثان لتفردها بالله وحده وتعطيه بهذا الإيمان قوة يسود بها نفسه، ويستعلي بها على كل أسباب الخوف والقهر والترهيب والترغيب ليكون سيداً في نفسه، سيداً في أمته.

وسأقف في هذه الكلمة عند بعض الآيات التي ترسم لنا هداية الله في سيادة الفرد، وسيادة الجماعة، متحررة من سلطان الهوى، ومن سلطان الأجنبي، والله المستعان.

قال الله تعالى وهو يبشر نبيه زكريا بيحيى عليهما السلام: {فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين} (آل عمران: ٣٩).

فنبي الله يحيى الذي واجه بقوة وفتوة طغيان الحاكم اليهودي وسياسة الفساد التي يرعاها، ذكره الله بقوله: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيّاً} (مريم: ١٢).

وكان حكام بني إسرائيل في عهد زكريا ويحيى عليهما السلام، موالين لحكام الرومان مفتونين بإباحية الحضارة الرومانية ووثنيتها وخروجها عن هداية الأنبياء. وكان على الأنبياء والعلماء أن يقاوموا ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

وأصدر الحاكم اليهودي حكمه بقتل نبي الله يحيى إرضاءً للمغنية "سلومي" ولكن دم هذا النبي الكريم صار لعنة على بني إسرائيل فسلط الله عليهم كفار المجوس واقتلعوا جذورهم وهدموا حصونهم وشردوهم في البلاد. ولئن ذهب نبي الله يحيى إلى ربه شهيداً، لكنه بقي سيداً في جهاده ودعوته وموقفه واقتداء المؤمنين بصبره وثباته وذكر القرآن الكريم له.

قال الإمام الزمخشري في تفسير الآية: "السيد: الذي يسود قومه، أي يفوقهم في الشرف، وكان يحيى فائقاً لقومه، وفائقاً للناس كلهم في أنه لم يرتكب سيئة قط ويا لها من سيادة، والحصور: الذي لا يقرب النساء حصراً للنفس أي منعاً لها من الشهوات، وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو. {من الصالحين} ناشئاً من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء، أو كان من جملة الصالحين.

وهذه الصفات التي أهّلت نبي الله يحيى للسيادة والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواجهة الطغاة من الحاكمين الذين أفسدوا في الأرض حتى نال الشهادة وهو ينتصر لدين الله، كانت صادقة على أصحاب النبي الكريم، وقد أحسن وصفهم أحد الأدباء بقوله: "شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ... حتى

إذا رأوا السهام قد فُوِّقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله، ومضى الشاب منهم قدماً، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه، فأسرعت إليه سباع الأرض، وحطَّت عليه سباع السماء، فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خشية الله، وكم من يد زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في السجود لله".

وهذا الوصف الصادق للشباب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا هذه السمة المشتركة، والخصائص المتميزة لرجال الهدى والدعوة والجهاد والسيادة. عبدوا الله حق العبادة، وجاهدوا في سبيله خير الجهاد، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، فسادوا نفوسهم وغرائزهم بالتقوى والعبادة، وواجهوا الطغيان بالصبر والصدق، وانتشرت دعوة الله على أيديهم في مشارق الأرض ومغاربها، وكان منهم الفاتح السيد، والعالم السيد، والقاضي السيد، والحاكم السيد، والتاجر السيد، الذين سادت عقائدهم وأخلاقهم نفوسهم، وكانوا الأحرار الذين يعلِّمون الناس كيف يكونون أحراراً لا يذلون لغير الله، ويقيمون العدل في الغضب والرضا، ومع العدو و الصديق، وكانوا سادة الدنيا، ومعلمي الأمم، هداة مهديين.

وسادة القوم في أيامنا هذه هم المجاهدون والشهداء والأحرار الذين هزموا المستعمر المحتل في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان والشيشان، ولبسوا ثياب الصبر والمقاومة، وما بدَّلوا تبديلاً، وكان منهم شهيد الفجر أحمد ياسين وعبدالعزيز الرنتيسي وصلاح شحادة وإخوانهم.

وقد وصف القرآن المجاهدين بصفتين مميزتين؛ الأولى: جهادهم في ميدان القتال، والثانية: عبادتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ ليربط الجهاد بالعقيدة، بالمبدأ، بالسلوك، بالخصائص الأخلاقية التي حققت مفهوم "السيادة" قولاً، وخلقاً، وجهاداً.

ولينكشف في ضوء هذا المفهوم "العبيد" الذين يخدعون الناس بأنهم سادة، بمظاهر السلطان، وهم عبيد للأجنبي، لا يملكون إرادتهم، ولا يقدرون على مواجهته، بل يسارعون ويهرولون لتنفيذ مطالبه.

الربانية ومفهوم السيادة:

ولا يفوتني أن أبيّن دور المدرسة والعالم والمتعلم في بناء الجيل (السيِّد) المتحرر، المتذوق لطعم السيادة والحرية.

قال تعالى: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحُكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمران: ٧٩].

لا يكون المسلم سيداً إلا إذا كان ربانيّاً فقه معنى عقيدته وعبادته وخلص لله رب العالمين، وحرر قلبه من أوثان الخوف على المطامع، أو الخوف من الظالمين.

وإلى هذا نبّه النبي ﷺ بقوله: "سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله".

وفي هذه الآية الكريمة يوجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى ثمرة العلم والتعلم في بناء الشخصية المسلمة الربانية التي لا تعبد إلا الله، ولا تقع فيما وقع به أهل الكتاب من عبادة أنبيائهم، وأن البشر مهما علت مرتبته وعظمت مكانته في الهداية والقيادة والقرب من الله، لا يخرج عن دائرة العبودية لله، وعن رسالة الدعوة إلى عبادة الله وحده.

وفي مناسبة نزول الآية قال رجل: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ فنهى عن ذلك النبي ﷺ وقال: "لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله" أو كما ورد في الأثر.

{والحكم} الحكمة وهي السنة.

والرباني: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته، وحين مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية: اليوم مات رباني هذه الأمة، وعن الحسن: ربانيين: علماء فقهاء. وقيل علماء عاملين.

وقوله تعالى: {بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} أي: بسبب كونكم عالمين، وبسبب كونكم دارسين للعلم. أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء مونقة بمنظرها ولا تنفعه بثمرها.

والرباني هو الذي تطهَّر عن كل صور الشرك والولاء لغير الله، وزكا قلبه لربه فلا يعبد إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، انتسابه لدينه، وولاؤه لربه، فهو السيد بولائه وانتمائه وصدقه وحبه لربه ودينه وجماعة المسلمين. ونلمس ثمرة هذه الربانية المباركة في العلماء حين يمتحنون بمطالب الحكام المخالفة لشريعة الله، فإذا كان خطيب جمعة أو مفتياً أو مدرساً يستشعر معاني ربانيته ويلوذ بحصنها، ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحب ما أحب الله، ويكره ما كره الله، ويوالي وينصر الجهاد والمجاهدين، ويحذر من الفساد والمفسدين، فيكون ربانيّاً سيداً على طريق النبي المصطفى وأخيه يحيى ، على جميع الأنبياء الصلاة والتسليم.

السيادة والغنى:

والمنهج الإسلامي في إعداد الشخصية الربانية المتفوقة على معاني الضعف البشري ومنه حب المال والخضوع لفتنته يقوم على التربية الصالحة والبيئة الصالحة وغرس القيم الإيمانية المستعلية. وإلى هذا نبَّه حديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس".

وقد فرَّق العلماء بين القناعة وهي من غنى النفس، وبين القُنوع الذي يعني السؤال والطمع والتعلق بزينة الحياة الدنيا، قال الشاعر:

العبد حر إن قَنِع والحر عبد إن قَنَع

وهذا ما يفيده قول الشاعر:

إذا كان بعض المال ربّاً لأهله فإني بحمد الله ما لي مُعَبَّد
يُفكُّ به العاني ويؤكل طـيباً ويعطى إذا مَنَّ البخيل المُصَرّد

فالمال في التربية الإسلامية وسيلة لمرضاة الله وليس غاية، وهذا ما أشار إليه الشاعر وهو يخاطب زوجه:

ذريني أُطوِّفْ في البلاد لعلني أُفيد غنىً فيه لذي الحق مَحمَلُ
أليـس عـظيماً أن تُلَمَّ ملمةٌ وليس علينا في الحقـوق مُـعَوَّلُ

وهذا ما ذكَّر به العلماء قارون وقد طغى بغناه وأمواله: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين} (القصص: ٧٧).

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في سورة النحل التي فرَّقت بين العبد الذي لا يقدر على شيء والإنسان الحر السيد الذي رزقه الله المال وينفق منه سرّاً وجهراً. قال تعالى: {ضَرَبَ الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً، فهو ينفق منه سرّاً وجهراً، هل يستوون، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون} [النحل: ٧٥].

المفهوم السياسي للسيادة:

ويقرر الإسلام أن الوزير السيد والمدير السيد والموظف السيد هو الذي يجعل القانون أو حكم الله الذي يطبقه سيداً لا يستثني منه أحداً لهوى أو مصلحة، ويرعى العدل مع القريب والغريب؛ ذلك أن السيادة في الأمة والحاكمية لله جناحا طائر؛ لأن أحكام الشريعة تضيع إذا لم تجد شعباً مسلحاً بالسيادة التشريعية التي تمكنه من انتخاب حكامه ومحاسبتهم وعزلهم إن أساؤوا، وما اجترأ الحكام على الشريعة أو الدستور أو القانون إلا في ظل الاستبداد الذي يحرم الأمة من حقها في الشورى الملزمة، واختيار حكامها ومراقبتهم ومحاسبتهم وعزلهم إن قصَّروا.

وما تمكنت الدول الغربية من إنجازاتها العلمية والعسكرية والاقتصادية والسياسية إلا بعد أن تحررت من استبداد حكامها، وفصلت بين السلطة التنفيذية والسلطات القضائية والتشريعية والصحافة.

وما تخلفت كثير من الدول الإسلامية وسرق حكامها أموالها، ومكّنوا الأجنبي في أوطانها، وفقدوا السيادة والقدرة على تحرير أرض الإسلام من نفوذ الأجنبي حتى صارت كثير من الدول في بلاد الإسلام مستقلة شكلاً وصورة، مستعمرة حقيقة وواقعاً، وقد فقدت سيادتها على أرضها وثرواتها وبحرها وجوها. وهذا ما يدعو الأمة أفراداً وجماعات وعلماء وطلاباً أن يقيموا حكم الله في إعلان الحاكمية لله، والسيادة

للشرع، ثم للأمة التي كلّفها الله بإقامة أحكامه، ونصرة شريعته، وحرم عليها وعلى حكامها موالاة أعداء الإسلام الذين يكيدون لهذا الدين، ويسعون لهدم الأصول الإيمانية والحضارية لأمة الإسلام. وإلى هذا ينبّه حديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "من قال لمنافق: يا سيد، فقد أغضب ربه". وكل من والى أعداء الإسلام فهو منافق، والآيات الكريمة في تقرير هذا الحكم كثيرة، أذكر منها: قال تعالى: {بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً} (النساء: ١٣٨-١٣٩).

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً} (النساء: ١٤٤-١٤٥). وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق} (الممتحنة: ١). وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (المائدة: ٥١).

وحتى تحقق الأمة سيادتها أمرها ربها بأمرين:

الأول: أن يكون ولاؤها لله ورسوله ناصرة لدينه مقيمة لشرعه.

الثاني: أن يكون مع ولائها لله ورسوله، ولاؤها لجماعة المؤمنين حتى يكون كل مؤمن نصيراً لأخيه في نصرة دين الله، ومحبة أحبابه، ونصرتهم، وكراهية أعدائه ومقاتلتهم، لتكون السيادة للشرع بحاكم يقيم أحكام الله، وأمة تنصر دين الله، وتحاسب وتراقب وتعزل من خرج عن حكم الله.

ولا بد للأمة المسلمة أن تنتفع بتجارب الأمم التي أحسنت في وضع التشريعات والقيود التي تنقذها من استبداد الحاكم وطغيانه، وتيسر لها طريق مراقبته ومحاسبته ومحاكمته وعزله إن أساء أو قصر.

ولنا في فقهنا الإسلامي العظيم ما يساعدنا على ذلك.

حرمة الدماء في الإسلام

كانت جزيرة العرب قبل الإسلام ساحة واسعة للقتل الجماعي، واستباحة الدماء والأعراض. وكانت القبائل العربية في صراع وحروب؛ يستحل بعضهم دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض. وكان وراء هذه الحروب القِيَم الجاهلية التي ينشأ عليها الآباء والأبناء، وكان الفخر والعصبيّة القبليّة على لسان شعرائهم وخطبائهم كقول الشاعر:

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غـوتْ غويتُ وإن ترشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

وقول الشاعر:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشــرب غيرنا كدراً وطينا

وكان المستفيد الوحيد من هذه الفرقة والحروب الداخلية بين القبائل العربية: اليهود داخل الجزيرة في المدينة وخيبر وتيماء، حيث يسيطرون على أراضيها الزراعية وسوقها التجاري ونفوذها السياسي، وكذلك الفرس والروم خارج الجزيرة الذين حقّقوا أمنهم بسبب ضعف العرب وتفرقهم، وحوّلوا الإمارات العربية حارسة لأمن الروم على حدود الشام، ولأمن الفرس على حدود العراق.

وجاء الإسلام ليصنع للعرب وحدتهم واستقلالهم وعزّهم وكرامتهم، ودعا إلى الإيمان بالله وحده، وترك الأصنام الحجرية والبشرية وغيرها، كما دعا إلى إقامة المجتمع الصالح على أسس الأخوة الإسلامية التي توحّد الناس برابطة العقيدة والدين، لا برابطة التراب والطين، وحرَّم العصبيّة القبليّة، والإقليمية، والعصبيات كلها، وأعلن النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"، "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"، "لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"، "ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، ذروها فإنها منتنة". وفي حجة الوداع بيّن النبي ﷺ حرمة دماء المسلمين وأخوّتهم، وأن لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أسود وأبيض إلا بالتقوى: "كلكم لآدم وآدم من تراب". وفي ظل هذه الأخوّة الإسلامية تحوّل مجتمع الإسلام في المدينة إلى جنة محبة ورحمة بعد أن كانت ساحة مجازر ودماء، وكاد يفني الأوس والخزرج بعضهم بعضاً يومَ (بُعاث).

وتنبّه يهود المدينة لهذه الوحدة والأخوّة التي صنعها الإسلام، وأن امتيازاتهم السياسية والاقتصادية مُهدَّدة بالخطر، فعملوا على إيقاد نار الفرقة والعداوة ليعود العرب في المدينة كما كانوا كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض. ولنقف عند الرواية التاريخية ودروس القرآن التي سجّلت هذه الأحداث:

أخرج ابن جرير الطبري عن زيد بن أسلم قال: مرَّ شاس بن قيس -وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية (أي كبر وأسنَّ) عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم- على نفر من الصحابة من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلة في هذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. فأمر شابّاً من اليهود كان معه فقال له: اعمدْ إليهم فاجلسْ معهم، وذكّرهم بيوم (بُعاث) وما قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار... وقام اليهودي بالمهمة الماكرة وتمكّن من إشعال نار العصبية القبلية، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، فقال بعضهم لبعض: إن شئتم والله رددناها جذعة (أي شابة فتية)، وتنادوا للقتال: الحرة الحرة، السلاح السلاح. وبلغ النبيَ الأمرُ، فسبقهم إلى الحرة حيث المكان الذي كان ساحة لقتالهم، ووقف ﷺ خطيباً فقال: "يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟! فعرف القوم أنها نزغة الشيطان، وكيدٌ من عدوهم؛ فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فما كان يومٌ أقبحَ أولاً وأحسنَ آخراً من ذلك اليوم.

ونزل في هذه الحادثة قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} (آل عمران: ١٠٠-١٠٣). وقد وجّه الله تعالى الأمةَ في هذه الآيات كيف تردّ وتحبط كيد الأعداء، وتحافظ على حصن الوحدة بتعميق أواصر الأخوة الإسلامية، وتربية الأمة على قيم القرآن والسنة، وتطهيرها من العصبيات والإقليميات، والولاء لغير الله.

وهنا لابد أن أزيد الأمر تفصيلاً فأقول: كان من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية إقامة المجتمع الصالح الآمن الذي تقوم فيه مقاصد الشريعة الخمسة التي تحفظ إنسانية الإنسان، وكرامة الأمة، وأمن الناس على دينهم ودمائهم وأموالهم وعقولهم وأعراضهم. وللإسلام في تحقيق أهدافه هذه طريقان:

الأول: التشريع الحكيم الزاجر والعقوبة الرادعة.

الثاني: التربية الإيمانية التي ترعاها المؤسسات في البيت والمدرسة والمسجد والإعلام بكل صوره وألوانه.

وسأقف في هذه الكلمة عند هذين الطريقين وأبيّن الأخطار المحدقة في الأمة إذا لم تتعاون لحفظ

الأمن ومنع العدوان.

أولاً: التشريع العادل. يقول الله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} (البقرة:١٧٩)؛ فالقاتل بغير حق يُقتل، ومن فقأ عين أخيه فُقئت عينه، ومن قطع يَدَه قُطعت يَدَه، وهذه حدود الله لا يخرج عنها مؤمن؛ فالعين بالعين، والسن بالسن، والجروح قصاص. ولا يحل لمسلم أن يشفع في حدٍّ من حدود الله أو يعطِّل شرع الله. وفتحت الشريعةُ الغَرّاء البابَ للإصلاح بين الناس إذا عفا وليُّ الدم: {فمن عُفي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان} (البقرة:١٧٨).

ثانياً: التربية الإيمانية ومراقبة الله في السر والعلن. وهذا ما أُوضِّحه من خلال النقاط التالية:

١- قاتل النفس بغير حق في غضب الله وناره، ولعنته وعذابه. قال تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً} (النساء:٩٣).

٢- قَرَنَ القرآن بين الشرك وبين قتل النفس بغير حق؛ بياناً لعظم هذه الجريمة. قال تعالى في مدح عباد الرحمن: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً} (الفرقان: ٦٨-٦٩).

٣- وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً" (رواه البخاري). قال ابن العربي في شرحه: الفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره. وعن ابن عمر قال: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حلِّه.

ونظراً لعظيم إثم جريمة القتل جعلها الله أولَ ما يُقضى به يوم القيامة لأن مرتكبها قد تبيّن أمره وهلاكه. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" (رواه البخاري).

وحذرنا النبي ﷺ ألاّ ننصر المظلوم ولا ندفع عنه. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "لا يقفنَّ أحدكم موقفاً يقتل فيه رجلٌ ظلماً؛ فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه".

وبيّن النبي ﷺ فيما رواه ابن عباس: سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: "يأتي المقتولُ متعلقاً رأسه بإحدى يديه، متلبباً قاتله باليد الأخرى، تشخب أوداجه دماً، حتى يأتي به العرش، فيقول المقتولُ لرب العالمين: هذا قتلني. فيقول الله عز وجل للقاتل: تعستَ. ويُذهب به إلى النار" (رواه الترمذي).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم" (رواه مسلم).

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك وما أطيبَ ريحك! ما أعظمكِ وما أعظمَ حرمتكِ! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك؛ ماله ودمه".

القتل الظالم وتقاتل الجماعات:

وكما حرّم الإسلام على المسلم أن يقتل مسلماً، ووضع العقوبات الزاجرة في الدنيا والآخرة، حرّم على الأمة أن تتحول إلى شِيَع وأحزاب يستحلُّ بعضها دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض؛ فهذه الجرائم إذا انتشرت في الأمة مزّقتها، ومكّنت لأعدائها من إهلاكها، وكانت علامة سخط الله وعذابه المدمر. وهذا ما نبّه القرآن إلى خطره حين قرن بين عذاب مهلك ينزل بالصواعق من السماء أو بالزلازل من الأرض، وبين فرقة الأمة وانقسامها. قال تعالى: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون} (الأنعام:٦٥).

وقد بيّن لنا القرآن خطر أن تتحول الأمة إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف، وأن الذين يغترّون بقوتهم هم خاسرون يوم القيامة، وأن الذين يقومون بالاغتيالات السياسية أو الطائفية -خدمةً لمن كلّفهم بهذه الجريمة- في غضب الله وناره يوم القيامة. قال ﷺ: "يجيء المقتول -آخذاً قاتله وأوداجُه تشخب دماً عند ذي العزة- فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني. فيقول: فيم قتلتَه؟ قال: قتلتُه لتكون العزة لفلان. فيقول الله عز وجل للقاتل: تعستَ. ويُذهب به إلى النار".

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: "لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم؛ لكبّهم الله جميعاً على وجوههم في النار".

وفي الحديث: "من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة كُتب بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله".

وقد حذرنا النبي ﷺ أشد التحذير من الجاهلية والعصبية التي تستبيح الدماء والأموال والأعراض؛ فقال ﷺ: "مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردّى في بئر فهو ينزع منها بذنَبه" (رواه أبوداود). ومعنى الحديث: أنه قد وقع في الهلاك والمعصية "كالبعير إذا تردّى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص".

وفي الحديث: "أي رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله؛ لم يزل في غضب الله حتى ينزع، وأيما رجل شدّ غضباً على مسلم في خصومة لا علم له بها؛ فقد عاند الله حقه، وحرص على سخطه، وعليه لعنة الله تتابعُ إلى يوم القيامة". وفي الحديث: "من أعان على خصومة لا يعلم أحق أو باطل؛ فهو في سخط الله حتى ينزع" (رواه الطبراني/ الترغيب والترهيب ٣/١٩٨).

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الاقتتال الداخلي الذي يهدد دين الأمة فقال: "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم". وقد نبّه القرآن إلى خطورة غفلة الأمة عن كيد أعدائها حين يسعون لجرّهم إلى الاقتتال الداخلي، كما يفعل العدو الأمريكي الصهيوني في أيامنا هذه بإثارة العصبيات الطائفية والمذهبية والإقليمية؛ لتتمزق الأمة من الداخل، وتنسى أن صراعنا مع الأجنبي الأمريكي الذي يحتل العراق وأفغانستان، والعدو الصهيوني الذي يحتل فلسطين.

وبدل أن تتوحد الأمة في وجه الحلف الأمريكي الصهيوني الذي يسعى لاجتثاث شجرة الإسلام في فلسطين والعراق وبقية أرض الإسلام، يتحول الصراع إلى الداخل بين سنة وشيعة، وعرب وأكراد، وننسى دروس القرآن العظيم ودروس التاريخ، وننسى أنه كان للعرب دولة ومُلْك في الأندلس فقدوه وخرجوا منها عندما تحوّل الصراع بين ملوك الأندلس؛ يحارب بعضهم بعضاً، ويستعين بعضهم بالعدو الكافر على أخيه المسلم، حتى هُزموا جميعاً، وخرج آخر ملوكهم يبكي وأمه تقول له:

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

وكأني بالشاعر ينادينا بقوله:

لا تُرجعوا مأساة أندلسٍ لكم واستشعروا الخطر العظيم وأبصروا

والله المستعان.

العدد (٦٠) كانون ثان ٢٠٠٧م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

المقدمة	5
(الفرقان) نور على الطريق	6
شهر الصيام .. مدرسة المجاهدين	9
جمعية المحافظة على القرآن الكريم .. لماذا كلمة المحافظة ؟	12
السيادة الإسلامية على القدس عقيدة وجهاد	14
بركات المسجد الأقصى وهذا الجهاد المقدس	16
شهر الصيام والمسجد الأسير	19
عيد الشهداء	21
غزوة الحديبية وبشرى الفتح	23
ذكرى الهجرة وخصائص القيادة النبوية	27
الانتفاضة المباركة والفجر الجديد	29
حين تتصل الدنيا بالآخرة على أرض فلسطين - نظرات في سورة الصف	31
وما العيد إلا يوم نصر مؤزَّر	34
عبادة الحج ودروس التحرير	36
خصائص القيادة النبوية في معركة التحرير والتغيير	39
مكانة العلماء ودورهم في الإسلام	44
حريق المسجد الأقصى ومسؤولية الأمة	47
صرخة الأقصى في شهر رمضان	51

الحج تربية وجهاد 54

توجيهات القرآن العظيم في مواجهة عدوان الظالمين 58

العراق بين طريقين 61

حياة الأمة بدماء الشهداء 64

الهوية والثقافة وحركة الوجود 67

معذرة يا شهر القرآن العظيم 70

الحج ...والأخطار المحدقة بالإسلام وأهله 73

من تمزيق الحجاب إلى تمزيق الكتاب " ردة ولا أبا بكر لها " 76

من مخيم جنين إلى الفلوجة - القائد الرباني والمقاومة الإيمانية 79

نظرات في صفات عباد الرحمن 83

خيار الأمة 88

الرجولة وقيم الكرامة والمقاومة 93

شرف المقاومة ومسؤولية العلماء 97

الهجرة والزلزال 101

معركة القرآن العظيم وسبل الدفاع والمقاومة 105

علو الهمة في سيرة النبي الكريم ﷺ 111

المسجد الأقصى وبشائر النصر 116

حصون المقاومة كما تبيِّنها سورة الأحزاب 120

جند الفتح كما تصوِّرهم سورة الفتح 126

نصرة القرآن والدفاع عن الأقصى 131

شهر رمضان ومواجهة الأحداث الجسام 138

{وليأخذوا حذرهم} 143

بالوحدة والجهاد نواجه المخطط التدميري الاستعماري 147

تفجيرات عمان وعماية الألوان 152

دماء الشهداء ومداد العلماء ومستقبل الأمة 158

علو الهمة ودروس من سورة الكهف 163

كلنا فداك يا رسول الله ﷺ 169

منهج الوسطية في الإسلام بين تشدد الغالين وضعف المداهنين وبين حكمة العلماء الصالحين 175

مفهوم الشورى في الإسلام 180

أفتك الأسلحة وأخطرها 185

الحب في الله والبغض في الله سبيل النجاة 190

ثواب النفقة على الجهاد والمجاهدين 195

مفهوم العدل في الإسلام 201

بين المداراة والمراءاة 206

مَن أنصاري إلى الله؟ 212

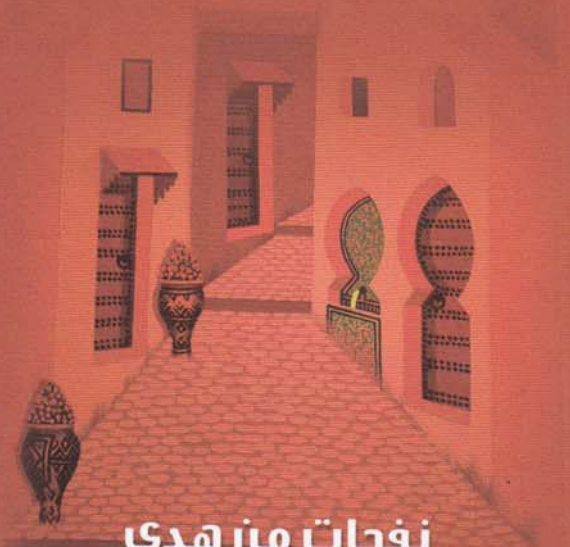
مفهوم السيادة في القرآن الكريم 218

حرمة الدماء في الإسلام 223

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



نفحات من هدي
القرآن الكريم

من منشورات
جمعية الحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (00962 6 5153557) - فاكس (00962 6 5163925)
ص.ب (925894) - الرمز البريدي (11190)
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org / e-mail:hoffaz@hoffaz.org

تصميم وإخراج
دار الفن
www.darfan.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٣٥

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

نفحات من هدي القرآن الكريم

الجزء الثاني



الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



نفحات من هدي

القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٠/٣/٨٠١)

٢١١

الكيلاني، إبراهيم زيد
نفحات من هدي القرآن الكريم/إبراهيم زيد الكيلاني. -
عمان : جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٠ .
( ) ص .
ر.أ.: (٢٠١٠/٣/٨٠١) .
الواصفات : الثقافة الإسلامية// الإسلام

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: (٢٠١٠/٣/٨٠١)

من منشورات
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف: 5153557 6 00962 - فاكس: 5163925 6 00962
ص. ب: 925894 - الرمز البريدي: 11190
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org / e-mail: hoffaz@hoffz.org

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نفحات من هدي القرآن الكريم

الجزء الثاني

الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أخي القارئ الكريم، ستجد بين يديك في هذا الكتاب خمسة وثلاثين مقالاً أو خمسة وثلاثين شهراً كتبت خلالها هذه المقالات، فاختصرنا الزمن في هذا الكتيب، وقدّمنا ما نشرناه في خمسة وثلاثين شهراً، و سجّلنا للتاريخ ما تنهض به مجلة "الفرقان" التي تصدرها الجمعية برسالتها التوجيهية والتربوية في إحياء القلوب وتنوير العقول وتوعية المسلمين بالأخطار وواجباتهم لدفعها.

وأذكر على سبيل المثال بعض الموضوعات التي عالجناها:

١- ففي مشروع قانون الأحوال الشخصية لسنة ٢٠٠٨م كانت مادة تقول: "ولاية الوليّ شرطٌ لصحة عقد زواج من لم تُكمل الثامنة عشرة من عمرها"، وهذا يعني أن التي أكملت الثامنة عشرة تخرج من ولاية وليّها وتُزوّج نفسها كما تشاء! وهذا ما يريده "السيداويات" والمستغربون الذي يريدون أن يهدموا الأسرة من الداخل. وقد كتبنا في هذه المجلة وفي صحف أخرى حكم الشرع في تحريم إخراج المرأة من ولاية أهلها، وبفضل الله استجاب القائمون على وضع القانون وعدّلوا هذه المادة.

٢- إحياء معالم التاريخ الإسلامي، وتذكير الناس بمواقف الصبر والمصابرة والجهاد والمقاومة، وهذا ما نجده في المقالات: (القدس الكاشفة الفاضحة، غزة، غزوة أحد، منبر صلاح الدين، عام هجري جديد).

٣- إيجاد الوعي السياسي والإيماني الذي يحرر المسلم من الأنانية والفردية والعصبية القبلية، ويوجّهه ليعيش قضايا الأمة كلها ويعمل لها، وهذا ما بيّناه في كلماتنا: (الانتخابات، الحاكم المستبد، كيف نواجه الروم).

٤- إيجاد الوعي الثقافي والحضاري والإيماني للتبصير بالأخطار التي تهدد حصوننا من الداخل في مجال الجامعات الأجنبية والتغريب والأسرة.

٥- كيف نبني الشخصية الإسلامية الحضارية، وكيف نفهم الإسلام من خلال مقاصده الكلية وأهدافه الوسطية دون غلو أو تفريط، ليجد الخطيب والواعظ زاده وهو يفسّر كتاب الله في حسن مخاطبة المسلمين وتبصيرهم بدينهم دون غلو أو تفريط.

كان من فضل الله علينا في جمعية المحافظة على القرآن الكريم إصدار مجلة "الفرقان" التي تطبع أكثر من ستة آلاف نسخة مع كل إصدار، لتصل إلى الدول العربية في المغرب العربي والجزيرة والخليج.. وغيرها، كما تصل إلى أبناء المجتمع الأردني، ليجد فيها الأب والأم والمعلم والابن زاداً يغذّي العقول والقلوب بهداية القرآن الكريم والسنة المباركة.

والفضل لله في البداية والخاتمة، والحمد لله رب العالمين.

د. إبراهيم زيد الكيلاني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مع عام هجري جديد

مع مطلع العام الهجري ١٤٢٨هـ الموافق للعام الميلادي ٢٠٠٧م تصرخ تحديات وأسئلة توقظ النائم وتدعو الأمة أفراداً وجماعات، راعياً ورعية، لتدارك الأخطار المحدقة قبل فوات الأوان. ماذا يجري في العراق، وفلسطين ولبنان، والصومال، وأفغانستان، وغيرها من بلاد الإسلام؟

حرب صليبية أعلنتها أمريكا على العالم الإسلامي لتحوِّل الشعوب إلى عبيد يعملون في مزارع المحتل، ليأكلوا ويشربوا، ويقوموا بتأمين مصالح المحتل في البترول يصل آمناً إلى مصانعهم، والطرق الآمنة لوصوله، والإجهاز على العقيدة، واللغة العربية التي توحدهم، وتحويل بلاد المسلمين إلى أسواق لمنتجات أمريكا والغرب، وإذكاء روح الفرقة والعداوة بين الأقطار العربية التي قطَّعوها إلى دويلات مع مطلع القرن العشرين، وبقي أن يحولوها إلى طوائف ومذاهب وعصبيات في مطلع القرن الواحد والعشرين يستحل بعضهم دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض.

وفي سبيل الوصول إلى هذه الأهداف سلك المحتل الطرق التالية:

أولاً: فجَّر الصراع السني الشيعي في العراق، ويسعى لنشره في المنطقة حتى يتحول الصراع بين سنة وشيعة بدل أن يكون مقاومة للمحتل الأمريكي الصهيوني الذي يسعى لإبادة الأمة والقضاء على دينها وحضارتها وهويتها.

ثانياً: يسعى لتفجير الصراع الفلسطيني الفلسطيني مستفيداً من الأخطاء التاريخية التي وقع بها جماعة أوسلو، وتنازلوا عن أرض فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨، وخدعهم العدو بإقامة دولة، فقدَّموا له التنازلات قبل أن يحصلوا على شيء! وكان العدو يسعى بعد أن احتل الأرض بالقوة العسكرية، أن يحتل الإنسان صاحب الأرض، ليتنازل عن أرض الآباء والأجداد، ويحصل على الوثيقة الشرعية والقانونية باحتلال الأرض. ولم يجرؤ حكام العرب قبل أن تصبح المنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على التنازل عن شبر من فلسطين وهم يعلمون أية خيانة يرتكبونها وأي مصير سينتهون إليه. ولكن بعد إلقاء المسؤولية على المنظمة تنازل ممثل المنظمة عن ٨٠٪ من أرض فلسطين في أوسلو ثم طُلب منه أن يُتم المشوار فيتنازل عن القدس، وحق العودة، وما أقاموه في الضفة من مستوطنات، فرفض، وحاصروه حتى قتلوه مسموماً، وطلبوا من خليفته أن يتمم العمل الذي بدأه في أوسلو، ولكن الشعب الفلسطيني كان أبعد نظراً وأصلب عوداً وأقوى إرادة، فاختار من خلال الانتخابات النيابية خيار المقاومة وأعطى "حماس" ثقته، وقلبوا الأمور على الذين كانوا يظنون أن الشعب الفلسطيني تعب، ويريد الاستسلام بأي ثمن، فجُنَّ جنونهم، وأعلنوا حرباً اقتصادية وعسكرية ونفسية من أول يوم استلمت فيه (حماس) الحكم، وشارك فيها للأسف بعض من كانوا يرفعون شعار المقاومة، وشاركت فيها كثير من الأنظمة العربية، ليقولوا لشعب فلسطين الذي اختار المقاومة على التفريط بالأرض والكرامة والمقدسات، ليس أمامك طريق إلا أن تستسلم، وترضى بالأمر الواقع، وتتحول إلى مجموعات بشرية في بلاد تفصلها الحواجز العسكرية والإسمنتية، لك أن تعمل في مزارعنا، ومصانعنا، ثم تعود إلى أهلك وبيتك، كما فعل المستعمرون البيض في جنوب أفريقيا بأهل هذه

البلاد، إذ حوّلوهم إلى عمال يعملون في مزارعهم ومصانعهم في النهار، ويعودون لبيوتهم وقبائلهم آخر النهار، دون أن تكون لهم دولة وكيان، وهوية وانتماء.

وهذا ما ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل في الحلقة التي بثتها فضائية الجزيرة يوم الخميس (١١/ ١/ ٢٠٠٧)، وقال فيها: إنه سأل "بطرس غالي" وزير خارجية مصر والأمين العام لهيئة الأمم سابقاً - وكان قد رافق أنور السادات في رحلته المشؤومة إلى (إسرائيل) ليخرج مصر من شرف المقاومة والدفاع عن فلسطين بمعاهدة السلام الصهيونية الأمريكية المصرية في كامب ديفيد – أقول: سأل هيكل بطرس غالي عن رأيه في هذا السلام مع (إسرائيل) فقال غالي كلمة موجزة فسّرها هيكل وهي "جنوب إفريقيا" أي إن عرب فلسطين سيتحولون إلى رعايا تعمل في مصانع اليهود ومزارعهم، ويتحركون ويمارسون حياتهم تحت إشرافهم وهيمنتهم، فالحدود لهم، والجيش والقوة لهم، والماء والكهرباء والضرائب والمال بأيديهم.

أقول: ومع مطلع العام الهجري الجديد يعيش شعب فلسطين محاصراً، ممتحناً بعدو يهودي من الخارج، وأتباع له من الداخل، يريدون القضاء على خيار الشعب الفلسطيني بنوّابه ووزرائه الذين اختاروا المقاومة على الذل والاستسلام والركون إلى العدو الذي يحاصرهم ويقتلهم صباح مساء.

فجّر العدو الأمريكي الحرب الأهلية في العراق بين سني وشيعي، ويفجر العدو الصهيوني الصراع الفلسطيني الفلسطيني، ويحاول طمس معالم الصراع مع المحتل الأمريكي في العراق والمحتل الصهيوني في فلسطين ليكون الصراع شيعيّاً سنيّاً، أو فلسطينيّاً فلسطينيّاً. ولو رجعنا إلى الثوابت والأصول لوجدنا أن الذين حاصروا الشعب الفلسطيني لاختياره طريق المقاومة هم الذين يستغلّون هذا الحصار للقضاء على المقاومة، وإسناد الأمر إلى جماعة أوسلو لتكمل مشوارها مع

المحتل ولتقيم مجتمع "جنوب أفريقيا" الفلسطيني الذي يفقد فيه شعب فلسطين هويته وأرضه وقدسه وكيانه وكرامته. فلا قرّت أعين الجبناء.

وبعد هذا فلنقف عند بعض دروس الهجرة لنرى كيف صنع النبي الكريم مجتمع النصر بأخوته ووحدة ثقافته.

الأخوّة ووحدة الثقافة:

كان أول عمل للرسول ﷺ بعد الهجرة عقد الأخوة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار، ليقيم الأساس الفكري العقدي لدولة الإسلام وأنها تقوم من أول يوم على رابطة العقيدة والدين، لا على رابطة التراب والطين. وفي ظل هذا الأساس لدولة الإسلام انتقل العربي من الولاء للقبيلة وعصبيتها إلى الولاء للدين وقيمه، وكانت دولة الإسلام إنسانية من أول يوم، وتجاوز العرب في ظل دولة الإسلام مفهوم القومية الضيق.

وكانت معجزة الإسلام أن نقلت العرب والشعوب نقلة أوسع وأعمق نقلتهم إلى الولاء للمبدأ والعقيدة لتدخل شعوب الأرض في دين الله معطين ولاءهم لأمة الإسلام الذي أذاب الفوارق والعصبيات، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وإذا كان ولاء الإنسان لقبيلته أو لقومه قسريّاً، لا اختيار له فيه، فإن ولاءه للإسلام ولأمة الإسلام اختياري نابع من عقيدته التي آمن بها، ومنهج الله الذي ارتضاه لحياته. ومن هنا كانت دولة الإسلام إنسانية من أول يوم ينتسب إليها كل من آمن بالإسلام سواء أكان عربيّاً أو فارسيّاً أو هنديّاً أو تركيّاً أو غير ذلك. بينما كانت الدولة القائمة على رابطة الجنس أو القبيلة مغلقة غير منفتحة. وفي ظل هذه الرابطة قال شاعر الإسلام محمد إقبال :

الصـــين لنـا والعرب لنـا　　والهند لنـــا والكل لنـــا
أضحـــى الإسلام لنا دينا　　وجميع الكون لنا وطنـــا

وقال شاعر آخر من الهند:

غرس الأخوة أصله من يثرب　　هي جنة المأوى وغارسها النبي
إن ضلت الدنيا أعاد صوابـها　　نـــور المدينة لا شعاع الكوكب

وسبقهما الشاعر العربي بقوله:

أبي الإسلام لا أب لي سواه　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

وفي ظل هذه العقيدة السمحة المتحررة من العصبيات الضيقة أقام المسلمون دولتهم من المحيط إلى الخليج ورفرفت أعلام الإسلام من جبال البرانس في فرنسا إلى تخوم الصين.

وحدة الثقافة والفكر:

ومع عقد الأخوة بين المسلمين أقام النبي ﷺ المسجد للمسلمين ليعبدوا الله صفوفاً متراصة خلف الإمام، وليسمعوا القرآن الكريم ويفهموه ويحفظوه ويقيموا أحكامه وقيمه وأخلاقه، وليكون المدرسة النبوية التي تصلهم بهدي النبي الكريم وإمامته وسنته.

وقد نبَّه القرآن إلى هذا الأساس العقدي الذي يصنع وحدة الأمة باجتماعها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في آيات كثيرة منها ما بيّنه في مواجهة فتنة اليهود في المدينة التي كادت أن تمزق وحدة الجماعة المسلمة بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]

دروس من التاريخ:

وحين هاجم الصليبيون بلاد المسلمين قدموا الدعم للحركات الباطنية التي تآمرت معهم على تمزيق وحدة الأمة العقدية والثقافية وجنّدت نفسها حتى اغتالت عدداً من قادة المقاومة منهم عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي الشهيد، وكادت أن تغتال صلاح الدين. وقد تنبّه العلماء لخطر هذا الغزو الثقافي الباطني وجاهدوا في كشفه وإنقاذ الأمة من خداعه، وكان على رأس هؤلاء العلماء الإمام أبوحامد الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام المجاهد عز الدين القسام، والإمام المجاهد المربي الشيخ عبد القادر الكيلاني. وكان من سياسة نور الدين وصلاح الدين الحكيمة لإحياء روح الأمة للجهاد وتوحيدها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن بنيا من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون.

ردّة ولا أبا بكر لها:

ومع الغزو الصليبي الجديد لبلاد المسلمين تعمل أمريكا وحلفاؤها والغرب ومن يعملون معه إلى إغراق بلاد المسلمين بالجامعات الأمريكية والفرنسية والألمانية والغربية، ففي الأردن ودول الخليج ومصر ولبنان تقام هذه الجامعات، وتستثنى من الشروط القانونية التي وضعتها الدولة لمؤسسات التعليم العالي، لتعمل هذه الجامعات الأجنبية في بلادنا دون حسيب أو رقيب في إفساد الجيل، وقتل روح الانتماء والهوية في شباب الأمة وتحويلهم إلى متع الحياة الغربية لتكون هدفهم في الحياة. وقد حدثني رئيس جامعة ووزير سابق مطّلع أن هذه الجامعات تعلّم الطلاب الرقص والاستهانة بقيمنا وأخلاقنا، وأما العلم فيدرِّس موادّه أساتذة لا يحمل كثير منهم المؤهل العلمي المطلوب. إنه احتلال جديد وردة جديدة ولكن لا أبا بكر لها.. فأين مجالس النواب وأين العلماء وأين رجال الفكر ينقذون أبناءهم وأمتهم من الخطر المهلك؟

حصوننا مهددة من الداخل وعدونا يحتل الأرض بجيوشه، ويحتل الأمة والإنسان بجامعاته ومكره وخداعه.

ردّة جديد ولا أبا بكر لها..

العدد(٦١) شباط ٢٠٠٧ م

منبر صلاح الدين وأشياء أخرى

بنى منبر الأقصى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله في حلب، وذلك قبل فتحه بنيّف وعشرين سنة، وأركزه صلاح الدين بعد تحرير المسجد الأقصى المبارك في مكانه في قبلة المسجد.

ولقد أبدع الصُنَّاع في صنعته، وأتمّه في سنتين، وكان الناس يتعجبون من صنع منبر المسجد الأقصى والصليبيون يحتلون أكثر البلاد ولهم أربعة عشر جيشاً في أرضنا، ويسخر الكثيرون: كيف سيُحرَّر الأقصى وهذه الجيوش جاثمة في أرض الإسلام؟! وكان نور الدين يجيبهم: يا قوم إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون. ومن لطائف الأمور أن محيي الدين بن زكي الدين كان قد هنّأ صلاح الدين بعد فتحه لقلعة حلب بفتح بيت المقدس قبل فتحه بسبع سنوات، وقال له في قصيدة:

وفتحكم حلب الشهباء في صفر مبشِّر بفتوح القدس في رجب

وفُتحت القدس في السابع والعشرين من شهر رجب سنة (٥٨٣هـ)، وأقيمت صلاة الجمعة في الرابع من شعبان، وكان خطيب الجمعة محيي الدين بن زكي الدين صاحب البشرى، الذي افتتح خطبته بهذه الآيات:

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥]، ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٢-٤]. ثم قال: الحمد لله معزِّ الإسلام بنصره، ومذلِّ الشرك بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره... أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه، ونصره لأنصاره، وتطهيره

بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حَمْدَ من استشعر الحمد باطن سرّه وظاهر جهاره.

أيها الناس، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا، لِمَا يسَّره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردِّها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مئة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه... فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد ﷺ ، وقبلتكم التي كنتم تُصلّون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء، ومهبط الوحي، وهو في أرض المحشر، وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين... وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشدُّ الرحال بعد المسجدين إلا إليه... فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصِّدِّيقية، والفتوح العُمَرية... جدّدتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، فجزاكم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حقّ قدرها، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها... إلى آخر الخطبة.

وسأتحدث بعد هذا في النقاط التالية:

حكمة بناء المنبر قبل فتح القدس بسنوات

يقول ابن شامة في كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين): "بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون". وحكمة ذلك أن القلاع والحصون تحتاج إلى جند العقيدة الذين يحسنون صناعة الموت والشهادة، ويعرفون كيف ينصر الله المؤمنين على الكافرين، فيصبرون ويصابرون، ويشترون الجنة والنصر بدمائهم وأموالهم.

وكان للمنبر رسالته في إحياء روح الأمة الجهادية، وقد التقى العلماء والأمراء في ساحات الجهاد والإعداد المادي والمعنوي لأمة الإسلام.

منبر نور الدين:

وقد صنع نور الدين المنبر من خشب (الأبنوس) الخالص، ووصل خشب بعضه ببعض عن طريق (التعشيق) دون أن يستعمل المسمار؛ وذلك ليكون المنبر بصناعته ممثلاً لجسم الأمة بتواصله وتعاونه، وشد أزر بعضه لبعض، دون ضغط من جسم غريب عليه.

منبر المسجد الأقصى في تاريخ الأنبياء

فقد كان المنبر شاهداً على الدعوة إلى الله، وإعلاء كلمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الأنبياء والعلماء يجهرون بكلمة الحق في وجه حكام بني إسرائيل الذين تحالفوا مع ملوك الرومان، وحاربوا الرسالة والرسول، وسعوا لإخضاع بني إسرائيل لقيم الرومان وأخلاقهم وإباحيتهم. ولكن الأنبياء والعلماء وقفوا في مواجهة الردة، ودافعوا عن دين الله وأحكامه، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ فاستشهد نبيُّ الله زكريا ونبيُّ الله يحيى، قتلهما الملك اليهودي الموالي للغرب سياسة وأخلاقاً، كما قتلوا مئات من الأنبياء والعلماء الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ حتى فقد المنبر رجاله، وسكت صوت الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنزل الله لعنته وعذابه على بني إسرائيل الذين رضوا بقتل أنبيائهم وعلمائهم، ولم ينتصروا لدين الله، وعطَّلوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأزال الله ملكهم، وشرَّدهم في البلاد.

وقد ذكر الله سنته هذه في كتابه العزيز لنعتبر ونتذكر. قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا**

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٨-٧٩]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ [آل عمران:١١٢]، وفي آية أخرى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]، وفي سورة البقرة ذكر الله تعطيلهم لمساجده عن رسالتها فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

وقد وجَّهنا ربنا تعالى إلى أن هؤلاء الظالمين -المخرِّبين لمساجد الله، الذين يعطّلونها عن رسالتها، ويمنعون العلماء العاملين من صعود المنابر وتبليغ رسالة الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين؛ أي إن الأمة مسؤولة عن تحرير مساجدها، وحماية الدعوة والدعاة والرسالة والعلماء. وكذلك وجَّهنا ربنا تعالى إلى أن اليهود ونصارى الرومان -الذين اعتدوا على المسجد الأقصى، وعطَّلوه عن أداء رسالته وخرَّبوه وهدموه- ما كان لهم أن يكون لهم سلطان على أرض الإسلام ومساجد الله، وأن السيادة عليها لأمة الإسلام التي تعظِّم حرمات الله وتقيم أحكامه، وأن هؤلاء اليهود والنصارى إذا أرادوا دخول هذه الأرض المقدسة ما كان لهم أن يدخلوها إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم ويعطيهم أمان الإقامة.

كيف نعيد بناء المنبر؟

ومن هذا يتبين أن المنبر ليس بصورته الظاهرة صناعة وزخرفاً وخشباً، وإنما بروح الرسالة التي يحملها وعزم الأمة التي تحمي الرسالة ومن يبلِّغها.

حريق المسجد الأقصى ودلالته

وقد حرق اليهود المنبر شهر (٨/ ١٩٦٩م) بعد احتلال القدس (عام ١٩٦٧م)؛ يريدون أن يزيلوا أثره، ويعملوا على هدم المسجد الأقصى بعد ذلك؛ لبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

وقد واجه المسلمون في القدس عدوان اليهود، والحريق الذي ضرموه فيه ببطولة وفداء؛ حتى شارك الرجال والنساء والأطفال بإطفاء الحريق. وحسناً صنع الأردن قيادة وشعباً بإعادة بناء منبر صلاح الدين على صورته وهندسته وشكله السابق؛ ليكون إعادة صنعه درساً بليغاً أن لهذا المنبر والمسجد من يحميه ويصونه، وأن الأمة التي حفظت عهد نور الدين وصلاح الدين في المنبر، ستحفظ عهده في تحرير القدس وفلسطين بإذن الله، وحسناً أن سمُّوه منبر صلاح الدين؛ وفاءً لصلاح الدين، وتجديداً للعهد.

هذا وكنت نظمت أبياتاً من الشعر في حريق الأقصى قلتُ فيها:

يا حـريقاً ضرمت نيرانُه ... عصـبةُ الغـدر ببيت المقـدس
أيُّ نـــار أكـلت مـــنبره ... وهو في القـيد رهين المحـبس
أين نور الدين قـد هيـأه ... قبل فتح القدس فتح الأنفس
وصلاح الدين قد أركزه ... بـحراب الفتـــح يوم القُدُس

وعندما اقتحم عدو الله (شارون) باحة المسجد الأقصى مع رجاله وجنده؛ انطلقت انتفاضة المسجد الأقصى عام (١٩٨٧م)، ولا تزال ملتهبة يمدُّها المسجد

بنوره وناره، وعبثاً حاول أعداء الله إطفاءها عن طريق (أوسلو) والوعود الكاذبة التي تبعها تنكيلٌ بالمجاهدين، ولكن خداع اليهود قد كُشف، وتجرَّع سُمّه مَنْ وثق بهم وصدَّقهم، ولا يزالون يحاولون إطفاء نار المقاومة، وإطفاء نور الدعوة والجهاد عن طريق وكلائهم وعملائهم، ولكنهم يجهلون سنن الله في نصر المؤمنين وإحباط كيد الماكرين. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق:١٥-١٧]، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ﴿كَتَبَ الله لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]. وها هم يعتدون من جديد، ويهدمون باب المغاربة وسوره؛ تمهيداً لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه. وهذا ما يدعو أمة الإسلام للجهاد والنفير العام لإنقاذ المسجد الأقصى وتحريره.

الفتح العمري وإعادة المسجد والمنبر

بعد أن أختار الله القدس وفلسطين مسرى لنبيه محمد ﷺ حيث صلّى بالأنبياء إماماً -وكان هذا إيذاناً بمبايعة الأنبياء لسيد رسل الله على الإمامة والقيادة، ووراثة الرسالة والدعوة التي خانها بنو إسرائيل، جمع المسلمون أمرهم على تحرير بلاد الشام ومنها القدس ومسجدها وفلسطين من القوم الكافرين.

وبعد تسلُّم عمر رضي الله عنه لمفاتيح القدس - بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك - من (صفرونيوس) وإعطائه العهده العمرية توجَّه عمر إلى المسجد الأقصى، وكان الرومان قد حوَّلوه إلى مكان لجمع القمامة والأوساخ، وقام الصحابة الكرام بتنظيفه وتطهيره. يقول ابن جرير الطبري في "تاريخه": وكانت القمامة قد علت باب المسجد حتى دخله عمر ومن معه حبواً، وبعد عملية التنظيف والتطهير للمسجد الأقصى صلّى عمر في الصحابة الفاتحين صلاة العشاء، ثم انصرفوا، وبقي

عمر وحده؛ أحيا الليل كله في المسجد الأقصى قائماً راكعاً ساجداً؛ يريد أن يعيد لهذا المسجد سابق عهده في طاعة الله وعبادته.

ومع الفجر حضر جند الفتح من الصحابة الكرام وصلى بهم عمر رضي الله عنه صلاة الفجر إماماً، وقرأ في الركعة الأولى سورة (الإسراء)، وفي الثانية سورة (ص) التي ذكر الله فيها داود وسليمان اللذين ورثهما محمد ﷺ بحمل رسالة الله وإعمار مساجده.

بلال يؤذِّن في القدس:

وطلب عمر من بلال أن يؤذن، وكان قد انقطع عن الأذان بعد التحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى؛ فأذَّن بلال لأول مرة في القدس بعد وفاة النبي الكريم، وأجهش الصحابة بالبكاء، وكان من أشدهم بكاء أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما؛ حتى قال لهما عمر: حسبكما، حسبكما.

وأقام عمر حكم الإسلام وعدله في مدينة القدس، ولم يجبر أحداً على الخروج منها، ومنذ الفتح العمري والمسجد الأقصى يؤدي رسالته، وعلماء الإسلام يشدُّون الرحال إليه مع جماعات المسلمين، وأمراء المسلمين يتنافسون في تعميره. حتى وقع المسجد الأقصى في الأسر بعد الاحتلال الصليبي لبيت المقدس.

المسجد الأقصى يوحّد الأمة للتحرير

وقد سبق احتلال الجيوش الصليبية لبيت المقدس أمران:

الأول: انهيار روح الأمة الجهادية، وانشغالها باللهو والشهوات، وكانت ثقافة أبي نواس وبشار بن برد قد غلبت في بغداد عاصمة الخلافة. وهذا ما تفطّن له الإمام أبو

حامد الغزالي، وألّف كتابه "إحياء علوم الدين" ليستعيد روح الأمة وإيمانها وقيمها وأخلاقها وحسن توكلها على ربها وزهدها بمتاع الدنيا وشهواتها.

وانطلقت من مدرسة الإمام الغزالي مدرسة الشيخين عبد القادر الكيلاني وعبد الرحمن الجوزي اللذين عُرفا بالعلم والتربية والتزكية، وكان جند نور الدين وصلاح الدين من ثمرات هذه المدارس المباركة.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني قد أعلن حربه على علماء السلاطين الذين يفرِّقون أمر الأمة بفتاواهم وخلافاتهم وحرصهم على مظاهر الجاه والمال وسمّاهم: "قطّاع الطرق عن الله".

الثاني: تقطيع بلاد المسلمين بإمارات وممالك يكيد بعضها لبعض؛ حتى يئس الناس من المقاومة والجهاد طريق التحرير، وهيّأ الله لهذه الأمة العالِم المجاهد والأمير المجاهد، وكان للعلماء جهادهم في بعث روح الجهاد، وكان لنور الدين وصلاح الدين جهادهم في توحيد الأمة تحت راية الجهاد؛ حتى كان النصر العظيم في معركة حطين، وتحررت القدس، وعاد المنبر إلى مكانه في قبلة المسجد الأقصى، بعد أن وحَّد صلاح الدين مصر وبلاد الشام وقضى على الأمراء الانفصاليين.

الإعلام ودوره في المعركة

وكان صلاح الدين حريصاً على تحريك الأمة نحو القدس والمسجد الأقصى؛ حتى أصبحت أناشيد الشباب وأغاني الأعراس وقصائد الشعراء تنادي الأمة لتحرير المسجد الأقصى والقدس وفلسطين، وكلما فتح صلاح الدين قلعة عرف الناس أن تحرير القدس والمسجد الأقصى قريب.

وهذا ما عبَّر عنه الشاعر ابن القيسراني مهنئاً صلاح الدين بإحدى الانتصارات:

كـأني بهذا العـزم لا فُلَّ حَـدُّه ... وأقصاه بالأقصى وقد قُضـي الأمرُ
وقد أصبح البيتُ المقدس طاهراً ... وليس سوى جاري الدماء له طهرُ
وصلّت بمعراج النبي صـوارم ... مساجدها شَفْعٌ وساجـدها وَتْرُ[1]
وقد أدَّت البيضُ الحداد فروضَها ... فلا عُـهدةٌ في عنق سيـف ولا نذرُ

كان المسجد الأقصى رمز المقاومة؛ يفجر نارها في القديم والحديث، وكان وعي الأمة الإيماني والجهادي قد قطع الطريق على الأمراء الانفصاليين. ولا يزال المنبر ينادي: أين صلاح الدين، وأين إخوان صلاح الدين؟! وها هم يعودون في مقاومة جهادية هي أقوى بإذن الله من مكر الأعداء وعملائهم.

العدد (٦٢) آذار ٢٠٠٧م

[1] المعنى: أن السيف الوتر المفرد بيد الجندي المجاهد يضرب شفعاً ويقتل اثنين بضربة واحدة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرف الرسالة وشرف الرسول ﷺ

وجّهنا ربنا تبارك وتعالى إلى شرف الرسالة التي أنزلها على أشرف رسول لنقوم بواجب الشكر وشرف المسؤولية في حملها وتبليغها. قال تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤].

قال العلماء في تفسيرها: إن هذا القرآن لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون عن هذه النعمة الجليلة، والمراد بقومه هنا قريش وسائر العرب؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، وصاروا بفضل هذا القرآن العظيم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، ورحم الله الفاروق عمر حيث قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

ونبّهنا ربنا إلى شرف القرآن الكريم بشرف الليلة التي أنزل فيها واحتفال الملائكة بمهرجان نوراني ممتد من السماء إلى الأرض يتقدمهم جبريل الأمين يسلِّمون على المؤمنين ويشاركونهم الذكر والعبادة في ليلة القدر المباركة، والقدر في اللغة يعني: الشرف والعظمة.

ووجّه نبيه محمداً ﷺ إلى شرف الرسالة وعظمتها؛ ليستفرغ جهده لها، ولا يتطلع إلى غيرها من زينة الحياة الدنيا، فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحجر:٨٧-٨٨]. وجدير بالعلماء ورثة الأنبياء أن يقتدوا بالنبي المصطفى ﷺ، ويفرغوا قلوبهم من همِّ الدنيا وزينتها؛ لأن شرف الرسالة والعلم

الذي أكرمهم الله بحمله جدير بأن يجعلوا همهم وسعيهم لله وحده، قائمين بأمره، ذاكرين له، صابرين على الشدائد والابتلاء في سبيله.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى . وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٣٠-١٣١].

وقد وجّهنا ربنا إلى شرف الرسالة وشرف الرسول ﷺ وشرف الغاية والمقصد الذي نزلت من أجله الرسالة بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا . مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٨-٢٩]. ولفت نظرنا إلى جند القائد ﷺ وشرف أخلاقهم التي استحقوا بها نصر الله بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾.

وفي آية أخرى يذكر الله شرف الرسالة التي يحملها أشرف الرسل بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣]، وشرف الوعد الإلهي بالتمكين لهذا الدين بقوله بعدها: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]. ويعقب هذه الآية في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة:٣٤]؛ ليبين لنا هدف الرسالة الإسلامية بتحرير الإنسانية من رجال الدين من الأحبار والرهبان الذين سخّروه لخدمة أهوائهم وشهواتهم وجمع الأموال وكنز

الذهب والفضة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤].

وفي آية أخرى في سورة الصف يذكرنا ربنا بشرف الرسالة والرسول، ويعقبها بشرف الأمة المجاهدة التي تنصر الرسالة والرسول ﷺ بأموالهم وأنفسهم. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ٩-١١] إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾ [الصف:١٤].

ويوجهنا ربنا تبارك وتعالى في سورة الأحزاب إلى شرف الرسول ﷺ ومكانته في قلوب المؤمنين بقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]؛ فهو ﷺ أولى وأحق بنفوسنا وأموالنا وأولادنا منا، نبذلها فداء له ونصرة لدين الله. وهذا ما فعله المؤمنون في غزوة الأحزاب الذين اقتدوا برسول الله ﷺ في صبره وجهاده وثباته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢١-٢٣]. ونجد شرف أصحاب رسول الله ﷺ بتسجيل القرآن الكريم لأقوالهم حين رأوا جموع الأحزاب تحاصر مدينتهم فما وهنوا ولا استكانوا، وقالوا كلمتهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾.

وكان الله قد وعدهم أن للجنة والنصر ثمناً؛ وهو أن تمسهم البأساء والضراء ويتعرضوا لزلازل الأعداء بالإرهاب والتخويف، فيصبروا ويقاوموا. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

ويوجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى شرف رسول الله العظيم بالصلاة عليه صلاة بدأها الله وملائكته بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦].

والصلاة على رسول الله دين وعبادة ووفاء وعنوان وإكرام الأمة لنبيها الذي أخرجها الله من الظلمات إلى النور، وهي البركة التي يلتقي عليها الآباء مع الأبناء والجيل مع الجيل، وتتوحد عليها الأمة الإسلامية اعترافاً بنبوة محمد ﷺ وتشريفاً لمقامه، والتزاماً بقيادته واتباعاً لسنته وهديه. قال ابن عباس في تفسير ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: إن الله وملائكته يباركون على النبي. وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له. وقال بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي ﷺ رحمة، وللنبي تشريف وزيادة تكرمة. وقال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. وأما التسليم فقال العلماء: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فأمر الله أصحاب نبيه أن يسلموا عليه، وكذلك مَن بعدهم أمروا أن يسلموا عليه عند حضورهم قبره الشريف وعند ذكره.

ومعنى السلام: السلامة لك ومعك. فهو دعاء بالسلامة؛ أي: السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به رب العالمين. ومن معاني السلام المسالمة له

والانقياد لشرعه وسنته. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥].

والصلاة على رسول الله شرف للنبي وشرف للمؤمنين وشرف للأمة القائمة بواجب التعظيم والتوقير والإكرام لهذا النبي الكريم. والصلاة على النبي الكريم بصيغتها اللفظية: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" تقتضي المسارعة للامتثال لحكم الله وسنة رسوله، كما تقتضي ألا نستعجل في إبداء رأي أو حكم في مسألة قبل أن نعرف حكم الله وحكم رسوله ﷺ في هذه المسألة، وهذا ما وجّهنا ربنا تبارك وتعالى إليه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]. قال صاحب "الكشاف" في تفسيرها: "والمعنى: ألا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه؛ فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل، وإما مقتدين برسول الله ﷺ". وقد وجهنا ربنا إلى معرفة مقام رسول الله ﷺ وما يجب له من التهيب والإجلال بأن نخفض بين يديه الصوت، ويُخَافَتَ لديه بالكلام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

ومن دلالات هذه الآية الكريمة ألا يعلو صوت في الأمة المسلمة فوق صوت الرسول وشرعه، وألا تعلو قيادة لا تعظِّم رسول الله ﷺ ولا تتخذه قدوة لها؛ لأن في إعظام صاحب الشرع إعظامَ ما ورد به، ومن عظّم رسول الله صادقاً عظم شريعته صادقاً ونصر دينه، وتأدب بين يدي الله ورسوله. وإذا عرف الحكم الشرعي بادر للعمل به، فإذا كان وزيراً أو نائباً أو عيناً أو مسؤولاً، لا يرفع صوته بإقرار قانون أو نصرة تشريع، أو العمل بحكم، يخالف أمر الله وسنة رسوله ﷺ، وإذا كان

رَفْعُ الصوت في مجلس النبي الكريم محبطاً للأعمال، فكيف بمن رفع صوته مجاهراً بالدعوة لمعصية أو مُنْكَر أو قانون مخالف للشرع أو مستخف بسنته؟!

وقد بيّن الله تعالى شرف نبيه وشرف المعظِّمين لنبيه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٣]. والمعنى: أن هؤلاء الذين عظّموا رسول الله، وعرفوا مكارم الأدب معه، وظهرت آثار محبتهم وتوقيرهم على جوارحهم وأعمالهم وألسنتهم؛ أولئك الذين اضطلعوا بمهمة الدعوة، وقاموا بخُلق التقوى؛ فلهم مغفرة وأجر عظيم.

قال صاحب "الكشاف" في تفسيرها: ﴿امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾: "من قولك: امتُحن فلان لأمر كذا وجُرّب له، ودُرّب للنهوض به؛ فهو مضطلع غير وانٍ عنه. والمعنى: أنهم صُبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها، وقيل أخلصها للتقوى... وفي هذه الآية من الإعلام بمبلغ عزة رسول الله ﷺ وقدر شرف منزلته، وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء".

معجزة الإسراء وشرف الرسالة:

وكان من أعظم ما شرّف الله به نبيه محمداً ﷺ أن أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماوات العلى، ليبلغ المقام الذي لم يبلغه نبي ولا مَلَك، وليحظى بمخاطبة رب العزة عند سدرة المنتهى.

وكان من تشريف الله لنبيه ﷺ أن الرسالة التي أنزلت عليه ختم الله بها الرسالات، وكانت بكمالها، وتمامها، وشمولها، هدىً للناس إلى يوم الدين، ومن

الاعتراف بشرف هذا النبي اجتماع الأنبياء في المسجد الأقصى ليسلّموا عليه، ويقدّموه إماماً؛ اعترافاً بأن الإمامة والقيادة لرسول ﷺ ولأمته من بعده.

وكان من شرف الرسالة والرسول ﷺ وراثة محمد ﷺ للرسالات السابقة، وأن رسالته بيّنت ما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريف وتبديل، ونسخت الأحكام التي لا تلائم أحوال اللاحقين رحمة من الله بعباده. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وفي آية أخرى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وفي الآية التالية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وفي قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ما يبين شرف الأمة التي تنصر هذا النبي وفلاحها وفوزها. قال صاحب "الكشاف" "﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: أي منعوه؛ حتى لا يقوى عليه عدو ونصروه. ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾: أي القرآن الذي أنزل مع نبوته. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون في الدنيا والآخرة".

كيف ننصر نبينا ونمنعه؟

ونصرة النبي الكريم تنادينا اليوم لتحرير أرض الإسلام من أعداء النبي الكريم الذين احتلوا أرض الإسلام في فلسطين والعراق والصومال، ونهبوا خيرات بلاد المسلمين، وحرموا المسلمين منها. وقد وجّهنا ربنا إلى شرف أرض الإسلام لتكون حصناً لدينه لا يدنسها أعداؤه ولا يفسدون فيها. ففي الجزيرة العربية مهد الإسلام وحضنه يقول النبي الكريم: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان". (رواه ابن حجر العسقلاني).

وفي المسجد الحرام ومسجد المدينة المنورة والمسجد الأقصى يبين لنا النبي الكريم شرف العبادة بها بمضاعفة الثواب فيها وخطر المعصية والإفساد فيها. قال تعالى في بيان حرمة المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]. وفي المدينة المنورة جاء في الحديث: "إن المدينة تنفي خبثها"، "وإن الإيمان ليأزر إلى المدينة"؛ أي: هي حصن المؤمنين ومجمع قوتهم، شرَّفها بتطهيرها من الفساد والمفسدين وتحصينها بالأعمال الصالحات. وفي المسجد الأقصى يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤]. والذين خرّبوا المسجد وعطّلوه عن أداء رسالته في عبادة الله من الرومان واليهود هم الذين سلّط الله عليهم من بعد جند محمد ﷺ واستنقذوا هذه الأرض المباركة من هؤلاء المفسدين، ثم يبين الله للمسلمين أن المحافظة على شرف هذا المسجد، وهذه الأرض المباركة، هو من مسؤوليتكم وأن هؤلاء المفسدين ما كان لهم أن يدخلوا هذه الأرض المقدسة إلا بإذن من المسلمين يعطيهم الأمان ويزيل خوفهم.

إن شرف الرسالة وشرف الرسول وشرف الأمة التي أكرمها الله بحمل هذا الدين، وشرف الأرض التي جعلها الله حصناً لهذا الدين، ومهبطاً للوحي، وأرضاً للدعوة، جدير بأن يستنهض الهمم للمحافظة على هذا الشرف بحفظ الإسلام ونصرة القرآن بالجهاد بالنفس والمال والدعوة والوفاء لصاحب الرسالة ﷺ.

دروس من غزوة أحد

أولى ربنا تبارك وتعالى غزوة أحد بتوجيهاته ومواعظه، وسجّلت سورة آل عمران هذه الدروس قرآناً يُتلى لتُعلِّم المسلمين كيف يصبرون ويصابرون ويرابطون، مدافعين عن دينهم وأوطانهم ومقدساتهم، لا يضعفون ولا يستكينون ولا يتنازلون. وقد بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿**الم . الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...**﴾ [آل عمران:١-٢]. وختمت بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:٢٠٠]. ليعلِّم المؤمنين أن معركتهم في مواجهة الكافرين والمنافقين هي معركة هذا القرآن العظيم، وأن سلاحهم في المواجهة هو الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى حتى يأتي نصر الله.

بين يدي الغزوة:

سُمِّيت هذه الغزوة بغزوة أحد، وهو جبل مشهور في المدينة المنورة سُمِّي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أُخر هناك، وهو الذي قال فيه ﷺ: "أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه". (صحيح البخاري)، وكان عنده المعركة والوقعة المشهورة في شهر شوال في السنة الثالثة من الهجرة.

وكان سببها: أن قريشاً لما رجعوا من غزوة بدر مهزومين وقد أصيبوا بآبائهم وإخوانهم وقتل أكثر من سبعين صمموا على الثأر وجعلوا المال الذي ربحوه في تجارتهم للإنفاق على المعركة القادمة، وأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ...**﴾ [الأنفال: ٣٦]. وسار أبو سفيان بجيش المشركين حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أُحد مقابل المدينة، وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء

والأحابيش، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله للمسلمين: "إني قد رأيت والله خيراً: رأيت بقراً تُذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأوّلتها المدينة، فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل، فإن رأيتم أن تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا بشرٍّ مقام فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت"، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر فقالوا: يا رسول كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج لأعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم. ووافقهم رسول الله ﷺ وكان يستشير أصحابه ويأخذ بالشورى. وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم بأن لهم النصر إذا صبروا.

فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال وهو في سبعمئة فيهم خمسون فارساً. وجعل رسول الله ﷺ على الرماة – وكانوا خمسين رجلاً – عبد الله بن جبير وقال للرماة: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم". (صحيح البخاري)، وبدأت المعركة واشتدت وقاتل المسلمون قتالاً شديداً، وكان شعار المسلمين "أَمِتْ أَمِتْ"، وكان النصر للمسلمين أول النهار فحسوا المشركين بالسيوف فانهزموا مدبرين، وفي حديث البراء: "فلما لقيناهم هربوا، حتى رأيت النساء يشتدون في الجبل، يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن". وهنا وقع الرماة في الخطأ الكبير وخالفوا أمر رسول الله ﷺ بلزوم أماكنهم في حماية ظهر المسلمين في الجبل. وذكّرهم أميرهم عبدالله بن جبير فلم يطيعوا، فتركوا أماكنهم واستغلها خالد بن الوليد وكان مع المشركين فباغت المسلمين من خلف الجبل ودارت الدائرة على المسلمين، وقُتل منهم سبعون، واستُشهد حمزة عم رسول الله وجُرح النبي الكريم، وهُزم الكثيرون،

وثبتت القلة المجاهدة من صفوة أصحابه معه ﷺ وتمكنوا من حرمان قريش من ثمرات نصرها، فلم تتمكن من قتل النبي الكريم ﷺ ولا من دخول المدينة المنورة، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة، ونزلت آيات القرآن الكريم بدروسها تُعلِّم المسلمين كيف يصبرون في وجه المحن، وكيف يجعلون المحنة منحة، والضراء سراء.

ومن هذه الدروس:

لا يحمي الإسلام في أيام المحن إلا المجاهدون الصادقون وهذا ما نبَّه إليه القرآن بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ...**﴾ [الصف:١٤]، وهذا ما فعله أصحاب النبي الكريم حين دارت الدائرة على المسلمين. ومن حديث البراء: لم يبق معه ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، وفي صحيح مسلم "أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما رهقوه قال: من يردّهم عنا وله الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ : "ما أنصفنا أصحابنا". ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترَّس أبودجانة عليه بظهره والنبل يقع وهو لا يتحرك، وحينئذ قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: "ارْمِ فداك أبي وأمي".

وكان في جيش المسلمين نساء مسلمات عددهن أربع عشرة امرأة، منهم فاطمة وعائشة وأم أيمن، وكن يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى ويداوينهم، ومن هؤلاء النساء أم عمارة نسيبة بنت كعب النجارية، فقد خرجت يوم أحد هي وزوجها وابناها، ومعها قربة لتسقي الجرحى، فقاتلت وأبلت بلاءً حسناً، حتى جُرحت اثني عشر جرحاً، بين طعنة برمح، أو ضربة بسيف، فقد كانت بين يدي رسول الله ﷺ هي وزوجها وابناها يذبُّون عنه، فلما انهزم المسلمون

جعلت تباشر القتال وتذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف وترمي بالقوس، فلما أقبل ابن قمئة يريد رسول الله اعترضته، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيها بعد ذلك غور أجوف، وضربته هي ضربات، فقال رسول الله ﷺ : "لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان". ثم قال: "ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً، إلا وأراها تقاتل دوني".

ما أشبه اليوم بالأمس: بعد أن كرّت جيوش الصليبيين الأمريكان والصهاينة على المسلمين، يضعف الكثيرون، ويهرولون مسارعين للتحالف مع الأعداء، والتنازل عن الأرض والشعب والمقدسات.

وتثبت القلة المؤمنة المجاهدة في فلسطين والعراق، وأفغانستان والصومال، وكان القرآن الكريم سند هؤلاء وهؤلاء من خلال الحديث عن غزوة أحد.

أما المؤمنون المجاهدون الثابتون مع النبي الكريم فيصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦]. وقد نفى الله عنهم الوهن الذي يصيب النفوس، والضعف الذي يصيب الجوارح، والاستكانة التي تصيب الإرادة والمقاومة حتى تبقى أمة محمد ﷺ موصولة بقيادته ونصرة رسالته صابرة مرابطة لا تضعف ولا تستسلم ولا تستكين.

المعاصي والذنوب سبب الهزائم والنكبات:

بيّن الله في سورة آل عمران خطر المعاصي والفرقة ومخالفة أمر النبي الكريم على المسلمين وكيف يحرمهم الله النصر، ويحقق أعداؤهم أهدافهم في بلاد المسلمين بالاحتلال والقتل والتشريد بسبب معاصيهم وتحالفهم مع أعدائهم لينبّه القادة والحكام والعلماء والإعلام لدوره في حرب المعاصي. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا**

مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وفي آية أخرى يحذر من موالاة الكافرين والتحالف معهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩-١٥٠].

وبعدها يبين الله أثر الجبن والفرقة والتنازع والمعصية في الهزيمة والحرمان من النصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ (أي جبنتم وضعفتم) ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ (أي صرفكم عن الاستمرار في النصر وقتل المشركين بسبب ما وقع به الرماة من مخالفة وإيثار للدنيا وما وقعتم به من جبن وضعف وهزيمة، ليبتليكم: أي ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها) وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ (لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله ﷺ) ﴿واللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢]. يتفضل عليهم بالعفو، ليستفيدوا من أخطائهم ويواصلوا جهادهم ومقاومتهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وكان من الحِكَم التي اشتملت عليها غزوة أحد أن تكلم المنافقون بما في نفوسهم فسمعه المؤمنون، وسمعوا ردّ رسول الله ﷺ وجوابه لهم، وعرفوا مراد النفاق وما يؤول إليه وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة، فكم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة، ونعمة على المؤمنين سابغة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه وتعريف بأسباب الخير والشر وعاقبتها". ومن هذه الدروس قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] والمعنى: أفعلتم ما فعلتم من أخطاء وحين أصابكم من المشركين يوم أحد نصف ما أصابهم منكم قبل ذلك في "بدر" تعجبتم وقلتم: أنى هذا؟ أي من أين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله، وأعداؤنا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فردّ الله عليهم بما يردّهم إلى صوابهم فقال: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بترككم أماكنكم وتطلعكم إلى الغنائم وتفرقكم عن رسول الله ﷺ، ويختم الله الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

كرامة الشهداء عند الله:

وبعد الحديث في السورة عن طبيعة المنافقين انتقلت للحديث عن الشهداء وفضلهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]. وفي هذه الآيات بيان أن القتل في سبيل الله الذي يحذره المنافقون ويحذِّرون الناس منه ليس مما يُحذَر، بل هو من أجلِّ المطالب وأسناها، والخطاب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ للنبي ﷺ ولكل من يتأتى له الخطاب، ومعنى الحسبان: الظن، والمعنى: أنهاكم أن تظنوا أنهم أموات بل هم أحياء عند ربهم، والعندية هنا مجاز عن القرب والإكرام والتشريف قد خصَّهم الله بالمنازل الرفيعة والدرجات العالية. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أي يحيون مرزوقين. قال رسول الله ﷺ: "لما أُصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا

في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله تعالى هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ تسلية وتثبتاً". (مسند أحمد، بسند صحيح).

وأخطر ما يصيب المجاهدين أن يفتّ في عضدهم ومقاومتهم المنافقون، وهذا ما حذّرنا الله منه بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٦] يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشد الرغبة.. وهم في كل زمان أعوان الأجنبي وعملاؤه المنفذون لأوامره وخططه ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً﴾ أي لا يضرُّون دين الله ولا أولياء الله، فالمستقبل لهذا الدين، والنصر لأمة الإسلام. أما هؤلاء المنافقون فلهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة. فليزدد المؤمنون إيماناً بدينهم وليصبروا على تكاليف المقاومة والجهاد.

غزوة أُحد ودروس من القرآن الكريم

في شهر شوال للسنة الثالثة للهجرة وقعت غزوة أحد. وكان من أسباب الغزوة أن قريشاً بعد هزيمتها في غزوة بدر قررت أن تثأر لقتلاها، وجعلوا مال التجارة التي نجت من المسلمين في الإعداد لهذه الغزوة، وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

دور المخابرات في الغزوة:

وكان النبي ﷺ يرصد أخبار قريش وتحركاتها في الوقت المناسب حتى يأخذ حذره، وكان عمه العباس قد كتب له بخبرهم وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، وجاؤوا معهم بنسائهم لئلا يفروا.

مبدأ الشورى في مواجهة العدو:

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ جمع المسلمين واستشارهم في كيف يواجهون العدو، وكان رأي النبي ﷺ أن يقيم المسلمون بالمدينة لتكون المقاومة من الداخل، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أُبيّ، وكان هو الرأي.

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر فقالوا: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنّا عنهم.

تقدير النبي ﷺ لمبدأ الشورى:

نزل رسول الله ﷺ على رأي الأكثرية، رغم مخالفته لرأيه، وأمر الناس بالخروج ووعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر بما صبروا،

وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك ثم دخل النبي ﷺ بيته، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر فعمَّماه وألبساه، وصفَّ الناس ينظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله على الخروج، فردوا الأمر إليه.

فخرج ﷺ وقد لبس لأْمته، وتقلّد السيف، فندموا جميعاً على ما صنعوا فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، فقال: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأْمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه". (السلسلة الصحيحة للألباني).

وهكذا قرر النبي ﷺ مبدأ الشورى رغم محاولة البعض أن يرجع عن رأيه. وكان المسلمون ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف رجل، وعقد ﷺ ثلاثة ألوية: لواء بيد أسيد بن حضير، ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير، ولواء الخزرج بيد سعد بن عبادة رضي الله عنهم أجمعين.

النبي ﷺ يضع خطة المعركة:

نزل النبي الشِّعب من أُحد في عَدْوه الوادي وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، وجعل على الرماة – وكانوا خمسين رجلاً – عبد الله بن جبير، أمرهم النبي أن يحموا ظهور المسلمين من خلفهم، وقال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرفوا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تتركونا.

الغزوة تكشف المنافقين:

وفي ساعات الشدة يتميز المؤمنون بإيمانهم، وينكشف المنافقون بنفاقهم. وكشف رأس النفاق عبدالله بن أبي عن نفاقه ورجع بنحو ثلث الجيش فيمن تبعه من قومه وقال: يخالفني ويسمع من غيري.

محاولات الإصلاح:

وتبعهم الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر يوبخهم ويحرضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع. فرجع عنهم وسبَّهم. ونزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٦-١٦٧].

بداية الحرب (المحن والشدائد كاشفة الرجال):

وحرَّض ﷺ المؤمنين وحمل سيفاً وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبودجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه ﷺ يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن، فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، فقاتل أبودجانة حتى أمعن في الناس، وقاتل حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله قتالاً شديداً وأبلى بلاء حسناً، وكذلك أبلى طلحة بن عبيد الله وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع وأمعنوا في المشركين تقتيلاً، وكانت الدولة والنصر أول النهار للمسلمين فحسوهم بالسيوف وقتلوهم تقتيلاً شديداً وانهزم المشركون حتى انتهوا إلى نسائهم.

مخالفة الرماة على الجبل لأمر القائد ﷺ:

وهنا -بعد هزيمة المشركين في بداية الحرب- قال الرماة لقائدهم عبدالله بن جبير: الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله، قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما خالفوا أمر النبي وتركوا مواقعهم، انتهز الفرصة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فسارعوا بخيلهم من خلف الجبل وقتلوا بقية الرماة ودارت الدائرة على المسلمين وانشكفوا وقُتل حمزة وعدد من خيرة الصحابة رضي الله عنهم، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فدُقَّ بالحجارة حتى وقع شقه وأصيبت رباعيته وشُجَّ وجهه وكلمت شفته السفلى ﷺ.

المشركون يحاولون قتل النبي ﷺ:

وكان أكبر هدف للمشركين أن يقتلوا النبي ﷺ بعد انكشاف الجيش المسلم ولكن قلة من أبطال الصحابة أحاطوا بالنبي ﷺ وحموه، وكان منهم نسيبة بنت كعب المازنية وزوجها وولداها.

وكان منهم سبعة من شباب الأنصار قاتلوا عن النبي ﷺ حتى استشهدوا جميعاً، فقال رسول الله ﷺ: ما أنصفْنا أصحابَنا، ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وجعل أبودجانة من ظهره درعاً يتلقى النبل عن رسول الله ﷺ، وهو لا يتحرك، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: ارم فداك أبي وأمي.

وكان من أول من فاء إلى رسول الله ﷺ أبو بكر وأبو عبيدة فأخذ أبو عبيدة يخرج حلقة المغفر من جبهة النبي ﷺ بأسنانه حتى ندرت ثنيتاه.

وكان طلحة ممدداً بجنب النبي ﷺ وقد أصابه بضع عشرة ضربة وقال النبي ﷺ لأصحابه: دونكم أخاكم قد أوجب، وكان أبوبكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة.

ومر أنس بن النضر بقوم من المسلمين في نهاية المعركة وقد تركوا القتال فسألهم: يا قوم ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ. وكان المشركون قد أشاعوا ذلك فقال لهم أنس: ما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل الناس، ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، ثم استقبل المشركين وقال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين- وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء -يعني المشركين-، ثم قاتل حتى قتل فما عرفه إلا أخته ببنانه، ووجدوا به سبعين ضربة، ووجدوا يومئذ بعبد الرحمن بن عوف نحو عشرين جراحة بعضها في رجله فعرج منها حتى مات.

وصدق في هذه العصبة المجاهدة الصابرة قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦]

لا يدفع الخطر المحدق بالإسلام إلا المؤمنون الصادقون:

في غزوة أحد، وقد أحاط الخطر بالنبي ﷺ قامت هذه الثلة المؤمنة ودفعت الخطر عنه وعن الإسلام والمسلمين.

واليوم وقد داهمت بلاد المسلمين العصابات الصهيونية والأمريكية الصليبية في فلسطين والعراق والصومال وغيرها يتميز أبطال المقاومة ليدافعوا عن رسول الله والمسجد الأقصى ويقيموا الحجة على القاعدين والمتخلفين.

إن دروس القرآن الكريم في غزوة أحد تخاطبنا لنعرف كيف ندفع الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين في مواجهة أخطر حملة صليبية صهيونية، ونقف عند بعض هذه الدروس:

١. لا يأس ولا استسلام: قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩-١٤٢].

إن أبطال المقاومة الذين يقدمون الشهداء والجرحى في العراق وفلسطين والصومال هم على طريق الصابرين في أُحد والذين سيحرمون الأعداء من تحقيق أهدافهم في بلاد المسلمين بإذن الله.

٢. قتل القادة هدف للعدو، والمؤمنون يخلصون جهادهم لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]. ومهما عز استشهاد القادة فإن سيرة الجهاد لن تتوقف بإذن الله. وقد وجدنا أحمد ياسين وصلاح شحادة وعبد العزيز الرنتيسي ويحيى عياش ومحمود أبو هنود وجمال منصور وغيرهم تلهب دماؤهم الجهاد وتزيده قوة وصلابة واشتعالاً.

٣. معصية القائد ومخالفة الأمر والتعلق بالغنائم والمكاسب من أكبر أسباب الهزائم والنكبات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ واللهُ ذُو فَضْلٍ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وقد انتفع الصحابة الكرام بهذه الدروس القرآنية بعد أن تجرعوا مرارة المصيبة في أحد، وعادوا بعدها أصفياء مطهرين يصنعون انتصارات الإسلام في الخندق والحديبية وفتح مكة وحنين، ثم في اليرموك والقادسية. وكانت وصية عمر لجيش سعد: احذر على جنودك من المعاصي أشد من حذرك من الأعداء فإنما ننتصر على أعدائنا بطاعتنا لله وبمعصيتهم له، فإذا استوينا معهم بالمعصية فبماذا نطلب نصر الله عليهم؟! ولا تقولوا عدونا شرٌّ منا فقد سلط الله على اليهود كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.

والقول المأثور: "إذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني".

وكان من صفة أصحاب النبي ﷺ أنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار. وكان مع صلاح الدين في معركة حطين ما يزيد على عشرة آلاف حافظ للقرآن الكريم. ومن هنا يحارب المستعمر وأعوانه دور القرآن وحفظته.

آن للأمة أن تستفيد من دروس النصر والهزيمة وأن تعرف سنن القرآن الكريم في إنزال النصر على جنده الصادقين. ويسجل التاريخ المعاصر في معركة (٦ حزيران ١٩٦٧م) التي حسم العدو المعركة فيها بالساعات الأولى وكان هتاف الإعلام العربي: "من أجل الربيع والحياة وعشاق الحياة اضرب"! ووزعوا على الجيش المقاتل مئة ألف صورة للمطربات والراقصات.

وشاء الله أن يأخذوا الدروس سنة (١٩٧٣م) في شهر رمضان حين تحول الجندي إلى الجهاد باسم الله معلناً تعظيمه لشهر الصوم وجهاده فيه، متصلاً بجهاد النبي ﷺ فأعطاهم النصر وأيدهم بجنده.

هذه بعض الدروس من كتاب الله تعلمنا أن المعاصي ومخالفة الأمة وحكامها لأمر ربهم يحرمهم من النصر ولو كان النبي ﷺ فيهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥]. نسأل الله أن يعلمنا ويهدينا ويمن علينا بالنصر القريب، إنه سميع مجيب.

العدد (٨١) تشرين الأول ٢٠٠٨ م

"الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا": تفسير معاصر

كان من ركائز التوجيه الرباني لهذه الأمة أن تتحلى بالصدق في أقوالها وأعمالها ومنهج حياتها. وحذّرها أشد التحذير من (التزوير) بكل صوره وألوانه. وكان من أخطر ألوان هذا التزوير تزوير العلماء، وتقصيرهم في بيان أحكام الله كاملة تامة، أو تحريف الفتاوى والأحكام بما يرضي الظالمين، وإلباس هذا التحريف والتزوير الصورة الشرعية، حتى يخدعوا الناس بفتاواهم وأقوالهم!

وقد ذكر القرآن الكريم من رذائل علماء بني إسرائيل خيانتهم لعهد الله وميثاقه، وكتمانهم لأحكام الله، حرصاً على هبات الظالمين وأموالهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ . لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٧-١٨٩].

قال صاحب "الكشاف" في تفسيرها: "وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس، وألا يكتموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارهم، أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية، أو لبخل بالعلم، وغيره من أن ينسب إلى غيرهم. وعن النبي ﷺ أنه قال: من كتم علماً عن أهله؛ ألجمه الله بلجام من نار. وعن علي رضي الله عنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا؛ حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلِّموا".

ثم حكى سبحانه رذيلة أخرى من رذائل أهل الكتاب المتعددة؛ وهي أنهم يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، ويفرحون بما أتوا، وبيّن سوء عاقبتهم بقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهذه الآية شاملة لأصحاب المنابر الدينية والسياسية والأدبية والاقتصادية والإعلامية الذين يرفعون الشعارات الخادعة، وتجد في برامجهم الانتخابية أو خطبهم السياسية أو بياناتهم ما يزيّنون به صورتهم؛ حتى إذا تسلموا سدة الحكم أو فازوا بمقاعد النيابة تناسوا ما وعدوا به وحَكَمَتْهم مصالحهم وأهواؤهم.

لو يعلم مدير الشركة الذي يملأ الصحف بالإعلانات المرغِّبة بإنتاج شركته أو مصنعه ثم لا تكون هذه المنتجات موافقة للمواصفات التي أعلنها أنه مشمول بنذير هذه الآية، وأنه أحب أن يُحمد بما لم يفعل!

ولو يعلم النائب الذي أعلن برنامجه الانتخابي ثم لم يلتزم به بعد نجاحه، ولو يعلم رئيس الحكومة أو الوزير أو مدير المؤسسة الذي أعلن بيان حكومته وطلب الثقة من النواب ومن الناس على أساسها، ثم لم يلتزم بالبيان الذي أعلن واستحمد للناس أنه عازم على خدمة قضاياهم وإقامة العدل فيهم ثم بعد الحصول على الثقة شُغل بأمور أخرى وربما سعى في إصدار القوانين التي تضر بمصالح الناس، أنهم مشمولون بنذير هذه الآية!

إن القَسَم الذي يؤديه النائب أو العين أو الرئيس أو الوزير أو الأستاذ في الجامعة أو المسؤول في مؤسسة، هو عهد وميثاق وإعلان أنه ملتزم بما أقسم عليه، وقائم بمسؤوليات وزارته أو نيابته أو وظيفته، منتظر النجاح والوفاء والحمد على قيامه بأعماله خير قيام. فإذا خان الأمانة واستجاب لضغوط الظالمين، وآثر هواه ودنياه على المصلحة العامة، وما يتطلبه الدين والوطن من إقامة للعدل والمساواة

ونصرة للضعيف، فإنه مشمول بنذير هذه الآية، يصدق فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

وما أصدق هذه الآية على العلماء وأهل الفتوى الذين يطلب منهم الظالمون والمستغربون فتاوى وبيانات باسم الدين، تحل ما حرم الله، أو تسهل للظالمين طغيانهم، فيتسابقون لإصدار الفتاوى السلطانية، ويُلبسون مطالب الظالمين ثياب الشرع زوراً وخداعاً، ويظهرون أمام الناس بأنهم حماة الدين الحريصون على مصلحة الأمة وهم يهدمون ويفسدون ويزينون للناس الربا باسم الفائدة للإنتاج، أو التبرج وإظهار المفاتن باسم مجاراة العصر، والتنازل عن أرض فلسطين، أو مقاومة المحتلين باسم المصلحة!!

أو تراهم يرتقون المنابر ويدّعون أنهم حماة المنبر ودعاة الإسلام، ثم يجبنون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان هذا يكدّر مزاج الظالمين، فلا يتحدثون عن الجهاد والمقاومة، وتحريم التعاون مع العدو الذي احتل أرضنا في فلسطين وفي العراق، وأقام قواعده في بلاد المسلمين التي قال فيها النبي ﷺ: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان". (رواه ابن حجر العسقلاني)، ولا يتحدثون عن حق الأمة في ثرواتها المعدنية والبترولية، وحق الشعب والعلماء في مساءلة الحكام ومحاسبتهم إن قصّروا وأساؤوا وفرّطوا، ولا يتحدثون عن مسؤولية الأمة في الغضب لشريعة الله والعمل لإقامة أحكام الله وأن يتدبروا أحوال الأمم القوية، وأن الحكام الذين تحاسبهم شعوبهم في أمريكا وبريطانيا على جرائمهم التي ارتكبوها في بلادنا، كان

أولى بنا أن نحاسب حكامنا عما قدموه لهؤلاء المحتلين من خدمات وتسهيلات لاحتلال أرض المسلمين والتنكيل بالمسلمين قتلاً وتشريداً وإبادة.

فالحاكم مسؤول عن حماية الدين والأمة والوطن، والعلماء ورثة الأنبياء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فإذا لم يقم هؤلاء وهؤلاء بوظيفتهم وأمانتهم كانوا مشمولين بنذير هذه الآية، وبالقول المأثور: صنفان إن صلحا صلح الناس، وإن فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء.

وقفة تحليلية لبعض معاني الآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾:

١- إن الله تعالى يذكر لنا من قصص أهل الكتاب لنتعظ ونعتبر، وحتى لا نقع فيما وقعوا به من أخطاء وتقصير؛ فيصيبنا ما أصابهم من بلاء وهلاك.

٢- والميثاق هو العهد الموثق المؤكد. وقد أخذ سبحانه العهد على الذين أوتوا الكتاب بأمرين: أولهما: بيان ما في الكتاب من أحكام وأخبار. وثانيهما: عدم كتمان شيء مما في هذا الكتاب.

٣- والضمير في قوله ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ يعود إلى الكتاب المشتمل على الأحكام والشرائع والأخبار والبشارات الخاصة بمبعث النبي ﷺ.

٤- وقوله ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ عطف على ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾، ولم يؤكد بالنون لكونه منفيّاً. وجمع سبحانه بين أمرهم المؤكد بالبيان وبين نهيهم عن الكتمان؛ مبالغة في إيجاب ما أمروا به حتى لا يقصّروا في إظهار ما في الكتاب من أحكام، وحتى لا يلجأوا إلى كتمان هذه الأحكام والشرائع والبشارات أو تحريفها.

٥- ولكن أهل الكتاب ولا سيما العلماء منهم نقضوا عهودهم مع الله تعالى. وقد ذكر الله ذلك بقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

والنبذ: الطرح والترك والإهمال، والتعبير عنهم بقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن استهانتهم بالمنبوذ، وإعراضهم عنه بالكلية، وإهمالهم له إهمالاً تامّاً؛ لأن من شأن المنبوذ أن يُهمل ويُترك، كما أن من شأن الكتاب الذي هو محل اهتمام أن يُحرس ويُجعل نصب العين.

والضمير في قوله ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ يعود على الميثاق، ويصح أن يعود على الكتاب. والمراد بـ(الثمن القليل) ما أخذوه من أموال ومتاع دنيوي، ورتب ورواتب وامتيازات، مقابل مجاراتهم للظالمين، وإصدار الفتاوى التي تخدم باطلهم أو لا تكدر خواطرهم؛ ليبقى الشعب خاضعاً خانعاً للمستبدين الذين يعيثون في الأرض فساداً، وفي مال الأمة نهباً وسرقة، وإرضاءً للشهوات والأهواء الباطلة.

وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصِّصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصّل في مقابل نبذهم لكتاب الله وعهوده؛ إذ لا يكون هذا الثمن المحصل إلا قليلاً، وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضى الله تعالى. وقوله: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾؛ أي: بئس شيئاً يشترون ذلك الثمن.

وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهْبَة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك... فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير

للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ولا يكتموا منه شيئاً".

٦- ثم حكى سبحانه رذيلة أخرى من رذائل أهل الكتاب المتعددة؛ وهي أنهم يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، ويفرحون بما أتوا، وبيّن سوء عاقبتهم بسبب تلك الأخلاق القبيحة فقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٧- والخطاب في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، موجَّه إلى النبي ﷺ، أو لكل من يصلح له الخطاب.

والنهي موجه إلى حسبان أن يكون في هؤلاء الأشرار خير؛ أي إن الله تعالى ينهى نبيه ﷺ نهياً مؤكداً عن أن يظن خيراً في هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا من خداع وتضليل ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

والمفازة: مصدر ميمي بمعنى الفوز؛ أي: لا تحسبن هؤلاء الأشرار ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي بمنجاة منه، بل لهم عذاب مؤلم أشد الإيلام بسبب ما اجترحوه من سيئات، وقد أكد سبحانه عدم نجاتهم بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فنفى أولاً أنهم بمنجاة منه، وأخبر ثانياً أنهم واقعون فيه.

٨- هذا وقد ذكر كثير من العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأن أحبار اليهود؛ فقد روى الشيخان والترمذي والنسائي أن مروان قال لبوابه رافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل؛ لنعذبنَّ جميعاً. فقال ابن عباس: ما لكم وهذه، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه

وأخبروه بغيره، ثم خرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

٩- وذكر بعض العلماء أن هذه الآية نزلت في شأن المنافقين، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو وتخلَّفوا عنه، فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾.

١٠- قال العلماء: ولا منافاة بين الروايتين؛ لأن الآية عامة في جميع ما ذكر، وهي توجيه رباني للأمة التي اختارها الله لحفظ رسالته وتبليغ دينه وإقامة شرعه؛ أن يتحلى أبناؤها بالصدق، وأن يتطهروا من التزوير والتضليل، وشراء ثقة الناس بالدعاوى الفارغة والأساليب الخادعة؛ فالصدق صفة العالم والسياسي والحاكم والنائب ورجل الاقتصاد ورجال الأعمال. والذين يحمدوا بما لم يفعلوا هم الذين يقودون أمتهم وأنفسهم للهلاك في الدنيا والآخرة.. نسأله تعالى أن يطهِّر قلوبنا، ويزكِّي أعمالنا، ويخلص سرائرنا، إنه سميع مجيب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجامعات الأجنبية وخطرها على هوية الأمة

بعد احتلال المستعمر للبلاد العربية عسكريّاً بدأ تنفيذ خطة لتدمير ثقافة الأمة ولغتها العربية وهويتها الإسلامية؛ حتى يتمكن من قتل الشعور بالكرامة والانتماء والمقاومة، وبدأ تأسيس الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت، وكان اسمها الأول المنحوت على سورها القديم: الجامعة الإنجيلية.

وكان المخطَّط للمستعمر المحتل أن يغري أبناء الأغنياء والمتنفذين والمرشحين لحكم البلاد بالدراسة في الجامعات الغربية خارج الوطن العربي، أو الجامعات الأمريكية والغربية داخل الوطن العربي؛ لتكون الطبقة الحاكمة من هؤلاء الذين تربوا على عين الغرب، وتشرّبوا مفاهيمه وثقافته، وانفصلوا عن لغتهم العربية وهويتهم الحضارية، وأعجبوا بالغرب؛ ليكونوا وكلاء المستعمر في حكم بلاد المسلمين، يحملون الأسماء العربية، ويؤمنون بالثقافة الغربية، ويسعون في الأرض لإهلاك الحرث والنسل؛ لتغريب الجيل، وحماية مصالح المستعمر وخداع الأمة، بأسماء عربية، وجامعات تحمل موافقة أعلى سلطة تربوية حكومية على إنشائها.

وقد أقر المجلس الأعلى للتعليم العالي في الأردن إنشاء جامعات أجنبية، وأعفاها من الشروط المطلوبة من الجامعات الأردنية الخاصة، وأعطت الترخيص للجامعة الألمانية، وجامعة نيويورك الأمريكية. وكذلك أقرّ المجلس الأعلى للجامعات وهو أعلى سلطة للتعليم في مصر إجراءات إنشاء ثلاث جامعات أجنبية جديدة في مصر، وهي الجامعة البريطانية، والجامعة الرومانية، وجامعة الأهرام الكندية، بالإضافة إلى الجامعات الفرنسية والأمريكية وغيرها، وهنا يحسن التنبيه إلى ما يلي:

١. بعد انتصار صلاح الدين في حطين تنبه الغرب إلى أن الصحوة الإسلامية والمدارس القرآنية كانت من أعظم أسباب النصر واستعادة الأمة روح النهضة والمقاومة والجهاد. وقد عقد مؤتمر في جامعة تل أبيب قبل سنوات عن معركة حطين، ووصل إلى نتيجة مؤداها أن الصحوة الإسلامية ووحدة مصر وبلاد الشام التي حققها نور الدين وصلاح الدين كانت وراء هذا النصر العظيم؛ ذلك أن نور الدين وصلاح الدين قد بنيا من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون.

وقد كان بناء منبر الأقصى في حلب الذي هيأه نور الدين قبل عشرين عاماً من فتح القدس، إشارة لدور المنبر في الإعداد للنصر، وكذلك في مواجهة الحملة التترية التي أهلكت الحرث والنسل، وأغرقت عاصمة الخلافة بغداد بالدماء، كما صبغت النهر بمداد الكتب التي سطرها العلماء، وقف العلماء الذين أحيوا المدن والقرى بعلمهم وتدريسهم في مواجهة هذه الحملة والمحافظة على الهوية، وأحصى العلماء أكثر من مئة عالم في الديار الأردنية يقومون برسالتهم بالهداية والتوجيه.

٢. إن الأحقاد الغربية الصليبية على الإسلام والمسلمين، يعملون على إخفائها باسم العلم، وهم يسعون لهدم هويتنا ولغتنا وحضارتنا.

نشرت جريدة الرأي الأردنية في عددها الصادر في (١٧/ ٦/ ٢٠٠٧م) خبراً بعنوان: "ملكة بريطانيا تمنح سلمان رشدي لقب (سير)"، وتقدير ملكة بريطانيا لكاتب ألّف رواية اعتدى فيها على أعظم رموز هذه الأمة محمد رسول الله ﷺ، يكشف لنا مكر الغرب وحرصه على تكريم الفاسدين المفسدين الذين يهدمون أصول حضارتنا وهويتنا، وكذلك نجد خطتهم في جوائز نوبل وغيرها.

٣. وأجد من المناسب هنا أن أنقل ما نشرته مجلة (الفرقان) المصرية عن خطر الجامعات الأجنبية على هوية الأمة؛ لتكون صرخة النذير والإعذار إلى الله تعالى، والله المستعان.

أقر المجلس الأعلى للجامعات، وهو أعلى سلطة للتعليم العالي في مصر إجراءات إنشاء ثلاث جامعات أجنبية جديدة في مصر، وهي الجامعة البريطانية، والجامعة الرومانية، وجامعة الأهرام الكندية؛ لتنضم إلى سلسلة الجامعات الأجنبية التي تمارس نشاطها في مصر منذ بداية العشرينات من القرن الماضي؛ حيث أنشئت الجامعة الأمريكية، وما تلا ذلك من إنشاء فرع للجامعة الأمريكية في بيروت. وكذلك تم إنشاء فروع للجامعة الفرنسية في ضاحية (٦) أكتوبر، والجامعة الألمانية في التجمع الخامس بمدينة (نصر) أحد أهم ضواحي القاهرة.

وليست مصر هي الدولة الوحيدة التي تنتشر فيها الجامعات الأجنبية، بل دخلت الأردن وتونس والمغرب والجزائر؛ حيث توجد جامعات بريطانية وفرنسية تمارس دورها التعليمي وغيره منذ سنوات عديدة.

وقد أسهم الانتشار غير المحدود لهذا الجامعات في السنوات الأخيرة في إلقاء حجر في البركة الآسنة، فمنذ عقد واحد فقط كانت الجامعات الأمريكية في كلٍّ من القاهرة وبيروت هي الوحيدة، إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أدخلت الميدان أكثر من خمس جامعات من المغرب وانتهاءً بلبنان، مع احتمال إنشاء فرع جديد في دمشق للجامعة الأمريكية؛ حيث تعتزم سوريا الدخول في مفاوضات مع إدارة الجامعة الأمريكية بواشنطن لافتتاح هذا الفرع في إطار السعي لفتح النوافذ مع واشنطن؛ لتخفيف الضغوط الأمريكية المتصاعدة عليها.

كما ترددت أنباء عن وجود مفاوضات لإنشاء جامعات غربية في منطقة الخليج العربي في الكويت وقطر والبحرين وغيرها من دول المنطقة، في إطار السماح

بإحداث طفرة في التعليم الجامعي الذي توجه إليه انتقادات لاذعة في عالمنا العربي، وتتهمه بالجمود وعدم مواكبة النهضة العلمية والتكنولوجية التي تؤدي فيها الجامعات الغربية دوراً مهمّاً.

مخاطر:

وقد خرجت تحذيرات متكررة من نخبة من التربويين والمثقفين من مخاطر هذا الكم من الجامعات على الهوية العربية والإسلامية، خصوصاً أن انتشار هذه الجامعات يتواكب مع حملة سرية لأمركة المنطقة، وإخضاع نظمها السياسية والاقتصادية والتعليمية للنهج الأمريكي، وتنامي تيار يميني محافظ يسعى إلى صهر المنطقة العربية في منظومة القيم الأمريكية.

وليس خافياً على أحد أن إنشاء هذا الكم من الجامعات يكرس حرص الغرب على نشر حضارته في بلادنا، وإزالة الحواجز التي تقف حجر عثرة دون الهيمنة التامة على مقدراتنا؛ حيث عملت هذه الجامعات منذ سنوات على خلق نخبة سياسية وثقافية مرتبطة بالغرب ومصالحه، ومؤمنة بتفوقه الحضاري، ومنفصلة تماماً عن محيطها وثقافتها الإسلامية؛ حيث اهتمت هذه الجامعات بزرع الثقافة والمعارف المدنية العصرية على حساب الثقافة الإسلامية؛ مما أضعف من وضعية هذه الثقافة ودورها في تسيير شؤون الأمة.

استقلالية:

وما يزيد من خطورة هذه الجامعات أنها تتمتع باستقلالية شبه تامة فيما يخص نظمها الداخلية ومناهجها وتعيين هيئات تدريسها، ولا يسمح لوزارات التعليم في الدول الموجودة بها إلا بإشراف شكلي على أنظمتها. ولا يغيب عن المراقبين أن الجامعة الأمريكية في مصر ولبنان تقوم بتدريس مؤلفات تسيء إلى الدين

الإسلامي وإلى نبينا محمد ﷺ وتتهمه بالديكتاتورية والشهوانية من خلال مقرر مقارنة الأديان!

وقد أشعلت هذه المقررات غضب الأوساط الإسلامية في كلا البلدين ونالت إنذارات مباشرة من الحكومة المصرية مشكورة ومن وزارة التعليم في لبنان، لكن الجامعة ضربت بتوسلات وزارة التعليم بإلغاء تدريس هذا الكتاب عرض الحائط، واستمر تدريس هذا الكتاب الذي يسيء لعقيدة الأمة الإسلامية التي تمارس الجامعة نشاطها على أرضها.

استفزاز:

وتشتمل مقررات الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت على مؤلفات تعترف بالتقدم الحضاري للغرب على العالم الإسلامي، وتعترف بفلسطين الكاملة كأرض ميعاد لليهود، وتكرس القيم المسيحية، وقد أسهم استفزاز الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمشاعر الرأي العام؛ حيث رفضت طلباً تقدم به مئات الطلاب لإنشاء مسجد بالجامعة بحجة أن قوانينها ونظمها الداخلية تمنع ممارسة عبادات لأي ديانة داخل أسوارها؛ مما أشعل غضب الرأي العام ضدها، وجعل النائب علي لبن - عضو مجلس الشعب المصري- يقدم طلب إحاطة للبرلمان المصري يندد بعرض الجامعة الأمريكية لمسرحية تمجد الرذيلة والشذوذ، وتدعو إلى نشر القيم الإباحية في المجتمع؛ حيث دعت المسرحية صراحة إلى إباحة السحاق بين النساء، وعدم فرض قيود على ذلك.

كما توزع الجامعة منشورات على طلابها تدعو إلى ضرورة تعميم القيم الديمقراطية الأمريكية في المجتمع المصري، وهو ما نظر إليه الكثيرون على أنه مسعى لتدمير الثقافة الإسلامية وترويج قيم الانحلال الأخلاقي، وهو ما يعد

متعارضاً مع القانون الذي تم بموجبه إنشاء الجامعة من ضرورة احترامها لقيم الدولة التي وافقت على التدريس فيها وتقاليدها وعقائدها.

الشيء نفسه الذي حدث من فروع الجامعة الفرنسية في المغرب العربي؛ حيث نظمت ندوات مختلفة لإقرار مشروع (السيداو) الذي أقرته الجهات الدولية، ويبيح للمرأة ممارسة الإجهاض بمنتهى الحرية، وكذلك حرية الشذوذ والممارسات الجنسية بدون قيود، ودعت الجامعة إلى ضرورة تطوير قوانين الأحوال الشخصية والأسرة في المغرب العربي لتواكب مواثيق الأمم المتحدة الذي ترعاه الجهات الصهيونية، والشيء نفسه تمارسه الجامعة الأمريكية في لبنان من الدعوة لأمركة القيم الوطنية.

ضغوط:

وما زاد الأمر خطورة أن هناك تقارير صدرت عن مركز (راند) الأمريكي للدراسات الاستراتيجية تطالب بضرورة ممارسة ضغوط على الدول العربية والإسلامية -والخليجية منها على وجه الخصوص- للسماح بإعطاء تراخيص للجامعات الأمريكية والأوروبية؛ بهدف تغيير الوجه الحضاري للمنطقة التي تغذي العنف والإرهاب والتطرف.

وضرورة عولمة التعليم سواء في مراحله الأولى، أو في المرحلة الجامعية ليسهل لنا تغيير المنظومة القيمية لشعوب المنطقة، وإبعادها عن الهوية العربية والإسلامية التي تقف دون نجاح الغرب في الاختراق الكامل، لفرض ما يطلق عليه مشروع (الشرق الأوسط الكبير) سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً، الذي يمكن أن يغير وجه المنطقة على نحو يرضي الغرب، ويمنع تحول المنطقة إلى بؤرة لتفريخ (الإرهابيين)، نتيجة المناهج الجامدة والعنيفة التي أسهمت عبر عقود في إخراج كوادر للحركات (الإرهابية) كما يزعمون.

أنشطة تجسس:

الدكتور أحمد عبد الرحمن -المفكر الإسلامي المعروف- يرى أن الجامعات الأجنبية في بلاد العالم الإسلامي ما هي إلا مؤسسات تابعة لأجهزة المخابرات الغربية -وخصوصاً الأمريكية- التي لا تريد فرض سيطرتها العسكرية فقط، ولكنها تريد تغيير منظومة تفكير شعوب هذه المنطقة، وأسلوب تعليمها لاسيما التعليم الديني، ودفعها إلى قبول نماذج التفكير الغربي قبولاً عامّاً بكل آثاره وأفكاره وتداعياته.

ويضيف الدكتور عبد الرحمن أن هذه الجامعات نجحت في اختراق دولنا الإسلامية أمنيّاً وسياسيّاً؛ فالنخب الحاكمة في كلٍّ من مصر والأردن ولبنان ودول المغرب العربي، تخرجت من رحم هذه الجامعات التي تكرس مبادئ العلمانية والتغريب.. وأمنيّاً باستغلال هذه الجامعات في عمل بحوث واستفتاءات علمية المظهر ولكن هدفها أمني؛ لمعرفة أدق التفاصيل في شؤون دول المنطقة وشعوبها، مشيراً إلى أن هذه المؤسسات تواصل جهودها لمحو هوية الأمة تماماً، ومحو الثقافة الوطنية والدينية، وفرض النموذج الغربي على حياتنا، وتستغل واشنطن وغيرها هذه المؤسسات لتمجيد منظومة القيم الغربية، ورغم أنها نظم بعيدة عن الفطرة السليمة إلا أنها نجحت في فرضها على الكوادر العديدة الذين وصلوا إلى أعلى المناصب في عالمنا الإسلامي بعد أن انفصلوا تماماً عن هويتهم العربية والإسلامية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إبادة العرب والمسلمين
في عقيدة الجندي الأمريكي القتالية

في كتابه الخارج حديثاً من دار النشر البريطانية الحرة (٢٠٠٦) يستعرض المؤلف الأردني الأصل وأستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة فرجينيا التقنية الدكتور (ستيفن سلايطة) فيما نقله عنه الأستاذ حسني عايش في جريدة الرأي (١٠/ ٧/ ٢٠٠٧) أنواع التعبئة الصليبية والصهيونية الحاقدة التي يتعرض لها الجنود الأمريكان لإبادة العرب والمسلمين في العراق وفي فلسطين وقمعهم دون رحمة أو تقيد بخلق أو قانون بما نلخصه بالنقاط التالية:

١. من أخطر عقائد هذه التعبئة وصف الفلسطينيين والعراقيين بـ(العوائق البليدة) أمام تنفيذ خطة الله لعودة المسيح بمقاومتهم لـ(إسرائيل). ومن ذلكَ -مثلاً- أن الجنود الأمريكيين الذين يحاربون في العراق يقرأون بينهم سلسلة كتب (أ - ي - و - ج) تمجد المسيحية الصهيونية التي تصف الفلسطينيين والعراقيين بـ(العوائق البليدة) أمام عودة المسيح كما يزعمون.

٢. وإن الروايات الأمريكية العلمانية لا تقل إساءة للعرب عن الروايات ذات الطابع الديني، فالعرب في نظرهم متوحشون بحاجة إلى تدجين وحكومات قوية لتأديبهم!

٣. التطهير العرقي للعرب والمسلمين هو الهدف الذي تسعى إليه الروايات الدينية في أمريكا وتعد هذا التطهير أعلى مراحل التقوى. وقد تحولت العنصرية الأمريكية الصهيونية إلى أيدولوجية عنصرية تجعل اضطهادهم عادلاً.

٤. يعتبر كتاب "العقل العربي" لمؤلفه اليهودي (رفائيل باطاي) أشبه بالتوراة عند الجيش الأمريكي؛ فهو مصدرهم الرئيسي للتعلم عن عقلية العرب وسلوكهم واعتبارهم أغبياء وبرابرة متوحشين، وأنهم كسالى يستبد بهم الجنس، وأعداء للبشرية.

٥. وينقل الكاتب (ويبتكاي) في مقال نشره في جريدة (الغارديان) البريطانية في (٢٤/ ٥/ ٢٠٠٦) أن كتاب "العقل العربي" الذي يعتبر العرب أغبياء وبرابرة ومتوحشين، ويعبئ الجنود الأمريكان لإبادتهم، ينقل عن ضابط يعلم في كلية عسكرية أمريكية، أن هذا الكتاب هو أحد الكتب الأكثر شعبية عن العرب في الجيش الأمريكي، وأنه مقرر للضباط في كلية (جون كيندي) الحربية في (فورت براغ)، وأعيد نشره وتجديده سنة (٢٠٠٢) عند قرع طبول الحرب ضد العراق.

٦. إن تدريس هذا الكتاب في الكليات العسكرية الأمريكية يقضي على أي وهم باحتمال تعامل أمريكا مع العرب كبشر في سياستها الخارجية، وإن الصورة المهينة للعرب في المجتمع الأمريكي نراها في هذا الكتاب، والمجتمع الأمريكي الذي أنتج الجنود الذين يحرسون سجن (أبوغريب) و(جوانتنامو)، والذين يقومون بجرائمهم التي تشكل حرب إبادة جسدية ومعنوية لشعب العراق.

إن الولايات المتحدة التي احتلت العراق بالكذب والتلفيق والتآمر؛ فأبادت وقتلت أكثر من مليون من أبنائه، وهجَّرت ثلاثة ملايين من شعبه، وأفقرت نصف أسره إلى مستوى الفاقة والعيش الهزيل.

وإن أمريكا التي تدعم (إسرائيل) بالجند والسلاح والمال لاحتلال وتهويد بقية فلسطين، وتصفيتها وإبادة شعبها وتهويد القدس وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه للتعجيل بعودة المسيح كما يزعمون.

وفي لبنان تسعى لإشعال نار حرب أهلية وإبادة المقاومة. وفي سوريا تحشد للعدوان عليها وتمزيقها.

إن العقيدة الأمريكية الصليبية المتصهينة التي يدرسها جنودهم وقادتهم في كلياتهم العسكرية وكتبهم الإعلامية ورواياتهم الأدبية في سبيل احتلالهم للوطن العربي ونهب بتروله وخيراته وتمزيق شعبه.

إن ذلك يدعونا للسؤال: كيف واجه قادة العرب ورجال التربية والإعلام والفكر فيهم هذه الحرب وهذه الهجمة الصليبية الصهيونية الماحقة؟! نقول والأسى يمزق قلوبنا: إننا بدل أن نحشد للمقاومة والجهاد للدفاع عن العقيدة والوطن والهوية والأمة أخذنا نخضع للإملاءات الأمريكية بقتل روح الجهاد والمقاومة وتسميته إرهاباً وتطرفاً، وقتل روح المقاومة والدفاع عن الأوطان، وأخذنا نحذف من مناهجنا وكتبنا الدراسية كل ما يتعلق بالمقاومة والجهاد، والتذكير بعدوان اليهود واحتلالهم لفلسطين.

وأخذت الجامعات الأجنبية تنتشر بسرعة مذهلة في البلاد العربية والإسلامية، ومن أهدافها هدم هوية الأمة ولغتها وإشغال أبنائها بأهداف الحياة اللاهية، وهذا ما يدعونا للتذكير بمسؤولية الحاكم ومسؤولية الأمة لحماية الدين والعقيدة والوطن. فمن أعظم مسؤوليات الحاكم في الإسلام حماية دين الأمة والدفاع عن الوطن وسياسة الدنيا بالشرع. ومن أعظم مسؤوليات الأمة أن تراقب الحاكم في القيام بمسؤوليته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل تكاليف هذه المسؤولية.

وللعلماء في بيان هذه المسؤوليات كلمات جامعات:

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: للولاية ركنان: القوة والأمانة. (انظر كتاب "السياسة الشرعية" ص١٤ وما بعدها). ومن شروط الخليفة في الإسلام أن

يكون قادراً على حماية البَيْضَة. وأصل البيضة لامة الحرب التي تُلبس على الرأس لتقيه ضرب السيف مثل المغفر، ثم أطلقت على العزة مجازاً مرسلاً؛ لأنها سبب العزة في الحرب للابسها أن يكون آمناً من إتلاف نفسه، ثم أطلقت على الأمر الذي تجتمع عليه الأمة وبه قوامها وبقاؤها.

وهي ما يعبِّر عنه علماء الاجتماع بهوية الأمة ووجودها الحضاري الشامل لمقومات وجودها الثقافي عقيدة ولغة وتراثاً وتاريخاً وأرضاً.

وهذا ما يبين مسؤولية الحاكم في إقامة أحكام الإسلام ورعاية قيمه وأخلاقه في مواجهة التغريب والفساد وإعداد الأمة للجهاد، وكذلك المحافظة على اللغة العربية في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام في مواجهة اللغات الأجنبية.

وكذلك المحافظة على روح الجيل وثقافته العربية الإسلامية في المؤسسات التعليمية ليعتز بتاريخ أمته وتراثها ويشعر بكرامة الانتماء إليها بدل أن يتحول ولاؤه وانتماؤه وإعجابه بثقافة الغرب، وكذلك المحافظة على روح الجماعة في تآلفها وتكافلها، وتعاونها وتناصرها، ومحاربة أسباب الفرقة العصبية والإقليمية والطائفية والمذهبية.

إن الحاكم الذي يرفع راية الدفاع عن الأمة والوطن لا بد أن يعمق روح الأخوة والوحدة بين أبناء الأمة برعاية النظام التربوي الإسلامي وإقامة منهجه في الأسرة والمدرسة والمؤسسات التوجيهية.

وقد حذرنا القرآن الكريم من أسباب هلاك الأمة حين تفسد السلطة الحاكمة صاحبة القرار وتخرج عن هداية الله، وحين يفسد الشعب المحكوم فتموت شجاعته وحميته ويضعف فيه صوت الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتبلد مشاعره وغضبه، فلا يحركه طوفان الباطل، ولا الدماء التي تجري، ولا جرائم العدو الذي يقتل أهلنا في العراق وفلسطين والصومال ولبنان، ويصبح همه

أن يعيش يومه ومتعته، وهو لا يدري أن عدوه ماضٍ في مخططه الصليبي الصهيوني وأن أرض الإسلام جميعها مستباحة ومعرضة للخطر.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥].

والعذاب من فوقكم: أي من جهة حكامكم الذين لا يحكمون بشرع الله، والعذاب من تحت أرجلكم: عذاب من جهة الأمة المحكومة بالقوة المستبدة، ومن هذا العذاب: أن تفقد الأمة الرابطة التي تجمعها وينفرط عقد الأخوة الذي يوحدها، وتتحول إلى شيع يستحل بعضها دماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض، وهذا ما يدعونا إلى تذكير الحكام والعلماء والمؤسسات التربوية والتوجيهية بالمحافظة على هوية الأمة الجامعة لها الموحدة لصفوفها، والمحاربة لكل أسباب الفرقة العصبية والإقليمية والطائفية والمذهبية.

ما الذي يجري في العراق وفلسطين والصومال ولبنان وأفغانستان؟! أين الأمة التي تغضب وتحوّل الغضب إلى فعل وإدانة وعمل للإنقاذ قبل فوات الأوان؟!

تحذير نبوي وتوجيه للأمة:

بيّن لنا النبي الكريم ﷺ أن أعداء الأمة الإسلامية لا يتمكنون من تحقيق أهدافهم باحتلال الأوطان وإهلاك الناس إلا إذا حوّلونا إلى شيع وأحزاب يستحل بعضنا دماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض. وإن سياسة التفريق والتقطيع والتمزيق التي بدأت بمعاهدة (سايكس بيكو) وظهرت من جديد بسياسة (بوش) في العراق وتمزيقه ولبنان وأفغانستان، هي التي حذرنا منها المصطفى ﷺ بقوله:

"... وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بِسَنَةٍ عامة، وألا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيحَ بيضتَهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَةٍ عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، أو قال مَنْ بَين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً" (رواه مسلم وغيره).

ونستخلص من هذا الحديث الشريف ما يلي:

١-إن أخطر ما يهدّد الأمة الإسلامية بالهلاك ألا توحد صفها في مواجهة أعدائها، وأن سلاح العدو الأخطر هو فرقتنا وصراعنا فيما بيننا.

٢-والتاريخ القديم والحديث شاهد، فما كان لأمريكا أن تهزم طالبان في أفغانستان إلا في ظل الصراع بين إيران وطالبان وباكستان، وما كان لأمريكا أن تحتل العراق إلا في ظل الصراع بين إيران والعراق، ثم بين العراق والكويت.

٣-وما كان لأمريكا أن تحتل العراق، وتقيم المجازر البشعة وتنكّل به إلا في ظل القواعد الأمريكية المنتشرة في بعض أراضي العرب والمسلمين.

٤-وما كان للإسبان أن يقضوا على المسلمين في الأندلس إلا بسبب الفرقة والحروب الأهلية بين حكام المسلمين.

٥-ومن عجب أن يُعبّأ الجند الأمريكي بالحقد على الإسلام والعرب في مدارسه وجامعاته وتوجيهه، ثم تقدم له في بلاد العرب والمسلمين الحماية والمال والخدمات، وأن يجري البترول العربي إلى مصانعه وقواعده وطائراته ودباباته ليقتلنا بها.

أين وعي العلماء؟! أين وعي الفقهاء؟! أين وعي رجال الإعلام؟! أين وعي القادة والساسة الذين سيسألهم الله عن الأمانة التي حملوها؟! وقد قال رب

العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧].

يعترفون بأنهم يقتلوننا من أجل النفط:

اعترف وزير الدفاع الأسترالي (برنيدان نيلسون) بأن تأمين النفط يمثل عاملاً أساسيّاً لغزو العراق، والوجود العسكري الأسترالي في هذا البلد. وأضاف نيلسون "أن الحفاظ على أمن المصادر النفطية في الشرق الأوسط يمثل أولوية للحكومة في (كانبيرا)، كما أن كيفية استمرار الإمدادات النفطية أثرت على تخطيطنا الاستراتيجي".

وهنا يحسن أن نبين أن الدراسات النفطية العالمية أكدت بأن معظم مصادر الطاقة العالمية ستنضب في العقدين القادمين، وستظل منطقة الخليج التي يوجد فيها ثلثا احتياطات النفط في العالم هي المنطقة الوحيدة في العالم كمصدر للطاقة، ولذلك من يضع يده على صنبور النفط فيها يتحكم في العالم وأمنه واقتصاده.

النفط كان السبب الرئيسي لغزو العراق، والنفط سيكون السبب الرئيسي لأي عدوان أمريكي جديد على إيران وسوريا ولبنان؛ لفرض هيمنتها على منابع النفط وطرقه. (القدس العربي/ عبد الباري عطوان ٧، ٨ تموز ٢٠٠٧).

فهل يستيقظ العرب حكاماً وشعوباً للدفاع عن الإسلام والوطن وخيراته، وعن الأمة ووجودها؟!

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اللغة العربية وهوية الأمة

اختار الله اللغةَ العربية لغة الكتاب العزيز، واختار العرب ليحملوا هذه الرسالة للناس كافة، ولتحملها معهم أمة الإسلام من شعوب الأرض. وشاء الله تعالى أن ينزل هذه الرسالة على سيد ولد آدم، وخير العرب بيتاً، وأفصحهم لساناً، وأبلغهم بياناً، وأكرم الناس خلقاً وهدياً؛ فأنشأ بهذه الرسالة أمة، وبنى حضارة، وانصهرت الشعوب المسلمة وتوحدت في ظلال القرآن الكريم، وأعطى العلماء المسلمون -على اختلاف أجناسهم وتباعد ديارهم- ثمرات عقولهم في خدمة لغة القرآن الكريم وحديث النبي -عليه أفضل الصلاة والتسليم-.

فكانت الأمة العربية والإسلامية قائمة بعقيدتها، ولغتها، وثقافتها، وتاريخها، وما سجلته أقلام علمائها في علوم التفسير والحديث والفقه والتاريخ والآداب وغيرها من العلوم، باللغة العربية، شاهدة على وجود الأمة وعمق انتمائها الحضاري والتاريخي.

ومع الهجمة الصليبية الغربية العسكرية على بلاد المسلمين في مطلع القرن الماضي، صاحبتها حملة ثقافية ماكرة كان هدفها الأول هدم عناصر مكونات الأمة ديناً، ولغة، وتاريخاً، وحضارة، وثقافة، ووجدوا أن حجب أبناء العرب والمسلمين عن اللغة العربية الفصحى كفيل بحجبهم عن القرآن الكريم والحديث الشريف وبقية مكونات الأمة تاريخاً وثقافة وحضارة.

وفي ظل هذا الهدف الاستعماري لتدمير وجود الأمة العربية والإسلامية نقرأ الأحداث التالية:

١- ذكر رئيس وزراء تونس الأسبق الذي أقاله (بورقيبة) وفأجأه بإقالته أنه لما التقى بـ(بورقيبة) ذكر له سبب إقالته وهي: "ياسي محمد عرّبتْ ياسر (يعني: كثيراً) التعليم! قلت لك لا تعرّب".

ومعنى العبارة: عرّبت كثيراً وشجعت وعريت التعريب في التعليم وقلت لك لا تعرّب. فيا للعجب أن يُعزل رئيس الوزراء لأنه سعى في تعليم اللغة العربية وحفظها!! وفي هذا السياق يعتذر رئيس الجمهورية للوزير الأول (رئيس وزرائه) أنه مجبر على عزله لأنه أدرج اللغة الفرنسية في السنة الرابعة الابتدائية عوضاً عن الثالثة. وبعد عزله مباشرة صدر قرار بتدريس الفرنسية من السنة الثالثة حتى تنافس اللغة العربية الأم في عقول الطلاب، وتساعد في حجبهم عن اللغة العربية وتغريب الجيل.

وفي هذا السياق تذكر بأن خلوة البحر سميت قبل سنتين قررت تعليم الإنجليزية في مدارس الأردن من الأول الابتدائي وهذا ما رفضه علماء التربية وعدُّوه إصغاناً للغة العربية. (انظر مجلة "وجهات نظر" عدد شهر ٨/ ٢٠٠٧ وكلمة محمد المزالي).

٢- و(بورقيبة) الذي يحمي التغريب في تونس لغة، ويعزل رئيس وزرائه لأنه شجّع التعريب هو الذي حارب الثقافة الإسلامية وأحكام الشرع في إباحة الإفطار في رمضان، وإباحة الخليلات وتحريم التعدد الحلال، وتحريم حجاب المرأة، إلى غير ذلك.

٣- وسبقه إلى ذلك (أتاتورك) الذي ألغى الخلافة العثمانية وحرّم اللغة العربية، دراسة، وكتابة، وحرفاً، وحظي بدعم الغرب وتأييده.

٤- وتبعه في البلاد العربية والإسلامية حكام، وأدباء، حاربوا اللغة العربية في المناهج والتدريس، وآثروا اللغة الأجنبية وجعلوها لغة التدريس في الجامعات،

وأنقصوا حصص اللغة العربية في المراحل الابتدائية والثانوية، وتخرج في ظل هذه المناهج والسياسة، من يحملون الشهادات الثانوية، والجامعية، ولا تستقيم ألسنتهم بالقراءة ولا الفهم ولا البيان والحديث، وبات الخطر الذي ينخر في جذور الأمة لغة، وثقافة، وهوية، وحضارة، ماثلاً مشاهداً.

٥- وهذا ما يذكرنا بأقوال من رسموا سياسة التربية والتعليم في مصر، وبقية البلاد العربية في مطلع القرن الماضي ومن سلك طريقهم في مرحلتنا المعاصرة، ومن هذه الأقوال:

أ- في عام ١٨٩٢ ألقى (ويلكوكس) خطاباً في نادي الأزبكية بالقاهرة عزا فيه سبب تخلف المصريين عن التقدم في ميدان المخترعات الحديثة إلى اللغة العربية الفصحى.

ب- وتبنى (سلامة موسى) من مصر آراء (ويلكوكس) في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية"، ودعا فيه إلى العامية.

٦- وانصاع حكام أكثر البلاد العربية لسياسة الغرب الصليبي حتى ينشأ جيل لا يفقه لغته، ولا ينتمي لأمته وحضارته.

وهذا ما نراه ونسمعه حين يتحدث قادة ورجال سياسة، ورجال قانون ورجال فكر وأساتذة في الجامعات، وأطباء ومهندسون وغيرهم، برطانة غربية، وركاكة في التعبير، مما يجعل أمثال هؤلاء فاقدين لجذور الانتماء، وتجد أحدهم سهل القياد بلا جذور، لا قدم له ولا أساس في ماء هذه الأرض وطينها، ولهذا السبب يطفو المتغرب على الموج، وليس ما تحت قدمه صلباً، وللسبب نفسه لا يكون صاحب موقف واضح أبداً، إنه حين فقد لغته وانتماءه أصبح يعيش للذته ويومه ورتبته وراتبه، إن كان وزيراً ينفذ السياسة المرسومة، وإن كان مديراً يلبي أوامر رئيسه،

وإن كان نائباً سارع في هوى من ساعدوه.. ولو كان ذلك على حساب الوطن وثوابت الأمة وقيمها.

٧- إن المحافظة على الهوية واللغة لا يعني الانغلاق بل يطالب بفتح النوافذ لاستقبال التقدم الحضاري العالمي، وهذا يتطلب من النظم الحاكمة والمؤسسات التعليمية والثقافية الرسمية والأهلية العمل على هذين المحورين في وقت واحد، محافظة على هوية الأمة ولغتها، ومحافظة على قوتها وانتفاعها بعلوم العصر ومنجزاته.

٨- إن الأمم الحية تعمل جاهدة على دعم لغتها وثقافتها، فبريطانيا وفرنسا أنفقتا وبذلتا من أجل دعم اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، ونشر ثقافتها وتفوقها السياسي والاقتصادي.

إن اليابان والصين حافظتا على اللغة القومية اليابانية والصينية في المدارس والجامعات، ولم يمنعها ذلك من أن تنافس أمريكا ودول الغرب في تقدمها العلمي والصناعي والاقتصادي.

٩- وليست اللغة العربية أقل شأناً من اللغات الأخرى وهي التي كانت لغة العلم في العصور الوسطى، وعن اللغة العربية أخذ علماء الغرب في الأندلس وغيرها أساس العلوم المعاصرة ومنجزات حضارة اليونان.

١٠- لقد أدركت القيادات السياسية الواعية في كثير من الدول أهمية اللغة في بناء هوية الأمة والمحافظة عليها فعزّزت لغاتها الوطنية وجعلت التعليم بها في جميع مراحله (ومن هذه الدول كوريا، وفيتنام، وفنلندا، ورومانيا.." وأحيا الكيان الصهيوني اللغة العبرية الميتة، وجعل التدريس بها في مراحل التعليم كافة.

١١- إن اللغة العربية الفصحى هي التي تصل بين العرب وتوحدهم في أقطارهم المختلفة، ولولا اللغة لغلبت اللهجات العامية وفقدنا أعظم رابط يصل العرب بعضهم ببعض.

إن اللغة العربية الفصحى هي التي تصل بين العرب والشعوب الإسلامية التي آمنت بالقرآن كتاباً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً، وأصبح الإسلام بقيمه وتراثه وتاريخه مكوّن حضارتهم وثقافتهم وهذا ما عبّر عنه شاعر الإسلام محمد إقبال بقوله:

إن كان لي نغم الهنود ولحنهم لكنّ هذا الصوت من عدنان

ولأنها كذلك فهي إحدى المقومات الرئيسية لوحدة هذه الأمة التي يخطط أعداؤها لها لأن تتحول إلى كيانات، و(كانتونات) صغيرة مجزأة، كما فعل الغرب في معاهدة (سايكس بيكو) في مطلع القرن الماضي، وكما تفعل أمريكا والغرب في العراق وفلسطين ولبنان من إثارة للحروب الأهلية والفرقة الطائفية والعصبية للجنس واللون.

وإن إعلان أمريكا الحرب على الإسلام عقيدة، ولغة، ونظام حياة، وتحريض الأنظمة الحاكمة على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية في جامعاتها، وتشجيع اللهجات العامية وتحريضها على حرب الحركات الإسلامية التي تدعو لإقامة شرع الله وتحرير الأوطان من المحتل الأجنبي، إنما هي دعوة لإبادة مقومات الأمة وإهلاكها، وهذا ما يدعونا للتوعية بخطط الأعداء وحشد القوة لمقاومتها.

وما سيْل الجامعات الأجنبية في البلاد العربية والإسلامية وخطط تنقية المناهج من الآيات والأحاديث والفكر الذي يدعو للمقاومة والجهاد والتعريف بخطر العدو الصهيوني المحتل للأرض والمقدسات والذي يستعجل الخطى لهدم المسجد الأقصى المبارك وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، ما ذلك كله إلا خطوطاً في

الصورة التي رسمها الغرب وأمريكا للشرق الأوسط الجديد الذي تهيمن فيه (إسرائيل) قوة وسياسة وثقافة وصناعة وتفقد فيه الأمة أصالتها ولغتها وقدرتها على المقاومة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

وفي مواجهة هذه التحديات التي تعصف بالأمة نعرف حكمة الآيات التي ذكّرت بفضل الله على هذه الأمة بالقرآن العظيم ومنها:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه:١١٣].

ونعرف كيف نبّه علماء الأمة لمكانة اللغة العربية ووجوب تعلمها وإتقانها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه.

وقال الإمام الزمخشري: اللهَ أحمد أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز.

وقال الدكتور طه حسين: إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً.

الحاكم المستبد كما يصوّره القرآن الكريم

من منهج القرآن العظيم في تكريم الإنسان أن يتبين عاقبة هؤلاء الذين يغتالون كرامته، ويحرمونه إنسانيته بظلمهم واستبدادهم. وذلك ليُعلِّم الأمة كيف تختار حكامها، وتدافع عن كرامتها، ولا ترضى بمن خرجوا عن هداية الله واستحقوا لعنته وغضبه مدبرين لأمرها حكاماً أو نواباً أو قادة. إن الشورى التي فرضها الله في كتابه دستوراً للحاكم والمحكوم يصاحبها قيم وأخلاق تؤمن بها الأمة، وتتمثلها خلقاً وسلوكاً حتى تكره الاستبداد والمستبدين، وتنصر العدل، وتنصف المظلوم، وتحمي كرامتها وحقوقها وسيادتها وتصونها من كل عدوان.

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الكريم محمد بن مَسْلمة وقال: "كيف تراني؟ قال: أراك كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، قويّاً على جمع المال، عفيفاً عنه، عدلاً في قسمه، ولو مِلْتَ عدَّلناك كما يعدل السهم في الثقاف. قال: الحمد لله، الذي جعلني في قوم إذا مِلْت عدَّلوني".

وهنا نجد الوعي السياسي: أمير المؤمنين يسأل أحد أفراد الرعية عن رأيه فيه، وكان محمد بن مسلمة معروفاً بشجاعته وصدقه؛ فيجيب جواباً شافياً ملخصاً سياسة عمر المالية والقضائية والأخلاقية في كلمات موجزة.. قويّاً على جمع المال، عفيفاً عنه، عدلاً في قسمه.. ثم نجد الجرأة بالقدرة على المحاسبة: "ولو ملت عدّلناك كما يعدل السهم في الثقاف" نجد عمر مسروراً حامداً لله الذي جعله في قوم إذا مال عدّلوه، كما نجد حسن تصويره لوعي الأمة: "أراك كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير". فالأمة واعية تحب لحاكمها أن يكون راعياً لدينها ودنياها، قائماً بمصالحها.

هذه الأخلاق التي ربى عليها القرآن الكريم الحاكم والمحكوم، الراعي والرعية، كان من بركاتها انتصارات الإسلام وفتوحاته. وما أحوجنا وقد طغى الاستبداد والمستبدون، وغلب الخوف وظهر النفاق وغلب الأعداء، أن نقف عند بعض الآيات الكريمة التي وصفت الحكام المستبدين والطغاة الظالمين الذين يصادرون حريات الناس، وينهبون المال العام، وينعمون بالقصور والأموال على حساب الشعب وفقره وجوعه، وإرهابه وقمعه، ومحاصرته في شرابه وطعامه، وفي حديثه وكلامه، وفي آماله وأحلامه، يصدق فيهم قول الرصافي:

يا قــوم لا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُّوَّم

ولنقف عند سورة إبراهيم لنجد الحكام المستبدين كيف يعتدون على رسل الله حتى لا يبلغوا كلمة الله، وكيف يواجه الرسل هؤلاء الطغاة بالصبر والمقاومة والتوكل على الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤].

إن سياسة الإبعاد والإخراج من الوطن والإيذاء لحرب الدعوة والدعاة سياسة قديمة جديدة، ولكن العاقبة للمتقين الذين يخشون الله حَقَّ خشيته ويجاهدون في الله حَقَّ جهاده. ويبين الله عاقبة هؤلاء الطغاة والجبابرة المعاندين لدين الله، المصرّين على الباطل، الذين صموا آذانهم عن سماع الحق فيقول تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٥-١٧] وفي مطلع هذه الآيات: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ

﴿عَنِيدٍ﴾ تفسيران؛ الأول: يحمل البشرى للمؤمنين الذين يسألون الله الفتح والنصر على هؤلاء الطغاة، فيبشرهم الله بفتحه ونصره وخيبة هؤلاء الطغاة وخسرانهم.

والتفسير الثاني: أن هؤلاء الطغاة يسألون الله النصر على رسلهم فيخيب الله دعاءهم ويبطل عملهم.. وكأن استفتاح هؤلاء الطغاة يحمل معنى معركتهم الإعلامية لحرب الدعوة ورسل الله وعاقبتها الخيبة والخسران. ونقف مع الإمام الزمخشري في تفسيره لهذه الآيات حيث يقول: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ منهم ولم يفلح باستفتاحه، ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ من بين يديه، وهذا وصف حاله وهو في الدنيا، لأنه مرصد لجهنم، فكأنها بين يديه".

وكأن هذه الآية ترينا الطاغية المحارب لدين الله وهو يرى أمامه جنده وسلطانه.. فترينا مصيره الحق وما ينتظره من عذاب جهنم لأنه مرصد لها. ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها. فخصص بالذكر مع قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ قال: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ﴾ فأبهمه إبهاماً ثم بيّنه بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من جلود أهل النار. ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف جرعه، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يعني: ولا يقارب أن يستسيغه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ كأن أسباب الموت وأصنافه قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات، تفظيعاً لما يصيبه من الآلام – أقول: وكان هذا العذاب جزاء وفاقاً لجرائم هؤلاء المستبدين وأعوانهم الذين يذيقون الناس أصناف الهلاك.

وقيل: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جسده حتى من إبهام رجله ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ ومن بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ "أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ" وعن الفضيل: "هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد".

ويذكر الله في سورة البقرة الأتباع والمتبوعين ليعلّم الأمة كيف تقاوم وأن رضاها بالذل واستسلامها لطغيان المستبد لا يعذرها عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٧].

وفي آية أخرى صوَّر الله إعلام الطغاة وأجهزتهم في التلفاز والصحافة والإذاعة التي تعمل على خديعة الناس لتحسين صورة الطاغية وإخفاء أهدافهم الماكرة في التآمر على دين الأمة وثقافتها وخيراتها بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦]. ونجد في الآية إعجازاً متجدداً في إهلاك الطغاة للحرث والنسل.. فالأمة والوطن مزرعة لهم.. يسرقون خيراتها، وينهبون أموالها، ويستعبدون الناس، ويبنون قصورهم وامتيازاتهم على حساب جوع الناس وفقرهم والتنكيل بهم ونهبهم لموارد الوطن وثرواته. وهم أيضاً لا يسمعون كلمة الحق، ولا نصح الناصحين، ويصبون جام غضبهم على من ينصحهم ويأمرهم بمعروف وينهاهم عن منكر: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

وفي الصورة المقابلة وفي الآية التالية يكرم الله أهل الدعوة الذين باعوا نفوسهم لله ولم يبالوا ببطش الظالمين لنصرة دينهم. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧] صورتان متقابلتان: طاغية باع نفسه لهواه وشيطانه، وداعية باع نفسه لله ورضوانه.

كيف يقاوم المؤمنون الطغاة:

نجد التربية القرآنية للمقاومة بتحصين المؤمنين بما يلي:

١. أن يعلموا حقارة الحياة الدنيا مقارنة بالآخرة: وهذا ما يظهر في موقف سحرة فرعون حين عرفوا الحق واستماتوا من أجله وصبروا أمام طغيان فرعون حين هددهم: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٤-١٢٦].

٢. وفي قصة المؤمنين في سورة البروج وفي حديث النبي الكريم ﷺ: "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله". والشواهد على هذا كثيرة، ما يعبئ الأمة وعلماءها لمقاومة الظالمين وألا يركنوا لدنياهم.

٣. تكليف العلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتكليف الأمة بنصرة هؤلاء العلماء، قال تعالى في ذكر هلاك بني إسرائيل: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣] وفي سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٦-١١٧].

٤. وتكليف الأمة بأن تنصر أنبياءها وعلماءها: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

وكان من أسباب هلاك بني إسرائيل تهاونهم علماء وأتباعاً بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعنهم الله وشردهم في البلاد.

٥. تطهير القلوب من التعلق بمظاهر الدنيا ورتبها ورواتبها وزينتها، وتحصينها من التعاون مع الظالمين وإعطائهم الشرعية والقبول عند الناس قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]. قال العلماء: "والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم، والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم".

٦. تعميق عقيدة الحب في الله، والبغض في الله، لتحب أحباب الله والدعاة إلى دينه فتنصرهم بمالك ونفسك وجاهك، وتكره أعداء الله من الذين يحاربون شرعه ويتعاونون مع أعداء دينه من اليهود والصليبيين فتجاهدهم بنفسك ومالك. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]. قال الإمام ابن تيمية: ووجه عطف ﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ على ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لأن الجهاد هو الذي به نصدق حبنا لله ورسوله بنصرتهم ونصرة أوليائهم، ونصدق كراهيتنا لأعداء الله وأعداء رسوله بقتالهم ومقاومتهم.

٧. حسن التأسي بأنبياء الله ورسله وأصحاب النبي الكريم بالصبر على مقاومة الظالمين ومواجهتهم، وإعطاء البيعة لله ورسوله وللقيادة المؤمنة العاملة لنصرة دين الله وإقامة شرعه. فلو لم يهاجر أصحاب النبي إليه وينصروا دينه لفسدت

الأرض وما انتصر دين الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.. ﴾ [الأنفال:٧٢]، وفي آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. [الأنفال:٧٤]، وقد نبّهنا القرآن الكريم في سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾. [الأنفال:٧٣]، والمعنى: أن أهل الباطل من اليهود والصليبين يوالي بعضهم بعضاً لنصرة باطلهم فإذا اجتمع أهل الباطل على باطلهم وتفرق أهل الحق عن حقهم أولم يفعلوا الولاية والنصرة لدين الله ودعاته العاملين لنصرة دين الله تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، وذلك حين يحكم أهل الكفر وينفذون مخططاتهم العسكرية والتربوية والثقافية في بلاد المسلمين، فأولياء الله ورسوله هم أهل البيعة لإقامة الدين ونصرة أوليائه.

٨. كيف قاوم موسى عليه السلام فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ . وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾. [غافر:٢٦-٢٧]، وكانت كلمة رسول الله لأبي بكر وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وكانت كلمة موسى لقومه وقد رأوا جند فرعون ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢]، وستبقى كلمة ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ زاد الدعاة وحصنهم وهم يواجهون الطغاة وأعداء الله، وستبقى كلمة الإسلام أقوى من كيدهم إذا عرفنا كيف ننصرها بإعطاء البيعة لنصرة هذا الدين والعمل المجاهد المنظم الذي يعرف

كيف يقاوم بالرأي والحكمة والتخطيط والتنظيم والعمل الدؤوب الذين يحسن دراسة الواقع وطبيعة المرحلة وحسن التأتي للوصول إلى الغايات وقطف الثمرات من غير تنازل عن المبادئ وبحسن الاقتداء بمنهج النبي الكريم ﷺ في مراحل دعوته.

٩. عودة إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:١١٣]، عطف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا..﴾ على قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾. ونص الآية ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢]. لنجد التوجيه الرباني لمقاومة الطغيان والاستبداد قائماً على ثلاث قواعد:

الأولى: استقامة الأمة قائداً وشعباً على أمر الله تائبة عن أي انحراف مصححة لمنهجها: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾.

الثانية: تحريم الطغيان وتجاوز شرع الله في الحكم والاقتصاد وكل أعمال الحياة: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾.

الثالثة: تحريم الركون إلى الظالمين وموالاتهم والتعاون معهم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الانتخابات والمال الحرام

يسعى أعداء الأمة أن يجعلوا شعوبها من المحيط إلى الخليج قطعاناً من العبيد لا تملك أمرها، ويحكمها من فُرض عليهم لتقديم الخدمات لأعداء الوطن، وبيع الوطن، وتنفيذ مخططات الحاقدين على دينه وهويته وثقافته باسم الديمقراطية المزورة، وشراء الذمم والأصوات واستغلال فقر الناس وحاجتهم وذلك حتى تكون المجالس النيابية في أكثر بلاد المسلمين يصدق فيها قول الشاعر:

ها هم كما تهوى فحرِّكهم دمى لا يفتحـــون بغير ما ترضى فما

ومع اقتراب موعد الانتخابات النيابية ينشط من لا يتوقعون نجاحاً إلا بالتزوير وشراء الأصوات، ولا بد من توعية المسلمين وبيان حكم الله فيهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة. وأذكّر بالنقاط التالية:

١- إن الراشي والمرتشي والوسيط الرائش في النار، وإن من يبيع صوته لمرشح أشبه بمن باع شرفه وعرضه، وهو كالمومس تبيع شرفها بدراهم معدودات، والمرتشي يبيع صوته ويبيع شرفه وشرف دينه وشرف وطنه ويقدِّم لمجلس النواب نائباً فاسداً راشياً سيكون عوناً للباطل ليسترد المال الذي أنفقه في حملته الانتخابية ويكون آمراً بالمنكر ناهياً عن المعروف مطية للظالمين ليعينوه على تقديم الخدمات وتسلم المكاسب والامتيازات.

وهنا أبيّن أن شراء الأصوات وبيعها للانتخابات من أعظم الكبائر المحرمات لقوله ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي". (رواه أبوداود). وفي حديث: "الراشي والمرتشي في النار".

وعن ثوبان رضي الله عنه: "لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي يعني الذي يمشي بينهما". (رواه أحمد).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "الرشوة في الحكم كفر وهي بين الناس سحت".

وقد كان من أسباب هلاك بني إسرائيل تهاون علمائهم بالنهي عن هذه المحرمات. قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣].

٢- إن النائب وكيل عن الشعب وعن الناخب الذي انتخبه في مراقبة الحكومة ومحاسبتها وإقرار القوانين، فإذا أحسنّا اختيار الكفؤ الجدير بتحمل هذه المسؤولية كنا متشاركين في الخير والثواب والإحسان إلى الوطن وجماعة المسلمين، وإذا لم نحسن الاختيار وحكّمنا الهوى والشهوة والمصلحة المادية والرشوة المالية والعصبية الجهوية وقعنا في كبيرة الخيانة لله والرسول وجماعة المؤمنين لقوله ﷺ: "من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين". (رواه الحاكم).

٣- إن الانتخابات شهادة تشهد بها أمام الله لمن انتخبته أنه قادر على حمل الأمانة ونصرة الدين ونصح الأمة، فإذا انتخبت من لا يغار على دين الله، ولا يقيم شعائر الإسلام ولا يتحلى بأخلاق المسلمين، فقد شهدت شهادة الزور ووقعت في غضب الله وعذابه لقوله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت" رواه البخاري ومسلم. وفي الحديث: "عُدَّت شهادة الزور، والإشراك بالله ثلاث مرات ثم قرأ ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لله غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج:٣٠-٣١]. وفي الحديث "لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار". (رواه المنذري في الترغيب والترهيب).

٤- ويحرم على المسلم أن يمتنع عن أداء الشهادة بالحق ونصرة دين الله ومؤازرة أنصاره لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم﴾ [البقرة: ٢٨٣]. وقد يحسب البعض أنه ينجو بوقوفه متفرجاً محايداً وأهل الحق يدافعون أهل الباطل دون أن ينصر أهل الحق، ولا يعلم أنه بحياده كان عوناً للباطل وسبباً في غلبة أهل الفساد والمعصية. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير﴾ [الأنفال: ٧٣]. والمعنى: إذا والى الكفار بعضهم بعضاً لنصرة باطلهم وتفرق أهل الحق ولم يقوموا بواجب الولاية والنصرة، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

ذكر ابن عبدالبر في (التمهيد) أن الله سبحانه أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: "أما زهدك فقد تعجلت به الراحة لنفسك، وأما انقطاعك إليّ فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك؟ فقال: يا رب أي شيء لك عليّ؟ قال: هل واليت فيَّ وليّاً؟ أو عاديت فيَّ عدوّاً؟".

وقد ذكر الله تعالى ولاية المؤمنين بعضهم لبعض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف هو الإسلام بأحكامه وقيمه، والمنكر هي المعاصي والآثام والقوانين الظالمة وما تفرضه أمريكا على حكام المسلمين وشعوبهم من قوانين وأنظمة لتغريب الأسرة والاقتصاد والمجتمع ونشر الفساد، وفرض الجامعات الأمريكية والغربية في بلاد المسلمين لإبعاد اللغة العربية وحجب أبناء المسلمين عنها، لتحجبهم عن القرآن الكريم وتلاوته وتدبره والعمل بأحكامه.

فهذه الهجمة الصليبية على التربية والأخلاق والقيم وقوانين الأسرة هي من أعظم المنكرات، ويعمل الظالمون على إعطائها الشرعية من خلال مجالس النواب لتخرج المرأة من ولاية أبيها وقوامة زوجها وتحلل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله.

فهل يقف المسلم متفرجاً محايداً أمام هذه الهجمة أم يبادر لينصر دين الله، ودعاة الإسلام، ويبصر الأمة بالأخطار القادمة، ويكشف هؤلاء الذين يخدعون الناس ببياناتهم الجوفاء وشعاراتهم العمياء دون النظر إلى سيرتهم ودينهم وأخلاقهم والتزامهم بأحكام الله، وحرصهم على قضايا الوطن؟!

كثيرون من الذين يتقدمون للنيابة لا يعتمدون إلا على أموالهم وشعاراتهم الخادعة، بينما لم تكن لهم مشاركة في قضية من قضايا الوطن تزعج الحاكم، أو تسبب لهم مساءلة، فبعضهم يعتمد على أمواله وأموال أبيه وبعضهم يعتمد على الأقارب والعصبية، ونسأله: حدِّثنا عن مواقفك في مقارعة الظلم والفساد وحدِّثنا عن برنامجك في نصرة قضايا الأمة ومواجهة التطبيع والتهويد ومخططات بوش السياسية والأخلاقية والاقتصادية، ستجدهم عن هذه القضايا ساكتين ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ [البقرة:١٨].

قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٧١].

ونقف مع هذه الآية الكريمة عند هذا المعنى العظيم، وهو:

أ- تنبيه الذين يقتصرون في العبادة على الصلاة والزكاة وينسون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن الله ذكرها قبل الصلاة والزكاة، وأن رحمة الله التي تطلبها الأمة مشروطة بالقيام بهذه الشروط.

ب- أن الله ذكر تناصر المؤمنين حتى يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وأن محبتهم لله وحبه لهم لا يتم إلا بهذه النصرة. وفي الحديث أن نفراً من الصحابة سألوا: لو نعرف ما يحب ربنا لفعلناه، فنزلت سورة الصف وفيها هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤] .

ج- وفي الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

وقد ذكر الله ولايته لأنصار دينه وأحباب نبيه وذكر صلاتهم وزكاتهم وبشّرهم بالنصر والغلبة، حتى لا يضعفوا عن النصرة ولا يحايدوا في معركة الحق والباطل.

د- حين تعم المنكرات والمصائب ونرى تقوُّل الأعداء في بلاد المسلمين ثم لا نتحرك لدفع الباطل ونقف على الحياد ولا ننصر أهل الحق نكون قد شاركنا في الفساد وخذلنا أهل الحق، يصدق فينا قول الشاعر:

وأذل خلق الله في بلد طغت فيه الرزايا من يكون محايدا

هـ- ذكر الله ما ينتظر أنصار دينه في مستقر رحمته، بعد قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢]. وذلك حتى لا يزهد المؤمنون بهذه النصرة ويقدموا لها الثمن فجنات الله ورضوانه بانتظارهم.

و- وقد كشف الله فساد المنافقين وتناصرهم على الباطل بقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧]، وبيّن ما ينتظرهم من عذاب بقوله: ﴿وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨].

وذلك ليعرف من يحاربون هذا الدين ويعملون مع أعدائه ما ينتظرهم عند ربهم: الخلود في جهنم، واللعنة، والعذاب المقيم.

فيا لخسارتهم وقد ربطوا أنفسهم بالظالمين ورضوا بأن يجندوا في صفوفهم.

ز- إن المرحلة القادمة خطرة، ومخططات الأعداء لتفتيت العراق وتصفية القضية الفلسطينية والقضاء على المقاومة في العراق وسورية وفلسطين ولبنان، والإجهاز على ما تبقى من الإسلام في المدارس والجامعات والمحاكم الشرعية والأسرة والإعلام كل هذا يقتضي ألا نخدع ببيانات وشعارات من عرفتموهم بموالاة الظالمين أو المداهنة والمسايرة، وصبغ الوجوه، وأن نعرف الرجال الرجال أصحاب الدين والرجولة والجرأة والثبات على الحق.

قال تعالى يحذرنا من الاغترار والخديعة بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى (أي صارت له ولاية بحكم أو نيابة) سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] ، فهؤلاء الفاسدون إذا وصلوا إلى السلطة أو النيابة لا يطيقون من يأمرهم بتقوى الله ويعتزون بإثمهم وباطلهم.

ح- إن المرحلة القادمة تنتظر ارتفاعاً شديداً في الأسعار وإرهاقاً عسيراً للموظف والعامل والجندي وبقية أفراد المجتمع، وهذا يقتضي وضع سياسة حكيمة تتطلب الموازنة بين الأوليات في الاتفاق وتقدم حاجات الأمة الضرورية على

غيرها، ولا يقوم بهذا إلا مجلس نيابي يمثل الشعب وينطلق من همومه وجراحه ويعمل بوحي دينه وخلقه.

ط- إن العهد الصهيوني الذي يقتل أهلنا في فلسطين ويحاصرهم، والعدو الأمريكي الذي يقتل أهلنا في العراق ويعيث فيها فساداً لا بد من دفعه ومواجهته بمجلس يعرف كيف ينصر المجاهدين ويقف مع قضايا الأمة وينصر دين الله.

كيف نواجه الروم من جديد ؟!

في الحديث عن رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تغزو الروم الأعماق، فيخرج لهم جيش من المدينة، فيهزم الثلث هم شر أهل الأرض، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً، ويقتل الثلث هم خيرة الشهداء عند الله، وينتصر الثلث هم خيرة أهل الأرض يومئذ" (صحيح مسلم).

ونجد في هذا الحديث أصناف الناس في المقاومة وهم:

١- المنهزمون -شر أهل الأرض-، وهؤلاء هم الذين ينفِّذون إملاءات (بوش) ومخططاته في التنازل عن أرض الوطن في فلسطين والعراق، والتمكين للعدو الصهيوني والتطبيع معه والاعتراف به. وكذلك ينفذون مخططاته باحتلال (هوية الأمة)، والعمل على تغيير المناهج والكتب المدرسية؛ لينشأ جيل لا ينتمي للغته العربية ولا لتاريخه الإسلامي، ولا تراثه ولا حضارته، مفتوناً بالغرب وقيمه ولغته وأخلاقه.

٢- المقاومون الذين يكشفون مخططات العدو الصليبي من العلماء ورجال الفكر، والذين يقاومون احتلاله للأرض، ونهبه لخيرات الوطن وبتروله وثرواته؛ فيتعرضون للقتل والسجن والتعذيب.

٣- المقاومة المنتصرة الصابرة، والبقية الباقية من هذه الأمة الملتفة حول قيادة رسول الله ﷺ التي لا تفرط في دينها وكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولا تفرط في مقاومة الروم، ووكلاء الروم وعبيدهم الذين ينفذون مخططاتهم ويخدعون الأمة ويقهرونها.

البشرى:

وقد بشَّر رسول الله ﷺ أهل المدينة المنورة وأهل فلسطين وبلاد الشام بأنهم الطائفة المنتصرة القائمة بالحق المنتصرة له: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة، قالوا: يا رسول الله، أين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس". (رواه ابن جرير الطبري في مسند عمر بإسناد حسن). وهي شاملة للأردن وسورية ولبنان، ممتدة إلى مصر والعراق.

دروس من التاريخ:

والدارس لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم يجد المقاومة للروم بالجهاد الصادق والتضحية بالنفس والمال، وكذلك نجد شعلة الجهاد الملتهبة تبعث العزيمة وتطرد اليأس.

على أرض الأردن دروس البطولة والمقاومة:

١. فروة الجذامي:

من هذه الدروس والعبر ما سجّله فروة الجذامي بصدقه وصبره وتضحيته، فقد كان (فروة) عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله (مَعَان) وما حولها من الطفيلة وجنوب الأردن، وكانت وظيفة العربي العامل للروم حراسة أمن الدولة الرومانية العسكري والثقافي، كوظيفة أكثر الحكام في هذا الزمن.

وكانت المفاجأة للروم إسلام (فروة)، وكان قد بعث رسولاً بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له بغلة بيضاء. فلما بلغ الروم ذلك طلبوه، وحبسوه عندهم، وقال في سجنه أبياتاً من الشعر منها:

ولئن هلكتُ لتفقدُنَّ أخـــاكم ولئن بقيتُ لتعرفنَّ مكـاني

ولقد جمعتُ أجلّ ما جمع الفتى من جـودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء (عفرا) -قرب مدينة الطفيلة- قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل

ولما قدموه ليقتلوه قال:

بلّغ سُراة المسلمين بأنني سَلْمٌ لربّي أعظمي ومقامي

وهنا نجد هذا البطل الشهيد يعطي درساً للمفتونين بالرتب والمناصب في موالاة الظالمين، وكيف ضحّى بعمله "والياً وعاملاً للروم" وأعلن إسلامه، واستقبل الشهادة في سبيل الله نصرة لدين الله.

٢. درس من مؤتة:

بعث رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف من الصحابة ليثأروا لمقتل الحارث بن عمير الأزدي الذي قتله شرحبيل بن عمرو الغساني، وأمَّر زيدَ بن حارثة على الجيش وقال: "إن قُتِل فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن قتل فعبد الله بن رواحة". (صحيح البخاري)، فلما نزلوا (معان) بلغهم أن (هرقل) قد نزل (مؤاب) في مئة ألف من الروم، وانضم إليهم مئة ألف من القبائل العربية الموالية للروم، فلما بلغ المسلمين ذلك قالوا: نكتب إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا، فشجعهم عبد الله بن رواحة، وقال: "والله يا قوم إن الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظفر وإما شهادة".

فتعبأ الناس، ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة، فلم يزل يقاتل حتى شاط في رماح القوم وخرَّ صريعاً، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل -وكان أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال- فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى قتل وله

ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يقول:

يا نفس إلاّ تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صُليت

وما تمنيتِ فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيداً وجعفر، ثم قاتل رضي الله عنه حتى قتل. ثم اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وقام بانسحاب موفق، وحفظ على المسلمين قوتهم، وحرم الروم من النصر، وكانت الهزيمة على الروم.

درس من حُنين:

كان من صحابة النبي ﷺ الذين شهدوا غزوة حنين الصحابي الجليل حارثة بن النعمان. ولهذا الصحابي صفحات مشرقة مع رسول الله ﷺ. قال ابن الأثير: شهد بدراً والمَشَاهد، وكان ديِّناً خيِّراً بَرّاً بأمه.

ومن إكرام الله له أن رأى جبريل بعد غزوة حنين وهو يُكلم رسول الله ﷺ بصورة دحية الكلبي. يقول حارثة: "مررت بهما ولم أُسلِّم، فقال جبريل: من هذا يا محمد؟ قال: حارثة بن النعمان. فقال جبريل: أما إنه من المئة الصابرة يوم حنين الذين تكفل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلَّم لرددنا عليه". (سير أعلام النبلاء).

تعقيب:

إن المئة الصابرة في حنين كانت ناصرة للنبي ﷺ في ساعات الخطر، بعد أن فوجئ المسلمون بهجوم هوازن، وهزيمة أكثر الجيش التي ذكرها الله في كتابه ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**﴾ [التوبة:٢٥].

فهل ترغب أيها المسلم أن تكون مع المئة الصابرة وقد اجتمعت الروم وحلفاؤهم ووكلاؤهم على حرب هذا الدين؟! نسأل الله الثبات والعون.

ولا تنس إخوانك في مؤتة واليرموك الذين سقوا هذه الأرض المباركة بدمائهم الزكية وطهَّروها من رجس الروم ورفعوا راية الإسلام.

ها هم الروم يعودون من جديد إلى العراق وفلسطين والصومال، ويسعون لإحكام الطوق للقضاء على المقاومة وجرّ حكام العرب للاعتراف بـ(إسرائيل)، وتحريم الجهاد، وتنفيذ مخططات الروم السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية.

ومن إكرام الله لحارثة بن النعمان أنه كانت له منازل قرب منازل النبي ﷺ، وكان كلما أحدث رسول الله أهلاً تحوَّل له حارثة عن منزل، حتى قال: "لقد استحييت من حارثة؛ لما يتحول لنا عن منازله".

وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: "دخلت الجنة فسمعت قراءته، فقلت: من هذا؟ قيل: حارثة". فقال النبي ﷺ: "كذاكم البر". (رواه الهيثمي في مجمع الزوائد بسند صحيح)، وكان بَرّاً بأمه رضي الله عنه.

بركة الجهاد والوحدة:

عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله، لعملنا، فأنزل الله: ﴿**سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصف:١-٤]. قال: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

ونقف مع هذه السورة والروم غزتنا وتسعى لهدم معالم الهوية الإسلامية لنجد الدروس التالية:

١. إزالة التناقض بين القول والعمل، أو بين المظهر والمخبر، فكثيرون من المسلمين يقولون ما لا يفعلون وحياتهم وطريقة عيشهم تخالف أحكام دينهم: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟!

٢. العمل بالتنظيم الجماعي؛ لأن عدونا ووكلاءه في بلاد المسلمين يحكمون سيطرتهم من خلال تفريق الأمة إلى شيع وأحزاب، ويقطِّعون الأمة بالصوت الواحد، ويحرِّمون على الناس أن يعملوا من خلال التنظيمات الجماعية المشروعة؛ لأن أخوف ما يخيفهم البنيان المرصوص لنصرة الإسلام. إن الحجر المُلقى على الأرض يحمله أي رجل، لكن الحجر المثبت في جدار يصعب أن تزيله عن مكانه.

٣. الجهاد والمقاومة من أعظم فرائض الدين وأركانه، وقد استجابت الحكومات لإملاءات العدو الأمريكي الصهيوني بمنع الجهاد والمقاومة في فلسطين والعراق، ومحاكمة المجاهدين؛ مما أغرى العدو بإحكام قبضته على القدس والمسجد الأقصى المبارك، وطالب حكام (السلطة) والعرب بالتنازل عن القدس وعن حق العودة، وأمعن في حصار أهلنا في غزة، وفرض على الحكام الذين لم يعترفوا بـ(إسرائيل) أن يحضروا مؤتمر (أنابوليس) في أمريكا ليقدموا لـ(إسرائيل) الاعتراف والأمان والمكافأة، وقد بدأت بتنفيذ مخططها لهدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

٤. وفي السورة بيان للمواجهة العقائدية والحضارية مع الروم واليهود وذكر إيذائهم لأنبيائهم، وشهادة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بنبوة محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٥-٦].

٥. وتدعونا السورة في خاتمتها للجهاد ونصرة هذا الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:١٠-١١].

والمتدبر لهذه الآيات يجد أن العذاب الأليم الذي أوقعه بنا الروم في العراق وفلسطين وأفغانستان والصومال ولبنان لا يزيله إلا الجهاد والمقاومة، وأن نجند أنفسنا في خندق رسول الله ﷺ، وأن نزيل غشاء الخداع عن عيوننا والخوف عن قلوبنا، ونستجيب لنداء النبي الكريم: "من أنصاري إلى الله"؟!

٦. حين يشتد الخطب ويعظم الخطر يصرخ النبي بالمؤمنين: "من أنصاري إلى الله"؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾ [الصف:١٤].

وإذا نصر أهلُ بدر ومؤتة واليرموك رسولَ الله ﷺ؛ فما أجدر المؤمنين أن يسيروا على طريقهم وقد دخل الروم (الأعماق)، وجنَّدوا الكبار والصغار، وقاموا بعمليات الخداع وخطف الأبصار، عن طريق التزوير والإعلام الخادع، يزوِّرون الوطن، وإرادة الأمة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ . فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم:٤٦-٤٧].

دروس للدعاة (١)

الدارس للسيرة النبوية يجد علو الهمة وشرف الغاية تنظم سيرة أصحاب النبي ﷺ، ونقف عند بعض مواقفهم وأثرها في نصرة دين الله..

سلمة بن الأكوع:

هو سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي الحجازي المدني. كان من سيرته أنه كان بمفرده جيشاً؛ لاحَقَ المشركين الذين أغاروا على المدينة المنورة، ونهبوا إبلاً للنبي ﷺ، وقتلوا راعيها، وتمكن من إنقاذ الإبل، وقتل عدداً من المشركين قبل أن يصله مَدَد رسول الله ﷺ.

التخطيط الحكيم:

واجه سلمة رضي الله عنه عدوان المشركين بعملين:

الأول: إعلام النبي القائد ﷺ بما حصل مع سرعة الحركة والتنفيذ.

والثاني: سرعة متابعة المشركين، وكان سلمة عدّاءً لا يسبقه أحد.

يصف سلمة هذه الواقعة ويقول: خرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بفرس لطلحة بن عبيد الله، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة الفزاري أغار على الإبل فقتل راعيها، وطرد الإبل هو وأناس معه في خيل. فقلت: يا رباح، اقعد على هذا الفرس، فالحق بطلحة (من أجل إخبار النبي والمسلمين بالغارة) وأعلم رسول الله. وقمت على تلٍّ، ثم ناديت ثلاثاً: يا صباحاه! واتبعت القوم فجعلت أرميهم وأَعْقِرُ بهم، وذلك حين يكثر الشجر، فإذا رجع إليَّ فارس، قعدت له في أصل الشجرة، ثم رميته، وجعلت أرميهم، وأقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضَّع

وأصبت رجلاً بين كتفيه، وكنت إذا تضايقت الثنايا (أي الطرق في الأودية والجبل) علوت الجبل فرددتهم بالحجارة، فما زال ذلك شأني وشأنهم حتى ما بقي شيء من ظَهْر النبي ﷺ (أي إبل النبي ﷺ التي نهبها المشركون) إلا خلفته وراء ظهري، واستنقذته، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها...

ولا يلقون شيئاً إلا جعلت عليها حجارة، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ، حتى إذا امتد الضحى، أتاهم عيينة بن بدر مدداً لهم وهم في ثنيَّة ضيقة، ثم علوت الجبل، فقال عيينة: ما هذا؟! قالوا: لقينا من هذا البَرْح (أي الشدة والويل)؛ ما فارَقَنا بسحر إلى الآن، وأخذ كلَّ شيء كان في أيدينا. فقال عيينة: لولا أنه يرى أن وراءه طلباً لقد تركَكم، ليقم إليه نفر منكم.

فصعد إليَّ أربعة، فلما أسمعتهم الصوت، قلت: أتعرفوني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع... والذي أكرم وجه محمد ﷺ لا يطلبني رجل منكم فيدركني، ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم: إني أظن.

فما برحت ثَمَّ حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر [وإذا أولهم] الأخْرَم الأسدي، وأبو قتادة، والمقداد، فولّى المشركون.

طالب الشهادة:

وكان من هؤلاء الفرسان الأخرم الأسدي الذي لحق بالمشركين وحده، فقال له الأكوع - وقد أخذ بعنان فرسه: لا آمن أن يقتطعوك (أي ينفردوا بك ويقتلوك)؛ فاتئد حتى يلحقك المسلمون. فقال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق والنار حق، فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة. فخلَّيتُ عنان فرسه، ولحق بعبد الرحمن بن عيينة، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه، فاختلفا طعنتين، ثم رزقه الله الشهادة.

أبوقتادة الأنصاري:

وكان من هؤلاء الفرسان الذين لحقوا بالمشركين وأذاقوهم الويل أبوقتادة الأنصاري السلمي رضي الله عنه الذي منحه النبي ﷺ ومنح سلمة وسامين للشجاعة وعلو الهمة، فقال: "خير فرساننا أبوقتادة، وخير رجَّالتنا سلمة بن الأكوع".

ويحدثنا أبوقتادة كيف انتفض المسلمون وهبّوا للدفاع عن مدينتهم وملاحقة من اعتدى على حربها وقتل راعي النبي ﷺ ونهب إبله.

قال أبوقتادة: إني لأغسل رأسي، قد غسلت أحد شقيه، إذ سمعت فرسي (جِروة) تصهل وتبحث بحافرها. فقلت: هذه حرب قد حضرت. فقمت ولم أغسل شق رأسي الآخر، فركبت وعليّ بردة، فإذا رسول الله ﷺ يصيح: الفزعَ، الفزع! قال: فأدرك المقداد، فسايرته ساعة، ثم تقدمه فرسي، وكان أجود من فرسه، وأخبرني المقداد بقتل مسعدة محرزاً (يعني راعي إبل رسول الله ﷺ) فقلت للمقداد: إما أن أموت، أو أقتل قاتل محرز.

وقفة تدبر وتأمل:

وهنا نقف مكبرين ومهللين لغيرة المؤمن لدينه وهو يقول: إما أن أموت، أو أقتل قاتل محرز.

ولحق أبوقتادة بمسعدة وقتله، وأخذ سلبه وفرسه. ولما أدركه النبي ﷺ قال له: اللهم بارك له في شعره وبشره، أفلح وجهك! قتلتَ مسعدة؟ قلت: نعم. قال: فما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم رميت به. قال: فادن مني. فبصق عليه فما ضرب علي قط ولا قاح.

وتابع أبوقتادة ملاحقته للمشركين حتى أدرك سلمة بن الأكوع والأخرم الأسدي الذي قتله عبد الرحمن بن عيينة من المشركين.

وتمكن أبوقتادة من الثأر للأخرم وقتل عبد الرحمن بن عيينة وأخذ فرسه رضي الله عنه وأرضاه.

أبوقتادة حارس رسول الله ﷺ:

عن أبي قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ تأخر عن الراحلة، فدعمته بيدي حتى استيقظ (والمعنى: أن الجندي المؤمن لا تغفل عينه عن حركة القائد وما يحتاجه، وحين لاحظ أن النبي وهو يركب الراحلة قد أخذه النوم؛ جعل جسده تحته كالدعامة للبناء يسنده حتى لا يميل) فلما استيقظ النبي ﷺ قال: "اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظني منذ الليلة، ما أرانا إلا قد شققنا عليك". (رواه الهيثمي بسند صحيح).

أبوقتادة في غزوة حنين:

وفي غزوة حنين قتل أبوقتادة رجلاً من المشركين كانت عليه درع، فأخذها أحد المسلمين. قال أبوقتادة: "فخاصمته إلى رسول الله ﷺ، فاعترف الرجل، وطلب من النبي أن يرضيه منها ويعوض عليه. فقال عمر: لا يفيئها الله على أسد من أسده ويعطيكها. فضحك رسول الله ﷺ وقال: صدق عمر". (صحيح البخاري).

وهنا نجد تقدير الصحابة للبطل الذي أحسن القتال، وأن الدرع الذي غنمه هو رمز لانتصاره، وهو أسد من آساد الله.

الفخر بالجهاد والعمل الصالح:

ومن فقه الصحابة أنهم أشادوا صرحاً للقيم يعتزون بها، في مواجهة قيم الجاهلية حيث تفاخر الناس بالمال والنسب والرتبة والجاه الكاذب الخادع.

وهذه نبذة من سيرة عبد الله بن زيد رضي الله عنه الأنصاري الخزرجي المدني البدري، من سادة الصحابة، شهد العقبة وبدراً. عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد، قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز وقلت: يا أمير المؤمنين، أنا ابن صاحب العقبة وبدر، وابن الذي أُرِيَ النداء (أي أُري الأذان في المنام، وأقره النبي ﷺ على ذلك).

فقال عمر: يا أهل الشام.

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

والقَعْب: القدح الضخم، وشيبا: خلطاً.

والقيمة الكريمة التي لفت النظر إليها عمر بن عبد العزيز، وقد بدأ الناس في عصر بني أمية يتفاخرون بطعامهم وشرابهم ودنياهم، أن مكارم الإنسان إيمانه وجهاده وعمله الصالح، وأن حفيد عبد الله بن زيد جدير بالإكرام والتقدير في مجلس الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

لا غلو ولا تفريط:

ومن الدروس التي تنفع الدعاة ألا يشدّدوا على أنفسهم لتستقيم أمور المسلمين بحسن منهجهم، وفي هذه القصة عظة للمعتبرين:

روى البخاري أن النَّبِي ﷺ آخى بَيْنَ سلمان الفارسي وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلمان أَبا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: مَا شَأْنُكِ؟! قالت: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً، فَقَال: كُلْ. قال: إِنِّي صائم. قال: ما أنا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قال: فَأَكَلَ. فَلَمَّا كان اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَال: نَمْ. فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَال: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَان: قُم الآن. فَصَلَّيَا، فقال له سلمان: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فأَتى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَان.

تعقيب:

ونقف عند هذه القصة لنجد المعاني التالية:

١. الأخوّة الصادقة والنصيحة الخالصة:

فسلمان رضي الله عنه يعجب من تبذُّل زوجة أخيه وعدم اهتمامها بدنياها وملبسها وشأنها، فتجيبه: إن أخاك متفرغ لعبادته، زاهد في أهله، ولا حاجة له بنا.

إن هذه الأخوّة لا تجدها إلا عند أصحاب النبي ﷺ الذين طهرت قلوبهم، وزكت نفوسهم، وخلصت سرائرهم، يسعى أحدهم في إسعاد أخيه ونصحه، وإبعاده عن أسباب الغلو والمبالغة والإسراف في العبادة.

٢. وفي نصيحة سلمان التي أقرها النبي ﷺ منهج للدعاة في الدعوة ألا يكلفوا الناس ما لا يطيقون، وأن يبتعدوا عن مظاهر الزهد الأعجمي الذي لا ينسجم مع سماحة الإسلام ووسطيته وأنه رحمة للعالمين، وأن إعمار الكون، والقيام بوظيفة الاستخلاف في الأرض تحتاج إلى القدوة الحسنة الذي يوفق بين أشواق الروح وحاجات الجسد، وحق الله في العبادة، وحق المجتمع في العمل، وحق الأسرة في الرعاية.

وأن العلماء الدعاة هم أولى الناس بالتحلي بهذه الأخلاق حتى يكونوا دعاة للإسلام بالقول والعمل، والخلق والسلوك، بلا غلو ولا تفريط.

النقاء وإخلاص العمل:

ومن خير ما يزيد الدعاة توفيقاً، ويقربهم إلى الله: إخلاص النية لله، وتطهير القلب من الشهوة الخفية.

وهذه وصية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت لحفظة القرآن الكريم وللعلماء والدعاة الذين يسيرون على طريقهم، فيقول لصاحبيه: يوشك إن طال بكما عُمرٌ أن تريا

الرجل من ثبج المسلمين (أي من وسطهم وعامتهم) قد قرأ القرآن، أعاده وأبداه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، ونزل عند منازله.

ثم يضرب مثلاً آخر لمن لم ينتفع بالقرآن فيقول: أو قرأ به على لسان أحد لا يحور فيكم (أي لا يرجع) إلا كما يحور رأس الحمار الميت (أي لا يرجع فيكم بخير ولا ينتفع بما حفظه من القرآن الكريم كما لا ينتفع بالحمار الميت صاحبه).

إن العالم والحافظ والداعية محط أنظار الناس ومراقبتهم، فإذا لم ينتفع بعلمه ويعمل به، كان كصاحب الحمار الميت لا ينتفع به صاحبه.

دعاء من عالِم داعية:

ويعلمنا الصحابي الداعية شداد بن أوس رضي الله عنه حديثاً كان رسول الله ﷺ يعلمه أصحابه في السفر والحضر فيقول: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك يقيناً صادقاً، وقلباً سليماً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

وعند هذا الدعاء يتضرع المؤمن إلى ربه طالباً الثبات في الأمر وعزيمة الرشد، وهو يواجه الفتن والشدائد والإغراء حيث يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

وعند هذا الدعاء يطلب المؤمن من ربه أن يعينه على الزاد بشكر النعمة وحسن العبادة واليقين الصادق والقلب السليم.

نسأل الله تعالى رب العرش العظيم أن يحفظنا بحفظه ويكرمنا بلطفه وهديه ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾. [آل عمران:٨].

دروس للدعاة (٢)

كانت بيعة الصحابة للنبي الكريم ﷺ هي الأساس في تشكيل هوية المؤمن؛ عضواً منتمياً لجماعة المؤمنين، عاملاً لنصرة النبي ودعوته، مجاهداً لتبليغ رسالته من خلال الجماعة التي ينتمي إليها.

وكانت البيعة على أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن ينصر دين الله، ويصبر ويصابر في مواجهة الفتن التي يتعرَّض لها المؤمنون في أنفسهم وأموالهم؛ ليزيده ذلك ولاء لله ورسوله وجماعة المؤمنين.

وقد ذكر القرآنُ الكريم سنةَ الله في امتحان أهل الإيمان بقوله: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وكان أصحاب النبي ﷺ يأتونه ما بين مشجوج ومفقوءة عينه ومعتدى عليه بالضرب والإيذاء، ويشكون إليه ويسألونه الدعاء؛ فيبين لهم سنة الله في أهل الإيمان من أصحاب الأنبياء السابقين، وأنهم كانوا تُحفَر لهم الأخاديد فيُحرقون بها: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [البروج:٤-٨].

وكانوا يُنشَرون بالمناشير، ويُقَطَّعون، ويُحرقون.. وما يثنيهم ذلك عن دينهم. فعرفوا سنة الله أن الإسلام لا ينتصر إلا بالرجال وبالمؤمنين الخلص الذين يصدقون الله في مواجهة الباطل؛ لا يضعفون، ولا يذلُّون، ولا يبدِّلون.

البيعة وفتنة الرتب والرواتب وإغراءات السلطة:

نبَّهت سورة النحل المؤمنين للوفاء بعهد الله في مواجهة أهل الباطل الذين يفتنون الناس بمظاهر قوتهم المادية، وما أوتوا من أسباب السلطان المادي وضخامة هذا السلطان بالمقارنة مع ضعف إمكانات أهل الإيمان وحاجتهم وفقرهم، وهذا ما صوره القرآن الكريم بقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل:٩٢].

ولنقف مع الآيات ودلالتها في الوفاء بالعهد والبيعة في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩١-٩٧].

وقفات عند هذه الآيات:

١. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح:١٠].

٢. ﴿وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: تحذير للمسلمين أن ينقضوا عهد البيعة بعد توكيدها وتوثيقها باسم الله وقد جعلوا الله كفيلا وشاهداً ورقيباً عليهم؛ لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه.

٣. ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾: توجيه للمحافظة على مكاسب الدعوة وإنجازاتها، وتحذير لأهل الدعوة والبيعة أن تشتريهم قوة الباطل وإغراء أهله، فينقضوا بيعتهم، ويهدموا ما بنوه، ويضعوا تاريخهم في الدعوة بمنصب أو رتبة أو لكسب مادي، وبدل أن يكونوا قدوة حسنة لإخوانهم -في الصبر والثبات والطاعة والوفاء لبيعتهم ودعوتهم- يكونون قدوة سيئة، أشبه بهذه المرأة الخرقاء التي كانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن أنكاثاً: أي أنقاضاً مَحْلُولَةَ الفَتْل.

٤. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾: فيذكرهم بأيمانهم التي وثّقوا بها بيعتهم، وكيف جعلوها {دَخَلاً﴾ أي مفسدة لا يراعونها، ويضعفون الصف والجماعة بفساد قلوبهم وحرصهم على الدنيا ونقضهم لبيعتهم.

٥. ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾: وتوجه الآية الكريمة للسبب الذي ضعفوا به، وهو أنهم فتنوا بضخامة الباطل وما يملكه من أسباب الإغراء، ومنها: الوزارة، والمنصب، والامتيازات، والتقاعد، وغيرها مما يُشترى به أصحاب النفوس الضعيفة. وهذا ما أجمله القرآن بقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي بسبب أن تكون جماعة الكافرين والظالمين هي أزيد عدداً وأوفر مالاً من جماعة المؤمنين، فيسعون لهذا المال يجمعونه، ولهذا السلطان يحتمون به ويطلبون مكاسبه وهباته وامتيازاته في التجارة والنيابة، ومؤسسات الدولة وسلطاتها.

٦. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: أي إنما يختبركم ربكم بما يملك أهل الباطل من إغراءات المال والقوة والسلطة. قال العلماء: إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ، أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم، وقلة المؤمنين، وفقرهم وضعفهم، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: ينذرهم ربهم ويحذرهم من مخالفة ملة الإسلام بنقض بيعتهم وإيثارهم الدنيا على الآخرة.

٧. ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في هذه الآية كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم، ليُذكِّر الدعاة بالبيعة والأيمان التي أقسموها، تأكيداً عليهم، وإظهاراً لعظيم ما يرتكب هؤلاء المفارقون للجماعة طمعاً في الدنيا أوخوفاً على دنياهم. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها. ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين، أو بصدكم غيركم؛ لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا، لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنُّون بها، وهؤلاء الناقضون للبيعة المفارقون للجماعة ينتظرهم العذاب العظيم في الآخرة.

٨. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: وهذا توجيه آخر للدعاة: ألا يغتروا بأعراض الدنيا ومكاسبها التي يغريهم بها أهل الباطل والله يبين لهم ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من أعراض الدنيا ينفد ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفد ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين ومشاق الإسلام وإغراءات أهل الباطل ووسائلهم بالترغيب

والترهيب ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يضاعف لهم الجزاء ويعطيهم ثواب أعمالهم بأحسنها وأكثرها ثواباً يوم القيامة.

ثم بين هذا الثواب بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وفي هذه الآية نجد عظيم الثواب حين نقارن بين حياة المؤمن المحافظ على بيعته ودعوته الذي يعيش في ظلال الحياة الطيبة التي تصاحب العمل الدعوي مع إخوانه في مواجهتهم لأهل الباطل وتناصرهم في الله وما أكرمهم الله به في صلاتهم وقيامهم وعبادتهم وصدقاتهم وتزاورهم وتراحمهم وبذلهم وعطائهم وحسن تربيتهم وإعدادهم لإخوانهم.

هذه الحياة الطيبة التي عاشها النبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم، وعاشها التابعون بإحسان، وعاشها الإمام حسن البنا وعبدالقادر عودة وسيد قطب وإخوانهم، وعاشها أحمد ياسين وإخوانه وهم يواجهون الطواغيت ويستعلون على دنياهم التي انتفخوا بها، واستكبروا بسلطانها ﴿فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ ذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً، إن كان موسراً فحياته طيبة بشكره لربه، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة، والرضا بقسمة الله، والمشاركة في العمل الدعوي المتصل بالعمل لإقامة دولة الإسلام، وإحباط عمل العدو وكيده الذي يسعى لتهويد الأرض والمقدسات، وتغريب المجتمع الإسلامي، وهدم مؤسساته الدعوية، وتفريغها من العلماء الدعاة، ونشر الفساد السياسي والأخلاقي والمالي بين المسلمين.

فالعمل الدعوي المجاهد المقاوم لمخططات أعداء الإسلام هوالحياة الطيبة التي أكرم الله بها أهل الدعوة والبيعة، فهم المرابطون على ثغور الإسلام المجاهدون والمقاومون، العارفون ببركة البيعة وأثرها المبارك في إعطاء (التنظيم) قوته وحركته

وتجدده وحياته، فحياتهم الطيبة من حياة الدعوة وقوتها وانتصاراتها ومقاومتها.. وليستشعر الدعاة أن حياتهم الطيبة بالدعوة والعمل لها، وأن حياة الدعوة وقوتها وتجددها بقدر ما يبذلون ويقدمون.

قال ابن عباس: الحياة الطيبة: الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني في الجنة. وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه.

نسأل الله أن يكرمنا بالثبات على دينه والوفاء بالبيعة حتى نلقاه وهو راض عنا.

العدد (٨٧) نيسان ٢٠٠٩ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفضائيات العربية وسياسة التخدير والإلهاء

ما أشبه اليوم بالأمس! كان الوطن العربي قبل الإسلام مقطعاً ممزقاً يحتل الروم بلاد الشام ومصر والمغرب الكبير، ويحتل الفرس العراق وما بعدها، ويحتل اليهود في داخل الجزيرة العربية أحسن الأراضي الزراعية في المدينة وخيبر وتيماء، ويتحكمون في سوقها التجاري، ويقيمون الأحلاف مع القبائل العربية ليُحكِموا نفوذهم السياسي والعسكري والاقتصادي.

وكان العرب فاقدين لكيانهم السياسي، راضين بالتبعية للدول الكبرى؛ فالقبائل العربية المتاخمة للدولة الرومانية تقوم بحراسة أمن الروم من أي عدوان، والقبائل العربية المتاخمة لفارس يقومون بحراسة أمن فارس، وعرب الروم موالون للروم، وعرب الفرس موالون للفرس، أما العرب داخل الجزيرة فهي قبائل يستحل بعضها دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض.. وبهذه السياسة أمّن الروم حدودهم، وأمّن الفرس حدودهم، وحكمت العرب سياسة الهلاك بالتدريج.

وحتى لا يصحو العرب لجرحهم وأسباب هلاكهم، قامت أسواق الكلام والشعر والنثر في (عكاظ)، وكانت أشعارهم ومعلقاتهم حاملة لأمراضهم الجاهلية في التفاخر الكاذب والاعتزاز بالعصبية وتعميق أسباب الفرقة والعداوة.. حتى مَنَّ الله على العرب والإنسانية بالإسلام ونبيه المصطفى ﷺ؛ فحطَّم الأوثان، ونقلهم لعبادة الله وحده، وحرَّرهم من العصبيات جميعها، ووحّد قبائلهم تحت راية الإسلام، وزكّى نفوسهم بأخوّة الإيمان، وارتقى بفكرهم ومشاعرهم ليحملوا رسالة الله والخير والتحرير للبشرية جميعاً.

وإذا ما قارنّا بين واقع العرب اليوم، وسياسة المستعمر الصليبي الصهيوني في تقطيع العرب والمسلمين، وجعل حكامهم أشبه بزعماء القبائل في حراسة أمن (إسرائيل) وأمريكا، وتعميق أسباب القطيعة حتى يعيث اليهود في شعب فلسطين قتلاً وسجناً وحصاراً وتعذيباً، ويعيث الأمريكي والغربي في العراق تقطيعاً وقتلاً وهدماً وإفساداً، والشعوب العربية مخدرة صامتة تتابع آخر أخبار المذابح اليومية والمجازر الوحشية، وما تتعرض له الأمة من هدم لمسجدها الأقصى وتهديد ببناء (الهيكل) على أنقاضه، وهدم لنظامها القيمي والأخلاقي والعقائدي في سياسة الإعلام والجامعات والتربية والتعليم، ومحاصرة لهوية الأمة في دينها ولغتها العربية وتاريخها وتراثها.. نجد أن التاريخ يعيد نفسه، وأن العرب الذين كانوا مخدَّرين بالمعلقات وقصائد الفخر والخيلاء؛ أصبحوا مخدّرين بالفضائيات والجلوس على شاشات التلفاز ليسمعوا هذا الحوار بين السنة والشيعة، أو بين فتح وحماس، دون أن يصلوا إلى لب المشكلة، وهي تغيير الأنظمة الفاسدة وكلاء المستعمر وجلادي الشعوب، كما فعل الرسول ﷺ حين دعاهم للبيعة على أن ينصروه، ويعطيهم الله ملك كسرى وقيصر.

ما أشبه اليوم بالأمس.. سوق (عكاظ) الذي كان يشغل العرب بالمعلقات والتفاخر بقيس وتميم، وإشغال العرب عن واقعهم وأسباب هلاكهم بهذه الأشعار التي تشفي غيظ قلوبهم وتخدِّر جروحهم دون أن يتحولوا إلى العمل الجماعي الذي يحررهم من الحكام المستبدين، حراس أمن المستعمر ووكلائه في سرقة أموال الأمة وهدر قوة الوطن بأسواق استهلاكية، وسمسرة حرام، وسرقات ورشوات مرئية ومخفية، وإعلام مضلل مخدِّر.

كم ندوة عقدت، وكم مقابلة عرضت، تتحدث عن كل شيء إلا عن السبب الحقيقي للتخلف والفرقة وتحكم الأجنبي في بلاد المسلمين، وهو النظام السياسي

الفاسد العفن الذي أوصل هؤلاء الظالمين المستبدين للحكم ومكّنهم من رقاب الشعوب وإذلالها.

ولا يتحدثون عن المنهج الحركي والثقافة الإيمانية الجهادية، التي تدعو العلماء ورجال الفكر والإعلام للقيام بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتزاع سلطة الأمة من الحاكم المستبد؛ لتكون للشعب ومن يمثله من العلماء الأحرار والرجال الصالحين.

لقد كان تحول العرب من سياسة الجاهلية وحكامها وإعلامها وأوثانها، ثمرة مباركة للرسالة الإسلامية وهدايتها التي وحَّدتهم بعد فرقة، وآخت بينهم بعد عداوة، وزكّت نفوسهم وطهّرت قلوبهم من الجاهلية وقيمها ووثنياتها، وحوّلتهم للوحدة والجهاد لتحرير الأرض، وتحرير الإنسان، حتى طهَّروا الأرض من كسرى وقيصر والملوك المستبدين، ورفعوا راية الإسلام من جبال (البرانس) في فرنسا إلى تخوم الصين، ومن المحيط إلى الخليج، وقد فقهوا عقيدة الولاء والبراء، والحب في الله والعداوة في الله.

وقفة عند بعض الآيات والمواقف:

١. القارئ المتدبر لقوله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٧]، يجد كيف ضيَّع فرسان الكلام من الشعراء والخطباء أنفسهم وقبائلهم، وكيف هدر العرب ثقافتهم وقيمهم، وكيف فعلت أسواق (عكاظ) بالقبائل العربية؛ فزادتها فرقة وانقساماً، يحكمها ويوجهها أغراض الشعر الجاهلي القائم على التفاخر والهجاء والعصبية والأنانية والمديح والغزل والنسيب، وكيف

نقلهم القرآن الكريم هذه النقلة الإيمانية العظيمة التي حوّلتهم من التفاخر بالأنانية والعصبية في شعر عمرو بن كلثوم وقوله:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدَراً وطيناً

إلى التفاخر بالسماحة والإيثار بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، وكيف نقلهم من الولاء للعشيرة وجاهليتها المتمثلة بقول شاعرهم:

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَت غويْتُ وإن ترشُد غَزِيَّةُ أَرشُد

إلى الولاء لله ورسوله وجماعة المؤمنين ونصرة الحق والدفاع عن المظلوم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦]، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء:٧٥].

٢. وفي قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ نجد الشعراء المتبوعين، والأتباع الغاوين الذين أغواهم هؤلاء الشعراء، وأضلوهم بشعرهم وما يحمل من قيم جاهلية فاسدة.

٣. وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ تجد ضياع الأمة بضياع قادة فكرها وثقافتها، وأنهم ضالون مضلُّون، وهائمون في وديان أغراض الحياة الجاهلية، مستهلكون فيها، لا يهتدون إلى منهج الله؛ منهج التحرير والإنقاذ. قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: "لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب في الحرم والغزل ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم، ولا يطرب لقولهم إلا الغاوون والسفهاء"، ورواء

شعرهم، والناس المبهورون بكلامهم، المشغولون بأنفسهم وبقيم الحياة الجاهلية التي تزيدهم تيهاً وضياعاً، وتزيد هؤلاء الشعراء كبراً وفخراً.

٤. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ تصوير صادق للتعارض بين القول والفعل عند قادة الفكر الجاهلي، وفي مقدمتهم هؤلاء الشعراء الذين ربطوا أنفسهم بمصالحهم ودنياهم، وصاروا يمدحون من لا يستحق المدح إذا أعطاهم، ويشتمون من لا يعطيهم، شأن رجال الإعلام وأصحاب الأعمدة في الصحف المرتزقة في دفاعهم عن النظام الباطل، وإلباس الحق ثوب الباطل، وإلباس الباطل ثوب الحق.

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ بعد قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يصوّر حرصهم على قلب الحقائق وخداع الناس، وأنهم يذهبون كل مذهب من القول، ويعتسفون غير مبالين بما يكذبون ويظلمون. قال صاحب "الكشاف": "ذِكْر الوادي والهيوم: فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول، واعتسافهم وقلة مبالاتهم؛ حتى يفضّلوا أجبن الناس على عنتره، وأشحَّهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء، ويفسّقوا التقي". وكأنه يتحدث عن بعض رجال الصحافة الذين يحاربون رجال الدعوة الإسلامية وأهل الجهاد، ويشوّهون صورتهم خدمة للمحتل المستعمر في العراق وفلسطين وغيرها من بلاد الإسلام.

٥. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين حملة العقيدة ورجال الرسالة ومن سار على طريقهم من الدعاة والوعاظ والخطباء الذين تطهرت قلوبهم من العقائد الوثنية والجاهلية، وسخّروا أقلامهم للدفاع عن دين الله، ونصرة رسول الله ﷺ؛ فمدحهم الله بهذه الصفات العظيمة وهي:

أ. الإيمان.

ب. العمل الصالح.

ج. ذِكْر الله ذكراً كثيراً.

د. الانتصار لدين الله ونبيه ﷺ.

فالشاعر المسلم ليس متكسباً ولا مرتزقاً، وكذلك الأديب والمفكر وصاحب الدعوة يصدق عمله قوله.

والشاعر المسلم -وكذلك الداعية- مشغول قلبه بربه ورسالته وذِكْره لله، يصدق فيه قول ربه: ﴿وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. فهو حافظ للقرآن، يكثر من تلاوته والاستشهاد بآياته وأحاديث نبيه ﷺ.

وهو يعيش همّ الدعوة وجرحها منتصراً لدين الله، مواجهاً الظالمين، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، جاهراً بكلمة الحق، غير ساكت عن الظلم وأهله، وغير مهادن له مهما عزّ الثمن، وغلت النصيحة.

٦. وفي قوله تعالى في آخر الآيات والسورة: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}. ما يحمل البشرى لأهل الإيمان، والمجاهدين لنصرة دين الله، بالقول والعمل، بالسيف والكلمة، بالصدق والموقف، بالعمل الجماعي الجهادي المنظم الشامل لكل أنواع المقاومة للظالمين أعداء هذا الدين.

جهاد أصحاب الكلمة من الشعراء والأدباء:

وفي هذه الآية توجيه للأمة لترعى الأدباء والشعراء المؤمنين، وتحسن إعدادهم ليقوموا بوظيفتهم الإيمانية في تعبئة الأمة، والدفاع عن دينها، ونصرة نبيها ﷺ، والرد على أعداء الإسلام، وكشف زيفهم وضلالهم وشبهاتهم.

ومن اللافت للنظر أن أعداء الإسلام في عصرنا هذا يسلّطون الأضواء، ويقدّمون الجوائز للشعراء الملاحدة، والكتّاب الفجرة، والمجلات اللادينية؛ ليقوموا بدورهم في حرب دين الله. وأولى بالمسلمين أن يواجهوا هذه الردة الثقافية والإعلامية بإعداد يكافئها.

ونذكر في هذا المقام كيف كان رسول الله ﷺ يرعى الشعراء المسلمين ويشجعهم..

تذكر لنا كتب السيرة عن جهاد الشعر والشعراء مع رسول الله ﷺ، فهذا كعب بن مالك يقول: لما انكشفنا يوم أحد، كنت أول من عرف رسول الله ﷺ وبشّرتُ به المؤمنين حيّاً سويّاً، وأنا في الشِّعب؛ فدعا رسول الله ﷺ كعباً بلأمته - وكانت صفراء- فلبسها، وقاتل يومئذ قتالاً شديداً؛ حتى جُرح سبعة عشر جرحاً.

وعن كعب أنه قال: يا رسول الله، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل. قال: "إن المجاهد، مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النّبل".

قال ابن سيرين: أما كعب، فكان يذكر الحرب، يقول: فعلنا ونفعل، ويتهددهم. وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم. وأما ابن رواحة فكان يعيّرهم بالكفر.

وقد أسلمت (دَوْس) فَرَقاً من بيت قاله كعب:

نخيِّرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوساً أو ثقيفاً

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن مالك: "مانسي ربك لك -وما كان ربك نسيّاً- بيتاً قلته". قال: ما هو؟! قال: "أنشده يا أبا بكر". فقال:

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربَّها وليُغْلبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب

وهجاء كعب لـ(قريش) بأن سمّاها باسم طعام كانت محبة له مكثرة منه وهو (السخينة)، وأن هؤلاء المشغولين بشهواتهم مهزومون أمام أهل الحق.

وكان ﷺ يقول لحسان: "قل وروح القدس معك". (السلسلة الصحيحة للألباني).

اللهم اجعلنا من حملة كتابك، أنصاراً لدينك، سلماً لأوليائك، حرباً على أعدائك، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

العدد (٧٣) شباط ٢٠٠٨ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خيار المقاومة

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا واللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ [النساء:٨٤].

في هذه الآية الكريمة يوجِّه الله تعالى النبيَّ القائد ﷺ للمقاومة لمواجهة بأس الذين كفروا، وأن يبدأ القائد بإعلان الجهاد بنفسه، ثم يُحرِّض المؤمنين على القتال. ويختم الآية بقوله: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ليبين لنا المنهج في دفع بأس الأعداء، وهو التقاء القائد والجند في المقاومة والجهاد يستمدون من الله النصر ﴿واللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ ينصر أولياءه ويمكِّن جنده، فلا يُدفع بأس الأعداء إلا بالجهاد ووحدة الأمة على ذلك قائداً وجنداً.

ونجد الآية التالية: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ [النساء:٨٥] تبين لنا مفهوم الشفاعة الحسنة، وأنه ضَمُّ جهدك إلى النبي القائد وأصحابه في المقاومة والجهاد، ليكون لصاحبها نصيب من ثوابها، كما تبين مفهوم الشفاعة السيئة وهي أن ينضم صاحبها إلى خندق الأعداء بموالاتهم أو نصرتهم، أو بخذلان المؤمنين والتأخر عن نصرتهم، ليكون لأصحاب هذه الشفاعة السيئة كفل من العذاب ونصيب بما فرطوا في نصرة دين الله، وقعدوا عن نصرة رسول الله ﷺ.

مسؤولية القائد:

ويلفت النظر في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أنه خطاب رباني موجه للنبي القائد بالمقاومة، ليجعل من تكليفه بها تكليفاً للأمة: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ ليقيم الحجة على قيادات الدول

الإسلامية ألا تتوانى ولا تتخلف عن دعوة شعوبها للمقاومة والجهاد لدفع خطر الأعداء.

نماذج مضيئة من القديم والحديث:

ونجد في القيادة المجاهدة في غزة وفلسطين صورة مشرقة لالتقاء القائد والمجاهدين في خندق المقاومة مُقتدين برسول الله ﷺ وقد أعلن القائد والجند الجهاد والمقاومة، حين فجّرها شهيد الفجر الشيخ أحمد ياسين وسار على طريقه صلاح شحادة وعبدالعزيز الرنتيسي، ويحمل الراية إسماعيل هنية والزهار -أبوالشهداء- وإخوانهم.. يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦].

حصار غزة وأهداف العدو:

بعد احتلال العدو الصهيوني لفلسطين عام (١٩٤٨م) وبقية فلسطين عام (١٩٦٧م) بقي عليه أن يحتل إرادة شعب فلسطين ليتنازل ممثلو السلطة عن المقاومة ويعترفوا لليهود بدولتهم وما احتلوا من أرضها في عام (١٩٤٨م) أي (٨٠٪) من فلسطين في معاهدة (أوسلو)، ولتتنازل مصر عن خيار المقاومة والجهاد في (كامب ديفيد)، وتتنازل الأردن عن خيار المقاومة والجهاد في معاهدة (وادي عربة)، ثم ليدعو (بوش) القيادات العربية للتطبيع مع العدو الصهيوني وإنهاء حالة العداوة والمقاومة.

وفي هذا مخالفة صريحة للنص القرآني في دفع بأس الأعداء بالجهاد: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾. وإن الذين استجابوا لدعوة بوش في (أنابوليس) للتطبيع مع العدو

الصهيوني الذي ينكّل بأهل فلسطين قتلاً وحصاراً وسجناً وتعذيباً هم الذين حادّوا الله ورسوله بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ [محمد:٣٥].

شهادة التاريخ:

وإذا ذكرنا استسلام الأنظمة بمعاهداتها مع اليهود، وحراسة أمن (إسرائيل)، وتعويقها للمقاومة والجهاد، ومصادرة خيار الأمة بالجهاد والإعداد له، ومحاصرة المنابر والإعلام بخنق أنفاس المقاومة؛ فإنا نذكر القيادات الشعبية الجهادية التي انطلقت تحت راية النبي ﷺ في فلسطين والعراق ولبنان والصومال وأفغانستان، تتلو قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٦].

وتُذكّرنا هذه القيادات الشعبية الإيمانية الجهادية بقيادات المقاومة في عهد نور الدين وصلاح الدين، حيث انطلقت المقاومة من المسجد، والعالِم الذي دعا الأمة إلى الجهاد والمقاومة والزهد بالدنيا، وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عبد الرحمن الجوزي -رحمهما الله تعالى- شيخي مدرسة الجهاد والمقاومة، وكان جنود نور الدين وصلاح الدين من تلاميذ هذه المدارس.

يقول صاحب كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين": "لقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون"، وذلك لإحياء روح الأمة المجاهدة وبعثها للمقاومة. واليوم للأسف نجد سياسة تحريم الحديث عن الجهاد في المنهج الدراسي والمسجد والإعلام، ومحاصرة العلماء المؤهلين أن يخطبوا أو يعظوا!!

الحملة الصليبية الصهيونية:

والمتابع للسياسة الأمريكية الصهيونية الصليبية يجد كيف التقت أحقاد التاريخ بمخططات الإبادة للقضاء على حصون المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان والصومال وإيران.

وإن استعراضاً سريعاً لما يجري في محيطنا العربي والعالمي يجد ما يلي:

١. سعي (إسرائيل) وأمريكا لاغتيال قادة المقاومة من أحمد ياسين إلى عماد مغنية، ولا يعلمون أن أرض الإسلام تُنبت القادة والمجاهدين كما تنبت التين والزيتون.

٢. العمل على إذلال القادة العرب وتصويرهم عاجزين عن الدفاع عن أرضهم وأوطانهم؛ لِبَثِّ روح اليأس والاستسلام في الشعوب.

٣. العمل على الإساءة للشعوب المسلمة بالاعتداء المعنوي على شخصية نبيها ورسولها وقائدها ﷺ، ومن ذلك إقدام أكثر من صحيفة دنماركية على إعادة نشر رسوم مسيئة للرسول ﷺ.

٤. وكذلك مهاجمة كبير أساقفة الكنيسة الإنجليكانية (روان وليامز) لأنه طالب بالنظر في بعض جوانب الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأحوال الشخصية، وأثارت الصحف موجة كراهية واسعة ضد الإسلام والمسلمين.

٥. وكذلك توجيه الضغوط السياسية والإعلامية على المملكة العربية السعودية من أجل إجبارها على السير في طريق التغريب وإخراج المرأة السعودية من حصانة القيم الإسلامية.

٦. وكذلك فرض قوانين تغريب المرأة على الأردن، وتقديم تشريعات لتعديل قانون الأحوال الشخصية.

٧. والسؤال: أين العلماء؟! وأين المقاومة الثقافية والفكرية لمواجهة هذا الاحتلال الثقافي للأسرة، ولهوية الأمة في لغتها العربية التي صودرت في كثير من المدارس والجامعات في البلاد العربية والإسلامية؟!

أين القائد الحاكم الذي يقود المقاومة ويحرض المؤمنين عليها؟! أين العلماء ورثة الأنبياء الذين يتجاوزون وظيفتهم التي حاصروهم فيها ببيان بعض أحكام الطلاق والميراث والمواعظ الأخلاقية، ومنعوهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر في قضايا الأمة الكبرى المتعلقة بالتطبيع مع العدو اليهودي، ومراقبة ميزانية الدولة ومصادر تمويلها أين تنفق وكيف تنفق؟! وما نصيب المقاومة والجهاد والدفاع عن شرف الإسلام ومقدساته من هذه الأموال؟!

إن الحاكم المستبد الذي وصفه القرآن بقوله: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤] عاد من جديد في بلاد المسلمين، ليحكمهم بالبطش وكمِّ الأفواه ومنع المقاومة وموالاة أعداء الإسلام وحراسة مصالحهم في بلاد المسلمين.

٨. وإذا ما قارنا بين البرلمان في بلاد الغرب أو عند العدو الصهيوني وكيف يحاسب حكامه ويكشف أخطاءهم، وبين البرلمان في بلد عربي، لنجد النائب الذي يطلب رضى الحاكم لينال من هباته ومصالحه ولا يجرؤ على حساب أو سؤال، وهو يعلم أن التزوير هو الذي جاء به لمقعد النيابة، ووظيفته الأولى والأخيرة إعطاء الثقة وأخذ الهبات.

٩. إن الله سنَّ سنناً لا تتخلف، فإذا استهانت الأمة بالمقاومة والجهاد، ورضيت بموالاة أعدائها؛ سلَّط الله عليها الذل والغلاء والوباء.. فما اختار الله هذه الأمة لحمل رسالة الإسلام إلا لتُحسن الدفاع عنه، وعن أرضه ومقدساته، ولتعيش به عزيزة كريمة. ومن هذه السنن أن تنفق الأموال للإعداد والجهاد لا للتبذير

والقصور. قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

١٠. وإن المتابع لمجريات الأحداث يجد إرهاصات حرب صليبية يهودية بدأت تطل برأسها، بدءاً من الأسلحة الأمريكية الحديثة التي تتدفق على (إسرائيل) بصورة لافتة للنظر، ومن بينها قنابل قادرة على اختراق التحصينات الأرضية، ومنها حربهم النفسية والسياسية والاقتصادية وحشودهم العسكرية من أجل القضاء على آخر حصون المقاومة الشعبية في لبنان وفلسطين والعراق وسورية وغيرها.

تحية لأهلنا في غزة:

إن ثبات أهلنا في غزة وهم يتحدّون الحصار الظالم ويعيشون في فصل الشتاء بلا وقود ولا كهرباء ولا ماء ولا غذاء ولا دواء، ويودّعون كل يوم الشهداء.. ليحمِّلون القائد العربي المسؤولية وقد أمره الله أن يقتدي بالنبي القائد ﷺ في دفع بأس الأعداء: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} لكننا نجدهم يخالفون هذا الأمر.

يا حكام العرب: إن التاريخ يشهد والأجيال تسجل ماذا فعلتم لأهل غزة.. يُقتلون، يُجوّعون، يموتون بلا غذاء ولا دواء.. ماذا فعلتم والعدو يستعد لإحكام احتلاله للوطن العربي من نِيله إلى فراته، ومن محيطه إلى خليجه؟!

يا أهلنا في غزة: وكأني بكم في جهادكم ومرابطتكم تتصلون بأهل بدر وأحد والخندق وحنين، وتمدون يدكم مبايعين النبي ﷺ على الجهاد والنُّصرة، وأنتم وحدكم تدافعون عن شرف الإسلام، وشرف المسجد الأقصى الذي يعمل اليهود على هدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

يا أيها المسلمون في كل أرض وتحت كل سماء: إن أهل غزة وفلسطين وفوا بالعهد، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣] وأنتم ماذا فعلتم لنصرتهم؟! وهل حسبتم أن متابعة أخبارهم في الفضائيات تُعفيكم من المسؤولية عند الله؟!

هُبُّوا لنجدة إخوانكم.. طالبوا حكامكم.. اطردوا الخوف من قلوبكم، فإن المخروب من خرب دينه، والمسلوب من سلب دينه، وليس بعد الجنة من فاقة، وليس بعد النار من غنى..

العدد (٧٤) آذار ٢٠٠٨ م

وماذا بعد غزة؟!

انتقلت المقاومة من الأنظمة الرسمية إلى الشعوب المجاهدة، وأكرم الله الأمة في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام بقيادات مجاهدة خرجت من صميم الأمة وبايعتها الأمة على الجهاد، لا تأخذها في الله لومة لائم. وتمكنت هذه القيادات الشعبية المجاهدة أن تفضح مخططات (إسرائيل) وعملائها في أرضنا من خلال ما يلي:

١. (إسرائيل) لا تؤمن إلا بالإرهاب وقهر الشعوب؛ لتستسلم وترضى بالعبودية في ظل المحتل ما دام يؤمِّن لها أكلها وشربها وحاجاتها المادية.

٢. والمتابع لإجرام عصابات الصهاينة يجد مسلسل الإرهاب من مجازر (قبية) و(دير ياسين) و(صبرا وشاتيلا) و(مجزرة المسجد الإبراهيمي) إلى مجازر (قانا) وقتل أطفال لبنان ومجازر القدس ونابلس وجنين إلى مجازر (غزة) وقتل الأطفال والنساء والشيوخ والرجال، وإبادة أهل غزة إبادة جماعية بالحصار القاتل، والقذائف الحارقة الصاروخية.

٣. إن وراء هذا الإرهاب عقيدة يهودية فاسدة تستبيح قتل العرب والمسلمين كباراً وصغاراً، وما المعهد الديني الذي اقتحمه البطل المجاهد علاء أبودهيم رحمه الله تعالى إلا كشف للإرهاب اليهودي الذي يخرِّج القادة والقضاة ورجال الدين ليعبئوا اليهود على استحلال دمائنا، وقتل أطفالنا، واحتلال أرضنا من النيل إلى الفرات، وإقامة المستوطنات في القدس والضفة؛ حتى يجعلوا الأمر الواقع مانعاً من أيِّ انسحاب.

٤. وفي مواجهة السياسة اليهودية الرسمية والشعبية القائمة على الإرهاب والإبادة وقهر الأمة وإذلالها نجد سياسة الأنظمة التي تدعو إلى الإذعان والتطبيع وقمع حركات المقاومة والجهاد وإسكات المنابر وخنق كلمة الله التي تدعو إلى المقاومة وبيان أخطار اليهود وعداوتهم للإسلام ونبيه ﷺ.

٥. ومن خلال معاهدات (كامب ديفيد) و(أوسلو) و(وادي عربة) جنَّدت (إسرائيل) من يقوم بمهمة حماية أمن (إسرائيل)، وعدَّلت القوانين لتحاسب المجاهدين وتحاصرهم، وقطعت الوطن العربي، وحرمته من استثمار البترول في الدفاع عن القدس وشرف الأمة ونصرة أهلها وهم يدافعون عن دينهم وقدسهم وأوطانهم.

صحوة الشعوب:

وبدأت الشعوب تصحو، وتتحول إلى طريق المقاومة والجهاد، وسارعت أمريكا و(إسرائيل) ومَن دار في فلكهما لمصادرة الصحوة قبل أن تمتد وتتعمق وتشتعل؛ عن طريق إذلال الشعوب برغيف الخبز وحاجات العيش، ومنع الدول الغنية بالبترول من إمداد إخوانهم في الأردن وفلسطين وغيرهما.

على موعد مع بشرى النبي ﷺ:

قبل أربعة عشر قرناً بيَّن النبي ﷺ لأهل الأردن وفلسطين دورهم في مواجهة الإرهاب اليهودي الصليبي، وأن جهادهم كجهاد أهل بدر وأحد والخندق، وأنهم جند رسول الله في أخطر معركة للدفاع عن الوجود الإسلامي في بلاد الشام والعراق والجزيرة. وإذا ذكر النبي ﷺ أهل الأردن وفلسطين، فإنها أيضاً دعوة لأهل الجزيرة والخليج ومصر والمغرب لينضموا لمعسكر المقاومة والجهاد في فلسطين والأردن؛ لأن معركة الإسلام واحدة والمسلمون أمة واحدة.

فأهلنا في بلاد الجزيرة والعراق والخليج ومصر مشمولون بهذه البشرى وهذا النداء؛ لأن المعركة معركتهم، والدفاع عن شرف القدس والمسجد الأقصى والوجود الإسلامي في هذه الأرض، هو مسؤوليتهم جميعاً.

إن بشرى النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وتقتلوهم، أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيّه". وحديث النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة. قلنا يا رسول الله: أين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس". (رواه ابن جرير الطبري في مسند عمر، بإسناد حسن) تشملهم جميعاً ليكونوا مع أهل الأردن وفلسطين في معركة رسول الله ﷺ.

كيف يخطط الأعداء:

وأخطر ما يعمل له العدو أن يكبت الشعوب حتى لا تصحو لجرحها ولا لمستقبلها، عن طريق تزوير إرادتها بمجالس نيابية خادعة، وفرض حكام لقمع الشعوب وإرهابها، وفرض سياسة المستعمر الاقتصادية التي يتحكم فيها وكلاؤه بأحرار الأمة، وينهبون أموالها ويحظون بالمكاسب والامتيازات ثمناً لخدمتهم لسياسة المستعمر و(إسرائيل) في حماية أمن هؤلاء وتحقيق مصالحهم.

الشعر في المعركة:

قد أحسن وصف سياسة المستعمر وأذنابه في تدجين الشعوب وقمعها وهزيمتها الشاعر (بدوي الجبل) بعد هزيمة حزيران/ ١٩٦٧م بقوله:

رمل سيناء قبرنا المحفور ... وعلى القبر منكر ونكير
كبرياء الصحراء مرَّغها الذل ... وغاب الضحى وغار الزئير
لا شهيد يرضى الصحارى وجلّى ... هارب في رمالها وأسير
لم يعان الوغى لواء ... وما عانى فريق أهوالها ومشير
رتب صنعة الدواوين ما ... شارك فيها قرُّ الوغى والهجير

إلى أن يقول يصف حالة الموت التي يفرضها الطغيان على الشعب:

نحن موتى وشر ما ابتدع الطغيان ... موتى على الدروب تسير
نحن موتى وإن غدونا ورحنا ... والقصور المزوقات قبور
نحن موتى يُسرُّ جارٌ لجارٍ ... مستريباً متى يكون النشور؟!

صواريخ (القسام) وصواريخ لبنان:

وكانت صواريخ المقاومة في جنوب لبنان، وصواريخ المقاومة في غزة وفلسطين بداية النهاية لدولة الاحتلال والإرهاب اليهودي، وأن الشعوب في سنوات قليلة من المقاومة سلكت الطريق الذي يرعب العدو، ويحطم كبرياءه، وأن الأنظمة بجيوشها وأسلحتها وقياداتها الموالية للغرب وأمريكا أعجز من أن تحرر شبراً من الأرض أو تثأر لطفل في فلسطين أو لبنان.

القرآن العظيم في المعركة:

ودخل القرآن الكريم بآيات الجهاد معركة القدس والأقصى ليبصرنا بالنقاط التالية:

١. إفساد بني إسرائيل المتكرر على هذه الأرض وهلاكهم بسببه. قال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا. عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤-٨].

والنذير الإلهي: ﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾. وهاهم يعودون لتعود سنة الله في إهلاكهم كما أهلك الله أسلافهم.

٢. القدس ومسجدها الأقصى جزء من عقيدتنا وديننا لا يُفرِّط بها إلا من فرَّط بدينه وعقيدته، وقد جعلها منتهى الإسراء وبداية المعراج؛ لتستقر في قلب المسلم هذه العقيدة.

٣. ذكر الله تخريب بني إسرائيل للمسجد الأقصى وحربهم لدين الله ومساجده، وحمَّل أمة محمد ﷺ وحدها مسؤولية السيادة على القدس ومسجدها بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

قال المفسرون: ومن المقصود بمساجد الله المسجد الأقصى المبارك الذي خربه اليهود بقتل الأنبياء والعلماء ومحاربة الدعوة، وخربه الرومان بتحويله إلى مكان لجمع أوساخ المدينة بعد أن خربوه وهدموه.

٤. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ نص قرآني يقرر سيادة المسلمين على القدس ومسجدها، وأن غير المسلمين لا يدخلونها إلا بتصريح وإذن من المسلمين يكفل لهم أمن الدخول ويزيل خوفهم.

٥. إن محمداً ﷺ هو وارث الأنبياء جميعاً، وإن رسالة القرآن العظيم هي خاتمة الرسالات ووارثتهم والأمينة عليها وعلى مقدساتها.

وقد بايع الأنبياءُ رسولَ الله ﷺ في القدس والمسجد الأقصى حين قدَّموه إماماً في الصلاة، على الإمامة والسيادة له ولأمته.

٦. وإذا طبّقت أمريكا و(إسرائيل) وحلفاؤهما في بلاد العرب مبدأ (رمتني بدائها وانسلّت)، ووصفت الذين يدافعون عن أوطانهم ومقدساتهم وأبنائهم بـ(الإرهابيين)، وتنسى إرهابهم وهم الذين يقتلون مئة وعشرين فلسطينياً في غزة في يوم وليلة، ويقتلون كل يوم العشرات، ويسجنون الآلاف، وينكّلون بهذا الشعب المحاصر فلا يوصفون بالإرهاب. وقد ذكرهم الله في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١]. وأما الذين قتلوا مليوناً من أهلنا في العراق وشرّدوا أربعة ملايين، وتستّروا على التصفية العرقية التي يقوم بها عملاء أمريكا و(إسرائيل) فلا يوصفون بالإرهاب!

٧. إن إشغال العلماء ورجال الفكر في البلاد العربية بالحديث عن فروع الشريعة، وإهمال الحديث عن القضايا الكبرى المتعلقة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتمكين بعض العملاء من الاعتداء على رموز الإسلام على شاشة الجزيرة في برنامج (الاتجاه المعاكس) امتداداً للاعتداء الذي قام به الحاقدون في الدانمارك على نبي الإسلام ﷺ.

مثل هذه البرامج تخدم هدفاً استعمارياً صليبياً يهودياً، ولا تزيد المسلمين إلا صلابة في دينهم وقوة في مقاومتهم وكشفاً لخطط العدو وازدراءً له: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

ونعود للسؤال في مطلع الكلمة:

وماذا بعد غزة؟!

وماذا بعد حرب لبنان؟!

عدو يحشد للإجهاز على المقاومة، ومؤمنون يبايعون الله على الجهاد والمقاومة ويرددون قول رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يواجهون حصار المشركين وعدوانهم في غزوة الأحزاب.. النبي ينشد ويردد وهو يحفر الخندق:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وهم يجيبون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

وكأني بكم يا أهلنا في بلاد الإسلام تسمعون من وراء الغيب كلمات النبي ﷺ لتقولوا كما قال أحبابه وأنصاره وجنده من قبل:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

وكأني بدماء أطفال غزة وفلسطين تنتفض من جديد لتناديكم باسم الأمهات الثكالى والآباء والرجال والنساء والشيوخ والشهداء:

سلام على أمٍّ تُـواري رضيعـهـا وتشكو بني الإسلام: هل ضيَّعوا دمي؟
سلام على أبطـال غـزة هـاشـم صـواريخهم تحكي بطـولات مسلم
سأثأر ممن باع قـدسـي ومسجدي وسلّـمهـا وابتـاع مجـدي بـدرهـم
سأصدق قول المصطفى في يهودها لتنـطـق أحجـاري تقول: تقـدَّمـي
سلام على أم تُـواري وحيـدهـا وتهتف للرحمن روحـي وأعـظـمي
فداء لبيت القـدس مسرى محمد وإنا على عـهـد النبـي المكـرم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

واشوقاه يا رسول الله

كان المهرجان العظيم الذي أقامته جمعية المحافظة على القرآن الكريم في قاعة (الأرينا) بجامعة عمان الأهلية، وحضره ما يقارب عشرة آلاف، وكان خارج القاعة ضعف هذا العدد، تعبيراً صادقاً عن وفاء هذه الأمة لرسولها العظيم ﷺ وحبها له.

وكانت ردّاً على حملات الإساءة الصليبية والصور الكرتونية في صحف الدنمارك وهولندا، وأن أحقادهم وإساءاتهم هذه لا تزيدنا إلا إيماناً بانتصار هذا الدين وتكريماً لنبيه والتفافاً حول رايته وجهاداً صادقاً حتى نحرر أرضنا في فلسطين والعراق وبقية بلاد الإسلام من قواعدهم العسكرية ومؤسساتهم الاستعمارية التي تتستر باسم الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية.

وقد اختارت الجمعية هذا الشعار الجميل "واشوقاه يا رسول الله" لتذكِّر بما يلي:

١-الدنيا ميدان جهاد وصدق على طريق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم حتى نطفئ شوقنا بلقائه على الحوض.

٢-كان من سيرة السلف الصالح هذا الشوق المستعر في ساحات الجهاد والبذل؛ فهذا بلال رضي الله عنه يجاهد في فتوح بلاد الشام ويقيم فيها، ويمتنع عن الأذان حتى لا يؤذّن بعد وفاة حبيبه رسول الله ﷺ، وحين يفتح عمر رضي الله عنه القدس يطلبون منه الأذان وفاء لمسرى رسول الله ﷺ وقد شدَّ عمر الرحال من المدينة المنورة لتسلُّم مفاتيح القدس، وما خرج من المدينة لتُسَلَّم مفاتيح مدينة من المدن التي فتحت في العراق ومصر وبلاد فارس وبلاد الشام، إلا للقدس، نظراً لعظم مكانتها في دين الإسلام، ولم يملك بلال إلا الاستجابة لرغبة الصحابة الكرام ورفع الأذان وقلبه يتحرَّق شوقاً لرسول الله ﷺ.

ومع أذان بلال تذكَّر الصحابةُ الكرام رسولَ الله ﷺ، فهاجت أشواقهم وانهمرت دموعهم، وكان من أشدهم بكاء أبوعبيدة قائد الجيوش وفاتح القدس، ومعاذ بن جبل العالِم المعلِّم، حتى قال لهما عمر: حسبكما، حسبكما. ومع أذان بلال وشوقه وكأن رسول الله ﷺ يحضر معهم هذا الفتح العظيم؛ فتح بيت المقدس وتطهيره من أرجاس الرومان، وإعادة المسجد الأقصى لسابق عهده في عبادة الله وحده.

"واشوقاه يا رسول الله" كان في قلب الجندي الفاتح وهو يحرر بيت المقدس وفلسطين ويفتحها، بعد أن فتحها رسول الله ﷺ فتحاً روحيّاً في رحلة الإسراء والمعراج، وصلى في المسجد الأقصى إماماً بالأنبياء والمرسلين، وقد قدموه للإمامة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وسيدهم وحامل رسالتهم والأمين عليها من التحريف والتبديل.

ويرى بلال في منامه وهو في الشام النبي ﷺ يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟! فيلتهب الشوق، ويشد بلال الرحال إلى المدينة ليحظى بالصلاة في مسجد النبي ﷺ والسلام عليه. وليرفع الأذان من مئذنة المسجد النبوي، ويخرج أهل المدينة رجالاً ونساء وكباراً وصغاراً إلى الطرقات يبكون ولسان حالهم يقول: "واشوقاه يا رسول الله".

وعلى فراش الموت يذكر بلال حبيبه رسول الله ﷺ، ويشتد شوقه إليه، وتراه زوجته مقبلاً على الموت فتقول: واحسرتاه. فيرد عليها بلال ويقول: بل وافرحتاه، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه!

٣- إن شوق المحبين عهد متجدد على السعي على طريق المصطفى ﷺ لنحظى باللقاء به في ثياب الجهاد والاستقامة. جاء جندي في معركة اليرموك إلى أبي عبيدة رضي الله عنه وقد غلبه الشوق إلى نبيه ﷺ، ووجد أن أقصر طريق للوصول إلى المحبوب المصطفى شهادة في سبيل الله. فقال لأبي عبيدة: إني قد تجهزت لأمري فهل لك حاجة أبلغها رسول الله؟ فقال له أبو عبيدة: نعم، أقرئ رسول الله السلام، وبشِّره أن الله قد صدقنا ما وعدنا.

٤- وكان حب رسول الله ﷺ والوفاء لقيادته، محرك الأمة للجهاد والتحرير وإنقاذ الأوطان من أعداء هذا النبي الكريم؛ أعداء الإسلام العظيم، وكانت أناشيد المصطفى ومدائحه في عهد نور الدين وصلاح الدين هي أغاني الأفراح والمناسبات، وكان الشوق للنبي الكريم شوقاً لمسجده الأقصى في القدس وشوقاً لتحريره وجهاداً لنصرته، وقد حرَّك نور الدين القلوب حين بنى منبر المسجد الأقصى في حلب قبل فتحه بسنوات، وكانت بشائر الفتح مع دخول صلاح الدين مدينة حلب فاتحاً منتصراً حتى يعبِّر عن هذا الشوق المجاهد الفاتح خطيب المسجد الأموي في تهنئته لصلاح الدين بالفتح، بقوله:

وفتحُكُمُ حلب الشهباء في صفر مبشِّر بفتوح القدس في رجب

وقد صدَّق الله الرؤيا، وصدَّق البشرى، بعد أن عرف المحبّون كيف يترجمون أشواقهم إلى جهاد صادق تحت راية صلاح الدين رضي الله عنه في انتصار حطين.

٥- وكان حب رسول الله ﷺ وتوقيره هو الذي ملك قلوب المسلمين في غزوة الخندق وهم يواجهون بعددهم القليل أكثر من عشرة آلاف مشرك عدا عن اليهود وغيرهم من المشركين، فتراهم يسمعون النبي ينشد وهو يحفر الخندق:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

ويجيبه أحبابه وأصحابه:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا

وينزل قوله تعالى في سورة الأحزاب يصف صدق المحبين المجاهدين في نصرة نبيهم وهم يواجهون الحصار والجوع والخوف والأخطار فيقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً .**

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢١-٢٤].

ونقف عند بعض معاني هذه الآيات الكريمة لنسأل: ما الأسوة الحسنة التي ذكرتها الآية؟! قال العلماء: "أنه في نفسه أسوة حسنة، المُقتدى به في جهاده وصبره وبذله وشجاعته، وأن فيه خصلة من حقها أن يُؤتسى بها وتُتَّبع، وهي المواساة بنفسه، وطرد الخوف واليأس من قلبه".

وهنا نسأل: ماذا حصل لو يئس رسول الله في غزوة الخندق مع اشتداد الحصار على المسلمين؟! ماذا حصل لو استجاب لمطالب المشركين والمنافقين فاستسلم؟ ماذا حصل لو يئس رسول الله يوم أحد، ويوم حنين، وأثناء هجرته ثاني اثنين إذ هما في الغار؟!

إن أحباب رسول الله وعشاقه هم الذين يحسنون التأسي به في صبره وثباته وجهاده، لا تزيدهم قوة الأعداء إلا صبراً وثباتاً يقاومون المحتل الأمريكي والصهيوني في العراق وفلسطين وبلاد الإسلام، ويقاومون عملاءهم الذين يحاولون نقل الأمة من حال التأسي والاقتداء بجهاد النبي الكريم وصبره ومقاومته إلى حال الاستسلام والتطبيع، وجرّ الأقدام إليه تحت شعار "حوار الأديان" مع من يقتلوننا في فلسطين والعراق وينصِّرون أبناءنا ويهوِّدون قدسنا.

إنه لا بد للجنة من ثمن، ولا بد للنصر من ثمن، ولا تحرر الأوطان إلا بدفع الثمن الذي ذكره الله ووعد به عباده المؤمنين: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٢٢].

قال العلماء في تفسيرها: وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء

وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصـرَ الله قَرِيب﴾ [البقرة:٢١٤]. وما زادهم هذا إلا إيماناً بالله ومواعيده، وتسليماً لقضاياه وأقداره.

إنهم الفئة المجاهدة في فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان ولبنان، إنهم أحباب رسول الله وعشاقه يجاهدون كما جاهد ويجوعون ويحاصرون ويصبرون ويصابرون ويقتدون بالنبي الكريم ﷺ.

ومن لطائف سورة الأحزاب التي تحمل معاني المقاومة للعدو وتحدي إرهابه ومحاصرته أنها ربطت قلوب المؤمنين في مطلعها ووسطها بالنبي القائد ﷺ ليتصل الجهاد بجهاده وليستمد الأحباب من نور صبره ومقاومته فلا يضعفون ولا يستسلمون. ولنستعرض بعض هذه الآيات:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ الله وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الأحزاب:١] أي لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأياً ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، يريدون من النبي ﷺ أن يتنازل عن دينه، أو عن مبادئه ويسالم أعداء الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] أي في كل شيء من أمور الدين والدنيا، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمُه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وأن يبذلوا نفوسهم دونه ويجعلوها فداءه.

٣- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً . لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الأحزاب:٧-٨]. وفي تفسيرها: واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيّم ومنك خصوصاً ومن نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء عن صدقهم وعهدهم وشهادتهم، وليسأل المصدِّقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقاً.

٤- وذكر الله المقاومة في وجه حصار الأعداء وقد كشف الله المنافقين بتعويقهم عن الجهاد والمقاومة وتخذيلهم، وميَّز النبيّ والمؤمنين بصدقهم وصبرهم وثباتهم وجهادهم. [الآيات: من (٩) إلى (١٣) وآية: (١٨) من سورة الأحزاب].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الله فَضْلاً كَبِيراً﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

قال العلماء في تفسيرها: أي أرسلناك شاهداً على من بُعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم كما يقبل الشاهد العدل في الحكم، ليتذكر أحباب رسول الله ﷺ شهادته يوم القيامة وما قدموا وجاهدوا وبذلوا لنصرة دين الله في فلسطين والعراق وبلاد الإسلام، وليتذكر الغافلون الذين رضوا بأن يكونوا عوناً للظالمين، أو متفرجين، شهادة رسول الله لهم أو عليهم.

ومبشراً من أطاع وجاهد بالجنة والمغفرة والنصر والتمكين، وداعياً إلى الله بتيسيره وتوفيقه، قال العلماء: ما فائدة قوله ﴿بِإِذْنِهِ﴾ وقد فُهم من قوله: ﴿دَاعِياً﴾: أنه مأذون له. وأجابوا: إنما جُعل الإذن مستعاراً للتسهيل والتيسير؛ ذلك لأن وعاء أهل الشرك والجاهلية في القديم والحديث إلى الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة أمر في غاية الصعوبة والتعذر، فقيل: بإذنه، للإيذان بأن الأمر الصعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره، وأن تعاون أهل الجاهلية في القديم والحديث يحتاج إلى عون الله وتيسيره وتوفيقه، وأتبعها الله بقوله: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ والمعنى: جلى الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون، كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدي به، أو أمدّ الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار.

أحباب رسول الله، يا عشاق المصطفى تقولون: "واشوقاه يا رسول الله"، ويقولها معكم إخوانكم المجاهدون العاملون لتحرير أرض الإسلام في فلسطين والعراق والصومال ولبنان وأفغانستان، والمجاهدون لرفع راية الحكم بالإسلام في بلاد المسلمين، يستمدون من نور جهاد النبي نوراً، ومن صبره وعزيمته قوة، ومن شوقهم للقائد مدداً على الطريق.

العدد (٧٦) أيار ٢٠٠٨ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبناؤنا والقرآن الكريم

مسؤولية الوالدين عن القرآن الكريم وحسن تربية أبنائهم على تلاوته وفهمه والعمل به تُبيِّنه الأحاديث الشريفة:

- قال رسول الله ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأب راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها...". (متفق عليه)، فهي مسؤولية عامة تبدأ بالدين والقرآن الكريم.

- ويُحَذِّرنا النبي ﷺ أن نُقصِّر في هذه المسؤولية بقوله: "يولد المولود على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه". (متفق عليه).

وإذا شاهدنا في عصر غزو الإنترنت والتلفاز والفضائيات لبيوتنا عرفنا خطر هذه الأجهزة على دين أبنائنا وبناتنا وأخلاقهم، وعرفنا معها كبير مسؤولية الوالدين في المراقبة والتوجيه، وهذا ما وجهنا إليه النبي ﷺ بقوله: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة". (متفق عليه).

ومن الغش ألا تُطَهِّرَ أجواءَ بيتكَ من سموم الإذاعة والتلفاز والإنترنت والفضائيات وفسادها. ومن الغش ألا تسأل عن أصدقاء ابنك أو صديقات ابنتك لتعرف البيئة الأخلاقية التي يعيشون فيها، هذا ما نبّه إليه النبي ﷺ بقوله:

- "المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل". (أخرجه ابن حجر العسقلاني، وقال حديث حسن).

وهنا نفقه الأمر الرباني بوقاية أبنائنا وبناتنا وأهلينا نار جهنم كما أمرنا بوقاية أنفسنا. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم:٦].

ونعرف كرامة البشرى لمن أحسن تربية أبنائه وبناته بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١].

ويذكر الله لنا فرحة أهل الجنة بفوزهم ونجاتهم وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]. فإشفاقهم على أهلهم في حياتهم وما أدى إليه هذا الإشفاق من تربية إيمانية وتعليمهم للقرآن الكريم وطاعة الله، فتحت لهم أبواب الجنة وجعلتهم يلهجون وهم يدخلونها: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:٢٦-٢٧].

ويذكر الله أيضاً الآباء الذين شغلتهم الفرحة بالأولاد والأهل عن إلزامهم بطاعة الله وتعهُّدهم بحفظ القرآن وحسن التربية، فقال في أهل النار: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً . إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ . بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ [الانشقاق:١٣-١٥].

ويوجهنا النبي ﷺ إلى فضل حسن تربية الأبناء بالمقارنة مع الصدقات المادية فيقول: "لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع". (أخرجه الترمذي، وقال حديث غريب)، والمعنى أن كل توجيه كريم لأبنائك يتضاعف ثوابه عند الله أكثر من الصدقات المعتادة، وفي الحديث: "ما نَحل والد ولداً من نحْل أفضل من أدب حسن". (أخرجه الترمذي، وقال حديث غريب)، وفي الحديث: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم". (رواه المنذري بسند حسن) أمر للآباء بمراعاة أدب أبنائهم، وتشذيب أغصانهم؛ ليشبُّوا على الكمال، ويترعرعوا على كتاب الله وسنة رسوله، وتزهر دوحتهم مثمرة منتجة في ظلال القرآن الكريم وحسن تلاوته وفهمه والتحلي بأخلاقه.

وهنا نُذكِّر الآباء والأمهات بالثواب العظيم لمن علَّم القرآن وتعلمه. قال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". (صحيح البخاري)، وكلنا يحرص على الخير لولده في دنياه وآخرته. ويدلنا ربنا على الخيرية نكرم بها أبناءنا في تعلُّم القرآن وتعليمه، وليس بمظاهر الدنيا وزينتها.

وهذا ما وجه الله نبيه إليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٧-٨٨].

وفي آية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٣١]. والمعنى أن رزق ربك بالقرآن وتعلُّمه وتعليمه والعمل به وما ادخر لأهل الإسلام والقرآن والعمل الصالح من ثواب الآخرة هو خير من متاع الدنيا وزينتها وأدوم. وهذا لا يتعارض مع حسن تعليمنا لأبنائنا لنُسَلِّحهم بالعلم النافع وأن يحملوا الشهادات العلمية التي تمكنهم من خدمة أنفسهم وأسرهم وأمتهم.

وهنا أُذَكِّر بطائفة من أحاديث النبي ﷺ التي بينت ما ينتظر الوالدين اللذين علما أبناءهما القرآن الكريم وما ينتظر أهل القرآن من ثواب عظيم.

قال رسول الله ﷺ: "من قرأ القرآن وعمل به؛ أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟!" (رواه أبو داود، وحسّنه الألباني).

أيها الآباء، أيتها الأمهات.. إن يوم القيامة يوم عظيم، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٣]، إلا أهل القرآن والإيمان يجعل الله لهم من نور القرآن شافعاً وأماناً، ويجدون أبناءهم قرة أعين يُسابقونهم إلى الجنة، ويُلبسونهم تاج الوقار والرحمة والكرامة.

أيها الآباء والأمهات.. لو تعلمون مقام أهل القرآن يوم القيامة لتسابقتم إلى تعلُّمه وتعليمه. قال ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ

القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق؛ له أجران". (صحيح مسلم)، وقال ﷺ: "اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه". (صحيح مسلم).

لقد خلق الله السماوات والأرض وذللهما لأهل عبادته وطاعته: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً . وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ [الفرقان:٦١-٦٤]. فذكر الله أهل القرآن الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً، وقد نسبهم إلى عبادته بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، ووصف عزوفهم عن مظاهر الدنيا وعداواتها: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾؛ حتى لا يشغل أهل القرآن عن ربهم شاغل.

والدارس لأخلاق عباد الرحمن - وهم أهل القرآن الذين يحسنون تلاوته ويبيتون لربهم سجداً وقياماً- في آخر سورة الفرقان؛ يرى كيف يُطهِّر القرآن النفس ويزكيها ويُعدّها للمقام العظيم عند الله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ [الفرقان:٧٥].

ويُفَصِّل لنا النبي ﷺ أثر القرآن في غراسه الطيبة وثماره الكريمة في نفوس من يُحسنون تلاوته والعمل به فيقول: "مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترجَّة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها، وطعمها طيب". (صحيح البخاري)، ويبين لنا النبي ﷺ أن الذين يقرؤون القرآن ولا يتحلَّون بأخلاقه يكون القرآن حجة عليهم يوم القيامة. قال ﷺ: "القرآن شافعٌ مُشَفَّع، وماحلٌ مُصَدَّق؛ مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار" (رواه ابن حبان). و(ماحلٌ مُصَدَّق) أي: خصمٌ مجادلٌ مُصَدَّقٌ في حُجَّته على من لم يعملوا به.

ويُوَجِّهنا النبي ﷺ إلى بركات القرآن الكريم بقوله: "عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله، وعليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذُخر لك في السماء". (رواه ابن حجر العسقلاني)، ويبين لنا النبي ﷺ من هذه البركات بقوله: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف". (سنن الترمذي بسند حسن)، ويُوجِّه النبي ﷺ المسلمين والمسؤولين عن المساجد أن يعمروها بتعلم القرآن وتعليمه، وفي الحديث: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". (سنن أبي داود بسند حسن).

وفي الحديث: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حَلِّه. فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده. فيُلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه. فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق. وتزاد بكل آية حسنة". (رواه الترمذي وقال حسن صحيح). وفي الحديث: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها" (رواه الترمذي وقال حسن صحيح). وعن ابن عمر رضي الله عنه: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب؛ فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالاً فتصدَّق به آناء الليل وآناء النهار" (متفق عليه).

وهنا نجد كيف تعظم أهداف الحياة بالقرآن وتلاوته، وحسن إنفاق المال في سبيل الخير، كما نجد في الصورة الأخرى كيف يتحاسد الناس على حطام الدنيا وزينتها فيشقون ويهلكون.

آية القراء:

وقد كرَّم الله أهل القرآن بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠]. ثم يصف الله من حمل القرآن صادقاً سابقاً بالعمل به والثواب الذي ينتظره بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

وهنا نجد كيف ذكر الله التالين لكتابه وبعدهم المقيمين للصلاة والمنفقين لأموالهم في عقد واحد يبشرهم بالفوز والتجارة الرابحة، ثم بالسبق إلى رضوان الله ورحمته في مقابلة من ظلم نفسه، أو وقف مقتصداً تساوت حسناته مع سيئاته.

يقول لنا ربنا وقد اصطفانا لحمل رسالته: يا أهل القرآن، يا أهل الصلاة، يا أهل المال والإنفاق، ها أنتم تواجهون في هذه المرحلة أخطر حملة صليبية أمريكية صهيونية تدميرية تريد أن تجتث أصول هذا الدين من خلال المدرسة والمنهج والجامعة والإعلام والثقافة، ومن خلال مكرهم بالليل والنهار بإبعاد أولادنا عن اللغة العربية ودراستها وفهم نصوصها، وإبعادهم عن القرآن الكريم وحسن تلاوته وفهمه؛ حتى يتخرج الطالب لا يحسن قراءة صفحة من القرآن بغير خطأ. وما بقي إلا الآباء والأمهات ومؤسسات المجتمع المدني وفي مقدمتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم لنتعاون جميعاً على تحصين أبنائنا بالقرآن الكريم وحسن دراسته وتعلمه، وإحباط مخططات العدو الذي يريد أن يُغرِّب أبناءنا وبناتنا ويحولهم إلى ثقافته وهويته وأخلاقه.

أيها الآباء، أيتها الأمهات.. إن الاحتلال الثقافي والأخلاقي أخطر من الاحتلال العسكري، وإن الله سائلكم عن هذا القرآن العظيم كما قال لنبيه ﷺ:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]. فأعدُّوا لهذا السؤال جواباً.

وهذه جمعية المحافظة على القرآن الكريم تفتح أبوابها لكم. عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا يناالهم الحساب، هم على كثيب من مسْك، حتى يفرغ من حساب الخلائق... وكان من أوّلهم: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأمَّ به قوماً وهم به راضون". (رواه المنذري وقال: إسناده لا بأس به).

اللهم اجعلنا منهم، واجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكانة القدس في الإسلام

فتواصوا بالقدس جيلاً فجيلاً

ورث محمد ﷺ الرسل والرسالات، وورث مكة والقدس بيت الأنبياء ومهبط الوحي التي بنى مسجدها إبراهيم الخليل بعد بناء البيت الحرام بأربعين عاماً.

وكانت القدس قِبْلَة النبي ﷺ وهو في مكة؛ يجعل الكعبة بينه وبين القدس ليصلي للقبلتين جميعاً، وبعد الهجرة إلى المدينة كانت القدس قبلته في صلاته لمدة ثمانية عشر شهراً، حتى شاء الله تحويل القبلة إلى البيت الحرام بعد أن تشرَّبت القلوب حبَّ القدس وفلسطين، ونزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤].

واختار الله القدس من بين بقاع الأرض مسرى لنبيه ومنطلقاً لمعراجه، وامتدت القدس في الحكم القرآني لتشمل فلسطين كلها من نهرها إلى بحرها، وهذا ما عبَّر عنه خلفاء الدول الإسلامية بالأوقاف التي وقفوها للقدس ومسجدها من المدارس والأراضي والمكتبات وآبار المياه وغيرها؛ حتى قال العلماء: إن أرض القدس وفلسطين وقف إسلامي مقدس لا يملك حاكم أو منظمة أو جهة أن تتصرف فيه أو تتنازل عنه، ومن فعل ذلك خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين.

آية الإسراء ودلالتها:

وفي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، ما يشير إلى الحكم الشرعي في أن تكون السيادة للمسلمين على القدس وفلسطين، وهو ما يشمله قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ محافظة على بركة الرسالة والدعوة والتبليغ الذي يحمله المسجد، وتأميناً لحركة المسلمين في شد الرحال إلى المسجد الأقصى في حماية الدولة الإسلامية وسيادتها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ الله أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] ما يشير إلى فساد بني إسرائيل في تخريب مساجد الله والمسجد الأقصى وقتل الأنبياء والعلماء، وإلى المهمة التي كلَّف الله بها أمة الإسلام بتحرير القدس ومسجدها وإقليمها من القوم الظالمين، وأن هؤلاء لا ينبغي أن يدخلوها إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم ويعطيهم الأمان.

الفقه السياسي وسياسة الفتح:

وكان تحرير القدس وفلسطين الثمرة المباركة لانتصار المسلمين في معركة اليرموك، وكان تحرير بلاد الشام من الرومان -الذين حولوا المسجد الأقصى إلى خرابة يجمعون بها أوساخ بيوتهم- من أهداف رجال الفتح، وكذلك كانت غزوة مؤتة في عهد النبي ﷺ بداية تحرير بلاد الشام وفلسطين، وكانت غزوة تبوك وإخضاع الإمارات العربية المجاورة للروم، على طريق تحرير القدس وفلسطين وبلاد الشام.

وقد أولى عمر بن الخطاب فتح القدس عناية كبرى إذ حضر بنفسه لتسلُّم مفاتيحها وإعطاء العهدة العمرية لأهلها، ولم يحضر عمر لتسلُّم مفاتيح المدن الكثيرة التي فتحت في عهده إلا مدينة القدس لعظيم مكانتها في الإسلام؛ فهي القبلة الأولى ومسجد الأنبياء ومسرى النبي المصطفى الذي تُشَدُّ إليه الرحال.

وكان أول عمل قام به عمر بعد الفتح تطهير المسجد الأقصى وإعداده للصلاة والعبادة، ثم صلَّى في المسلمين صلاة العشاء، وبعد أن انصرف المسلمون بقي وحده في المسجد قائماً ساجداً يعيد له سابق عهده في عبادة الله وحده. ومع صلاة الفجر حضر المسلمون وصلَّى فيهم عمر وقرأ في الركعة الأولى سورة (الإسراء) وفي الثانية سورة (ص) التي ذكر الله فيها داود وسليمان وأن محمداً وارث لهما. وكانت القدس وفلسطين باعث الأمة وروح المقاومة كلما ضعف المسلمون وتمكن منهم أعداؤهم.

وتمكن نور الدين وصلاح الدين من إحياء روح الأمة بنداء الجهاد لتحرير القدس وفلسطين، وبنى نور الدين منبر الأقصى قبل تحريره بسنوات ليبعث في المسلمين روح الجهاد لتحريره، وكانت معركة حطين رمزاً للنصر الذي أحرزته الأمة بالقائد المجاهد والعقيدة المجاهدة والعالم المجاهد، وقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المساجد والمدارس بقدر ما بنيا من القلاع والحصون، لتستعيد الأمة روحها المجاهدة، ولتتحول إلى أهداف عقيدتها بالوحدة والجهاد والزهد بمتاع الحياة الدنيا.

القدس وخطط التهويد:

احتل المستعمر البريطاني فلسطين عام (١٩٢٠م)، وأعلن انتدابه عليها تحت خداع أن يُعِدَّ شعبها ليحكم نفسه بنفسه، وليُقدِّم له العون على ذلك.

وكان الهدف الحقيقي أن يُسلِّم فلسطين لليهود، وينتزع شعب فلسطين من أرضه، ويُمكِّن اليهود من القيام بمجازر (دير ياسين) و(قبية) وغيرها، ويُشرِّد أهل فلسطين في البلاد.

وساعد المستعمر البريطاني حكام العرب وقتئذ الذين خدعوا شعب فلسطين ومنعوه من مواصلة ثورته سنة (١٩٢٣م) وسنة (١٩٢٦م) وسنة (١٩٣٦م)، ثم رحلت جيوشهم سنة (١٩٤٨م) لتُسلِّم فلسطين بالأسلحة الفاسدة والقيادات الفاسدة والتآمر على تقسيمها وتقطيعها وتشريد شعبها.

تغييب عقيدة الجهاد والمقاومة:

ورفع العلمانيون والحكام المستبدون شعارات تحرير فلسطين بعد نكبة (١٩٤٨م)، وكانت شعارات جوفاء معلنة حربها على الله ورسوله.

ففي جريدة (الجندي) في بلد عربي مجاور نُشِر هذا العنوان: (الله في المتحف)!!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا ضلالاً وكفراً وكذباً. ووزَّعوا على القوات في سيناء مئة ألف صورة للراقصة (تحية كاريوكا)، وكان شعار الإعلام: "لأجل الربيع.. لأجل عشاق الحياة.. اضرب"!!! وفي ليلة خمر حمراء سهر فيها رجال الطيران ضُرب سلاحهم مع الصباح، وحُطِّمت طائراتهم وهي في أماكنها.

وكان العلماء الصالحون المجاهدون -أمل الأمة في إحياء روحها المجاهدة- في السجون والمعتقلات، وقد سبقهم ثلة من الشهداء من خيرة العلماء والدعاة، وهذا ما مهد لنكبة (١٩٦٧م)، وبعد هذه النكبة أحكم المستعمر الأمريكي والغربي سياسته، وتمكَّن من التعاون مع الحكام العرب لضرب المفاعل النووي العراقي، ثم احتلال العراق وتدميره وتمزيقه وإثارة

العصبيات الطائفية والعرقية، ومكّن لعناصر من الشيعة من إبادة عشرات الألوف من أهل السنة وتهجيرهم من بيوتهم تحت شعار الحماية الأمريكية.

المقاومة طريق التحرير:

وعرف المسلمون الصادقون أن الأنظمة الفاسدة الموالية لأمريكا لا تملك إلا تنفيذ سياسة أمريكا التربوية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما نلخِّصه بالنقاط التالية:

١. الاعتراف بدولة الاحتلال الصهيوني، والتنازل عن أرض فلسطين، والتطبيع مع دولة الاحتلال.

٢. تحريم الجهاد والمقاومة، ومحاكمة المجاهدين والتنكيل بهم.

٣. نشر ثقافة الفساد الثقافي والأخلاقي والاقتصادي عن طريق الإعلام، وحجب الأمة عن القرآن الكريم وهو أساس وجودها والمحافظة على هويتها؛ حتى تضاءل تعليم القرآن في المدارس والجامعات ليتخرج الطالب ولا يحسن تلاوة كتابه أو فهمه.

٤. حجب اللغة العربية عن التدريس بها في أكثر الجامعات، وتدريسها وفهمها أصبح من الضعف والتراجع بمكان.

٥. أصبحت وظيفة النخبة الحاكمة في أكثر البلاد العربية حراسة أمن (إسرائيل)، وحراسة مخطط الغرب في تغريب المرأة، وهدم مقومات الأسرة المسلمة، ونشر الفساد في الشباب والبلاد.

٦. مصادرة المساجد والمنابر والصحف، وفرض هيمنة السلطة على حرية الكلمة، ومنع العلماء من تبليغ كلمة الله، وتقديم وعاظ السلاطين الذين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن المنكرات السياسية والأخلاقية التي تغضب

الحاكم. فتجد هؤلاء الكُتّاب الذين يتسلقون أعمدة الصحف أشبه بالطفيليات أو الفطريات التي تتغذى من مصائب الأمة وجراحها، وظيفتهم تمجيد الحاكم، ومحاربة الدعاة والعلماء والحركات الجهادية المقاومة للمحتل والمستعمر، وتجد بعض العلماء يخشون من الخروج عن الخطوط التي رسمها الحاكم، ويلتزمون خط المهادنة للظالمين على حساب دينهم وأوطانهم ومقدساتهم.

وقد ذكر الله في كتابه العظيم من أسباب هلاك الأمم تقصير العلماء برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود:١١٦] وفي آية أخرى: ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة:٦٣].

٧. غفلة الأمة عن خطر الانقسام الطائفي والمذهبي والعرقي والقبلي على وجودها وبقائها.

ماذا يجري في العراق؟!

وما يجري في العراق صورة توضيحية كبيرة لمخططات المستعمر الذي هدف إلى احتلال العراق وتدمير مؤسساته وقتل علمائه وتشريد شعبه، ومن أجل هذا:

١. استعان بالأنظمة العربية وإيران على احتلال العراق وتدمير مؤسساته الثقافية والاقتصادية.

٢. مكّن لـ(الموساد) أن يقوم بجرائمه بقتل العلماء وتخريب المكتبات والمتاحف، ومكّن لبعض فرق الشيعة من القيام بمجازر لإبادة أهل السنة والجماعة.

٣. قطَّع العراق إلى مناطق للأكراد وللشيعة وللسنة، وفجَّر الصراع بين هذه الطوائف والأعراق التي وحَّدها الإسلام وألَّف بينها.

٤. وبعد أن قتل (بوش) أكثر من مليون عراقي، وشرَّد أكثر من أربعة ملايين من شعبه يسعى الآن لعقد اتفاقية أمنية مع حكومته الضعيفة وشعبه الممزق ليُشرِّع لاحتلال العراق إلى الأبد؛ حماية لـ(إسرائيل)، وحماية للبترول الذي ينهبه من العراق ومن بلاد المسلمين.

٥. وأعلنت أمريكا عن أهدافها: القضاء على المقاومة في إيران وسورية ولبنان وفلسطين. وأعلنت تأييدها لـ(إسرائيل) في تهويد القدس وتوحيدها تحت السيادة اليهودية.

٦. ومن العجب أن يكون دعم (إسرائيل) وتهويد القدس واحتلال فلسطين وتشريد شعبها ومحاصرته والتنكيل به في غزة وقتل الأطفال والرجال والنساء والقضاء على المقاومة، هو أكبر أوراق الدعاية الانتخابية لرئيس أمريكا المقبل.

٧. وأن يجبن حكام العرب عن نصرة شعب فلسطين، وإعلام الرئيس الأمريكي والشعب الأمريكي أن لشعب فلسطين والقدس ومسجدها الأقصى -مسرى النبي ﷺ- أمة تحميه وتنصره، وتعادي من يعتدي على قدسها ومسرى نبيها.

يهود أمريكا وحَّدوا صفهم في الانتخابات الأمريكية، وأرغموا مرشحي الرئاسة على طلب ودِّهم بتهويد القدس والأقصى وفلسطين. وحكام العرب الذين مكنهم الله من آبار البترول، والموقع الاستراتيجي، وجعل مصانع أمريكا تحت رحمة بتروله لا ينطقون بكلمة واحدة دفاعاً عن أوطانهم ومسرى نبيهم وقدسه، بل يتنافسون في خدمة عدوهم، ويعجزون عن أن يُوحِّدوا كلمتهم وينصروا قدسهم ونبيهم ومقدساتهم!

ماذا سيسجل التاريخ؟!

والقرآن الكريم يُحذِّرنا من أن يجتمع أهل الباطل على باطلهم، ويتفرَّق أهل الحق عن حقهم، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال:٧٣]. ومعنى﴿ **إِلَّا تَفْعَلُوهُ**﴾ أي: إن لم تفعلوا الولاية والوحدة والنصرة لدينكم، والاجتماع على الوقوف في وجوه أعدائه؛ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يا حكام العرب: إن التاريخ يشهد، وإن الأجيال ترقب، وإن الله مطَّلع محاسب، وها نحن نعيش خطر الفتنة التي حذَّرنا منها القرآن الكريم، والمارد الأمريكي يهزأ بنا ويسخر منكم ومن دينكم ومن نبيكم ومن مقدساتكم ويعلن تهويدها تحت راية أعداء الرسل وقتلة النبيين.

يا حكام العرب: أيجد حماة الهيكل المزعوم وأعداء القدس والأقصى من يعلنون: "القدس عاصمة (إسرائيل) الأبدية"؛ مقدمةً لهدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، ولا يجد محمد رسول الله والمسجد الأقصى -الذي اختاره الله مسرى له وقبلة أولى ومسجداً تُشَدُّ إليه الرحال- مَن ينصره!!!

متى يعلم الناخب الأمريكي والمرشح الأمريكي أن لمحمد ﷺ رجالاً، وللقدس أمة، وللأقصى مجاهدين يحمونه بالغالي والنفيس؟!

أيها المسلمون وأيها العلماء:

وإذا عجز الحكام عن هذه الكلمة، ورأوا خطر مواجهة أمريكا على عروشهم ودنياهم.. فإن الله سائلكم عن نصرة دينكم وقدسكم ونبيكم على الطريق التي سلكها النبي ﷺ بالدعوة والوحدة والجهاد، وعلى الطريق التي سلكها عمر وأبو عبيدة وخالد وإخوانهم، وعلى الطريق التي سلكها نور الدين

وصلاح الدين.. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وما أجمل قول الشاعر:

إن نسيتم أذى العـــدو هـــلـكـتم فتواصوا بالقـــدس جيلاً فجيلا

واغرسوا القدس في الجوانح حتى تجد القـــدسُ للخـلاص سبيلا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإسراء والمعراج ودروس المرحلة

كيف يتحرر قلب المؤمن من مظاهر المادة وطغيانها؟

كيف تنتصر الإرادة والصبر على مشقة الطريق وأهواله؟

كيف يرتقي المؤمن إلى معراج ربه ويتصل بمدده وعونه؟

كيف تغلب روحُه جسدَه ويجعل الهمة والعزيمة أقوى من مطالب الجسد ورغباته؟

وقعت معجزة الإسراء والمعراج في السنة الحادية عشرة للبعثة، بعد أن أغلق المشركون قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وازدادوا عتوّاً وطغياناً وإيذاء للنبي الكريم ﷺ بعد موت خديجة رضي الله عنها والتحاقها بالرفيق الأعلى وكانت سكن النبي وواحته في بيته، وبعد موت عمه أبي طالب الذي كان يحميه بجاهه ومكانته.

وسافر النبي إلى الطائف وعرض عليهم الدعوة، فردوه أقبح الرد وتبعوه بعبيدهم وغلمانهم يرمونه بالحجارة.

لقد اشتدت المحنة وسدت الأبواب إلا باباً واحداً هو باب الله تعالى الذي توجه إليه النبي الكريم بهذا الدعاء الذي يعلّم المؤمنين كيف يكونون أقوى من الفتنة والطغيان وسلاح الظالمين: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس .. أنت أرحم الراحمين، ورب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". (مجمع الزوائد للهيثمي).

بهذا الدعاء يلهج المجاهدون الذين يقاومون وحدهم في العراق وفلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وقد خذلهم القريب والبعيد، وكادوا لهم، فما وهنوا، وما ضعفوا وما استكانوا يستمدون من نور وجه الله نوراً يبدد الظلمات ويبعث العزمات، ويفرغون قلوبهم من كل حول وقوة متصلين بحول الله وقوته وحده، عارضين قلوبهم وانكسارهم وخشيتهم من الله وافتقارهم إليه، وحرصهم على رضاه، وابتعادهم عما يسخطه. هؤلاء هم الدعاة المجاهدون، الخالصون الأصفياء الذين عرجوا إلى الله بقلوبهم، وأسروا إليه بعزائمهم وهممهم فكانوا أقوى من حديد الظالمين ونارهم وطغيانهم.

إن "كلمة: "إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي" تعبرُ القرون لتستقر في قلوب المؤمنين المجاهدين عزماً وصبراً وثباتاً، وإن مكافأة الله تعالى لنبيه ﷺ برحلة الإسراء، بعد هذا العناء والعذاب والجهاد تحمل الدروس والعبر وتضعنا في ظلال المعجزة ومعانيها التالية:

١. كيف نطلب البركة في العمر والعمل، وكيف نفتح القلب لهبات الرحمن؟ فالمسافة التي تقطع في شهر ذهاباً وشهر إياباً يقطعها النبي بعون الله ورفقة جبريل في ساعة من ليلة واحدة. والتاريخ تاريخ الأنبياء حملة الرسالة يلتقي ويجتمع في المسجد الأقصى ليبايعه الأنبياء على الإمامة ويقدموه إماماً حاملاً لرسالاتهم مكملاً لها. لقد طوى الله لنبيه قرون الزمان كما طوى مسافات الأرض والسماء. وقطع المسافة بين الأرض والسماء والصعود لمقابلة رب العزة عند سدرة المنتهى، والتكريم الإلهي بفريضة الصلاة في هذا الملأ الأعلى، ليعطينا بهذه الصلاة بركة العمر بحسن الصلة بالله ودوامها وثوابها وأنوارها ومنازلها.

٢. وفي الإسراء والمعراج هزَّة قوية للعقلية المادية الوثنية المحصورة بالحدود المادية، والقيم المادية. وقد وجهنا القرآن الكريم لنطلب البركة بالرزق وبالعمل

وبالوقت وحذرنا من الكثرة المحرومة من البركة الغارقة بالمادة وقيمها، قال تعالى: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾. فمع الإيمان والتقوى تتفتح البركات ومع الضلال والمعصية والإصرار على الإثم قد تكون الكثرة التي لا تسعد الإنسان وتحرمه من أجمل هبات الله في التراحم والتواصل وغنى النفس، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

ولقد أحسن ناقد غربي للحضارة الغربية في وصف هذه الحضارة وكثرتها الخالية من قيم الإيمان والسعادة بقوله:

عندنا عمارات تناطح السحاب ولكن أخلاقنا تضيق وتنحط إلى الأرض!

عندنا شوارع واسعة، وأفق ضيق! ننفق كثيراً ولا نملك إلا القليل! نشتري كثيراً ونتمتع قليلاً! بيوتنا أكبر ولكن أسرتنا أصغر! كثرت التسهيلات ولكن قلّ الوقت! شهادتنا العلمية عالية ولكن الحكمة غائبة! ازدادت المعرفة ولكن قلّ الحكم الصحيح على الأمور! ازداد الخبراء وكثرت المشاكل! توسعنا بالمجال الطبي ولكن زادت الأمراض!

نشرب كثيراً وندخّن كثيراً ونسرف في الإباحة، ولكننا نضحك قليلاً، ونثور بسرعة ونغضب بسرعة ونسهر طويلاً ونتعب كثيراً ونقرأ قليلاً! نقضي وقتاً طويلاً على التلفاز ولكن عبادتنا لله قليلة! كثرت مُمْتلكاتنا وقلت متعنا وأفراحنا ! نتكلم كثيراً ونُحب قليلاً ونكره كثيراً! تعلمنا كيف نحصل على الراتب والمال ولم نعرف كيف نعيش الحياة الطيبة! زادت أعمارنا ولم تزد بركة العمر!

وصلنا إلى القمر ورجعنا ولم نعرف جارنا القريب في العمارة المجاورة وما تعلمنا كيف نقطع الشارع لنصل إلى الجار!! فتحنا العالم الخارجي ولم نعرف كيف نفتح أنفسنا! عملنا أعمالاً كبيرة ولكنها ليست الأفضل!

نظَّفنا الهواء ولم ننظف الروح ولوَّثنا النفس والروح!

حملنا الشهادات العلمية العالية ولكن لم نحمل معها كرامة العلماء! وقبلنا التعاون مع الظالمين حرصاً على المال والسلطة!

كان هذا الناقد نافذاً إلى صميم الحضارة الغربية المادية التي خرجت عن هداية الأنبياء وحصرت أهدافها بالمادة وهي "كل واشرب وتمتع لأنك غداً ستموت" وفي سبيل ذلك استباحت أمريكا بقيادة الصليبية المتصهينة التي يرأسها (بوش) أن تقتل أكثر من مليون ونصف مسلم في العراق وتشرد ثلاثة ملايين وتدمر هذا البلد العظيم بمؤسساته الصناعية والعلمية والماء والكهرباء والغذاء وأشعلت فتن التطهير العرقي، واستباحت تدمير شعب مسلم في أفغانستان كما استباحت أن تقدم للصهاينة الدعم المالي والعسكري والسياسي لإبادة شعب فلسطين وتشريده واعتمد بوش وجنده على الكذب والتزوير في ادعاء تدمير الأسلحة الخطيرة التي يملكها العراق، وانكشف كذبهم وأهدافهم العدوانية.

٣- إن الإسراء والمعراج في عقيدة المسلم يحمل نداءين: نداء الأرض ومقدساتها ومساجدها والمحافظة عليها، ونداء الرسالة وقيمها وأخلاقها والدعوة إليها لإنقاذ أنفسنا وأوطاننا وإنقاذ البشرية.

ومن قدر الله أن تصاحب الهجمة الأمريكية الصهيونية على دين الأمة وقيمها وأخلاقها ونبيها - وهو الحامل لرسالات الأنبياء المكمل لها -، أن تصاحبها هجمة على الأرض: أرض القدس الشريف وفلسطين باحتلالها وتدنيسها وتشريد شعبها وقتل الأطفال والنساء والكبار والصغار، وأرض العراق، وأرض الجزيرة

بإقامة القواعد العسكرية فيها ونهب خيراتها، وهجمة على الدين والهوية تقوم بها الجامعات الأجنبية في البلاد العربية والإسلامية؛ تقوم برسالتها التدميرية لكل القيم التي جاء بها رسل الله في الإيمان بالله واليوم الآخر والتحرر من أسار الجسد وطغيانه وشهواته وتزكية النفس والعروج بها إلى معاني الخير والرحمة والعدل.

ومن المؤسف أن أمريكا والغرب فرضت على المؤسسات التعليمية في البلاد العربية سياستها التدميرية لهوية الأمة وثقافتها، حتى وجدنا جامعات في البلاد العربية لا تخجل أن تحرِّم التدريس باللغة العربية ووجدنا في هذه الجامعات سياسة تفكيك المجتمع إلى طبقات غنية قادرة على الإنفاق على أبنائها في هذه الجامعات وأخرى فقيرة محرومة، وهذا ما يؤدي إلى تعميق الهوة والانفصال بين أبناء المجتمع الواحد. ويزداد الأمر سوءاً إذا علمنا أن الثقافة التي تحترمها هذه الجامعات هي ثقافة تدميرية لأصول الأمة العربية الإسلامية.

٤- ومن دروس المعجزة الحديث عن فساد بني إسرائيل؛ فقد تحدثت سورة الإسراء عن فساد بني إسرائيل مرتين وما عاقبهم الله بسبب هذا الفساد من احتلال الأجنبي لأرضهم، وهدم مملكتهم، وتشريدهم في البلاد. ويعرض هنا سؤال الآن:

ما هو فسادهم الذي عاقبهم الله بسببه؟

وما حكمة ذكر هذا الإفساد في القرآن الكريم؟

أما فسادهم فهو خروجهم عن هداية الله وقتلهم للأنبياء والعلماء الذين أمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر بعد أن خضع حكامهم وملوكهم لسياسة ملوك الرومان في تغريب المجتمع، ونشر الفاحشة والفساد، والخروج عن هدي الله. فقتلوا نبي الله زكريا وابنه نبي الله يحيى عليهما السلام وقدمه ملكهم "للراقصة

سلومي" وقطع رأسه إرضاء لها، فسلط الله عليهم كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وشردوهم في البلاد، وكان وعداً مفعولاً.

حكمة ذكر هذا الفساد وعقوبته:

لا بد للأمة المسلمة حاملة الكتاب الخاتم للرسالات أن تستفيد من تجارب أهل الكتب السابقة، حتى لا تقع في أخطائهم فيصيبها ما أصابهم.

وإذا رأينا في هذه المرحلة من يحمل فكر الغرب وأخلاقه ويجدد على أرضنا فساد بني إسرائيل، ويعلن الحرب على الدعوة والدعاة، ويفتح لهم أبواب السجون، ويقيم المهرجانات للغناء الهابط، وإشغال الشباب بغرائزهم وشهواتهم، وإلهائهم عن جراح أوطانهم في فلسطين والعراق وغيرها من بلاد الإسلام، فإن هؤلاء هم ورثة فساد بني إسرائيل الذين يهددون أمن البلد واستقراره بفسادهم ومعاصيهم وينسون عهد الله وميثاقه الذي واثقنا به رب العالمين بهذا القرآن الكريم، وأكرمنا بحمل رسالة محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم الذين فتحوا هذه البلاد وطهروها من رجس الرومان لتكون هذه الأرض المباركة امتداداً لرسالة المسجد الأقصى وعبادة الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾. [الحج:٤١].

وقد ذكر الله فساد بني إسرائيل في سورة المائدة، وكيف عميت بصائرهم، وصموا آذانهم عن سماع كلمة الحق، ومواعظ الأنبياء والعلماء لنعتبر، ونتعظ، ولا نكرر أخطاءهم، فيصيبنا ما أصابهم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ . وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٧٠-٧١]. قال أهل التفسير: "وقد أفادت

الآية أنهم بلغوا من الفساد واتباع أهوائهم، أخشن مركب، وأشده تقحماً في الضلال، حتى لم يعد يؤثر في قلوبهم وعظ الرسل وهديهم، بل صار يغريهم بزيادة الكفر والتكذيب وقتل أولئك الهداة الأخيار".

وقد بيّن الله تعالى عنادهم وإصرارهم على المعاصي وتعطيل شريعة الله وتنكيلهم بالأنبياء والعلماء الهداة، واستبعادهم أن تقع عليهم عقوبة وفتنة بما فعلوا من الفساد والمعاصي، فقال: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ قال العلماء: فلما عموا وصموا وانهمكوا في الظلم والفساد، سلط الله تعالى عليهم البابليين فجاسوا خلال الديار، وأحرقوا المسجد الأقصى، وسلبوا الأمة الملك والاستقلال، ثم رحمهم الله تعالى وتاب عليهم وأعاد إليهم ملكهم، ثم عموا وصموا مرة أخرى وعادوا إلى ظلمهم وفسادهم في الأرض فسلط الله عليهم كفار الرومان وسلبوهم ملكهم وشردوهم في البلاد.

ولا بد من التذكير هنا بأن قوانين مصادرة حرية التعبير ومنع العلماء المؤهلين من كلمة الحق والمنبر هي اتباع لسياسة بني إسرائيل في العماية والصمم ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ ومنع كلمة الحق أن تسمع، وحجب الموعظة عن قلوب الناس. ويغيب عن هؤلاء أن الله يمهل ولا يهمل وهو القائل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥] وقد ختم الله الآية بقوله: ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، لنخشاه حق الخشية ونتعظ ونعتبر.

رمضان .. دروس وذكرى

يوافينا شهر رمضان المبارك ويضعنا أمام الدروس التالية:

١. شهر القرآن الذي اختاره الله لإنزال كتابه فيه ليجدد في الأمة عهدها مع الله بحفظ كتابه تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً وهدى بإقامة دولته وشرعه وأحكامه.

٢. كيف نواجه أعداء القرآن الكريم؟

عرف أعداء الإسلام أن أقرب الطرق لتفريغ الأمة من عناصر قوتها ووحدتها وهويتها وثقافتها هي إشغالها عن هذا القرآن وحجبها عن فهمه وتدبره والعمل بأحكامه. وقد سلكت لتحقيق أهدافها الخبيثة الوسائل التالية:

أ. مصادرة حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية في المدارس؛ حتى يتخرج الطالب وهو لا يحسن قراءة ولا خطاباً ولا كتابة بلغة سليمة، ولا يحسن قراءة صفحة من القرآن ولا صفحة من كتاب باللغة العربية.

ب. مصادرة وسائل الإعلام المختلفة لثقافة الشباب وهويتهم وإشغالهم بالمسلسلات التافهة والصور العارية، وهذا ما يذكر بمسؤولية الوالدين ومسؤولية الحاكم، والرسول ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...". (متفق عليه)، فالحاكم مسؤول، والأب مسؤول، والأم مسؤولة، للمراقبة والتوجيه والحزم مع الأبناء.

ولا بد من مواجهة هذا المخطط الخطير بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني ومنها جمعية المحافظة على القرآن الكريم لنضم أبناءنا إليها ونمدها بالدعم والمال وما نستطيع.

٣. فهم القرآن الكريم وحسن تدبره: نبَّهنا القرآن الكريم إلى وجوب فهم معاني القرآن الكريم بقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]. ولا بد من الرجوع إلى أحد التفاسير المعتمدة، ومنها تفاسير مختصرة كتفسير الشيخ حسنين مخلوف "كلمات القرآن الكريم: تفسير وبيان"، ومنها موسَّعة مثل "تفسير ابن كثير" و"تفسير الطبري" وتفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب وتفسير "التحرير والتنوير" للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وغيرها كثير.

٤. ووفاء لهذه الغاية أقامت جمعية المحافظة على القرآن الكريم مؤتمرها القرآني الثاني، واستضافت صفوة من كبار العلماء الذين قدموا بحوثاً قيمة. وقد ذكرتُ في افتتاحية المؤتمر أن علماء الإسلام عبر العصور عرفوا كيف يواجهون أعداء الإسلام الذين حاولوا أن يشوِّهوا أحكام القرآن وهدايته بالتفاسير المنحرفة، بعد أن عجزوا عن تغيير النص الذي تعهد الله بحفظه.

وألف الإمام أبوحامد الغزالي كتابه "فضائح الباطنية" لبيان فساد عقائدهم وتحذير المسلمين من شرورهم، وألف كتابه "المستصفى" في علوم الأصول، ليبين للمسلمين المنهج العلمي في فهم الكتاب واستنباط الأحكام وتحذيراً من المناهج المنحرفة.

وألف الإمام أحمد بن تيمية كتابه "مقدمة في أصول التفسير" للغرض نفسه، ومن هذه الأصول: وجوب الرجوع في تفسير القرآن إلى القرآن أولاً ثم إلى السنة ثم أقوال الصحابة مع التقيُّد بأصول اللغة العربية وقواعدها وبلاغتها. وبيّن في فتاويه فضائح (النصيرية) والفرق الباطنية.

وألف سيد قطب في العصر الحديث كتابه "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" وكتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعيّاً وهو "في ظلال

القرآن"؛ ليواجه فتنة الجاهلية الغربية بعقائدها وتصوراتها ونظمها، ولينقل المسلم إلى ظلال القرآن الكريم وقيمه وأحكامه، وإلى ظلال الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة.

٥. وكان من أعظم من تنبَّه لخطر انقسام الأمة ببعدها عن مقاصد القرآن الكريم وأهدافه الكبرى الإمام أبوإسحاق الشاطبي في كتابه "الموافقات" وكتابه "الاعتصام"، وقد رأى خطر الخلافات في الأحكام الجزئية على وحدة المسلمين في الأندلس؛ فألّف هذين الكتابين لينقلهم إلى ما يوحِّدهم بالرجوع إلى مقاصد القرآن الكلية والابتعاد عن البدع والضلالات والخلاف في الفرعيات.

٦. وسلك الأئمة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا في العصر الحديث هذا الطريق في بيان مقاصد القرآن الكريم، وتوحيد الأمة عليها. وكان تفسير "المنار" الذي جمعه محمد رشيد رضا ودوَّن فيه أقوال أستاذه محمد عبده إحياء للمنهج بالدعوة لإقامة أحكام القرآن الكريم، وكانت دعوة الإمام الأستاذ حسن البنا رحمه الله تعالى امتداداً لهذه المدرسة في الدعوة الشاملة لشريعة القرآن، ولكن حسن البنا جعلها دعوة عامة شاملة لطبقات المجتمع من عمال وأهل تجارة وعلماء وأطباء يجمعهم تنظيم حركي قرآني يسعى لإقامة دولة القرآن الكريم وإنقاذ الأمة بهدايته.

وفي شهر رمضان يحسن أن نتذكر:

١. الوحدة التي أمرنا الله بها، ووحدة المسلمين في بدء صيامهم وعيدهم مظهر يجسِّد هذه الوحدة، فما بالهم يتفرقون ولا يتوحدون؟! يقول الرسول ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته". (صحيح البخاري).

وحين كانت الأمة أمية لا تجيد الحساب وعلم الفلك، فلا بد أن ترجع إلى الرؤية البصرية. لكن بعد أن زالت عن هذه الأمة صفة (الأمية)، وأصبحت رؤية الهلال

بالمراصد الفلكية المحكمة التي تتوافر عند علماء الفلك المسلمين من السعودية إلى مصر إلى تركيا إلى الأردن إلى أندونيسيا، إلى أنحاء الأرض، ويحسبون زمن تولد الهلال ومتى يرى، بأدق وسائل الرؤية، وأوضح المراصد، وتجد هؤلاء العلماء في مشارق الأرض ومغاربها يجمعون على وقت تولد الهلال ووقت رؤيته، ووقت غيابه.. فما بالنا بعد ذلك نهمل هذا الإجماع العلمي على رؤية الهلال، في مشارق الأرض ومغاربها، ونرجع إلى شهادة رجل لا نعرف هل كان واهماً أو متيقناً، فالعين قد تزيغ، والإنسان قد يحسب أنه رأى ولم ير!!

٢. رمضان ومعركة القرآن في فلسطين والعراق وغيرهما: وفي شهر رمضان يحسن أن نتذكر أن من أهداف أعدائنا أن ينقضوا العروة الوثقى التي توحد الأمة في عقيدتها وعبادتها وأخوَّتها. ومن خلال مناهج التربية والتعليم يسعون لإحلال العقائد الطائفية والإقليمية والمذهبية العلمانية والعصبيات الضيقة، وما تطلبه الأجهزة الاستعمارية من حكام المسلمين من تغيير في المناهج وقوانين الأسرة والأحوال الشخصية؛ حتى يغرِّبوا المرأة ويخرِّبوا المجتمع والأسرة، وليخرجوا المرأة من ولاية أبيها وقوامة زوجها، ويشجعوا الحياة الغربية في العري والتبرج والاختلاط، وتحويل الجامعات والمدارس إلى حياة غربية يفقد فيها أبناء المجتمع الواحد روابطهم التي توحدهم، بعد أن خضعوا لعمليات غسيل عقول في ثقافتهم ودراستهم وحياتهم الاجتماعية الخاصة، وكادوا ينسون عربيتهم وعروبتهم ودينهم وقيمهم.

٣. وفي شهر رمضان يحسن أن نتذكر المسجد الأقصى الذي كنا نشد إليه الرحال في ليلة القدر، وإننا لنجده أسيراً مهدداً بالهدم ولسان حاله يقول: كل المساجد في هذا الشهر عامرة إلا المسجد الأقصى، المسجد أسير والإمام والمؤذن والمصلي في

القيد، والمرشحان للرئاسة الأمريكية يقدمان القدس هدية لليهود وحكام العرب في خدمتهم!!

٤. في شهر رمضان يحسن أن نتذكر أن انتصارات المسلمين في غزوة بدر وفتح مكة وعين جالوت، كانت في شهر رمضان، وأن المجاهدين الأبطال في غزة وفلسطين والعراق يظلهم شهر رمضان وهم يذكرون أبناءهم وآباءهم وإخوانهم وأزواجهم الذين سبقوا إلى الله شهداء وهم على العهد صابرون محتسبون، وأن واجبنا نحوهم أن نمدهم بالمال والدعم وما نستطيع.

٥. في شهر رمضان يحسن أن نتذكر جرائم العدو الأمريكي الصهيوني الذي قتل مليون ونصف مليون من أهلنا في العراق، وشرَّد ثلاثة ملايين إلى سورية والأردن، وشرد مئات الألوف في أقطار الأرض، وقطَّع العراق طائفيّاً وإقليميّاً، وأشعل فيه نار الفتن والحروب ليستكمل إبادته ويسرق بتروله، ويهيمن على بقية آبار البترول في الجزيرة والخليج، ونعمل لتحرير أرضنا ومقدساتنا وخيرات بلادنا من هذا الصليبي الحاقد.

٦. في شهر رمضان نتذكر أن جهاد هذا المحتل المستعمر الأمريكي والصهيوني من أعظم الفرائض، وأن الأمة كلها مدعوة للجهاد في سبيل الله لتحرير قدسها وأوطانها ومساجدها، فإن الله الذي كتب الصيام بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣] هو الله الذي كتب علينا الجهاد بقوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة:٢١٦].

٧. وفي شهر رمضان المبارك نتذكر منهج النبوة في الإعداد والتحرير؛ وهو إعداد المسلم الذي يتوب إلى الله توبة نصوحاً تُطهِّره من حياة الغفلة واللهو والحياة العابثة، وتصله برحمة القرآن الكريم ليكون المؤمن القوي الذي يرعى عهده مع

الله في شهر رمضان وبعد شهر رمضان، والذي يتحول إلى حياة المجاهدة في نفسه وأسرته وأبنائه وبناته ليكونوا جميعاً صوامين قوامين ملتزمين بأحكام الله معظِّمين لأوامره.

٨. في شهر رمضان نتذكر قول الرسول ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه". و"من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه". (صحيح البخاري).

ليكون الصيام والقيام محقِّقَيْن لمقصود الشريعة في إصلاح النفس ووصلها بهداية القرآن الكريم وطلب رضوان الله وجنته.

وقد نبَّهنا النبي ﷺ إلى من يصومون ويغفلون عن حكمة الصوم ومقصده بقوله: "كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش". (أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني)، وبقوله: "من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". (صحيح البخاري).

وقد ربط الله الصوم بالتقوى لنعظم الله حق تعظيمه ونخشاه حق خشيته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]. وربط الله الصيام بالقرب منه سبحانه بحسن الامتثال والتحلي بأخلاق الصائمين وبصدق دعاء القلب الأواب الخاشع لرب العالمين. قال تعالى - بعد أن ذكر آيات فريضة الصوم-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وإلى هذا وذاك فقد رسم النبي ﷺ لنا منهجاً كريماً عرَّفنا به بمكانة شهر رمضان ودلَّنا على مفاتيح الخير والرحمة في هذا الشهر العظيم فقال: "أيها الناس.. أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر.. شهر جعل الله صيامه

فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وهو شهر الصبرِ، والصبرُ ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. قال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على شربة ماء أو حبة تمر أو مذقة لبن، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فأن تسألوا الله الجنة وتعوذوا به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة".

(صحيح ابن خزيمة).

أسأل الله تعالى أن يجعله صوماً مقبولاً وينفعنا ببركاته ويكرمنا بمغفرته إنه سميع مجيب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بداية الانهيار

(انهيار حضارة!)

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦].

في هذه الآيات الكريمة يهدينا ربنا لسنته التي لا تتخلف في إهلاك الظالمين مهما ملكوا من أسباب القوة المادية.

وإن الانهيار الذي بدأ يزلزل الامبراطورية الأمريكية الظالمة وأصابها في نظامها المصرفي ومؤسساتها المالية ليكشف لنا فساد هذا النظام؛ عقيدة وتشريعاً وخلقاً وقيماً. ويحسن أن نقف عند النقاط التالية:

١. فساد عقيدته وفلسفته للحياة القائمة على الكفر بالآخرة، وحصر هموم الناس في الحياة الدنيا وزينتها، والكفر بالله ووحدانيته، وعبادة أصنام القوة المادية ومظاهرها، قال الشاعر:

سيّان في الشرك هذا عابد ذهباً يسعى إلى جمعه أو عابد حجرا

وقد صوّر القرآن الكريم -في سورة الكهف- صاحب الجنتين الذي فُتن بزرعه، وذكر في سورة القصص قارون الذي فُتن بماله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [الكهف:٣٩]، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧]، فكانت عاقبتهما الهلاك والتدمير.

٢. وقامت على هذه العقيدة الفاسدة قوانين وتشريع ربوي ظالم، يجعل المال آمناً بيد طبقة واحدة هم أصحاب رأس المال والبنوك، ويجعل العمال وأهل الصناعة والتجارة يتعرضون وحدهم للخسارة، وكان نتيجة لذلك تكديس الأموال بيد طبقة واحدة هم أصحاب رؤوس المال، وأما بقية الشعب فيعجز عن الوفاء بالتزاماته وسداد ديونه ليكون الإفلاس والانهيار.

٣. وأما الفساد الأخلاقي والقيمي فيظهر فيما يلي: جعلوا الغاية من الحياة أن تأكل وتشرب وتتمتع لأنك غداً ستموت فتتحول حياتهم تحت هذا الشعار إلى ملاه ومطاعم وأندية وصالات لعب واختلاط وإباحية وشذوذ واجتراء على ما أجمع عليه أنبياء الله من تحريم الزنى واللواط وظلم وعدوان، ومنها القوانين التي أباحت زواج المثليين، وساعدت في هدم الأسر؛ بتيسير الخيانة الزوجية والتساهل في العلاقات بين الرجال والنساء طلاباً في المدرسة والجامعة وفي كل مكان.

ومن أبرز القيم الفاسدة لهذا النظام الرأسمالي الفاسد أن تُغري المواطن بإنفاق كل ما يملك على حاجاته وملذاته، وتُخفِّض عنه الضريبة بمقدار ما أنفق، دون أن تدعوه للادخار للأيام القادمة، وتشجعه على أن يستدين ويتحمل الأعباء المالية فوق دخله في سبيل الإنفاق الاستهلاكي وإشباع شهواته ومتعه وملذاته؛ وذلك من أجل أصحاب المصانع والمؤسسات المالية أن يشغِّلوا مصانعهم ومتاجرهم ليزداد الأغنياء غنىً على حساب خديعة المواطنين وإغرائهم بالإنفاق الزائد أو الإنفاق المجنون!!

ومن هذه القيم المدمرة استباحة العدوان على الشعوب والدول الأخرى؛ من أجل نهب بترولها وثرواتها وفرض هيمنتها العسكرية والاقتصادية عليها لتحولها سوقاً لمنتجاتها وأسلحتها، وما فعلته أمريكا في أفغانستان والعراق والصومال من احتلال وتدمير، وما أصابها من خسارة بمئات المليارات بعد ذلك وخسارة عسكرية وأمنية زلزلت اقتصادها وبنيانها.

وكذلك سياستها في دعم العدوان الصهيوني لاحتلال فلسطين، وتشريد شعبها، وحصار أهلها، وسعيها لتهويد القدس الشريف، وإعلان المتسابقَين إلى البيت الأبيض (أوباما وماكين) دعمهما لدولة البغي والعدوان الصهيونية في تحويل القدس عاصمة يهودية، وما يتبع ذلك من هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، وإن الزلزال الذي أصاب النظام الأمريكي هو زلزال الأقصى والشعوب المظلومة.. هو زلزال عاقبة البغي والاستكبار الأمريكي المؤذن بهلاك الظالمين.

من مقومات الاقتصاد الإسلامي المنقذ للبشرية:

يقرر الإسلام جملة من الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية التي تحقق العدل وتقيم التوازن في المجتمع، ومن هذه الأحكام والقيم الإسلامية:

١. المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه لإقامة أحكامه.

٢. تحريم الربا والاحتكار، وهما دعامتا النظام الرأسمالي، وفتح الباب لشركات المضاربة والأعمال الصناعية والتجارية التي يشارك فيها رأس المال بالربح والخسارة ويتحقق العدل والتوازن.

٣. التربية الإيمانية والأخلاقية ومنها:

أ. المال وسيلة لرضوان الله لا غاية للحياة. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧]. وفي الصورة المقابلة ينذر الله من جعلوا الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧-٨]، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:١-٤].

ب. وفي التربية الإسلامية: غنى الإنسان ليس بكثرة ما يملك من متاع الدنيا وعَرَضها، وإنما بما يملك من غنى في نفسه أورثه أخلاقاً زكية وأعمالاً صالحة ومشاركة في أعمال البر جهاداً وعلماً ودعوة. قال رسول الله ﷺ: "ليس الغنى عن كثرة العَرَض، وإنما الغنى غنى النفس". (صحيح البخاري)، وقد تسابق الصحابة والتابعون بالإنفاق في سبيل الله، وكان للمال عند أصحابه وظيفة اجتماعية للجهاد ونشر العلم وسد حاجات المحتاجين، وقد عبر عن هذا المعنى الشاعر بقوله لزوجته:

دعيني أطوِّف في البلاد لعلّني ... أفيدُ غنى فيه لذي الحق مَحْمَلُ

أليس عظيماً أن تلمَّ ملمةٌ ... وليس علينا في الحقوق مُعوَّل

ج. التوازن في الإنفاق. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان:٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء:٢٩]. وإذا كانت الحضارة الغربية المنهارة قائمة على المبالغة في الإنفاق والإسراف في إشباع

الشهوات؛ فإن الحضارة الإسلامية قائمة على التوازن؛ لأن الإسراف يعني حرمان أصحاب الحاجات في المجتمع، وهذا ما نبَّه إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

فهؤلاء الذين أسرفوا في بناء قصورهم وأثاثهم وسياراتهم وملابسهم لو وقفوا عند حد الحاجة والاعتدال وأنفقوا على أقارب وفقراء لا يجدون ثمن الطعام ولا الكساء ولا أجرة السكن.

وحتى يتحرر الإنسان من سلطان شهواته وخيلائه في المسكن والسيارة والطعام والملبس لا بد أن يؤمن بالله حقّاً، ويعرف أن لله يوماً يخسر فيه المبطلون والمتفاخرون، ولا يُثقل ميزانه إلا العمل الصالح والرحمة بعباد الله، وفي الحديث: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء". (سنن الترمذي بسند حسن صحيح)، "يقول الإنسان: مالي، مالي. وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، وما لبست فأبليت، وما تصدقت فأبقيت". (صحيح مسلم)، "اتق النار ولو بشق تمرة". (صحيح البخاري)، وفي الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤].

ويُحذِّر الإنسان أن ينسى فضل الله عليه وعهده. وفي الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧]. وفي هذه الآية الكريمة درس للذين لا يذكرون بداية حياتهم وكيف كانوا في حاجة وفقر، ثم أعطاهم الله ووسَّع عليهم ليبتليهم، فما نجحوا في الامتحان وبخلوا فأطفأ الله

نور الإيمان في قلوبهم، وفقدوا إنسانيتهم وكرامتهم، ورجعوا بغضب الله عليهم.

توجيهات القرآن الكريم وسنن رب العالمين:

والدارس لكتاب الله تعالى يجد معالم مضيئة تهدي المسلمين حتى لا ينخدعوا بالكثرة القائمة على الظلم والبغي والحرام وأن عاقبتها إلى هلاك وخسار. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٥].

ونقف عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لنجد تصويراً معجزاً للحضارة المادية القائمة على الكثرة والتباهي بكل أسباب زينة الحياة الدنيا ومباهجها وزخرفتها وقوتها المادية.. ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ وأَشَرٍ وكبرياءٍ وطغيان ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ وزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم، ورأوا نظامهم المالي ومصارفهم القائمة عليه تنهار فجأة دون مقدمات يحتسبونها ويعدون لها العدة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ يائسون متحسرون، ولا يعرفون سنة الله في القوم الظالمين وبأسه الذي لا يتخلف.

مسؤولية حكام المسلمين وشعوبهم:

وهنا لا بد من التذكير بأمرين:

١. مقاومة السياسة الأمريكية التي تعودت أن تحول خسائرها علينا، بفرض صفقات أسلحة لا نحتاجها، وفرض تحويل أموال البترول إلى خزائنها.. هذا

عدا عن الخسائر التي أصابت المستثمرين العرب في شركاتها وأسهمها وبورصاتها.

٢. آن لحكام العرب والمسلمين وشعوبهم أن يحملوا رسالة الإنقاذ للبشرية بمنهج الله وكتابه، بعد أن يحرروا بلادهم من النفوذ الأجنبي، ويوحدوا أمرهم في مواجهة أعظم كارثة مالية وإنسانية وحضارية يسعى اليهود من خلالها لضرب حصون المقاومة في بلاد العرب والمسلمين وفي العراق وفلسطين ولبنان. إن الطغيان الأمريكي والصهيوني الذي دمر العراق وفلسطين وأفغانستان لا تواجهه إلا أمة تعتصم بحبل الله حكاماً وشعوباً، وتعرف كيف توظف أموالها في معركة المصحف والقدس الشريف، لتجد البركة في المال والرزق والحياة التي وعد الله بها أولياءه المتقين بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف:٩٦].

وقد نبهنا القرآن الكريم إلى أمرين:

١. الكثرة المنزوعة البركة؛ حيث لا يلتزم الناس بهداية الله.

٢. والبركة المقرونة بالتقوى؛ حيث يلتقي الشعب وحكامه على إقامة منهج القرآن في سياستهم واقتصادهم وبيعهم وشرائهم وأسلوب ثقافتهم ومنهج حياتهم.

وما أجدر المسلمين وقد أفلست البشرية ونظامها الجاهلي أن يقودوا سفينة الهداية والإنقاذ للبشرية المعذبة ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء:٩].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحج وأهداف التحرير والتغيير

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٦٩-٩٧].

بعث الله نبيه محمداً ﷺ برسالة التحرير والإنقاذ للبشرية جميعاً: تحرير الإنسان من عبادة الأصنام وشرائع الجاهلية وتحرير البيت الحرام من الأصنام وعبادة غير الله، وجعله لعبادة الله وحده، وتحرير الأرض من الملوك المستبدين والأنظمة الجاهلية الفاسدة، وإعلان أن الدين كله لله.

وسلك النبي الكريم لتحقيق هذه الأهداف ما يلي:

١- وضوح المنهج، وصدق الدعوة:

كان النبي ﷺ يدعو العرب لأمرين: الإيمان بالله وحده ونبذ الأصنام، والنصرة، وهذا ما عبَّر عنه بقوله: "من يُؤويني وينصرني إلى أن أبلِّغ كلمة ربي وله الجنة". (صحيح ابن حبان).

٢- وشاء الله أن يبايعه ستة من شباب المدينة، حضروا لمكة في موسم الحج، ونشروا الإسلام في المدينة وعادوا في موسم الحج التالي مع اثني عشر رجلاً بايعوا بيعة العقبة الأولى وفي السنة التالية كانوا اثنين وسبعين رجلاً بايعوا بيعة العقبة الثانية في منى على الإسلام والنصرة وأن يحموا رسول الله ﷺ بما يحمون به أنفسهم وأولادهم وأموالهم.

٣- وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة إعلاناً لقيام الدولة الإسلامية فيها بقيادة النبي الكريم، ليقود من هناك عمليات المقاومة والتحرير والعودة لبيت الله الحرام وإنقاذه من الشرك والمشركين.

وقد اتخذت هذه المقاومة الطرق التالية:

١- تعبئة الأمة وتوحيدها للجهاد وتحرير البيت الحرام.

٢- تطهير المدينة من أوكار اليهود وقبائلها التي تحالفت مع المشركين والمنافقين لحرب الإسلام.

٣- توثيق عقد الأخوَّة بين المهاجرين والأنصار، وتعميق أواصر المحبة والتعاون والإيثار بين أبناء الأمة الواحدة.

٤- إقامة المساجد في أحياء القبائل، وربطها بالمسجد الجامع الكبير لتوحيد الأمة بثقافتها وعبادتها وأسلوب حياتها.

٥- تحرير المدينة من سوق اليهود التجاري وإقامة سوق للمسلمين.

٦- إقامة العمران الزراعي وإعلان مبدأ "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" وتعمير المدينة بفتح الطرق ووصلها بطريق الشام.

٧- تحويل القبلة من المسجد الأقصى في القدس إلى المسجد الحرام بمكة عمّق الوحدة بين المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وضرَّم الشوق والعزم في قلوب المؤمنين للجهاد والعمل لتحرير مكة المكرمة والبيت الحرام من الشرك والمشركين، وكانت سنوات الهجرة حافلة بالغزوات المباركة لتحرير البيت الحرام؛ ففي السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر، وفي السنة الثالثة كانت غزوة أحد، وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق أو الأحزاب، وفي السنة السادسة والنصف كانت غزوة الحديبية، وفي السنة الثامنة والنصف كان فتح مكة الذي

أعز الله به دينه وطهر البيت من الشرك والمشركين، وكانت غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة مقدمة لفتح مكة بالقضاء على حصن يهود في خيبر الذي جعلوه للكيد وتحريض المشركين على المسلمين.

دروس للمقاومة:

وكانت حياة النبي ﷺ في المدينة المنورة بعد الهجرة غنية بالدروس والقيم التي تضيء للمسلمين الطريق في مستقبل أجيالهم للمقاومة والتحرير:

١- لا يعمر مساجد الله إلا المسلمون، وليس للمشركين والكافرين سلطان على بيوت الله. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [التوبة:١٨].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:١١٤].

وقال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء:١].

والدارس لهذه الآيات يجد مسؤولية الأمة المسلمة عن تحرير الأرض من القوة الظالمة المغتصبة وتحرير المساجد من العقيدة الفاسدة التي تحميها قوة الظالمين، وهذا ما يفسر لنا حركة الجهاد وأهدافه في داخل الجزيرة لتصبح الجزيرة حصن الإسلام الدائم. قال رسول الله ﷺ: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان". (رواه ابن حجر العسقلاني)، وهذا ما يدعو الأمة المسلمة للمحافظة على نقاء أرض الجزيرة من المراكز الثقافية المنحرفة والكنائس والكُنُس، ومراكز الإعلام الهابط، وأن تكون

بإعلامها ومساجدها وعلمائها منارات هدى وتربية وتحصين للأمة في وجه التغريب في التربية والجامعة، والتشريع والإعلام.

٢- وضوح هدف الجهاد، وأن يعرف المجاهدون من يقاتلون، وما هدف قتالهم، وما الخطوات اللازمة لتحقيق الأهداف لنصرة دين الله وإقامة أحكامه. لا يكفي أن نقول: أعلنوا الجهاد، لأن النبي ﷺ ما شرع الجهاد إلا بعد أن أصبحت له قاعدة ينطلق منها وأهداف يسعى لإنجازها، فارتبط الجهاد من أول يوم بأهدافه المرحلية وأهدافه الكبرى، وبقائده، الذي أحسن التخطيط والإعداد.

٣- الحج تربية وسياسة:

بعد فتح مكة المكرمة أرسل النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس، ثم أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأ على الناس يوم الحج الأكبر سورة (براءة) التي أعلنت انتهاء العهود مع المشركين والبراءة منها، وأعدت الجزيرة للتحرير الكامل من الشرك والمشركين ونزل قوله تعالى: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [التوبة:١].

ولكن النبي ﷺ أخَّر حجَّهُ للسنة التالية، بعد أن يتطهر البيت الحرام وأرض الحج من الشرك والمشركين، وكانت حجة الوداع، وخطبة الوداع، التي شرح فيها النبي الكريم مبادئ الإسلام: "لا فرق بين أبيض واسود إلا بالتقوى"، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ وأعلن تحريم الربا، والظلم، وقال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وربا الجاهلية موضوع وأول رباً أضعه ربا العباس بن المطلب فإنه موضوع كله واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله". (متفق عليه).

وقفة عند بعض معاني هذه الخطبة:

١ - في السنة العاشرة للهجرة يعلن النبي ﷺ تحريم الربا، ويسبق كل علماء الاقتصاد الذين ما عرفوا خطره إلا بعد انهيار الأنظمة المالية بعد خمسة عشر قرناً.

٢ - حرمة مال المسلمين كرحمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

وهذا يعني أن يحصِّن المسلمون أموالهم من النفوذ الأجنبي وأطماع الغرب وأمريكا في بترولنا وأرصدتنا وخيرات بلادنا، وأن نحفظها من الإسراف والتبذير لتكون في مصالح المسلمين والجهاد والإعمار وسدِّ حاجات الأمة المسلمة.

٣- مال المسلمين في حصن الإسلام نحفظه من العدوان، وأولى الحفظ أن نصونه من عدوان الأجنبي الطامع في ثرواتنا المناصر لأعدائنا المحارب لديننا.

٤- وأرض الإسلام وفي مقدمتها أرض الجزيرة حرام على الأجنبي وقواعده وجيوشه التي تحمي الظالمين الصهاينة في فلسطين المحتلة وتحمي المستعمر الظالم الذي دمَّر العراق ويسعى لبسط هيمنته على بلاد العرب والمسلمين، ويسعى بقوة هذه القواعد فرض الأتاوات ونهب أموال البترول لسدِّ شيء من انهيار بنوكهم ومؤسساتهم المالية الربوية الفاسدة.

القيم الجهادية في فريضة الحج وشعائره:

١ - عقيدة الفداء والتضحية التي يعبر عنها نسك الهَدْي والأضحية ونذكر فيها امتثال خليل الرحمن لأمر ربه وكيف فداه الله بذبح عظيم. إن العقيدة إيمان وصبر وامتثال وتضحية بالنفس والمال والولد.

٢- هلاك الظالمين، وقد أقسم الله بالفجر وليال عشر. والمقصود فجر العاشر من ذي الحجة ولياليها العشر على هلاك الظالمين المستبدين بقوله: ﴿وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:١-٣].

والمقسَم عليه محذوف تقديره: ليهلكن الله الظالمين، بدلالة السياق في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر:٦-٧].. إلى آخر الآيات. وذلك القسم تعبئة معنوية لحجاج بيت الله وللمسلمين أن يقاوموا الظلم والمستعمر والاحتلال والحكام المستبدين، وأن يجعلوا من حجهم دعاء إلى الله وبيعة له أن يعملوا لنصرة دينه وتحرير أوطانهم من القوم الظالمين.

٣- تطهير القلوب من أسباب الفُرقة، فعلى صعيد عرفة ومنى وحول البيت نعلن مبادئ الإسلام: العُرب هنا والتُرك هنا، والهند هنا، والبيض هنا، والسود هنا، والشقر هنا، حطَّموا الحواجز التي أقامها أعداء الإسلام: الحواجز السياسية، والعصبية، والإقليمية، ورفعوا شعارهم الواحد: لبيك اللهم لبيك، وهذا يدعوهم ليوثقوا أواصر المحبة والتعاون بينهم في بلادهم، ويقفوا في وجه المخطط الصليبي اليهودي الذي يسعى لتحويل الحرب بين المسلم والمسلم بدل أن تكون في مواجهة المحتل الأمريكي والصهيوني لأرض الإسلام في العراق وفلسطين والصومال والجولان وجنوب لبنان وغيرها.

٤- ومناسك الحج لمن يتدبرها إعداد للشخصية المسلمة المجاهدة، فالإحرام يصحبه التجرد من مظاهر الزينة والمخيط ليعلن الحاج تجرده لله وحده.

والطواف يعني طواف المؤمن حول بيت ربه، لا يعبد سواه، ولا يرجو غيره، وينتظر منه وحده المغفرة والرحمة. والسعي بين الصفا والمروة يذكر بأم إسماعيل وهي تبحث عن الماء لولدها فلا تيأس ولا تقنط، وتمضي شوطاً بعد شوط حتى ينزل الملك ويفجِّر الماء.

ووقفة عرفة تذكر بأمة الإسلام التي تقيم مدينتها في ساعات نهار التاسع من ذي الحجة بأمر الله، وبعد الغروب ينطلقون إلى المزدلفة، ومع الفجر يتوجهون إلى منى ليرموا جمرة العقبة، ثم ينطلقون إلى البيت الحرام ليطوفوا طواف الإفاضة، ثم يعودون إلى منى ليستكملوا مناسك حجهم في الرمي والمبيت.

هذه الحركة المنظمة العابدة التي فرضتها العقيدة في مناسك الحج، تدعو المسلمين لحركة مشابهة بعد عودتهم لبلادهم تكون منتظمة مدروسة يعرفون فيها كيف يوحدون صفهم ويحاربون الشياطين عند الجمرات الثلاث وغيرها، وما أكثر الشياطين في بلادنا؛ شياطين التغريب وسرقة أموال الأمة اليهود وشياطين المنافقين والمطبّعين، وشياطين المستعمر الأمريكي والغربي والمرادات المناصب والأموال، وشياطين المنظمات الماسونة والغريبة التي تجنّد عملاءها لهدم أسوار الإسلام وحصونه، وشياطين أعداء الشريعة الإسلامية وتطبيقها، وكأن مناسك الحج والجمرات التي ترميها تعدُّكَ لتكون مسلماً إيجابيّاً عاملا مقاوماً تحارب الشر وأهله ولا تقف محايداً تنظر وتراقب من بعيد، والله يقول: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة:٢]. ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج:٤٠].

ويحضرني قول الشاعر:

وأحطُّ خلق الله في بلد طغت فيه الرزايا من يكون محايداً

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

موافقة الولي في مشروع
قانون الأحوال الشخصية لعام ٢٠٠٨م
بين شريعة الإسلام واتفاقية "سيداو" الأجنبية

في سعي المنظمات الاستعمارية لتغريب الأسرة وهدم مقوماتها الإيمانية والحضارية قدَّمت منظمة الأسرة في هيئة الأمم المتحدة اتفاقية (سيداو) التي تتضمن إقرار المساواة التامة بين الرجال والنساء، وإلغاء الفروق في الإرث والوِلاية والقوامة وغيرها من الأمور المقرَّرة شرعاً!

وقد نشرت الحكومة الأردنية في عهد رئيسها السابق معروف البخيت هذه الاتفاقية في الجريدة الرسمية، وتحفَّظت على بعض موادِّها، في حين لم تتحفَّظ على المواد المتعلقة بالوِلاية والقوامة المقرَّرة شرعاً!

وحال بين تطبيق المحاكم الشرعية وبين الاتفاقية المنوَّه عنها أن الدستور الأردني يُلزم المحاكم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل الأحوال الشخصية، وبما يمتنع معه تطبيق أحكام أيِّ قانون واتفاقية تتعارض مع الأحكام المقررة شرعاً.

وهذا ما دفع بالجهات التي فرضت على الحكومة الأردنية اتفاقية (سيداو) أن تسعى لتفرض على الحكومة من جديد إقرار مشروع قانون مُعدِّل للأحوال الشخصية لا يراعي النص الدستوري الذي يوجب أن تستمد المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية من الشريعة الإسلامية، وقد ظهر هذا جليّاً في الفصل الثالث الذي تضمن ولاية الزواج في المادة (١٧) من مشروع القانون المقدَّم إلى مجلس

النواب وهي: "موافقة الولي شرط لعقد زواج من لم تكمل الثامنة عشرة من عمرها وفق أحكام هذا القانون". وهذا يعني أن الفتاة إذا أكلمت الثامنة عشرة من عمرها فَقَدَ وليُّها حقَّه في الولاية عليها، ولها أن تُزوِّج نفسها من تشاء بغير إذن وليها!

وهذه المادة بهذا المفهوم مخالفة لشريعة الإسلام والأحاديث النبوية الصحيحة وما ذهب إليه جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة من المالكية والشافعية والحنابلة وأبي يوسف من الأحناف.

وأعطى الإمامُ أبوحنيفة الوليَّ حق إيقاف العقد وإبطاله إذا لم يكن الزوج كفؤاً، وتَوسَّع في خصال الكفاءة.

ونُذكِّر هنا بأحاديث رسول الله ﷺ:

أولاً: ما روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: "أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل". (رواه أحمد بسند صحيح).

ثانياً: قوله ﷺ: "لا نكاح إلا بِوليٍّ". (رواه البيهقي بسند صحيح). وأفتى بهذا أئمة الإسلام، ومنهم السادة: عمر وعلي وعائشة وأبو هريرة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

وبناءً على هذا تكون المادة (١٧) من قانون الأحوال الشخصية المقترح مخالفة للدستور الأردني -بمواده رقم (١٠٥) و(١٠٦)- الذي يُلزمها أن تكون أحكام القانون مستمدة من الشريعة الإسلامية، كما خالفت أحاديث النبي ﷺ وأقوال جمهور الفقهاء المسلمين.

غياب حكمة الزواج في الإسلام وفلسفته عن واضعي هذه المادة:

يتميز عقد الزواج في الإسلام عن عقد الزواج في المجتمعات الغربية بأمور جوهرية ترجع إلى طبيعة المجتمع وفلسفته الاجتماعية والاقتصادية.

فالزواج في الغرب يتم بين رجل وامرأة يلتقيان ويتعارفان في مقهى أو ملهى أو أي مكان آخر، ويتفقان على إجراء عقد الزواج دون أن يعلم الأولياء من الأب والإخوة والأهل، ولا يشعر الزوجان بالحاجة لهذا الإعلام أو الموافقة عليه، أما عقد الزواج في شريعة الإسلام فهو ميثاق غليظ يربط بين الزوجين والأسرتين والعشيرتين يباركه المجتمع كله.

ولهذا نجد في أعرافنا الاجتماعية الجاهة التي تتقدم لخطبة الفتاة، وتمثل الأب والأعمام والأقارب والجيران ووجوه المجتمع، وهذا يعني أن موافقة الولي والخطبة قبل العقد والإعلان عن الزواج وإشهاره ومشاركة المجتمع في مباركة هذا الزواج أمر يحقق أهداف الإسلام في بناء الأسرة من أول يوم على موافقة الولي ومباركة الأهل؛ لتكون الأسرة لبنة في بناء المجتمع، ولبنة في التواصل والتراحم بين الأسرتين والعشيرتين.

وهذه المادة التي تُلغي حق الولي في عقد الزواج مخالفة لسنة النبي ﷺ وسيرته وسيرة السلف الصالح من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا.

والدارس لهذا التاريخ يجد أن عقد الزواج كان مصحوباً دائماً بموافقة الولي وحضور العشيرة وأهل الخاطبين وذي الجاه في المجتمع المسلم؛ ليكون تأسيس هذه الأسرة -وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع- تأسيساً صالحاً قائماً على التراضي وقبول النسب الجديد والمصاهرة التي تزيد المجتمع تراحماً وتآلفاً وتعاوناً ومحبة ورحمة، وهذا ما وجَّهنا إليه ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

فأين المودة والرحمة والسكن إذا خرجت البنت عن ولاية أبيها وأوليائها؟! هنا ستحل العداوة والشقاق بالأسرة وأمنها وبالمجتمع جميعاً.

إن المادة (١٧) من مشروع القانون هي قنبلة موقوتة خطيرة وُضِعَتْ في كيان المجتمع الأردني واستقراره وأعرافه وأخلاقه العربية الإسلامية، وهذا يدعو البنت لتخرج عن ولاية أبيها وأسرتها ولا تبالي بعقد زواجها وهم لا يعلمون، وهذه دعوة لتفسيخ المجتمع وقطيعة الأرحام التي حذر الله المسؤولين الذين يتولون أمر الأمة أن يقطعوها، وعدَّ القرآن هذا من الإفساد في الأرض. قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ . أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٢-٢٤].

ومعنى ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ**﴾: أي أصبحتم ولاة وأصحاب قرار أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم.

سؤال لواضعي مشروع هذه المادة وللسادة الأعيان والنواب الذين سيُعرض عليهم مشروع هذا القانون: هل يقبل أحدهم أن تعقد ابنته عقد زواجها دون علمه وموافقته؟! وماذا تكون نظرة المجتمع والناس إلى الأب الذي تزوجت ابنته دون إذنه وإلى البنت التي تزوجت خارج ولاية أبيها؟!

إن الذي نعتز به وتعتز به الفتاة في مجتمعنا الأردني العربي الإسلامي ولاية أبيها الذي زوَّجها، وأنها خرجت من بيته إلى بيت الزوجية، وأن الأرحام الموصولة بهذا الزواج هي حصن للمجتمع كله.. فكيف يرضى واضع القانون أن يهدمها؟!

وقد أحسن الدكتور عبد الرحمن الصابوني في بيان حكمة اشتراط الولي في عقد الزواج بقوله: "إن عقد الزواج عقد لا تنحصر آثاره بين العاقدين فحسب، بل يتعدى أثره إلى الأسرة والمجتمع لأنه نواة الأسرة، والأسرة الخلية الأولى في بناء المجتمع".

وقد شرع الإسلام موافقة الولي لتنظيم وحماية الأسرة والمجتمع، كما شرع موافقة القاضي الشرعي وتوثيق العقد في المحكمة الشرعية ليحفظ أمن الخاطب والمخطوبة وأمن الأسرة وأمن المجتمع، ويصونها من أسباب العدوان والظلم والأحقاد.

ذلك أن تنظيم المجتمع ورقابة الأسرة لموضوع الزواج يجب أن يتوافر فيه أمران أساسيان:

١. أن لا تستبد المرأة بحريتها المطلقة باختيار زوجها؛ لأن الزواج الفاشل سوف تنعكس آثاره السيئة على المجتمع، بل يجب أن يشترك الأب -ممثِّلاً للأسرة- في الرقابة على هذا الاختيار، كما يقف ممثِّل المجتمع -وهو القاضي الشرعي- حَكَماً بين المرأة ووليها إذا حصل خلافٌ بينهما بالرأي حول اختيار الشرع.

وعلى هذا فإننا نعطي الحرية للمرأة باختيار زوجها كما أمر الله على أن يكون الاختيار موفقاً؛ بأن تحسن اختيار الكفء كمقياس لحسن هذا الاختيار، فإن أساءت كان لوليها حق الاعتراض وطلب عدم إمضاء العقد وإبرامه أو طلب فسخ النكاح إذا حصل العقد، أما إذا اختلفت الفتاة مع وليها بعد هذا الأمر رُفع الموضوع للقضاء، والقاضي هنا -كممثِّل للمجتمع- يحكم على هذا الاختيار؛ فإن وجده سليماً أمضى عقد الزواج ولم يلتفت لاعتراض الولي، أما إذا تبين للقاضي أن الفتاة لم تحسن اختيارها كان له أن لا يوافق على إمضاء العقد أو فسخ العقد إذا كان مبرماً.

٢. ومن القواعد الشرعية التي أقرَّها الإسلام ألا يستبد الولي برأي ابنته؛ لأن هذا العقد يجب أن يتم بالاتفاق بين الأب وابنته لا يُكرهها ولا يضغط عليها. وهنا نلاحظ التوازن العادل في حكم الإسلام بين حق الزوجة باختيار زوجها، وليس لوليها أن يكرهها أو يمنعها إذا تبينت كفاءة الزوج، وبين حق الأب والمجتمع

بأن يكون الزواج صالحاً ومؤدِّياً لآثاره الكريمة في بناء أسرة مستقرة متراحمة متعاونة، وهذا ما يُقدره القاضي -ممثل المجتمع وراعي العدل-.

مفارقة عجيبة:

إن واضعي مشروع هذه المادة لم يُفرِّقوا بين النظام الاجتماعي في الإسلام وقيمه وأخلاقه، وبين النظام الاجتماعي في الغرب وقيمه وأخلاقه.. فهذه المادة تصلح لمجتمع غربي لأن الفتاة إذا بلغت الثامنة عشرة خرجت من ولاية أبيها ونفقته ومسؤوليته المدنية والأخلاقية والاقتصادية، بينما الفتاة في مجتمعنا وشريعتنا تبقى في ولاية أبيها ونفقته ورعايته، منتمية لأسرتها وعشيرتها، لها حقوقها في النفقة والرعاية والإكرام والمحافظة عليها.

فعجبي كيف تُجاز هذه المادة الغربية لتنقل الفتاة حين تبلغ الثامنة عشرة من ولاية أبيها وتعطيها الحق القانوني مخالفة لأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال جمهور الفقهاء وما درج عليه مجتمعنا الأردني استجابةً لأمر (سيداو) التي تسعى لتغريب المجتمع وتحطيم قيمه وهويته وأخلاقه. وهنا أرى أن نضع المادة بالصيغة التالية: "يتولى وليُّ المرأة البالغة عقد زواجها برضاها ويوقِّعها المأذون على العقد، ويَبْطُلُ العقدُ بغير ولي، فإن دخل بها فرَّق بينهما ويثبت نسب المولود".

وإلى هذا وذاك فإن إلغاء حق الولاية على من بلغت الثامنة عشرة من عمرها مخالف لآيات القرآن الكريم، وخارج عن مقاصد الشريعة الإسلامية، وهادم لسور الحصانة الأسرية التي يتميز به مجتمعنا الإسلامي من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا.

فالقرآن الكريم يخاطب الأولياء بتزويج من لا زوج له بقوله: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ**﴾ [النور:٣٢]. والقوامة كما فسرها الإمام الشافعي رضي الله عنه -بناء

على قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣٤]- شاملة لقوامة الزوج على زوجته، وقوامة الأب والولي على ابنته أو من يلي الولاية عليها.

ومن أعظم مقاصد الشريعة حماية الأعراض والأنساب، وحماية المرأة من الخضوع للأهواء والمغريات، والمحافظة على صلة الأرحام في مجتمع الإسلام، وهذه المادة تنسف مقاصد الشريعة وتدمرها تدميراً، وتدعو إلى الفساد في الأرض!!

ومن المحزن المبكي أن يُعهد إلى القضاء الشرعي القيام بهذا الهدم، وهو المسؤول عن حفظ الأسرة وحفظ الشريعة!!

مسؤولية العلماء في إنكار هذا التعديل:

قال تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧] .

فأنا أوجّه النداء لعلماء كليات الشريعة ولقُضاة الشرع الكرام ولعلماء الأردن جميعاً وللسادة المفتين أن يهبّوا هبّة واحدة لإنكار هذا التعديل الذي يحطِّم أسس المجتمع الأردني والأسرة الأردنية.

وقد حذَّر الله الأمة من عذاب الهلاك والاستبدال إذا لم يقم علماؤها بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٦-١١٧].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزة .. والفجر الجديد

إنها معركة الفرقان.. إنها معركة القرآن يخوضها أهل القرآن العظيم. وشاء الله أن يواجه أهل غزة ما واجهه رسول الله ﷺ في الخندق وحُنين، وأن يلتحق أهل غزة بجهاد أصحاب رسول الله ﷺ ثباتاً وصبراً ومصابرة في مواجهة جيوش المشركين، المتفوقة في العدة والعدد، وأن تكون العاقبة والنصر للمؤمنين المجاهدين الصابرين، يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

وهنا وفي ظل أخطر هجمة صهيونية صليبية تريد أن تقتلع آخر حصون الجهاد والمجاهدين؛ لتفرض السلم الذليل على العرب في فلسطين وخارجها، وتهوِّد القدس وبقية فلسطين، وتهدم الأقصى وتبني الهيكل على أنقاضه، وتحول الشعوب العربية إلى قطعان من العبيد، بعد تغيير معالم المنطقة وهويتها؛ لتصبح باسم آخر هو (الشرق الأوسط الجديد)، فاقدة لعروبتها وإسلامها.. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

شاء الله أن يواجه أهل القرآن في غزة بقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإخوانهم المجاهدين من أبناء فلسطين هذه الهجمة الصهيونية الصليبية، وأن يكونوا وحدهم في الميدان، وأن يهبَّ معهم الصالحون من أبناء هذه الأمة، وأن يخذلهم المنافقون ويشاركوا العدو في حصارهم وتقديم العون له، كما فعل إخوانهم

المنافقون من قبل في خيانة رسول الله ﷺ والتحالف مع أعدائه؛ أمثال عبد الله بن أبي وغيره من الذين وصفهم الله بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة:١٤].

حَفَظَة القرآن الكريم في معركة القرآن العظيم:

كان حفظة القرآن الكريم -الذين أحبوا ربهم، وحفظوا آياته في صدورهم يتلونها ويعلمونها ويتقربون إلى الله بتلاوتها آناء الليل راكعين ساجدين- من أشد المؤمنين صبراً في ساحات الجهاد وحبّاً للشهادة واستهانة بالدنيا وزينتها، وكانوا إذا اشتد الهول يعلِّمون المجاهدين كيف يصبرون ويصابرون وينتصرون، وهم الذين حاربوا مسيلمة الكذاب مع جيش أبي بكر رضي الله عنه في حروب المرتدين، واستشهد منهم سبعون، كان منهم العالم الحافظ سالم مولى أبي حذيفة وأبوحذيفة رضي الله عنهما، وجدوهما مضرَّجين بالدماء، أحدهما بجنب صاحبه.

وكان مع صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عشرة آلاف حافظ للقرآن الكريم، ومع القائد المجاهد إسماعيل هنية في معركة الإسلام الدائرة في غزة أكثر من ستة آلاف حافظ للقرآن الكريم، منهم الشيخ العالم الشهيد نزار ريان رحمه الله تعالى، الذي ذهب إلى ربه مع ثمانية من أبنائه وزوجاته الأربع، يصدق فيهم قول الشاعر:

هكذا شاء أن يكونوا جميعاً ... في عقود الشهيد عقداً بديعاً

يا لأبنائه وزوجاته الأربع ... فاؤوا إلى الجنان جميعاً

وقول الشاعر:

أنزار يا ثأر النبي لدينه ... جدَّدت حيدر فارساً كرارا

واغتلت ليل الظالمين بوثبة ... جعلت خفافيش الظلام حيارى

حَفَظَة القرآن يصحِّحون الطريق:

بعد أن أصبحت قضية فلسطين حكماً ذاتيّاً في ظل هيمنة العدو واستكباره، وسلطة وهمية لا تملك أرضاً ولا شعباً ولا جيشاً ولا وحدوداً، وتنازل ممثلو السلطة في ظل (أوسلو) عن (٨٠٪) من أرض فلسطين، وبدأوا يطالبون ممثلي السلطة بالتنازل عن القدس وبقية الضفة، كما طالبوهم بالتنازل عن حق العودة والمسجد الأقصى وساحاته.

إنهما طريقان لا يلتقيان.. طريقة (عباس) وحزبه الذين يسعون للسلطة الوهمية والرتب الوهمية وحراسة أمن (إسرائيل).. وطريق المجاهدين الأحرار الذين يعدّون فلسطين من نهرها إلى بحرها جزءاً من دينهم لا يجوز التفريط بشبر منها ومنها السيادة على الأرض والحدود والبر والبحر والجو..

وشاء الله أن يمكِّن لـ(حماس) في غزة، بعد أن بايعها الشعب الفلسطيني بالانتخابات الحرة النزيهة، وأن يواجهوا وحدهم الجيش (الإسرائيلي) بطائراته وصواريخه ودباباته، بعد الحصار الطويل.

وها هم حفظة القرآن العظيم، حفظة عهد محمد ﷺ، ها هم أهل غزة وحدهم في ميدان الدفاع عن الوطن والهوية والقرآن والكرامة، يقدمون آلاف الشهداء والجرحى، وهم صابرون يقاومون أخطر هجمة صهيونية صليبية تهدم البيوت على رؤوس الأطفال والنساء والشيوخ، ولا تبالي!! وتقتل وتدمر، وتهدم المساجد على رؤوس المصلين، ولا تبالي!!

والمنافقون ينتظرون أن تسلمهم (إسرائيل) مفاتيح غزة، ليقوموا بالنيابة عنها بحماية أمن (إسرائيل) والتنكيل بالمجاهدين.

لا مقارنة بين خيارين:

وهنا يظهر خيار المقاومة في غزة التي تجاوب معها العرب والمسلمون الذين تظاهروا مطالبين حكامهم بقطع العلاقات مع اليهود وإغلاق السفارات وفتح المعابر وإعلان الجهاد والنصرة، وتظاهر معهم أحرار العالم في البلاد الإسلامية والغربية.

وفي الصورة المقابلة تجد أصحاب خيار الاستسلام والمفاوضات والتنازلات للعدو التي ما أثمرت إلا مزيداً من عدوانه وبناء مستوطناته وإقامة الكنس في باحة المسجد الأقصى وتهويد القدس بالمستوطنات، نجد هؤلاء وحدهم، لا يثق بهم شعب فلسطين، ولا يحترمهم الأحرار، ومن عجب أن يطالب حكام العرب باتفاق حكومة (عباس) و(حماس)، وكيف يلتقي منهج المقاومة والدفاع عن الوطن، مع منهج الاستسلام والإذعان للمطالب الأمريكية والصهيونية، كيف يلتقي الحق مع الباطل، والنور مع الظلام؟!

التربية القرآنية وأثرها في التحرير:

وهكذا تجلَّت آثار التربية القرآنية في رسم المنهج في التحرير، والمنهج في التربية وإعداد الشعب لمواجهة الابتلاء ودفع ثمن الجنة والنصر والحرية من دمائه وصبره وأمواله وتضحياته.

ونقف هنا عند بعض آيات القرآن الكريم مصدر المقاومة وسند المجاهدين. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ

نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]. فالجنة والنصر والحرية وهزيمة العدو أغلى من الدماء والتضحيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]. وفي قراءة: "قتل معه ربيون كثير".

وقال تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥].

ويحذِّر الله الأمة من عذاب الهلاك والاستئصال إذا لم توحد صفوفها لنصرة المجاهدين ومدِّهم بالمال والسلاح والرجال. قال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨].

مرحلة جديدة وفجر جديد:

كشفت (إسرائيل) وأمريكا وحلفاؤها عن مخطط جديد يرسمون به خارطة الوطن يلحقون به ما تبقى من غزة بمصر، وما تبقى من الضفة بالأردن، ويلغون به اسم فلسطين، ويجعلون الأردن لهم وطناً بديلاً، بعد أن يقضوا على آخر قلاع المقاومة في غزة وفلسطين، ويتحول الوطن العربي إلى دويلات تحت مسمى (الشرق الأوسط الجديد) الذي تقوده (إسرائيل) وأمريكا كما تريد، وذلك تطبيقاً لمخطط (مارتن أندك) سفير أمريكا في (إسرائيل) سابقاً وبموافقة من البيت الأبيض.

وأعلن قادة المقاومة والجهاد في فلسطين والأردن وفي البلاد العربية والإسلامية رفضهم لهذه الحلول، وأعلنوا أن الجهاد فريضة، والتطبيع مع العدو خيانة، وطالبوا بتنفيذ الأحكام الشرعية القاضية بإلغاء معاهدات (أوسلو) و(كامب

ديفيد) و(وادي عربة)، وطرد السفير اليهودي وإغلاق السفارة في القاهرة وعمان. ومن فضل الله تعالى أن الأردن ملكاً وحكومة وشعباً وقفوا صفّاً واحداً في وجه الأخطار القادمة والمؤامرات الصهيونية الأمريكية، وقاموا بدعم المقاومة بالمال والمواد الغذائية والطبية، وأسأل الله تعالى أن يفتحوا باب الجهاد لتحصين الأردن من المكر اليهودي الأمريكي، وتحرير فلسطين من القوم الظالمين.

المحن والشدائد تكشف وتميِّز:

وقد كشفت هذه الحرب التدميرية والمحرقة الصهيونية التي صنعها اليهود في غزة الأصناف التالية:

١. المجاهدين الأبرار، والمقاومة الإيمانية الباسلة التي استقبلت الموت بصدور أبطالها، وأرهبوا العدو أن يتقدم نحوهم، وكان مع هؤلاء المجاهدين الشعوب العربية والإسلامية وأحرار العالم.

٢. العدو الحاقد الذي أفرغ حقده بصورايخه ومدمراته على الأطفال والنساء والشيوخ في بيوتهم، وعلى المصلين في مساجدهم، وعلى الطلاب في مدارسهم، وجبن أن يتقدم نحو الأبطال في مواقعهم.

وأقام محرقة الأطفال والنساء والشيوخ التي حرقت معها (أوسلو) و(كامب ديفيد) و(وادي عربة)، وأحرقت معها من يؤيدون العدوان ويشاركون العدو في حصاره وقتله لأهل غزة بإغلاق المعابر، التي حرم الله إغلاقها، وكانوا بذلك مشاركين في المحرقة والمجزرة يلعنهم أهل الأرض وأهل السماء، وتنزل عليهم اللعنة التي نزلت على أصحاب الأخدود الذين شهدوا محرقة المؤمنين وهم صابرون على دينهم لا يتنازلون ولا يستسلمون. قال تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ**

﴿شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالله الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٤-٩].

٣. المنافقين الخونة الذين يقومون بحراسة أمن العدو الصهيوني في الضفة وغيرها، وقمع الشعوب أن تتحرك لنصرة إخوانهم في فلسطين، ومنع المساعدات وإغلاق المعابر وإحكام الحصار، وينتظرون على أبواب غزة أن يسلمهم العدو الصهيوني مفاتيحها، بعد أن يقطع رأس المقاومة والمقاومين؛ ليحققوا مخطط يهود في تهويد القدس والأقصى وبقية فلسطين.

البشائر وآيات النصر:

من دماء العلماء والمجاهدين والأطفال والشيوخ والنساء والكبار والصغار، يكتب المجاهدون في غزة عهداً جديداً مع رسول الله ﷺ، ويُغيِّرون به معالم الطريق التي رسمها يهود وأمريكا من مطلع القرن الماضي وهذا القرن إلى عهد جديد بشر به رسولُ الله ﷺ أهلَ الأردن وفلسطين؛ بأن يكونوا طلائع جيش تحرير فلسطين، وإقامة دولة الإسلام. قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله". (صحيح البخاري)، وقال أيضاً: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة، قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس". (رواه ابن جرير الطبري في مسند عمر بسند حسن).

هذه بحق معركة محمد رسول الله ﷺ، ما نصر المجاهدين إلا مؤمن، وما خذلهم إلا خوّان كفّار منافق.

وهذا فسطاط الإيمان بالمقاومة الإسلامية المجاهدة، وهذا فسطاط الكفر والنفاق يشمل اليهود وحلفاءهم من المنافقين.

شعب دعـائمه الجماجم والـدم ... تـتـحـطـم الدنيـا ولا يتحطـم
هي غـزة الشـهداء غـزة هـاشـم ... تعلـو بصـوت الحق إني مسلم
هـدمـوا العـمـائر قتّلوا أطـفـالهـا ... وإذا العـمـارة نحـو أحمـد سُـلَّم
يتسـابق الشـهداء حوضَ نبيِّهم ... إني وفـيـت وثـغـره يتبسَّـم
يـا غـزة الأحـرار أحيـتْ أمـة ... كـانـت بلحـن شقـائهـا تترنـم
قد أحرقت (أوسلو) وعادت للهدى ... للـقـدس ترفـع رايـةً تـتـقـدم

من صور المقاومة في القرآن الكريم

المتدبر للقرآن الكريم يجد صور المقاومة والتضحية في سبيل الله، ونصرة العقيدة والمبدأ، معلناً في منهجه التربوي أن العقيدة أغلى من الدم والروح، وأن الذين استشهدوا في سبيل دينهم قد حققوا انتصارين: انتصاراً للدين، وفوزاً بالجنة؛ ولهذا كان أصحاب النبي ﷺ يغبطون من سبق إلى الشهادة، وأنهم فازوا بثوابهم كاملاً.. ولنقف وقفات هادية عند هذه الآيات الكريمة:

١. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:٧٤]. فالأجر العظيم ينتظر الشهيد والمجاهد الذي لم يُقتل.

٢. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩]. فالله سوّى بين المهاجرين الذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم وتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه والتحقوا برسول الله ﷺ، وبين من مات منهم شهيداً في وعد الثواب بالجنة؛ فمن مات منهم شهيداً ومن كان على فراشه في وعد الجنة سواء؛ وذلك ليعرف المهاجرون ثواب الهجرة، ويعرف ذلك رجال الدعوة والنصرة الذين التحقوا بالجماعة ناصرين لها، رغم ما يتعرضون له من امتحان وسجون وضيق، فهم في ولائهم وبيعتهم لنصرة دين الله ينتظرون الوعد المبارك، من سَبَقَ إلى الجنة والشهادة ومن لم يسبق سواء.

٣. وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٦٠] إيذان بأن مَن ردَّ عدوان المعتدي، وقاوم الظلم،

جدير بأن ينصره الله، وأن الله مع هؤلاء المجاهدين في صبرهم وردهم لعدوان الظالمين، وهم في محل إكرام الله وعفوه ومغفرته.

وما أصدق هذه الآية في أبطال المقاومة والجهاد في غزة نصرهم الله نصراً عزيزاً، وقد عاقبوا بمثل ما عوقبوا به، بصواريخهم وجهادهم، ثم بغي عليهم بهذا التدمير بالطائرات وبالبر والبحر، ولكن أعداءهم عجزوا أن يحققوا أهدافهم بقطع رأس المقاومة وإنهائها، وارتد اليهود بغيظهم، وازداد المؤمنون إيماناً، وسجلوا صوراً للمقاومة تبقى نماذج هادية للمؤمنين، ومنها:

- الأبطال الجرحى الذين أحضروهم لغرف العمليات، هذا مقطوعة ساقه، وهذا مبتورة يده، وهذا مبقور بطنه، وهم يقولون: الله، الله، في سبيلك يا رب، سبقتني يدي، وقدمي، وساقي إلى الجنة.. وأم الشهيد وأبوه، وأولاده، يعلِّمون الناس دروس الصبر والثبات على المبدأ، يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦].
- البيوت المدمرة، وأهلها صابرون، والقادة مع الناس في جهادهم وصبرهم، وكان الشهيد القائد العالم المجاهد نزار ريان، والشهيد القائد المجاهد سعيد صيام -رحمهما الله تعالى- مثالاً صادقاً للمقاومة الإيمانية قادة وجنداً، وابنا البطل القائد محمود الزهار سبقاه إلى الجنة، وأطفال غزة كرجالها في صبرهم ومقاومتهم؛ مما استولى على إعجاب الأطباء ورجال الصحافة من المسلمين وغيرهم، وأخذوا يرددون ما قالته الطبيبة الروسية: عرفنا الله في غزة، مجاهدون لا يذكرون إلا الله يضمدون بذكره جراحهم، ويواسون مصائبهم، ويستعلون على كل معاني الضعف والاستسلام، شعارهم قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد:٣٥].

ماذا بعد الانتخابات اليهودية؟

١. وكشفت نتائج الانتخابات أحقاد اليهود التاريخية، وأن أحزابهم جميعاً تريد حكومة تقطع رأس المقاومة وحركة (حماس)؛ لأنهم يريدون عرباً مستسلمين.. يأكلون، ويشربون، ويسلِّمون أوطانهم، ويتنازلون عنها وعن مقدساتهم. وقد اختاروا من يقوم بهذا الدور الخياني، ليعطوه شرعية التنازل عن الأوطان ويخدعون الناس، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

٢. وقد اعتمد اليهود على أمريكا ودول (الاعتدال العربي) التي رضيت بأن تحرس أمن (إسرائيل) وتحرِّم المقاومة والجهاد وتلاحق المجاهدين، ويقوم بعضها بحصار أهل غزة وفلسطين، وكل هذا مؤذن بتحقيق أهداف اليهود التاريخية بهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، والتوسع في (إسرائيل الكبرى) الممتدة من النيل إلى الفرات كما يزعمون، وهذا ما يدعو إلى وحدة الأمة قيادة وشعباً في خندق المقاومة والجهاد لنختار القائد المجاهد والجماعة المجاهدة التي تنصره لدفع أخطار التهويد والهلاك والاستبدال؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ [النساء:٨٤].

وقد حذر الله الأمة أن تقصِّر في الدعم المالي والجهادي للمجاهدين فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ واللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨].

عود على بدء:

١. إن صور المقاومة في القرآن الكريم ترينا تفسيرها في آيات الله المتلوة، وآيات الله المجلوة في جهاد الأنبياء وصبر المؤمنين؛ ففي سورة القصص نجد كيف يصور القرآن الكريم الاستبداد وطغيانه واستعلاءه بقوته المادية وبطشه وقهره، وكيف يقاومه المؤمنون بتحصنهم بالله وتوكلهم عليه وإيثارهم جنته ووعده على الدنيا وما يصيبهم فيها.

وقد صوّر القرآن الكريم الطغيان متمثلاً بفرعون وجنده بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص:٤]. وفي آية أخرى: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص:٣٩-٤٠].

ومن عجب أن يكون بنو إسرائيل في فلسطين المحتلة ورثة فرعون وطغيانه وجرائمه، وأن تكون الطائفة المنصورة من أمة محمد ﷺ من مجاهدي (حماس) وإخوانهم ورثة موسى عليه السلام، كما كان محمد وارث النبيين عليهم الصلاة والسلام.

٢. وتظهر لنا صور المقاومة المجلوة بإيثار العقيدة على النفس والروح والحياة في قصة سحرة فرعون حين لامست قلوبهم حقيقة المعجزة. قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الأعراف:١١٧-١٢٢].

ولكن الطاغية يريد لقلوبهم أن تستأذنه بالإيمان؛ فيستنكر إيمانهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٣-١٢٦].

وهكذا ضرب سحرة فرعون مثلاً خالداً للمؤمنين بإيثار ربهم على فرعون وبطشه، وواجهوا عذابه بدعائهم إلى الله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

٣. ويصور القرآن الكريم شخصية الطاغية المستبد بقوته وسلاحه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

٤. كما يصور القرآن منهج النبي في تربية المجاهدين بقول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

كان هدف فرعون أن يصنع ببني إسرائيل ما يصنع اليهود اليوم بعرب فلسطين؛ من أجل إذلالهم وإهلاكهم بالتقتيل والحصار والأسر والتجويع، ومن أجل تيئيسهم من المقاومة وطلب السيادة والاستقلال، ولكن الله أمر رسوله موسى أن يمسح ذلك اليأس من قلوبهم بقوة الإيمان وبما حكاه عنه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾؛ أي بيَّن لهم أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله، وله سبحانه سُنَّة في سلبها من قوم وجعلها إرثاً لقوم آخرين بمحض مشيئته وسلطانه، ومدار هذه السُنَّة على أن العاقبة في النزاع بين الأمم على الأرض للمتقين؛ أي الذين يتقون أسباب الضعف ويتسلحون بالمقاومة

والجهاد، ولا ييأسون من روح الله، ويوحدون صفوفهم على المقاومة وجهاد العدو، ويطهرونها من الخونة المستسلمين الحارسين لأمن العدو، مستعينين بالله الذي بيده ملكوت كل شيء، صابرين على المكاره مهما عظمت.

وهذان الأمران (الاستعانة بالله والصبر على المكاره) هما أعظم ما تتفاضل به الأمم من القوة المعنوية التي تجعلهم أقوى من كل الضغوط التي يمارسها الأعداء لكسر شوكة صبرهم ومصابرتهم ومقاومتهم.

٥. وقد تكررت هذه القاعدة في القرآن الكريم، وفي معناها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون ﴾ [الأنبياء:١٠٥]. والصالحون هم ورثة عهد محمد ﷺ وورثة جند اليرموك وحطين الذين يصلحون لإقامة العدل والدفاع عن الوطن والمقدسات وإقامة دين الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ . أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٣٨-٤١].

٦. إن سنة الله في مقاومة الظالمين بالجهاد تصاحبها سنته في إعداد الأمة فكراً وعقيدة وروحاً لتكون أمة الجهاد، وهذا يدعو للقاء العالم المجاهد والأمير المجاهد في خندق الجهاد، كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون بإحسان. قال علماء التاريخ: "لقد بنى نور الدين وصلاح الدين من المدارس والمساجد بقدر ما بنيا من القلاع والحصون". وكان نصر حطين وتحرير القدس ثمرة مباركة لهذا اللقاء المبارك بين الأمراء والعلماء في ميادين الجهاد.

العدد (٨٦) آذار ٢٠٠٩ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جمعية المحافظة على القرآن الكريم وثمانية عشر عاماً للعلم والتعليم (*)

من فضل الله علينا في بلد الحشد والرباط (الأردن الغالي) أن تأسست هذه الجمعية بترخيص كريم من وزارة الثقافة عام (١٩٩١م)، وكان من ثمراتها الطيبات خلال ثمانية عشر عاماً من تأسيسها إقامة ما يقارب من سبعمئة مركز لتعليم القرآن الكريم للذكور والإناث، منتشرة في مدن الأردن وقراه وريفه وباديته، وتخريج ما يقارب سبعة آلاف حافظ وحافظة، ومد المجتمع الأردني بقراء وحفظة، بعضهم يتقن القراءات السبع، والعشر، وبعضهم تفرغ للتعليم والتدريس، وكانت المعالم التالية من إنجازات الجمعية بإذن الله تعالى:

١. التوجه لأبناء المجتمع الأردني من المرحلة الابتدائية إلى الإعدادية إلى الجامعة، ووضع البرامج المناسبة في التعليم لكل مرحلة، وإعداد المعلمين والمعلمات المؤهَّلين لذلك.

٢. مساعدة مَن لم يتيسر له الدراسة السابقة على التعلم والحفظ.

٣. مساعدة المعوقين والمكفوفين على قراءة القرآن الكريم؛ حيث قامت الجمعية بطباعة مصحف (بريل) للمكفوفين، وكانت نعمة كبرى وجدها المحرومون من نعمة البصر، بهذا المصحف.

٤. الجمع بين التعليم للقرآن الكريم تلاوة وحفظاً، وبين التربية على أخلاق القرآن والتعريف بسيرة النبي ﷺ، وعقد دورات شرعية في علوم التفسير والعقيدة والفقه والحديث.

٥. إنقاذ الشباب من فتن المجتمع عن طريق صحبة المسجد، والرفيق الصالح، والتربية الواعية المتوازنة. وتوجيه الأطفال من سن مبكرة ووصلهم بالقرآن الكريم وحب الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٦. ربط المدينة بالبادية بالريف، عن طريق توسيع مراكز القرآن الكريم وحلقات تعليمه، لننتقل بأبناء هذا البلد الطيب إلى أخلاق القرآن وقيمه من خلال تعلمه وتعليمه.

٧. إحياء دور العالم الرباني وتجديده؛ ليقوم برسالته في الهداية والتعليم والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد أن ضاقت عليه السبل في كثير من المساجد والمؤسسات.

٨. مواجهة المؤسسات المعدة لهدم قيمنا وأخلاقنا وتشويه هوية الأمة الحضارية ببرامج علمية، ووسائل مناسبة، عن طريق التذكير والتوجيه والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٩. نشر الكتاب الإسلامي في الموضوعات التي يحتاجها الشباب والعلماء والمتعلمون، وقد نشرت الجمعية بفضل الله كتباً عديدة منوعة، منها كتاب: "المنير في أحكام التجويد"، وكتب في التفسير والثقافة الإسلامية والإعجاز القرآني.

١٠. أولت الجمعية موضوع (الإعجاز القرآني) وبيانه للناس أهمية خاصة، وكان من موضوعاته بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي ألف فيه وحاضر العلامة الدكتور زغلول النجار، وقد نشرت الجمعية بعض كتبه، واستضافته لمحاضرات عديدة ألقاها على الناس، وكان لها بفضل الله تعالى أثر عظيم وثمرات طيبة.

١١. عقدت الجمعية مؤتمرات علمية لخدمة القرآن الكريم، شارك فيها علماء كبار من أساتذة الجامعات المتخصصين، كان منهم العلامة الدكتور أحمد الريسوني من المغرب، الذي نقلت فضائيات الجزيرة وغيرها محاضراته، وكان منها المؤتمر القرآني الأول والثاني، ومؤتمر الوسطية الذي شارك فيه عدد من كبار علماء الأردن وبثته الفضائيات.

١٢. تقوم الجمعية بعقد دورات للإجازة في البوادي والأرياف التي يصعب الوصول إليها، كما تقوم بتسيير رحلات عمرة، ولقاءات ثقافية وحضارية خدمة للقرآن الكريم وتحقيقاً لأهداف الجمعية في التواصل والتراحم.

١٣. تُصدر الجمعية مجلة شهرية اسمها (الفرقان) تخدم أهداف القرآن الكريم عن طريق كتابة العلماء من أهل الاختصاص، وتربط بين المشرق والمغرب وبعض البلاد العربية لتحقيق أهداف التواصل العلمي والثقافي والحضاري بين علماء الإسلام.

كلمات الإمام علي رضي الله عنه وأهداف الجمعية:

ومن خير ما يصور أهداف الجمعية في إحياء الأمة بالقرآن العظيم، وفتح القلوب والعقول لتعلمه وتعليمه والاستنارة بهديه، والنهوض بأبناء الأمة للعيش في ظلال رحمته وهداه وتوجيهه، هذه الكلمات المضيئة للإمام علي بن أبي طالب التي نصح بها أحد طلابه وهو كميل بن زياد النخعي. قال رضي الله عنه:

"يا كميل، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور الله، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه.

ومحبة العالم دِيْنٌ يُدان بها.. العلم يُكْسِبُ العالمَ الطاعةَ في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصنيعة المال تزول بزواله.

مات خُزَّانُ المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة".

ثم يحذِّر الإمام علي رضي الله عنه من علماء السوء الذين يتخذون العلم وسيلة للدنيا، أو يحملونه ولا يحسنون فهم مقاصده وحكمه، ولا يقدرون على دفع شُبه الأعداء وضلالاتهم، فيحذر من عالم غير مأمون على العلم، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، ويحذر من مُنقادٍ لأهل الحق لا بصيرة له في حياته (أي لم يتمكن من معرفة أصول الدين ومقاصده وحكمه)، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، كما يحذِّر من منهوم باللذات، سلس الانقياد للشهوات، أو مُغْرىً بجمع الأموال والادخار.

ويصفهم بقوله:

"ليسوا من رعاة الدين، أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه".

ثم يتوجه إلى الله بالدعاء بأن يحفظ في الأمة مَن يحفظ لها دينها مِن العلماء العاملين والقراء الصالحين والحفظة الصادقين فيقول: "اللهم لا تخلي الأرض من قائم لله بحججه؛ لكيلا تبطلَ حجج الله وبيناته، أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر؛ فاستلانوا ما استوعر منه

المترفون، وأَنِسُوا مما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، ودعاته إلى دينه".

ثم يعبِّر الإمام علي عن شوقه وحبه لهذه الطائفة من العلماء فيقول: "هاه هاه.. شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك".

قال العلامة شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة (١١٨٨هـ) رحمه الله في شرحه لهذا الأثر: قال أبوبكر الخطيب -وهو الإمام الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٤هـ) وصاحب "تاريخ بغداد"-: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً، وهو تقسيم في غاية الصحة ونهاية السداد.

وقفة مع كلمات هذا الأثر:

١. "القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير": كلمة مضيئة تدعو المؤمن ليحقق معنى الخيرية في بناء شخصيته وسيره على هدي نبيه؛ بأن يعي قلبه الخير بحفظ كتاب الله وحسن تلاوته وتدبر آياته والعمل بأحكامه.

٢. "الناس ثلاثة: فعالم رباني": والعالم الرباني هو العالم بكتاب الله، المعلم له تلاوة وتفسيراً وأحكاماً.. هو الفقيه المربي الذي أخلص علمه لله، وأخلص تعليمه لله، الذي استضاء بنور الله، وحمل نور كتابه إلى المتعلمين، لا يضعف ولا يكل ولا يمل، وهذا سر ربانيته، يعيش مع القرآن، ويعيش للقرآن، ولا يطلب إلا رضى الرحمن.

وكان من هؤلاء في هذا العصر الإمام الحافظ حسن البنا رحمه الله، والإمام الحافظ أحمد ياسين رحمه الله، وتلاميذ هذه المدرسة القرآنية الذين أحسنوا حفظ القرآن وتعليمه، وتربية الأمة على معانيه، ليدافعوا عن شرف الإسلام وأرضه ومقدساته، وليقيموا أحكام القرآن في الأمة.

وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الربانيين الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى، الذي أحسن الحفظ تلاوة، وأحسن الحفظ تفسيراً سمّاه: "في ظلال القرآن"، وأحسن الحفظ تربية وعملاً وجهاداً حتى كان وحده مدرسة قرآنية، واجهت أبواب الفتنة الثقافية والفكرية، وحولت شباب الأمة إلى طريق التنظيم والجهاد والعمل والتعاون على الخير.

وكان من رجال هذه المدرسة خمسة آلاف حافظ للقرآن الكريم في غزة من المجاهدين الأبرار الذين هزموا الجيش الصهيوني، ومنعوه من دخول غزة، وحرموه من تحقيق أهدافه. وكان في مقدمتهم العالم المجاهد الحافظ نزار ريان رحمه الله تعالى، والقائد الحافظ المجاهد سعيد صيام رحمه الله تعالى. هذه المدرسة للعلماء الربانيين هي أمل الأمة في تحرير بيت المقدس وتحقيق بشرى رسول الله ﷺ في النصر والتحرير.

٣. "ومتعلم على سبيل نجاة": هذه هي جمعية المحافظة على القرآن الكريم.. طوق النجاة وحبل الإنقاذ لأبناء هذه الأمة حين تصلهم بالقرآن الكريم وحسن تلاوته وهدايته، وتنقذهم من أسباب الهلاك، ومصايد الفاسدين والمفسدين.

٤. "وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح": هذا هو هدف الأنظمة الاستبدادية الفرعونية في بلاد المسلمين؛ أن تُحوِّل المسلمين من المحيط إلى الخليج، ومن الشرق إلى الغرب إلى همج رعاع وقطعان من العبيد، تحكمهم أهواؤهم وشهواتهم، ويملكهم خوف الحاكم وجبروته، ويقعون تحت تأثير إعلامه وصحافته وخداعه، لا يملكون الحصانة الفكرية والثقافية والإيمانية والخلقية التي تحميهم من سلطان السلطة وإغرائها وإرهابها.

٥. "لم يستضيئوا بنور الله، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق": وهنا تظهر الحاجة للعلماء الربانيين الذين يُنقذون أبناء هذه الأمة بالقرآن العظيم، ويُحيون قلوبها بهدايته؛ ليستضيئوا بنور الله، ويلجأوا إلى ركن وثيق.

هنا نعرف أهداف هذه الجمعية المباركة (جمعية المحافظة على القرآن الكريم)، التي تعمل بصمت، ويدأب أبناؤها في مراكزهم على تعليم القرآن للذكور والإناث؛ يستنزلون رحمة الله، ويمدون حبال النجاة لأبناء هذه الأمة، ويقفون في وجه أخطر هجمة استعمارية صهيونية تدميرية تريد أن تبعد القرآن العظيم عن أبناء هذه الأمة تلاوة وفهماً، وتربية وخلقاً، وعملاً وأحكاماً، كما تسعى لهدم قيمه وأحكامه في محيط الأسرة؛ بتغيير قوانين الأحوال الشخصية، وفرض إملاءاتهم على هذا القانون الذي يُخرج المرأة من ولاية أبيها وقوامة زوجها؛ ليعيثوا في الأرض فساداً، ويهدموا الأسرة والمجتمع كله.. ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [الصف:٨].

حصوننا مهددة من الداخل !!

حصن الأسرة وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع والمحافظة على هويته ودينه وقيمه وأخلاقه.. وحصن القدس الشريف وهي قلعة الوجود الإسلامي في فلسطين وبلاد الشام..

وبين هذين الحصنين ارتباط وثيق؛ فأبناء الأسر الصالحة هم الذين يدافعون عن شرف الأمة وقدسها وأوطانها في فلسطين والعراق ولبنان، بعد أن انهارت الأنظمة وتعطلت الجيوش ولم يبق إلا شباب الإسلام الذين تربوا في بيوت الأمهات الصالحات والآباء الصالحين المجاهدين، يحسنون الجهاد والسبق إلى الجنة والتنكيل بالعدو وتحطيم الخرافة أن جيشه لا يقهر..

فَقُهِر في لبنان وغزة وبدأت رياحه تنحسر، وبدأت الأمة تستعيد وعيها الإيماني والجهادي والحضاري عن طريق العلماء المجاهدين الذين أقاموا تنظيم الجهاد والمقاومة وجمعوا الأمة عليه.

المكر الصهيوني الغربي:

وهنا نجد تفسيراً واضحاً للهجمة الغربية الصهيونية على الأسرة المسلمة التي ترعاها مؤتمرات (بكين) ومنظمات تحرير المرأة على الطريقة الغربية، بالقضاء على كل أشكال التفرقة بين الرجل والمرأة التي يسمونها بـ(اتفاقية سيداو). وهذه الاتفاقية تقوم على إلغاء الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تقرر الحكم الشرعي بولاية الأب على ابنته وقوامة الرجل على زوجته، كما تلغي أحكام الميراث، وتلغي مفهوم الأسرة القرآني وتحولها إلى أسرة حيوانية قوامها ذكر وذكر أو أنثى وأنثى!

ومن المعلوم أن الخروج عن أحكام القرآن والسنة خيانة لله والرسول وجماعة المؤمنين، وهدم لمقومات الأسرة المسلمة التي ذكرها الله في الآية (٣٤) من سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي مطيعات لله ولآبائهن ولأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ أي حافظات لغَيبة أزواجهن، لازمات لبيوتهن، حافظات لأعراضهن ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ أي بما حفظ الله من حقوقهن.

وفي الصورة المقابلة نجد لجان تحرير المرأة المدعومات بالمساعدات الأجنبية يضغطن على الحكومة لترفع جميع التحفظات التي سبق أن سجلتها، واستجابت الحكومة - للأسف الشديد- برفع التحفظ الذي يسمح للمرأة أن تخرج من بيت زوجها بدون إذنه، وتسافر، وتسكن كما ترغب؛ لتحطم الأسرة، وتشيع الفساد فيه، ولتنسف عوامل أمنه واستقراره بإشاعة الجريمة والاعتداء وقطيعة الأرحام.

وقفة مع بعض مصطلحات الاتفاقية وموادها:

١. الفقرات (ج، د، ز) من المادة (١٦) تطالب الموقعين عليها باتخاذ جميع التدابير اللازمة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية؛ على أساس تساوي الرجل والمرأة في نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه، وتعطي الفقرة (ز) المرأة نفس الحقوق في اختيار اسم الأسرة والمهنة والوظيفة.

٢. تحفَّظ الأردن على هذه الفقرات، وتسعى لجان المرأة (السيداويات) المدعومات بالمال الأجنبي لرفع هذه التحفظات!!

٣. رفع الأردن أخيراً تحفظه على الفقرة الرابعة من المادة (١٥) المتعلقة بحرية السكن والتنقل والسفر للمرأة.

٤. اتفاقية (سيداو) مخالفة للدستور الأردني الذي ينص على أن دين الدولة الإسلام، وعلى الرجوع في قضايا الأسرة والأحوال الشخصية لأحكام الشرع الشريف والمحاكم الشرعية، ولأنها نشرت في الجريدة الرسمية وهي تمس أقدس حقوق المواطنين دون الرجوع إلى مجلس النواب، وهذا مخالف أيضاً للدستور.

٥. الخداع والتضليل من أساليب دعاة (السيداو). ومن خداع مؤتمر (بكين) والقائمين عليه من دعاة اتفاقية (سيداو) استعمال كلمة (جندر) بدل الزوج في تكوين الأسرة؛ ليضللوا ويخدعوا أن الأسرة لا تقوم على رجل وامرأة يتفقان على عقد زواج، وإنما تتسع في مفهوم (الجندر) الاجتماعي الذي يقيم الأسرة بين رجل ورجل، وامرأة وامرأة؛ لأن مفهوم (الجندر) الاجتماعي -حسب مؤتمرات (بكين)- هو الأساس الذي يلغي إرث الأنبياء وحضارة العفة والطهارة في تكوين الأسرة بعقد بين رجل وامرأة؛ ليصدق في الدعاة لاتفاقية (سيداو) قوله تعالى في المغيرين لخلق الله، المعطلين للفطرة التي شرعها الله. قال تعالى في وصف صنيع الشيطان ببني آدم: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاّ غُرُوراً**﴾ [النساء:١١٩-١٢٠].

٦. ومن خداع القائمين على اتفاقية (سيداو) الوقوف عند الكلمات العامة دون التفاصيل التي تكشف أهدافهم التدميرية للأسرة والمجتمع؛ ولذلك فإن أخطر ما في هذه الاتفاقية المذكرات التفسيرية لها، ويختصرون على سبيل المثال (٨٠) صفحة في ثماني صفحات، ويستعملون تعابير: (الأسرة التقليدية) و(الأسرة النمطية) للأسرة كما شرعها الله، ويستعملون تعابير (الأسرة الحديثة) و(الجديدة) و(المتطورة) للأسر التي تقوم على مفهوم (الجندر) (النوع

الاجتماعي) بين ذكر وذكر أو أنثى وأنثى، ويشيعون مفاهيم الصحة الإنجابية، التي تيسر للمرأة أن تأتي بالولد من أي طريق غير طريق الزواج الشرعي، وتيسر لها أن تمارس الجنس، وتحظى بالرعاية القانونية لها.

٧. الجلسة (٥٣) لمركز المرأة التابع للأم المتحدة: ومن وقائع هذه الجلسة تكثيف الجهود من أجل تنفيذ مقررات (بكين)، والتصديق دون تحفظات على اتفاقية (سيداو)، واتخاذ جميع التدابير المناسبة على مستوى المساواة القانونية والفعلية للقضاء على التمييز ضد المرأة فيما يتصل بالزواج والأسرة وقوانين الإرث والملكية، واستصدار قوانين تجرم عمل الفتاة في منزل أهلها وأسرتها، ومن وقائع هذه الجلسة تيسير سبل الحصول على خدمات الوقاية من (الإيدز)، والتدريب على استعماله.

ومن وقائع هذه الجلسة:

- تعميم المنظور الجندري في جميع التشريعات والسياسات والبرامج الحكومية، والقضاء على القوالب الجندرية النمطية والعمل على حث المجتمع على تحدي الأدوار الجندرية النمطية لأدوار كلٍّ من الرجل والمرأة.
- تيسير الحصول على وسائل منع الحمل للمراهقين وتدريبهم على استخدامها.
- إباحة الإجهاض للتخلص من الحمل غير المرغوب فيه.
- إلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة وإعطاء الحقوق للشواذ.
- العمل على إلغاء كل التحفظات التي سبق إبداؤها من الدول الإسلامية.

صرخة للعلماء:

- وتتوجه المستغربات (السيداويات) إلى مراكز القرار الحكومي لإجراء تعديلات على قانون الأحوال الشخصية تحقق أهداف التغريب في الأسرة المسلمة وتعطل أحكام القرآن الكريم.

ومن المعلوم أن قانون الأحوال الشخصية هو الحصن الأخير للأمة، وقضاة الشرع الحنيف هم حماة هذا الحصن العظيم.

وأملنا كبير أن يكون العلماء حماة لدين الله في أحكام الولاية والقوامة والإرث والطلاق والأسرة، وأن يكونوا أقوى من الضغوط مستعينين بالله تعالى الذي أمر العلماء أن يحفظوا شرع الله الذي استحفظوا عليه. قال تعالى مذكراً بما حصل لعلماء بني إسرائيل: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦].

وما ذكر الله لنا تقصير علماء بني إسرائيل إلا ليذكرنا بألا نقع في مثل خطئهم وتقصيرهم. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

يا علماء الإسلام:

لمثل هذا اليوم ولدتكم أمهاتكم.. الدفاع عن حصن الأسرة، والدفاع عن حصن القدس.

والدفاع عن حصن الأسرة يكون بالوقوف أمام مخططات التغريب والخداع والتضليل.. والدفاع عن حصن القدس يكون بالدعوة إلى الجهاد والمقاومة، وتذكير الناس بمسؤوليتهم لتحرير مسرى النبي ﷺ والقدس الشريف وفلسطين، وفضح أساليب الخداع والتضليل التي مارسها العدو الصهيوني والغربي بالمفاوضات العبثية وتحذير الأمة وصدها عن الجهاد والإعداد والمقاومة..

يريد العدو أن يحتل الأسرة والثقافة بفكره وقيمه وقوانينه، كما احتل الوطن بجنده وعساكره.. والاحتلال الثقافي لا يقل خطورة عن الاحتلال العسكري.. والعلماء -ورثة الأنبياء- هم حماة الحصن الذين يواجهون هذه التحديات.. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

العدد (٨٩) حزيران ٢٠٠٩ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قداسة الأرض وقداسة الدعوة وقداسة المقاومة

شاء الله أن تكون بلاد الشام -الأرض المباركة- شاملة لفلسطين والقدس الشريف والأردن ممتدة إلى سوريا ولبنان وسيناء التي باركها الله بالأنبياء والرسالات التي أنزلها الله على رسله لتكون مهبط الوحي وموطن الأنبياء وأرض الدعوة والجهاد.

وهذا ما جعل النبي ﷺ يتوجه إلى مسجدها الأقصى قبلة أولى، ويختارها الله من بين بقاع الأرض مسرى لنبيه ومنطلقاً لمعراجه، وجعل مسجدها الأقصى -كالمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة- نشد إليه الرحال.

المسجد الأقصى وفريضة الجهاد لتحريره:

وكانت غزوة مؤتة التي وقعت في شهر جمادى من السنة الثامنة للهجرة البداية الأولى لتحرير بلاد الشام، وشاء الله أن تضم رفات القادة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وإخوانهم من الصحابة الذين شهدوا الغزوة واستشهدوا على أرضها، ثم كانت معركة اليرموك التي حشد فيها (هرقل) ملك الروم ما يزيد على مئتي ألف مقاتل، لينتصر عليهم ثلاثون ألفاً من جند الإيمان بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة، ومعهم من خيرة الصحابة: عكرمة بن أبي جهل -الذي بايعه أربعمئة من المجاهدين على الموت وتمكن من تحطيم قلب الجيش الروماني- وأبوسفيان الذي كان صوته مدوياً أثناء القتال: "يا نصر الله اقترب"؛ ليزيد المؤمنين إيماناً وثباتاً. ويذكر المؤرخون من الغرب

والشرق، أن معركة اليرموك كانت أعظم معركة في التاريخ، لما ترتب عليها من نتائج وآثار حولت بلاد الشام كلها من النصرانية وحكم الروم، إلى الإسلام وحكم القرآن.

وقد استمرت المعركة ثلاثة أيام، طلب الروم في اليوم الثالث الهدنة، فرفض خالد، وأمر الجند أن يضاعفوا من قتالهم ويتحولوا من موقف الدفاع إلى الهجوم، فأنهك الجيش الرومي وهزم شر هزيمة، ونادى (هرقل) بعدها: أنعي إليكم النصرانية والمسجد الأقصى والقدس الشريف.

وبعد انتصار اليرموك تحول المسلمون إلى القدس الشريف فحاصرها وفتحها الخليفة عمر بن الخطاب وتسلم مفاتيحها، ولم يحضر عمر لفتح أية مدينة إلا للقدس الشريف؛ تكريماً لها وإعلاناً لمكانتها وقدسيتها في قلوب المؤمنين.

يذكر ابن جرير الطبري أن عمر - بعد أن وقَّع (العهدة العمرية) - (صفرنيوس) البطريرك الذي سلَّمه مفاتيح المدينة وأمّنه عمر- توجه إلى المسجد الأقصى المبارك الذي كان الرومان قد حولوه إلى مكان يجمعون فيه أوساخ المدينة وفضلاتها، ودخل عمر باب الأقصى حبواً من كثرة ما تجمع على بابه من أوساخ، ثم بدأ مع الصحابة الفاتحين في عملية تنظيف وتطهير للمسجد، حتى يعيدوه لسابق عهده في عبادة الله وحده..

وصلى عمر في الجند الفاتحين صلاة العشاء جماعة داخل المسجد الأقصى وذهب الجند للراحة والنوم، وبقي عمر وحده في المسجد قائماً وراكعاً وساجداً، يريد أن يجدد عهده في عبادة الله وحده، ومع الفجر حضر الجند ليصلي بهم عمر صلاة الفجر، وقرأ في الركعة الأولى سورة الإسراء التي تذكر باختيار الله هذا المسجد مسرى لنبيه، وفساد بني إسرائيل وكيف عاقبهم الله بأن شردهم في

البلاد، ليأخذ المسلمون الدرس أن يحافظوا على القدس وعلى الدعوة حتى لا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل من هلاك وتعذيب.

وقرأ في الركعة الثانية سورة (ص) التي ذكر الله فيها داود وسليمان عليهما السلام، ليُذَكِّر بأن محمداً ﷺ وأمته هم ورثة الأنبياء، الأمناء على رسالتهم التي خانها بنو إسرائيل؛ فقتلوا الأنبياء والعلماء، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً.

وهذا ما نبَّه القرآن الكريم إليه بقوله في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

قال العلماء: ومن المقصود بمساجد الله في الآية: المسجد الأقصى الذي خربه اليهود والرومان، وعطَّلوه عن رسالته في عبادة الله وحده والدعوة إلى الله، وقتلوا الأنبياء والعلماء والدعاة إلى الله في هذه الأرض المباركة.

وفي الآية أن غير المسلمين لا يدخلون هذه الأرض إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم، وأن السيادة على هذه الأرض المقدسة للمسلمين وحدهم، وهم حملة الدعوة والحافظون لرسالة الله.

كيفية وقع المسجد الأقصى في الأسر سنة (١٩٦٧م)؟

حين فصل حكام المسلمين بين الدعوة والأرض والجهاد، وأعلنوا حربهم لتحرير فلسطين فاقدة لهويتها الإسلامية، وكانوا من قبل قد قتلوا العلماء وسجنوهم ونكَّلوا برجال الدعوة الإسلامية، وأعادوا سيرة بني إسرائيل في قتل العلماء وحرب الدعاة، وكان شعارهم في المعركة: "لأجل الربيع ولأجل الحياة ولأجل عشاق الحياة اضرب"!!! ووزعوا على الجيش المصري أكثر من مئة ألف

صورة للراقصة (كاريوكا) وغيرها؛ فكانت الهزيمة الساحقة الماحقة التي كشفت جهل القيادة بأمر القتال، وجهلها بأمر الله، واجتراءها على حرمات الله.

من علماء فلسطين الذين شعروا بالهزيمة قبل وقوعها:

وأذكر أنني كنت في زيارة للمسجد الأقصى المبارك قبل النكبة بأشهر، وكنت في ضيافة صديقي الشيخ أسعد بيوض التميمي رحمه الله، ففاجأني بقوله ونحن قرب قبة الصخرة المشرفة: صلّ يا إبراهيم صلاة مودِّع؛ فإن المؤامرة على القدس قريبة!

وحين سأله أحد المسؤولين في الأردن: كيف عرفت نتيجة المعركة قبل وقوعها؟! قال: لقد علَّمنا ربنا في كتابه أن نصره لا يتنزل على من حاربوا دين الله، وعطَّلوا أحكام الله، وإذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

وأذكر أن جماعة من المنتسبين لـ(المنظمة) قبل النكبة اجتمعوا على جبل الزيتون في القدس، وقرروا بتصويت أجروه أن قضية فلسطين ليست إسلامية، وكان ممن أنكر عليهم الشيخ أسعد رحمه الله، وقال في إحدى خطبه: تعال يا صلاح الدين من خلف القرون، واسمع ما قاله الصبية على جبل الزيتون!!

عودة جديدة إلى الله:

وبدأ علماء فلسطين يعدون الأمة للجهاد تحت راية الإسلام، وكان رجال الحركة الإسلامية بقيادة العالم المجاهد أحمد ياسين وإخوانه لتكون قلعة المقاومة والجهاد في غزة حصناً عظيماً وبداية مباركة للتحرير جمعت بين قداسة الأرض وقداسة الدعوة.

وشاء الله أن يفضح أمر الخونة الذين يأتمرون بأمر (دايتون) و(الموساد) والمخابرات الأمريكية في حراسة أمن (إسرائيل) في الضفة المحتلة، ليقتلوا قادة المقاومة ويخدموا أهداف العدو الصهيوني في ملاحقة هؤلاء القادة في الخليل وقلقيلية ونابلس وغيرها، ويقتلوهم بدم بارد تنفيذاً لأمر (دايتون) و(الموساد)!!

وهذا ما جعل أهلنا في فلسطين كلها يتوجهون لقادة الدعوة الإسلامية يعطونهم الثقة ويبايعونهم على الجهاد والمقاومة.

الأرض المباركة وحفظة القرآن الكريم:

وهنا نجد أن خمسة آلاف حافظ للقرآن الكريم كانوا من أبطال المقاومة في غزة، وتمكنوا من قهر الجيش (الإسرائيلي) ومنعه من دخول غزة الذي خطط لاحتلالها ليسلمها للعملاء الذين يحرسون أمنه، ويحرسون مصالحهم ورتبهم ورواتبهم.. وأن المعركة انتقلت من الأنظمة وجيوشها إلى الشعوب المقاومة المجاهدة ممثلة بحركات المقاومة الإسلامية التي جمعت بين الولاء لله ودعوته، وبين الوفاء للأرض وتحريرها.

وقفة مع آيات في سورة النمل:

وهنا يحسن التذكير بما ذكره القرآن الكريم عن الأرض المباركة أرض الأنبياء والرسالة والدعوة لنجد أمة القرآن الكريم الوارثة لرسالات الأنبياء المؤهلة وحدها للدفاع عن الأرض والدفاع عن الدعوة.

قال تعالى في سورة النمل: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل:٦-٨].

قال الإمام الزمخشري وهو يربط بين الآية الأولى وما بعدها: وإنك لتؤتى القرآن وتلقنه من عند أيّ (حكيم) وأيّ (عليم). وهذا معنى مجيئهما نكرتين، وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه.. ومعنى {بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}: بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها. ومكانها: البقعة التي استقبل فيها موسى عليه السلام نداء الدعوة والتكليف بالرسالة وتكليم الله له، وهذه البركة تعني حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه، وَرُبَّ خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يُمنه في أباعدها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة؟! وقيل: المبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون. والظاهر أنه عامٌّ في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليها من أرض الشام.

ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:٧١]. وقد ذكر الله هذه الأرض بقوله: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ**﴾ [القصص:٣٠].

وهذه أرض الشام مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم (التي تضمهم) أحياءً وأمواتاً.

ومن لطائف الآية أن الله ابتدأ موسى عليه السلام حين مجيئه ليرى النار بقوله: ﴿**أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ ليبشره بأنه قد قضى بأمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة.

قال العلماء: بوركت النار، والذي بوركت له البقعة، وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها، وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه.

﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك، وإيذان بأن ذلك الأمر مُريده ومُكوِّنه رب العالمين؛ تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون.

وفي ختام هذه الآيات نقف لنقول لرجال الدعوة: إن خطاب الله لموسى عليه السلام: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هو تذكير لورثة عهد محمد ﷺ أن يكونوا الرجال المباركين الذين يحملون رسالة الله؛ ليجدوا بركة الدعوة، وبركة المقاومة، وبركة الجهاد، ويجدوا قبس الهداية الإلهية في الدعوة والجهاد التي آتاها الله محمداً ﷺ وأصحابه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح:٢٩].

وصلى الله على النبي المبارك وأصحابه الطيبين المجاهدين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكانة العلماء ومسؤوليتهم في الإسلام

للعلم وأهله مكانة عند الله تقتضي مسؤوليات عظيمة في تبليغ أحكامه، والدفاع عن شريعته، وأن ينفوا عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين، وأن يهبوا للدفاع عن دين الله في وجه من يريدون العبث بأحكام الشرع، وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، قال رسول الله ﷺ: "يحمل هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين" (رواه أحمد بسند صحيح).

وقد وصف الله العلماء في كتابه العظيم بأوصاف حمَّلهم فيها مسؤولية بيان أحكام الشرع للناس، والدفاع عنها حين يحتاج الأمر إلى بيان يوم تتعرض هذه الأحكام لمحاولات التغيير والتبديل والتأويل المفسد كما نجد عند لجان تحرير المرأة ودعاة المساواة الكاملة بين الرجال والنساء، كما تسعى منظمات هيئة الأمم، وعملاؤها من "السيداويات" وأشباههم ممن يسعون لهدم مقومات الأسرة المسلمة بإلغاء ولاية الأب، وقوامة الزوج، والمساواة الكاملة في الميراث، والتوسع في مفهوم الزواج إلى إباحة الشذوذ، ويسمون هذا "تنوعاً ثقافيّاً وتطوراً حضاريّاً"، قاتلهم الله وأخزاهم..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وقد يكون هذا الثمن المحافظة على الرتبة والراتب، أو السلامة من التعرض لأذى الظالمين، وقد بين الله في كتابه ما أصاب بني إسرائيل حين تهاون علماؤهم في

الدفاع عن دين الله وبيان أحكام الله فقال: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣].

وفي آية أخرى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦].

أي سكت علماؤهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخافوا على ما أترفوا فيه من رتب ورواتب وامتيازات ومصالح وكانوا مجرمين هلكوا وأهلكوا الأمة بسكوتهم عن الباطل ومجاراتهم له، وتعاونهم مع أهل الزيغ والضلال.

وقد حذّر الله العلماء أشد التحذير من التهاون بمسؤولية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحلي بأخلاق العلماء في بيان أحكام الله في مواجهة من يريدون تغييرها وتحريفها فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]. أي آتيناه آياتنا فتعلم أحكامها، فانسلخ منها - أي من الآيات - بأن نبذها وراء ظهره، ولم يلتزم بها، ولم يدافع عنها، ولم يتحصن بها، ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له، وجنّده مع حزبه ليكون ظهيراً لأهل الباطل على أهل الحق يأتمر بأمرهم، وينفذ رغباتهم، ويسارع في إرضائهم ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، من الضالين الفاسدين المفسدين. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء الربانيين بتلك الآيات، ونصرة دين الله، والدفاع عن أحكام شريعته ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي مال إلى الدنيا ورغب فيها، وإلى

الرتبة والراتب، والحظوة عند من جنَّدوه وطلبوا منه أن يسكت عن بيان أحكام الله، أو يسكت عن نصرتها والدفاع عنها ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ فصفته التي هي مَثَلٌ في الخسة والحقارة كمثل الكلب في أخسِّ أحواله وأذلها، وهي حال دوام اللهث به واتصاله، سواء حمل عليه - أي شدَّ عليه وهُيِّج فَطُرِد - أو تُرِك غير متعرض له بالحمل عليه.

وما أبلغ هذا التشبيه في وصف الإنسان حين يخلو قلبه من صادق الإيمان والتوكل على الرحمن، إذ يصبح قلبه في خوف دائم لا يرى رزقه وكرامته إلا عند من جنَّدوه أو وظَّفوه للقيام بالعمل كما يريدون، لا كما يأمر الله فهو ذليل على أعتابهم، خائف من غضبتهم، حريص على رضاهم في لهاث وخوف دائم. ومحل الجملة الشرطية ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ... ﴾ النصب على الحال، كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلة لاهثاً في الحالين ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذرون مثل عاقبته، ويلزمون منهج العلماء الربانيين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن شريعة الله في وجه أهل الباطل الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً.

وقد ذكر الله علماء أهل الكتاب الصالحين لنقتدي بهم في صالح أعمالهم بقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥].

ونقف مع هذه الآيات الكريمة عند الأوصاف التالية للعلماء الربانيين:

١. أنهم أمة قائمة بأمر الله، مَلَكَ كتاب الله قلوبهم فهو جنتهم في الليل يناجون به خالقهم، وحجتهم في النهار يبيِّنون به أحكام ربهم.

٢. قرن الله بين إيمانهم بالله واليوم الآخر وبين أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ليعظم أمر هذه الفريضة عند العلماء الصالحين.

٣. وهم يسارعون في الخيرات، لا يتباطؤون عن فعل الخير، والمسارعة في أعمال البر، ومنها بيان أحكام الله وتعليم الناس الخير ونصرة دين الله.

٤. وأولئك بهذه الصفات من الصالحين، ومرتبة الصلاح مرتبة عزيزة طلبها الأنبياء وحرصوا عليها ووصف الله بها أنبياءه فقال في عيسى عليه السلام: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران:٤٦].

وقال في يحيى عليه السلام: ﴿**وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران:٣٩]. وفي آية أخرى: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الأنعام:٨٥].

٥. ﴿**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ والله عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١١٥]، وفي هذه الآية الكريمة تفتح الأبواب للعالم المسلم أن يجعل حياته كلها عطاء وعملاً ودعوة إلى الخير، والله هو الذي يناديهم ليبادروا بأعمال الخير، فالعالِم لا تقيده الوظيفة، والعمل الرسمي، ولا يتحنَّط بقيود الظالمين؛ فالتقوى التي تملأ قلبه تناديه إلى ربه ليعلِّم، ويهدي، ويسارع في الخيرات، والعمل لإقامة أحكام الإسلام، رضي من رضي وغضب من غضب.

فضل العلم وأهله:

وإذا عرف العلماء فضلهم ومكانتهم عند الله وما ينتظرهم في مستقر رحمته، زهدوا بالدنيا وزينتها، وسارعوا إلى النعيم الدائم: قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ**

﴿إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وجعل سبحانه شهادتهم حجة على المتكبرين، ونفى سبحانه وتعالى التسوية بين أهل العلم وغيرهم في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. كما نفى التسوية بين أهل النار وأهل الجنة بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين". وهذا يدل بمفهومه على أن من لم يفقهه في الدين لم يرد به خيراً، والمراد بالفقه العلم المستلزم للعمل.

وفي صحيح مسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً".

وفي الصحيحين: "لأَن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم". وإنما خصَّ حمر النعم لأنها خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كلَّ يوم طوائف من الناس؟! وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله.

وللناس في هذه الحياة الدنيا مطامع ورغبات وأهداف: هذا يتطلع إلى المال، وهذا يتطلع إلى العلم، ويعلمنا القرآن الكريم كيف نصحح النية والعزم وعمل القلب، ليكون المال مسخراً لسعادتنا في الدنيا والآخرة وليكون العلم وسيلة لسعادتنا في الدارين.

أخرج الشيخان بسندهما عن رسول الله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها

ويعلمها". وقال ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".. قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليُصلُّون على معلم الناس الخير". (رواه الترمذي وصححه). قال الفضيل بن عياض: "عالم عامل معلم: يُدعى كبيراً في ملكوت السماوات". (رواه الترمذي في جامعه بسنده إلى الفضيل).

وقال ﷺ: "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر". (أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني).

قال العلماء في شرح الحديث: ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً وتوقيراً وإكراماً، لما يتحمَّله من ميراث الأنبياء، ويطلبه من إرث النبوة، وهذا يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه: تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبين الفريقين تناسب؛ فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم، ومن نصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويثنون على محسنهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين.

قال أحد التابعين: وجدنا الملائكة أنصح خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغش الخلق للعباد.

وما أصدق هذا القول في شياطين الغرب، والتغريب، ودعاة تحرير المرأة على الطريقة "السيداوية" الغربية الذين يسعون جاهدين لتغيير قوانين الأحوال الشخصية في البلاد الإسلامية وفقاً للمطالب الغربية التي تحطم حصون الأسرة وتغير هوية المجتمع العربية الإسلامية، لتخرج الفتاة عن ولاية أبيها، والمرأة عن

قوامة زوجها، والزواج عن مفهومه الشرعي إلى زواج المثليين وإباحة الزنى، والشذوذ، وإعلان المساواة الكاملة بين الرجال والنساء حسب مؤتمرات "بكين" ولجان تحرير المرأة في هيئة الأمم المتحدة، وفي ظل هذه المساواة للرجل أن يتمتع بخليلاته مع زوجته، وللمرأة أن يكون لها أكثر من زوج وأكثر من خليل، فالحياة في مفهومهم: بوهيمية وغرائز وإباحية، لا يقيدها دين. والعلماء ورثة الأنبياء يحمِّلهم الله المسؤولية للوقوف في خندق رسول الله بالدفاع عن شرف الأمة وشرف الأسرة وحصن البيت وبيان أحكام الله في وجه هذه الحملة الغربية الصليبية الصهيونية، ولنذكر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدعوة والمال والوعي الإيماني

الدارس للسيرة النبوية يجد الوعي الإيماني لما تتطلبه الدعوة من إنفاق وقيام الصحابة الكرام ببذل المال في الوقت المناسب، كان من أعظم أسباب انتصار الدعوة، وثناء النبي الكريم ﷺ على هؤلاء السابقين المحسنين.

وفي حديث النبي الكريم ﷺ : "ما نفعني مالُ أَحَدٍ قط ما نفعني مال أبي بكر" (رواه الترمذي وصححه الألباني). الذي كان لماله يوم الهجرة أثره العظيم في إعداد الراحلة والزاد، كما كان سباقاً في البذل في الغزوات وعلى حاجات الدعوة ومطالبها.

وحين أُشيعَ عن تعرض المدينة لغزو الروم سَارعَ الصحابة بالإنفاق على غزوة تبوك ليواجهوا الروم في بلادهم قبل أن يصلوا إلى المدينة المنورة، وكان في مقدمة هؤلاء عثمان بن عفان ﷺ الذي جاء بماله وجهَّز معظم الغزوة حتى قال النبي ﷺ : "ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم".(سنن الترمذي بسند حسن).

واليوم، والمسلمون يواجهون أخطر غزوة صليبية صهيونية، تسعى لهدم المسجد الأقصى المبارك، وتهويد القدس وفلسطين، واحتلال البلاد العربية والإسلامية عسكريّاً، وثقافيّاً، وسياسيّاً، واجتماعيّاً، وتغريب قوانين الأسرة لهدم الحصن الأول في بناء المجتمع وهو الأسرة، وتغريب القيم والأخلاق عن طريق المدرسة والجامعة والمؤسسات الإعلامية، ونجد كثيرين من الحكام وأصحاب القرار ينفذون خطط الأعداء في فلسطين المحتلة، والعراق، وغيرها من بلاد الإسلام.

ماذا نفعل لمواجهة هذه الأخطار؟

هنا نجد الوعي الإيماني والحضاري بالأخطار المحدقة ووجوب مقاومتها ودفعها. هذا الوعي الذي نفتقده عند الكثيرين من الأغنياء الذين يسرفون على أنفسهم وحفلات أعراسهم وزينة بيوتهم، ولا يقدمون شيئاً للجهاد والمجاهدين.

كما نجد عند كثيرين من الذين يتصدقون لا ينفقون في سبيل الجهاد والمقاومة، ولا ينفقون على المؤسسات الدعوية التي تسعى لدفع فتنة الأعداء بحجب أبنائنا عن القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه، أو مؤسسات الدعوة الإسلامية التي تقاوم التغريب فكراً وتربية من خلال مدارسها وعلمائها.

اليهود والمال:

ولذلك كان وعي المؤمن بالأخطار وما يفرضه الله عليه لدفعها أساساً لحركته وجهاده. وإذا عرفنا أن أعداءنا الذين احتلوا فلسطين وشردوا شعبها ثم احتلوا العراق ودمروه، يعتمدون على المال اليهودي، وتجد أموال اليهود في العالم تصب لدعم العصابات الصهيونية، فأولى بالعرب والمسلمين أن يحوِّلوا مالهم لنصرة المجاهدين، والمقاومة، ونصرة الدعوة ومؤسساتها.

والدارس لآيات الإنفاق في القرآن الكريم وللأحاديث النبوية يجد التوجيه الإلهي: كيف ننفق المال في الطريق السديد والتجارة الرابحة التي تحوِّل المال إلى جهاد في سبيل الله، وإعداد للمجاهدين وإنفاق عليهم، وعلى أُسَرِهِم، وتأمين للسلاح لتستمر المقاومة للمحتل، حتى ينتصر دين الله. كما تحوِّل المال إلى الدعوة ومؤسساتها القرآنية والعلمية والاجتماعية لتقف في وجه الفتنة التي يسعى الأعداء من خلالها إلى تغريب الأسرة المسلمة بفرض القوانين الغربية على مؤسساتنا القانونية، وفرض القيم والأخلاق الغربية على مؤسساتنا التعليمية والثقافية والإعلامية.

والمسلم الواعي لأهداف دينه، ومقاصده، وللأخطار التي تسعى لهدمه وإبعاده عن المجتمع، متمثلة بالصهيونية والصليبية وأعوانهما من الحكام ورجال الصحافة والكتاب والمستغربين، يعرف بوَعْيِهِ وإيمانه كيف يقاوم بالنفس والمال والكلمة ويجعل ماله مجاهداً في سبيل الله يدافع عن دين الأمة ووجودها.

وقفة مع بعض الآيات والأحاديث:

وهنا يحسن الوقوف عند بعض النصوص الكريمة لنجد كيف تدعونا للإنفاق في سبيل الله، وتُذكِّرُنا بالأخطار العظيمة التي ندفعها بهذا الإنفاق، ونحصِّن بها أنفسنا وأمتنا من الهلاك.

١. قال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥].

فالقرآن يقرن الأمر بالإنفاق على الجهاد والمقاومة بالتحذير من أن نلقي بأنفسنا إلى التهلكة؛ لأن المقاومة والجهاد حياة الأمة، ومنع تقديم العون لهما والدعم فيه هلاك الأمة وانتصار أعدائها وتحقيق أهدافهم في بلاد المسلمين.

وهذا ما حذر الله تعالى منه المسلمين في عهد صاحب الرسالة ﷺ بعد أن انتصر الإسلام ورأوا أن ينشغلوا بتجارتهم وزروعهم، فعرَّفهم ربهم أن الانشغال عن الجهاد وعدم الإنفاق عليه يعني الكارثة والهلاك والزوال.

٢. وفي قوله تعالى: ﴿**هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ واللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد:٣٨].

فالآية تقدم للأمة الوعي الإيماني بأن الأغنياء حين يبخلون، إنما يبخلون عن أنفسهم، حين يعرِّضونها للهلاك وغلبة الأعداء، أو للجهل وغلبة الدهماء والجهلاء.

٣. ويخاطب القرآن الكريم عقل المؤمن وتفكيره ليعرف ثواب الإنفاق في سبيل الله حين يقرنه بالإيمان بالله ورسوله؛ لتستقر في عقيدته أن الذين يدافعون عن دينهم وإيمانهم هم الذين يحسنون الإنفاق في سبيل الله لنصرة دينهم، والقيام بمؤسسات الدعوة العلمية والقرآنية والحركية.

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

٤. ونجد قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١١] يَعْقُبُه الحديث عن ثواب المؤمنين، ثم عن خسارة المنافقين الذين لم يَصدُقوا في الإيمان والجهاد والبذل للدعوة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣].

٥. ونجد في نهاية هذه الآيات الوصف الجامع وهو الصِّدِّيقيّة والشهادة، لمن أحسنوا الإنفاق على الدعوة والجهاد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ

﴿هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٨-١٩].

والصِّدِّيقون والشهداء هم رجال الدعوة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وشهدوا على الناس بالدعوة والتبليغ، وأحسنوا الإنفاق والجهاد بالمال والكلمة والنفس في سبيل الله.

٦. وفي أواخر سورة البقرة يتجلى الوعي الإيماني الحضاري للإنفاق في سبيل الله من خلال ما يلي:

- كيف تفدي نفسك وتعتق رقبتك من النار؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

- وتأتي آية الكرسي، وهي آية الوحدانية بعدها مباشرة، لتربط الإنفاق بالعقيدة، ولتُخَلِّص نفوس المنفقين من كل ما يشغلهم عن الله، والإنفاق في سبيله، وهم يذكرون ما يعتق رقابهم من النار في يوم لا تنفع فيه خُلَّةٌ صديق، ولا شفاعة شافع، ولا مال تجارة، ويستذكرون بعدها عظمة الله الحي القيوم لتمتلئ نفوسهم بجلال عظمته فلا يبخلون ولا يقصِّرون في نيل رضوانه.

- ثم تأتي الآيات التي تذكر جهاد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ومقاومته للطاغية الذي نصَّب نفسه إلهاً من دون الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

- وتأتي بعد آيات تقرير الوحدانية في آية الكرسي، وفي حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام للملك الظالم، آيات الإنفاق في سبيل الله وثوابه وأدب الدعاة المنفقين، وما يملك قلوب أهل الإيمان وهم ينفقون في سبيل الله ويعملون للدعوة، لنجد منهج القرآن الكريم في الربط بين الإيمان والإنفاق، وإيجاد الوعي الإيماني الحضاري الذي يعرف فيه المسلم أنه مستخلف على مال الله، وأن أولى مصارف الزكاة والصدقات: الجهاد والمقاومة، وحفظ الإسلام في الأرض في مواجهة فتن اليهود والصليبيين الذين أعلنوا حربهم وأعدُّوا عدتهم للقضاء على الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

وقد ورد في سبب نزولها في غزوة تبوك وصدقة عثمان رضي الله عنه بماله، التي جعلت النبي ﷺ يقول: "ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم".

وإذا كان ثواب الحبَّة بسبعمئة، والمئة بسبعين ألفاً، والله يضاعف لمن يشاء، تنبيهاً وتوجيهاً لخطر المرحلة، وتعليماً للمسلم كيف يواجه الخطر؛ فغزوة تبوك كانت لمواجهة خطر الروم، ووعي المسلمين وإدراكهم لدفع هذا الخطر جعلهم يتسابقون ببذل أموالهم، كما كشفت المنافقين الذين فقدوا حقيقة الإيمان، كما فقدوا الوعي بخطر المرحلة، وعِظَم المواجهة.

واليوم، ونحن نواجه خطر الروم من جديد متمثلين بالصليبية والصهيونية ندعو المؤمنين ورجال الدعوة ليتمثلوا توجيه القرآن الكريم في التعاون لدفع هذه الأخطار من خلال تقديم العون والمال للدعوة ومؤسساتها وللجهاد والمقاومة بكل صورها وألوانها.

من قواعد الوعي الإيماني في الإنفاق:

١. إخلاص العمل لله رب العالمين، لا يطلب ربحاً ولا ذكراً ولا مصلحة دنيوية.

٢. ألاّ يُتْبع الصَّدقة بما يُبطِلها من منٍّ أو أذى، والمن هو تعداد أعمالك في الخير، والافتخار بها، ولفت النظر إليها، والأذى ما توجهه للسائل من كلمات قاسية، ويدخل فيها بالنسبة للعلماء والدعاة ألا يخدشوا الأخوَّة بالحرص على تحقيق المصالح داخل الحزب أو الجماعة، وفي سبيل ذلك يستبيحون أعراض إخوانهم وغيبتهم، فإذا كان إنفاق المال لا يقبله الله إلا خالصاً لوجهه، مطهراً من المنِّ والأذى، فكذلك إنفاق العلم، وعمل الدعوة وهو جهاد في سبيل الله بالكلمة والعمل الصالح لا يجوز أن يُستغلّ للمصالح الشخصية داخل التنظيم أو خارجه، ولا يجوز أن يُتْبَعَ بالأذى، المقطِّع لأرحام الدعوة، وقوة التنظيم.

ونقف مع الآيات الكريمة التي أتبعت ثواب الإنفاق بأدب الإنفاق حتى لا يُحبَط ولا يَضيع. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى واللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٦٢-٢٦٤].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القدس.. الكاشفة الفاضحة!

بين القدس وغزوة تبوك شبهٌ كبير، فكلتاهما ميَّزتا المؤمنين وكَشَفَتا المنافقين، وفي هذه الكلمة سأقف عند بعض وجوه الشبه ودروس الامتحان لنعرف كيف سُمِّيت سورة التوبة بالكاشفة والفاضحة وقد كشف الله للأمة أخلاق المنافقين المتخلفين عن الجهاد، وصدق المؤمنين في الجهاد والنصرة، لتعرف الأمة كيف تواجه أعداءها من "الروم" الظاهرين، ومن "المنافقين" الذين يلبسون ثياب الخداع والتضليل.

ويحسن هنا أن نقف عند بعض هذه الدروس:

١. حين تتعرض أرض الإسلام للخطر أو الاحتلال يصبح الجهاد فرض عين لا يتخلف عنه بغير عذر إلا منافق.

وهذا ما فعله النبي ﷺ حين بلغه أن الروم يستعدون لغزو المدينة المنورة، فأعلن النفير العام وقال: "ما غُزي قومٌ في عقر دارهم إلا ذَلُّوا". وفتح الباب لتقديم الأموال لتجهيز الغزوة، فقدَّم عثمان ﷺ مالاً كثيراً، تهلَّل له وجه النبي الكريم وقال: "ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم، اللهم ارضَ عن عثمان فإني عنه راضٍ". وتسابق الصحابة ﷺ بالبذل والإنفاق.

٢. وقد كشفت السورة أصناف المتخلفين عن قتال العدو، والمشاركة في دفع الأخطار عن أرض الإسلام بآيات كثيرة، منها:

أ. أن أموالهم وأولادهم لا تحميهم من عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة:٥٥].

وهنا أُوَجِّه نداءً لحكام العرب أصحاب السلطة والمال، أن الله يفرض عليكم أن تغيثوا القدس، وتتوجهوا للجهاد، لإنقاذ فلسطين وقدسها وشعبها من التدمير والإبادة وبناء الهيكل المزعوم، ومن لم يفعل زهقت روحه وهو كافر، ولن تغني عنه أمواله ولا حكمه شيئاً. والنداء نفسه نوجهه للعرب والمسلمين وأغنيائهم أن الله استخلفكم على هذا المال وفتح لكم الطريق لتغيثوا المجاهدين، ومن تخلَّف كان مع المتخلفين.

ب. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة:٨٦-٨٧].

من هم أولو الطَّوْل؟

- (أولو الطول) شاملة لأصحاب المال والغنى الذين يملكون أن يمدوا حركات المقاومة والجهاد وينتصروا للقدس ومسجدها وفلسطين وشعبها.
- و(أولو الطول) شاملة أيضاً لكل من مكَّنه الله بقدرة علمية، أو سياسية، أو عشائرية، أو صحفية، يجب أن يسخِّرها للتذكير بفلسطين والقدس، وإعداد الأمة للجهاد.
- و(أولو الطول) شاملة لخطباء المساجد الذين مكَّنهم الله من المنبر أن يبلِّغوا رسالة الله ويشاركوا في جهاد الكلمة بالتحذير من أخطار العدو اليهودي، ويُبينوا حكم الله في تحريم التطبيع مع العدو المغتصب للأرض والقدس وتحريم التعاون معه، ومن تعاون مع العدو وطبَّع معه خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين. وكذلك تشمل وزراء الأوقاف والإعلام وأصحاب الصحف.

وإذا كانت سياسة كثير من الحكومات في البلاد الإسلامية قائمة على حراسة أمن (إسرائيل)، وتربط الأئمة والوعاظ بالأجهزة الأمنية القائمة على هذه الحراسة، فإن العلماء ورثة الأنبياء يحملون مسؤولية الجهاد والتضحية ومقاومة سياسات العدو الساعية لتفريغ المساجد من كلمة الجهاد.

ج- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

والخطاب في هذه الآية للمؤمنين جميعاً: حكاماً وشعوباً أن ينفروا للجهاد دفاعاً عن الدين والأرض، والذين يؤثرون دنياهم على دينهم ويعطلون الجهاد والإعداد له، ويُنفِّذُون مخططات أعدائهم في محاربة المجاهدين، ومحاصرتهم، عرَّضوا أنفسهم لعقوبة العذاب الأليم والإبادة والهلاك، والاستبدال، هلكوا بأنفسهم وأهلكوا أمتهم. والخطاب في هذه الآية موجه أيضاً للوزراء والعلماء والخطباء، والمسؤولين عن سياسة المساجد ولجانها، أن ينفروا للجهاد ويعدوا الأمة له وألا يخنقوا صوت الجهاد فيعزلوا الخطيب إذا ذكر القدس، أو الجهاد، أو ذكَّر بخطر يهود.

د- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى واللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

وهذه الآية كاشفة فاضحة تفضح أساليب الخداع والتضليل الذي يقوم به حُرَّاس أمن الأعداء المتعاونون معهم، فتراهم يبنون مسجداً، لا لتبليغ كلمة الله والجهاد في سبيل الله، وإعداد الأمة لتدافع عن دينها وتتبصر الأخطار المحدقة به،

ولكن يقيمونه لمحاصرة الدعوة والدعاة، ومنع العلماء الصادقين من الخطابة والتوجيه، وتنفيذاً لمخططات من حارب الله ورسوله في إشغال الأمة عن أوطانها ومقدساتها وتوجيهها للقيام بواجبها في الجهاد والبذل والنصرة.

قاتل الله المنافقين، لم يَكْفِهِم أن يبنوا مسجداً ضراراً، وإنما رسموا الخطة ونفذوها ليعطلوا بيوت الله عن رسالتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاصرة المسلمين بحجبهم عن التوجيه الصالح وإعدادهم وتبصيرهم بالأخطار.

تهويد القدس:

والذي يتابع آخر الأخبار يجد أن العدو الصهيوني بموافقة أمريكية حوَّل القدس الشرقية إلى مستوطنات، وتوسَّع في احتلال القرى القريبة منها بمساحة (٥٠ كم) حتى عزلها عن بقية الضفة، وهو ماضٍ في سياسة بناء المستوطنات، وآخر قرار: بناء (٤٥٠) وحدة سكنية في الضفة، وأعلن العدو أن القدس عاصمة أبدية لـ (إسرائيل) وهو ماضٍ في تهجير أهلها وطردهم من منازلهم، وأعلن أنها عاصمته الأبدية. وقد يستكمل العدوان بهدم الأقصى! ونجده يطلب من العرب أن يطبِّعوا معه مقابل تجميد الاستيطان لأشهر، وهذا ما يدعو المسلمين وحكامهم أن يَهُبُّوا لنصرة القدس والمسجد الأقصى قبل أن يدمره يهود ويُبنى الهيكل على أنقاضه.

إن الطريق الوحيد لإنقاذ القدس والمسجد الأقصى وفلسطين هو إعلان الحكام للجهاد في سبيل الله، وإعلان الشعوب للجهاد في سبيل الله، ومطالبة العلماء ورجال الكلمة حكامهم لإعلان الجهاد في سبيل الله، والتحرر من السياسات الأمريكية والغربية، ولا يتم هذا إلا إذا استيقظت الأمة للخطر الداهم، وتحركت لدفعه، ولا بد للمساجد أن تقوم بدورها، وللعلماء أن يتحرروا من ضغوط الوظيفة وقيودها، قبل أن يحصل الطوفان!!

أصناف الأمة في مواجهة الأخطار:

والناس أمام هذه الأخطار أصناف متعددة:

١. صنف آثر دنياه على آخرته ووطنه وقدسه، وعرضه وكرامته، ومشى مع الظالمين يدافع عن باطلهم، ويستقبل هباتهم ليُمَكِّنُوه من سلطة زائلة ومتع حرام، هذا الصنف من أحط الناس أخلاقاً لا يبالي في سبيل منصب أو رتبة أو راتب أن يبطش بالصالحين ويتعاون مع الظالمين، ويسارع في مخططات المحتلين، فهو في عموده الصحفي عَدُوٌّ للجهاد والمقاومة وللحركة الإسلامية، وهو في مسؤوليته خادم أمين لتنفيذ أوامر أعداء الإسلام المجاهد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

هؤلاء المرتزقة يحسبون أنهم ناجون عند الله، وأن وظيفتهم تقتضي ذلك! وغداً حين يوافيهم ملك الموت سيعلمون ما ضيَّعوا وما خسروا، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام:٩٣].

٢. وصنف متفرج يتابع آخر الأخبار، ويرضى بالواقع ولا يعمل للتغيير والإصلاح، وما أشبه هؤلاء ببني إسرائيل الذين جَبُنُوا أمام سطوة الحاكم وتركوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعاقبهم الله وأَذَلَّهُم وشَرَّدَهُم في البلاد، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [المائدة:٧٨-٨٠]. وهذه الآية شاملة لمن يتولى اليهود والأمريكان، أو يتولى خدام اليهود

والأمريكان ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠].

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧].

فهؤلاء المنافقون لا يغارون على دين الله ومقدسات الإسلام، ويشاركون الظالمين في معاصيهم ومنكراتهم، ويقبضون أيديهم عن عمل الخير والجهاد والدعوة والبذل في سبيل الله.

الأعراب والجهاد:

ويدخل في صنف الخاذلين للإسلام ومقدساته، الأعراب الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٩٧].

وكان هؤلاء الأعراب في عهد النبوة بعيدين عن مركز الهداية والتوجيه في المدينة المنورة، فدخلوا في الإسلام في الظاهر وخوفاً على مصالحهم، ولم يستضيئوا بنور الإيمان فكانوا أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله، ولكن الأعراب في زماننا يشملون من غلبت عليه عصبيته وجاهليته وأنانيته ودنياه، وآثر التعاون مع الأجنبي المحتل لبلده، ليقدم له الخدمات، ويمكنه من الاحتلال للأرض وللثقافة، وللغة، فتراهم يحرِّمون اللغة العربية في التعليم، وينشرون ثقافته كما يريد، ويفتحون له الجامعات التي تخرِّب الجيل.

وتراهم يجعلون من بلادهم قواعد عسكرية أمريكية لضرب البلاد العربية والإسلامية التي لا تمشي في ركابهم، أو تشكل خطراً على (إسرائيل).

وتراهم يحرِّمون الجهاد بالكلمة وبالإعداد وبالسلاح، ويهدرون مال الأمة على القصور والفجور والمتع المحرمة وشراء الأتباع والعبيد.

الطائفة الناجية:

وفي مواجهة هذه الأصناف الضالة نجد الطائفة الناجية التي جمعت بين الدعوة والجهاد أو بين المصحف والسيف، فَهِمُوا الإسلام بكماله وشموله ووسطيته وقدرته على إصلاح الزمان، فلم يغالوا، ولم يفرِّطوا. هؤلاء الذين رفعوا راية المقاومة في غزة وفلسطين، وضرموا نار الانتفاضة والجهاد، هؤلاء الذين يجاهدون ويقاومون المحتل في العراق ولبنان وأفغانستان والشيشان، هؤلاء أحباب الله ورسوله الذين أثنى عليهم النبي الكريم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق". (صحيح البخاري).

وحدَّد النبي ﷺ مكانهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وشرقي نهر الأردن. وهي أرض الحشد والجهاد التي تمتد لتشمل الصالحين المجاهدين في بلاد الإسلام جميعاً، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة:١١١-١١٢].

هذه الطائفة الناجية تتعرض لبطش (إسرائيل) وحراس أمنها بقيادة (دايتون) الموالين لأمريكا و (إسرائيل)، لكن هؤلاء المجاهدين صابرون ثابتون يتلون قوله الله تعالى الذي عَلَّمَهُ للمؤمنين في آخر سورة التوبة ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا**

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

وهذا هتافهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، والنبي قائدنا وقدوتنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..

العدد (٩٣) تشرين الأول ٢٠٠٩ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزة وفجر التحرير

بعد أن توالت النكبات على هذه الأمة وضاع أكثر من نصف فلسطين سنة (٤٨)، واحتُلَّ الباقي سنة (٦٧)، وكانت المفاوضات والاستسلام في كامب ديفيد وأوسلو، وَقَفَ المسلمون ينظرون في أسباب الهزيمة وطريق النصر، وتبيَّن لرجال الحركة الإسلامية أن المخطط الصهيوني الأمريكي يقوم على إبعاد الشعوب عن المعركة، وتكبيلها ومنعها من المشاركة في بناء مجتمعاتها، فلا مشاركة سياسية في الانتخابات ولا مشاركة اقتصادية؛ حيث يستغل الحاكمون والمتنفذون ثروات الشعوب، وتتحوّل ثروة الأمة إلى أعدائها لتُحكِم أمريكا قبضتها على منابع النفط وتأمين طُرقه، وتُمنَع أي حركة إسلامية من الوصول إلى الحكم، وبالتالي تحرير الأرض والمقدسات. وفي سبيل ذلك لا بد أن تكون جيوش الأنظمة هي وحدها في الميدان، والقوى الكبرى هي التي تتحكّم في سلاحها وقوتها وليس للشعوب إلا الإذعان والاستسلام.

كيف نخرج من هذا التيه ومن هذا الهوان؟

عَرَفَ رجال الحركة الإسلامية في فلسطين وفي غيرها أن المقاومة يجب أن تعود إلى الشعوب، وأن الأنظمة المحكومة بأوامر الغرب وأمريكا لن تقودنا إلى نصر ولن تسترجع أرضاً ولا مقدسات.. فبدأت المقاومة بالانتفاضة الأولى التي فجَّرها العالم المجاهد الحافظ لكتاب الله الشيخ أحمد ياسين وإخوانه.

ما هي خصائص هذه الانتفاضة؟

الجواب: هي خصائص الجماعة الإسلامية المقتدية برسول الله ﷺ، والمتمثلة بما يلي:

أولاً: قيادة مؤمنة لا تعرف الوهن ثابتة على المبدأ لا تبيع ولا تشتري. هدفها: الله غايتنا والرسول قدوتنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

ثانياً: شعبٌ مؤمن ضرب المثل في شجاعته وصبره وتضحيته ومقاومته، ودخل أهل غزة التاريخ في مواجهتهم للغزو الصهيوني مرّات ومرّات، حتى عدَّ العدو غزة القوة التي لا يحتملها والخنجر الذي لا يستطيع أن ينزعه. أهل غزة أهل المجد والعزة والكرامة التحقوا بأصحاب رسول الله ﷺ في جهادهم وصبرهم وتضحياتهم.

ثالثاً: جماعةٌ وجندٌ من حفظة القرآن الكريم ومن رجال المبادئ الذين يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦].

هؤلاء الجند جند العقيدة والمبدأ تمكنوا من أمرين: تطهير غزة من المرتزقة المنافقين الذي يتجسسون لليهود ويدلونهم على مواقع المجاهدين، وتطهير غزة من المرتزقة الذين لا يهمهم إلا رتبهم ورواتبهم وتنفيذ المخطط الصهيوني في احتلال فلسطين.

سؤال: كيف تمكّنت هذه الجماعة الصالحة التي يصدُق فيها حديث رسول الله ﷺ : " لا تزال طائفة من أُمّتي على الدين ظاهرين لعدُوّهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس". (رواه ابن جرير الطبري في مسند عمر، بإسناد حسن)، كيف تمكّنت من الحصول على الأغلبية الساحقة في الانتخابات التي جَرَت في الضفة والقطاع؟ وكيف تمكّنت من فرض سلطتها على غزة وتحويلها إلى قلعة مقاومة وجهاد؟

ويأتي الجواب: إنه تدبير الله وإعداده لهذه الجماعة لتصنع الفجر الجديد والمستقبل الكريم لهذه الأمة، يصدق فيهم قول الشاعر:

شعبٌ دعائمه الجماجم والدّمُ تتحطَّمٌ الدنيا ولا يَتَحطَّمُ

هذه الجماعة تهتدي بخطوات رسول الله ﷺ في المدينة المنورة حين أقام دولته، ووقف اليهود يؤلّبون قبائل العرب على حربها وتمكنوا من حصار المدينة في غزوة الأحزاب، وكان الله مع المؤمنين إذ أرسل على الأحزاب ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً. وقد ميَّزت الأحزاب المؤمنين الصادقين بصبرهم وجهادهم وكشفت المنافقين المتخاذلين بضعفهم وهروبهم من الجهاد، ووصفتهم سورة الأحزاب بجبنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [الأحزاب:١٢]. وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الأحزاب:١٨].

وميَّز الله بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢١-٢٣].

واليوم نحن نقف على مفترق طرق أهل الأحزاب، والمشركون من عبدة المناصب والرتب وأتباع اليهود والأمريكان عادوا ليحاصروا مدينة رسول الله ﷺ من جديد وليحاصروا غزة التي تحمل إرث رسول الله والدفاع عن المسجد الأقصى في مواجهة الهيكل المزعوم. اليهود يحثون الخطى لبناء الهيكل وقد عرضوا على ياسر عرفات بواسطة وزير خارجية تركيا الأسبق "إسماعيل جم" أن يسمح لهم ببناء

هيكل في ساحة المسجد الأقصى مقابل أن يعترفوا بدولة في فلسطين (٦٧) ويقدموا له الهبات المالية فرفض عرفات ومات مسموماً بسبب رفضه، وعرضوا الشيء نفسه على سماحة الشيخ حلمي المحتسب – رحمه الله – يوم كان قاضياً للقضاة في الضفة الغربية، وجاءت جمعية ماسونية تعرض عليه استئجار المسجد الأقصى لبناء الهيكل، فرفض. وقد حدّثني سماحة الشيخ عبد الحميد السائح – رحمه الله – أن مؤتمراً للحاخامات عُقد في القدس بعد احتلالها، وقرّروا بناء الهيكل، واتخاذ الخطوات السريعة لبنائه، وهم يؤجّلونها سنة بعد أخرى حسب الظروف. وهاهم يُطوّقون المسجد الأقصى بالمستوطنات وبتهويد ما تبقى من القدس ويسعون لهدمه عن طريق الحفريات والمداهمات اليهودية للصلاة فيه، وها هم المجاهدون من شباب القدس يدافعون عن المسجد الأقصى في وجه القوات اليهودية المدججة بالسلاح والقوة بصدورهم العارية وبعصيّهم وحجارتهم.

هنا نُوجّه نداءً إلى الشعوب الإسلامية حول الأقصى في الأردن وفي بلاد الشام، وفي مصر التي قتلت يوسف أبو زهري في سجونها بالتعذيب، وهي تريد أن تقتل إخوة يوسف من المؤمنين الصادقين خدمة لأعداء الله، نوجّه نداءنا إلى هذه الشعوب أن تتحمّل المسؤولية التاريخية جنباً إلى جنب مع الحكام والأمراء والعلماء.

إن عدونا اليهودي الأمريكي الصليبي يعمل في خطَّين متوازيين: الخط الأول: تفريغ الشعوب من معاني المقاومة والجهاد والتنكيل بالمجاهدين.

والخط الثاني: تغيير القوانين والأنظمة في مجال الأسرة، وفي مجال التعليم العالي، وفي مجال التربية والتعليم؛ للقضاء على هوية الأمة الإسلامية وخصائصها الحضارية، وفتح باب التغريب. هنا يفرض الله المقاومة على العالم وعلى القائد وعلى كل مسلم يُعَرِّفه القرآن كيف يواجه النكبات والشدائد بالالتفاف حول أهل غزة ونصرتهم وبالالتفاف حول القيادة المسلمة الداعية إلى الجهاد والتحرير بقوله تعالى:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا واللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ [النساء:٨٤].

فالآية واضحة أنه لا يمكن أن تُحرَّر الأوطان ويُصان الأقصى وتُحفظ المقدسات إلا بالجهاد وبالقائد الذي يتحرك للجهاد ويجمع الأمة عليه. سمع هذه الآية أبو بكر وحرَّك الجيوش في حروب الردة وحفظ الإسلام، وسمع هذه الآية نور الدين وصلاح الدين فالتقى المسجد مع القلعة في إعداد الأمة وتجهيزها للجهاد وتحرير بيت المقدس.

تقرير غولدستون وغزة الفاضحة الكاشفة:

شاء الله أن يكشف وحشيّة اليهود وقتلهم للنساء والأطفال في مدارسهم، وللعبّاد في مساجدهم، وقتلهم للناس في بيوتهم بالأسلحة الفسفورية المحرّمة دوليّاً، وبدمٍ بارد يقتلون الطفلة وهي تنظر إليهم. وشاء الله كذلك أن يكشف الذين طلبوا من باراك ولفني محاصرة غزة واحتلالها، وتسليم المجاهدين إلى السجون والقتل، ولكن الله كشفهم وبيَّن سوءاتهم كما كشف المنافقين يوم الأحزاب.

وكان رئيس التحقيق القاضي اليهودي هو الذي أدان جرائم اليهود، وقدّمها للجنة حقوق الإنسان في جنيف، فكان أن انتصرت هذه اللجنة للأبرياء الفلسطينيين في غزة، وكشفت يهود على حقيقتهم مفسدين في الأرض خونةً لرسالة الأنبياء، يبرأ منهم كلُّ ذي ضميرٍ حيّ حتى ولو كان يهوديّاً.

اللهم هيِّئ لهذه الأمة من يقودها للعمل بكتابك والجهاد في سبيلك، اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان.

الهجرة عهدٌ وجهاد

بدأ هذا العهد مع الأنصار في المدينة حين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى على الإيمان والالتزام بأخلاق الإسلام، وبايعوه البيعة الثانية على الإسلام والنصرة، وأن ينصروه بما ينصرون به أنفسهم وأولادهم وأموالهم..

وبعد أن أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة كان من مقتضيات الإيمان أن يهاجروا إلى المدينة لينصروا رسول الله ﷺ وأن يكونوا معه في مواجهة معسكر المشركين.

الهجرة في مفهومها الإيماني ودلالتها السياسية تحتاج إلى وقفة وتأمُّل؛ فالمسلمون أمة واحدة يتعاونون على إقامة دولة الإسلام ودفع الأخطار عنها، ولذلك كان المسلم المقيم في مكة القادر على الهجرة مُطالَباً بأن يرحل إلى رسول الله ﷺ ويهاجر إليه، فإن لم يفعل كان خاذلاً لدين الله خاذلاً لرسول الله ﷺ ظالماً لنفسه مُستجيباً لهواها وشهوتها.

وقد ذكر الله هذا في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ**﴾ [النساء:٩٧]، أي: فيمَ كنتم من نصرة نبيكم والهجرة إليه؟ ﴿**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي: اعتذرُوا باستضعافهم وخضوعهم لقادة المجتمع المشرك الجاهلي، وإيثارهم رضا أبنائهم وزوجاتهم على رضا ربهم في تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها ومشقَّتها، فأجابتهم الملائكة: ﴿**قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [النساء:٩٧] أي: ليس هذا عُذراً لكم؛ فالمؤمن مُطالَبٌ بأن ينضمَّ إلى جماعة المؤمنين وينصرهم، وليس عذراً له خوفُه على نفسه أو على مصالحه الاقتصادية أو الاجتماعية.. ﴿**فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً . إِلَّا**

﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً . فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

واستثنى الله من العذاب المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وذكَر القرآن الكريم موقف الصحابي الجليل جندب بن ضمرة ﷺ حين سمع هذه الآيات وقال: غداً أموت وتسألني الملائكة: لِمَ لَمْ أُهاجر؟ ولا معذرة لي ولا حجة.. يا أبنائي هَيِّئوا ناقتي لأهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبناؤه: أنت شيخٌ كبير ومريض ونكفيك أمر الهجرة، فسنهاجر وابقَ في مكة فقال: لا، غداً أموت وتسألني الملائكة عن عهد الهجرة، فجهَّزوا ناقته وسلك طريقه إلى المدينة، وأثناء الطريق اشتدَّت به العِلَّة فقال: سأموتُ هنا ولم أبايع رسول الله ﷺ فلا كسبتُ الهجرة ولا كسبت البيعة، ثم استدركَ قائلاً: إن ربي يراني ويسمعني.. فتوجَّه إلى الله بالخطاب والدعاء: يا رب هذه يدي أبايعك بها على الهجرة فاقبل بيعتي، وهذه يدي أبايع فيها رسولك ﷺ على الهجرة فبَلِّغهُ عني.

لله أنت يا أيها الصحابي الجليل؛ كيف هداكَ الله لإزالة الحُجُب والمسافات، وتخاطب الله عن قرب وتعطيه البيعة عن قرب وتمد يدك وتبايع ربك ثم تبايع نبيك على الهجرة والجهاد وأنت في سياقة الموت تلفظ أنفاسك الأخيرة ويقبل الله بيعته وينزل فيه قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾. [النساء:١٠٠].

دروس من قصة جندب:

إن قصة جندب هذه درس للمؤمنين أن نصرة الجماعة المسلمة التي ترفع راية رسول الله ﷺ لإقامة دينه وتحرير أرض الإسلام ومقدساته فريضة شرعية، وأن هذه البيعة جهادٌ ماضٍ إلى يوم القيامة؛ لأن الهجرة نوعان: هجرةٌ من البلد المشرك

إلى البلد المسلم، وهجرة إيمانية شعورية داخل البلد المسلم، بأن تنضم إلى جماعة المسلمين وتهجُر حياة اللهو واللعب والانشغال بأمور الدنيا، وتجعل من مالك ومن جهدك نصرةً لدين الله؛ لأنه من المعلوم أنه إذا اجتمع أهل الباطل على باطلهم وتفرَّق أهل الحق عن حقهم ضاعَ الحق واندرست معالمه، وهذا ما نبَّهنا الله إليه بقوله في آخر سورة الأنفال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال:٧٢]. أي: هُم أمة الإسلام بهجرتهم ونصرتهم، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا**﴾ [الأنفال:٧٢] أي: لم ينتقلوا إلى معسكر الإسلام لينصروا رسول الله ودينه ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا**﴾ [الأنفال:٧٢].

وفي الآية التالية قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال:٧٣].

والمعنى: أن الذين كفروا يُوالي بعضهم بعضاً على نصرة باطلهم، فإن لم تفعلوا أيها المسلمون هذه الولاية فيما بينكم وينصر بعضكم بعضاً لمواجهة أعداء الإسلام، تكُن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير.

الفرقة المجاهدة المنتصرة:

وقد تنبَّه لهذا المعنى الإمام حسن البنّا رحمه الله في مطلع القرن الماضي بعد انهيار دولة الخلافة العثمانية، وتآمر اليهود والماسونية والدول الغربية عليها، واحتلالهم لبلاد المسلمين، وتحويلهم الاحتلال العسكري إلى احتلال سياسي وثقافي وحضاري ليبيدوا الإسلام في حصونه وبلاده، فاتَّبع الإمام البنّا منهج رسول الله ﷺ في تكوين الجماعة المسلمة التي يوالي بعضها بعضاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل لإقامة دولة الإسلام، وجَعَل نصب عينيه قوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ**

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧١-٧٢].

ومتذكّراً حديث رسول الله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". (صحيح مسلم) وهذا الحديث مع الآية الكريمة أساسٌ للعمل الجماعي الحركي المنظم لمواجهة الطغيان السياسي والعسكري والثقافي الذي يتهدد الإسلام وأهله.

وكان من فضل الله تعالى أن تنبَّه العلماء والقادة لهذا المنهج الرباني بمواجهة الجاهلية، وامتدَّت حركات الجهاد والمقاومة في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً ترصد خطط اليهود والصليبيين الغربيين في مصادرة الحضارة الإسلامية والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام ومحاصرة المساجد ومنع العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر من تبليغ كلمة الله.

إن المساجد التي تغصُّ بالمصلين في بلاد الإسلام وفي شهر رمضان – لو فَقُه أصحابها معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة:٧١] وكيف جعلَ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الجاهلية سابقةً لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لعرفوا أن هذا التنظيم الجماعي وولاية بعضهم لبعض من خلال مؤسسات المجتمع المدني فريضة تقترن مع الصلاة والزكاة، ولأصبحت المساجد والمسلمون الذين يؤدون الصلاة فيها قوة فاعلة حركية تُخيف الظالمين وتنصر دين الله ولا تخذل العلماء العاملين وتتركهم وحدهم في الميدان.

الهجرة بناءٌ للقيم وبناءٌ للدولة:

كانت الهجرة هجرةً عن الفواحش وهجرةً عن المعاصي والآثام وهجرة عن الدنيا وملاذها كما هي هجرة للجهاد والنصرة. وقد قلت أبياتاً من الشعر في تصوير هذا المعنى:

هجروا الفُحش قبل أن يهجروا ... الأوطـان لله هجـرةٌ وجـهاد
لا فـرارٌ من مـحـنة واضطهاد ... ولقد يجرح الكريمَ اضطـهـادُ
بل فـرارٌ لله ما النـفـس مـا ... الأهل ما الأمـوال ما الأولاد
كلـهـم في سبيـل ديـني فداء ... ولعين الإسـلام طاب الجهـاد

بعد فتح مكة بيَّن النبي ﷺ كيف تحوَّلت الهجرة إلى جهاد وعهد ومرابطة في الأوطان ودفاع عن المقدسات بقوله: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيَّة". (صحيح البخاري).

وهؤلاء أهلنا في فلسطين يحققون هذا المعنى في غزة الصابرة التي هزمت جند صهيون وردَّته خاسراً.

وأهلنا في الضفة الذين يقفون أمام قوات دايتون الصهيونية، وأهلنا في لبنان الذين هزموا جيش (إسرائيل)، وأهلنا في العراق وفي أفغانستان وفي باكستان وفي الشيشان الصابرين المرابطين على عهد رسول الله ﷺ..

الهجرةُ عهدٌ وجهاد، تُعلِّمُنا كيف نقتدي بالنبي القائد ﷺ وأصحابه الذين وَصفَ الله جهادهم ونُصرتهم كما وصف أُخوَّتهم ومحبَّتهم في قوله: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ**

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

العنوان	الصفحة
المقدمة	٥
مع عام هجري جديد	٧
منبر صلاح الدين وأشياء أخرى	١٤
شرف الرسالة وشرف الرسول ﷺ	٢٣
دروس من غزوة أُحد	٣٢
غزوة أُحد ودروس من القرآن الكريم	٣٩
"الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا" تفسير معاصر	٤٧
الجامعات الأجنبية وخطرها على هوية الأمة	٥٤
إبادة العرب والمسلمين في عقيدة الجندي الأمريكي القتالية	٦١
اللغة العربية وهوية الأمة	٦٨
الحاكم المستبد كما يصوّره القرآن الكريم	٧٥
الانتخابات والمال الحرام	٨٣
كيف نواجه الروم من جديد ؟!	٩٠
دروس للدعاة (١)	٩٧
دروس للدعاة (٢)	١٠٤
الفضائيات العربية وسياسة التخدير والإلهاء	١١٠
خيار المقاومة	١١٨

وماذا بعد غزة؟!	١٢٥
واشوقاه يا رسول الله	١٣٢
أبناؤنا والقرآن الكريم	١٣٩
مكانة القدس في الإسلام	١٤٦
الإسراء والمعراج ودروس المرحلة	١٥٥
رمضان .. دروس وذكرى	١٦٢
بداية الانهيار (انهيار حضارة!)	١٦٩
الحج وأهداف التحرير والتغيير	١٧٦
موافقة الولي في مشروع قانون الأحوال الشخصية لعام ٢٠٠٨م	١٨٣
غزة .. والفجر الجديد	١٩٠
من صور المقاومة في القرآن الكريم	١٩٨
جمعية المحافظة على القرآن الكريم وثمانية عشر عاماً للعلم والتعليم	٢٠٥
حصوننا مهددة من الداخل !!	٢١٢
قداسة الأرض وقداسة الدعوة وقداسة المقاومة	٢١٨
مكانة العلماء ومسؤوليتهم في الإسلام	٢٢٥
الدعوة والمال والوعي الإيماني	٢٣٢
القدس.. الكاشفة الفاضحة!	٢٣٩
غزة وفجر التحرير	٢٤٧
الهجرة عهدٌ وجهاد	٢٥٢

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



نفحات من هدي
القرآن الكريم

من منشورات
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (00962 6 5153557) - فاكس (00962 6 5163925)
ص.ب (925894) - الرمز البريدي (11190)
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org / e-mail:hoffaz@hoffaz.org

تصميم وإخراج
دار الفن
www.darfan.com